الحرب العالمية الثانية

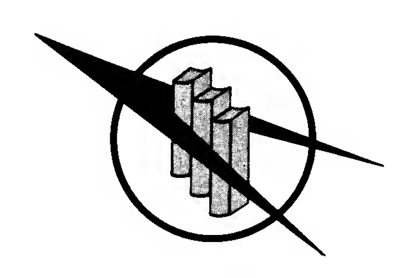
عرض مصوّر

أعدّه وحقّقه على أوثق المصادر

رمضان لاوند

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقيا : ملايين - تلكس : ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان



الطبعة الثالثة عشرة
تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٩

توطئة

الحرب في كل صورها وأشكالها محاولة انتحارية .

انها اعلان عن افلاس المتحاربين في وضع الحلول المناسبة للمعضلات الناشبة بينهم .

انهم بهذه الحرب ينزلون بالحضارة من مستواها الاخلاقي الرفيع إلى مستوى شرعة الغاب .

والعدالة لا مكانة لها في هذه الشرعة . وهي تفقد من رصيدها في حياة المجتمع على قدر ما تسببه الحرب من الخراب والدمار وتحدثه من المضاعفات الهدامة .

والواقع ان الحروب التي عرفها النصف الأول من القرن العشرين هي أشد الحروب التاريخية واكثرها تخريباً واقلها احتراماً للمواثيق الانسانية والقيم الأخلاقية .

إن احراق المدن بالعشرات والمئات وتقتيل النساء والأطفال والشيوخ دون تمييز قد اصبحا في حروب القرن العشرين قاعدة يومية وظاهرة تتكرر في كل اشتباك وعند كل غارة ...

ولا يمكن ان يرى الباحث في هذه الحروب غير علامة حاسمة على افلاس اخلاقي وانتكاس حضاري وفضيحة مخزية لكل ما رددته وتردده

ابواق الحضارة الغربية الحديثة . وهي بالتالي تصديق لكل النبوءات التي صدرت عن كبار رجال الفكر والفلاسفة الغربيين انفسهم .

ولا يقلل من بشاعة هذه الحروب وآثارها غير الانسانية، أن التكنيك الحديث والتقدم العلمي يستطيعان ان يمسحا آثار الخراب الذي تحدثه هذه الحروب بسرعة لم تعرف في القرون الخالية .

فالجريمة جريمة ... والظلم والقسوة يبقيان ظلماً وقسوة مهما تكن قدرة الظالمين القساة على مسح آثار جرائمهم من الناحية المادية .

فالكارثة الحقيقية ليست في جانبها المادي وحسب . ولعل الجانب المادي ان يكون أقل جوانب الكارثة خطراً . إن الكارثة الحقيقية هي في النفوس .. في زوال الثقة في الانسان وفي هدم الاحلام الذهبية التي بنتها اطماح الفلاسفة وصاغتها أيدي المصلحين ونفخت فيها من روحها قلوب الأنبياء والصديقين .

لقد انتهت الحرب العالمية الأولى لا ليتعظ بها الناس ولا ليوزعوا الحقوق بالقسطاس المستقيم ؛ بل انتهت هذه الحرب ليضع المنتصرون بعدها بذور حرب جديدة . انها بذور الحقد والخوف وانهيار الأعصاب والكفر بالقيم الأخلاقية والرغبة في ما في أيدي الآخرين من الثروات والأرزاق والأملاك...

ومؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي كان في الحقيقة بداية هدنة إجبارية فرضتها هزيمة ألمانيا، فأصبح بها السلام هدنة قلقة متوترة تنتظر أول مناسبة للانفجار وللعودة بالعالم إلى حرب أشد هولاً واكثر بشاعة وقسوة وتدميراً ...

لقد سكتت الحرب في المانيا وانحنى الشعب الالماني أمام الغزاة من الحلفاء الغربيين وفي القلوب لوعة وفي النفوس حسرة وفي الأعماق تصميم على معاودة الكرة عندما تأتي الظروف المناسبة .

وقد أثبتت السنوات القليلة التي عقبت الحرب العالمية الأولى صحة هذه التقديرات . فلم يكد هتلر يظهر في ألمانيا ويعلن عن حق الألمان في

الثأر والانتقام من المنتصرين والتحرر من قيود معاهدة فرساي، حتى اشرأبت نفوس الالمان اليه ومنحته التأييد والمساندة ووضعت تحت تصرفه كل ما يحتاج اليه حتى الدماء والارواح . وتلاحقت الأحداث وركبت المانيا رأسها وهزتها أحلام النصر وامتلأت خيالات رجالها ونسائها بصور الانتقام.
وشاعت أفكار متطرفة وتغلب الهوس على النفوس فاذا بألمانيا تحول عبقرية أبنائها لصناعة الحرب المدمرة ثم تنطلق آلة الحرب لتعيد المأساة البشرية على صورة اكثر بشاعة وهولاً وتصميماً على تدمير قيم الخير وعناصر النبل في الانسان ...
وكانت الحرب العالمية الثانية اطول نفساً وأعنف اسلحة واقدر على تحطيم أحلام البشرية في الأمن والاستقرار والطمأنينة والسلم ...
وعندما دارت الدائرة على الغزاة الألمان وبقية دول المحور عاد الأمل إلى الشعوب ونبت في العقول والنفوس أفكار خضراء ورغبات حلوة .
ولكن الحرب العالمية الثانية لم تكد تضع أوزارها حتى بدأت بذور الشك والخوف والحقد تبرز من جديد قبل ان يجف الحبر الذي كتبت به صكوك السلام ومواثيق المستقبل ...
لقد سكتت الحرب بين الحلفاء الغربيين والشرق السوفياتي من ناحية وبين قوات المحور من ناحية اخرى لتتفجر بعد ذلك بقليل حروباً محلية وحملات دعاوية ومناورات لسرقة الشعوب وعدواناً جديداً على الضعفاء ومؤامرات مكشوفة لاحياء خطط الاستعمار القديم . وكان نصيبنا نحن العرب من سيطرة روح الاستعمار وتشبثه بمواقعه العدوانية النصيب الأوفى.
لقد فرضت علينا حرب عدوانية ظالمة هدامة تشرد بها مليون من أبناء فلسطين واصابتنا بها كارثة عار لا تنسى ابداً . كارثة هي في نفسها بذرة جديدة لمدد لا ينقطع من التحريض على الانتقام والتربص للانقضاض على العدو الظالم ...
لقد ثبت لنا ان الحرب العالمية الثانية بكل كوارثها الرهيبة لم تستطع

ان تقنع الانسان بضرورة التحرر نهائياً من كابوس الرغبة في القتل والتدمير ...

فالشكوك اليوم بين المعسكرات العالمية أشد منها بالأمس . والاسلحة التي يستعملها الانسان اليوم اشد تخريبـــاً من اسلحة الأمس، واليأس من السلام اليوم هو أشد ظلمة منه بالأمس ...

إنني إذ اقدم هذا الكتاب صوراً للحرب العالمية الثانية ... صوراً يجد القارىء في كل لوحة من لوحاتها حكاية مؤلمة للخراب والموت والبؤس والجوع ؛ اني اقصد بذلك إلى تذكير الانسان بأن هذه الحرب وما سبقها من الحروب ليست غير عمليات انتحارية مجنونة لا نحصد منها غير اليأس وكفر الانسان بأخيه الانسان .

إن رجائي كبير في ان يوفق هذا الكتاب إلى اقناع القراء بالعمل على تجنب الحرب بكل وسيلة ممكنة ولعل أروع الأساليب واعظمها فعالية هو اسلوب العودة إلى الله واللجوء إلى الايمان بالرحمن الرحيم والاستعانة به .

ان اردت إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

بيروت في ٧ – ٦ – ١٩٦٥

رمضان لاوند

المانيا قبيل الحرب العالمية الثانية

تكاد الحرب العالمية الثانية ان تكون الحصيلة الطبيعية للحلول والمواقف والاتفاقات التي انتهت اليها الحرب العالمية الأولى .

إن التقسيمات السياسية التي وضعت في مؤتمر الصلح والقرارات الانتقامية التي اتخذت ضد المانيا القيصرية والمضاعفات الاقتصادية التي نجمت عن الحرب مع ما يرافقها من تضخم في النقد وجمود في الأعمـــال وجوع وفوضى وخوف وشعور عميق باليأس، كل ذلك سمح للشيوعية بأن تلعب دوراً كبيراً في تعبئة الجماهير وفي تحويل اليأس الجماعي إلى طـــاقة حقد مدمرة ضد الطبقات الحاكمة وأساليب التفكير والعمل والتقـاليد السياسية في المجتمع الالماني .

كل الأحداث الخارجية والداخلية كانت تتعاون عـــلى جعل الوضع الداخلي الالمـاني أكثر سوءاً وأدعى إلى الخوف واليـــأس . ولا ننسى بالاضافة لما سبق ان حرمان المانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى من مستعمراتها الموجودة وراء البحار قد شارك هو أيضاً في خلق الأوضاع الداخلية المتوترة .

والثابت ان القوة اليسارية العالمية ومن ورائها موسكو السوفياتية قـــد

حاولت ان تلعب دوراً كبيراً في جر المانيا المهزومة ، وشعبها المغلوب على أمره ، وعمالها العاطلين عن العمل ممن يفترسهم اليأس وتلتهم المرارة اعصابهم ؛ لقد حاولت هذه القوة اليسارية ان تجر المانيا إلى معسكرها الذي بدأ يثبت اقدامه ويفرض نفسه على العالم رغم كل المتاعب التي كان يواجهها من قبل الرأسمالية العالمية .

هذا الوضع الخطير دفع البرجوازية الالمانية إلى التفكير جدياً في إنقاذ الوضع .لقد كانت تشهد بعينها توالي معالم الانهيار وتحس ان المانيا تقترب من المعسكر اليساري في كل يوم رغم البطء الظاهر في خطواتها .

في تلك الاثناء وأمام الشعور بالمهانة الذي كانَ يشيع في نفوس أفراد الشعب الالماني بعد الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الأولى،أصبحت جماهير الشعب الألماني دقيقة الحس مجروحة النفس مستعدة للاستجابة لأية دعوة عنيفة ملحة تحررها من شعورها بالهزيمة الذي يضغط على روحها ضغطاً شديداً .

كان الشعب الالماني آنذاك في حاجة إلى حكم من نوع جديد يستطيع أن يعيد اليه الثقة وان يتولى عنه اتخاذ القرارات أمام المواقف الحاسمة .

في صميم هذا الوضع ظهرت حركة آدولف هتلر الشاب المتحمس الذي كان يؤمن بقدر المانيا،ويعتقد بأن في وسع بلاده ان تبلسم جراحها وتبني نهضتها الجديدة وتعيد الحياة إلى اقتصادها الوطني ثم إلى صناعتها بصورة خاصة . وكان يرى في الوقت نفسه ان الحركة اليسارية المتمثلة في الحزب الشيوعي هي دعوة لتكريس التفاهة والمهانة وقضاء على كل مقومات العنصر الالماني .

وطبيعي ان يبالغ هتلر في تمجيد ألمانيا وإظهار حقيقتها أمام شعبه على أنها حقيقة الأمة الممتازة والمختارة التي كتب لها القدر ان تحكم العالم كله وان تكون سيدة الشعوب .

إن النازية التي كانت تردد هذه العقيدة وتوحي للألمان بأنهم أمة

الابطال وانصاف الآلهة كانت الرد النفسي للشعور الوطني العام بالمهانة أمام الهزيمة التي جاء بعدها الفقر والحرمان والفوضى ثم المرارة .

وسكر الشعب الالماني بهذه الدعوة الجديدة . بل إنه اعتبرها استمراراً لأفكار بعض فلاسفته الذين ظهروا في القرن التاسع عشر . وشط الخيال ببعضهم فاعتبر هتلر أحد تلاميذ نيتشه الفيلسوف الالماني الذي أنهى حياته العصبية المضطربة في مستشفى من مستشفيات الامراض العقلية . ونيتشه هو واضع الكتاب المعروف : « هكذا تكلم زرادشت » . و « هكذا تكلم زرادشت » هو الكتاب الذي حاول صاحبه ان يحكي فيه حكاية الرجل الممتاز الذي يتفوق على نفسه والذي يشعر بالعزلة عن بقية الناس ويعتبرهم عبيداً أو أقناناً أو مخلوقات تافهة كتب عليها ان تعيش في الضلالة وان تكون في خدمة الأقوياء .

ومهما يكن الأمر ؛ ومهما تكن العلاقة بين آدولف هتلر الزعيم الالماني الجديد ، وبين الفيلسوف نيتشه،فإن مما لا شك فيه ان هتلر كان يعتبر الشعب الالماني شعباً ممتازاً وسيداً بطبيعة تكوينه . لقد حاول ان يستنهض همة هذا الشعب وان يدفع به دفعاً شديداً بمغامرات واسعة من اجل تدعيم وجوده الوطني واسترجاع المبادرة على الأقل وفي الدرجة الأولى في حياته الداخلية .

وقد ناصب هتلر العداء كل من كان يعتقد انهم مصدر ضعف المانيا أو انهم المتآمرون عليها . وكانت عداوته للشيوعية الحمراء مستمدة من هذه القاعدة التي اتخذها لنفسه .

هتلر في الحكم

ومرت سنوات تخللتها هزائم وانتصارات ثم انتهت اخيراً بنجاح الحزب

النازي الذي يتزعمه هتلر في انتزاع الحكم والاستقلال به .

ولم يكد هتلر ان يشعر باستقرار الكرسي تحته حتى بدأ ينفّذ ، بما عرف عنه من العنف والقسوة والتنظيم والايمان بعظمة المانيا ، كل خططه التي وضعها لتحقيق أهدافه . لم يكن شي يمنعه عن تنفيذ ما يقرر تنفيذه . كان لا يتردد في ان يقتل وان يعتقل وان يشرد وان يضرب بيد من حديد على كل من يضعه القدر أمامه . الشفقة والميوعة في اتخاذ القرارات لم يكن يعرفها أبداً .

كان حلمه الذهبي في ان تصبح المانيا سيدة أوروبا ، ثم القوة الأولى في العالم أشبه بالكابوس في نفسه . كان هــذا الحلم يلاحقه ليل نهار ويضغط عليه ويملي عليه قراراته التي يتخذها من اجل المانيا العظيمة أو ما كان يسميه بالريخ الثالث . ريخ الالف عام .

إنه كان جاداً في بناء هذا الريخ ولذلك فــانه لم يكن يتسامح أبداً أمام كل من تسول له نفسه بمقاومة الريخ الثالث .

الوحدة الألمانية

وطبيعي ان يفكر هتلر في تحرير المانيا من القيود الدولية التي فرضت عليها في مؤتمر الصلح كتمهيد لتحقيق الوحدة الالمانية ولذلك فإنه لم يعتم حتى شجب إتفاقية هذا المؤتمر التي كان يعتبرها المصدر الكبير للمهانـة الألمانية .

وبعد أن شجب هــذه الاتفاقية توقف قليلاً ليتبين ردود الفعل في العالم الغربي ولا سيما فرنسا وإنكلترا . ولم يحدث شيء يدل على وجود أي خطر أو على استعداد العالم الغربي للقيام بإجراءات مضادة لإيقافه عند حده .



هتلر وتشمبرلين وبينهما المترجم

ومن هنا بدأ هتلر يحقق اهدافه التي تتناول وحدة المانيا قبل كل شيء . لقد كان يستعيد الأجزاء التي اقتطعت من بلده واحداً واحداً دون أن يشعر بتغير الموقف الغربي . كان على الضد من ذلك يحس احساساً قوياً بخوف الغربيين وتنافسهم على ارضائه وتسابقهم الى الاتفاق معهم حتى كان مؤتمر ميونخ الذي اصبح في نظر الغربيين آية مهانة ومذلة لهم وأصبح تشمبرلين رئيس الحكومة الانكليزية بسببه عنواناً على الاستخذاء .

وظن العالم ان هتلر سيكتفي بما استعاده من المناطق التي انتزعت من المانيا في نهاية الحرب العالمية الاولى . ولكن هتلر الذي مرت عليه سنوات وهو يعيد بناء جيش الريخ الثالث الكبير ويدعم الصناعة الثقيلة ويستغل العبقريات والكفاءات القومية من اجل بناء آلة الحرب الضخمة ؛ لم يستقر ولم يهدأ .. ولم تمض اشهر قليلة حتى انقض على السودات ، المقاطعة

التشيكوسلوفاكية التي تسكنها اكثرية المانية ثم انقض على تشيكوسلوفاكية كلها . وسكت العالم الغربي ايضاً لأنه لم يكن في وسعه كما لم يكن في وسع اية قوة في العالم ان تواجه الآلة الحربية الالمانية في ذلك الوقت .

ولكن الثابت ان الغربيين كالسوفيات كانوا يشعرون جميعاً بتزايد الخطر الالماني ويعدون انفسهم للحاق بألمانيا في بناء اقتصادهم الحربي . مع العلم ان الشعوب الغربية لم تكن تريد الحرب ولم تكن تجد فيها اية ضرورة قومية كما هو شأن الشعب الألماني . كانت الشعوب الغربية تريد السلام بأي ثمن وكانت طبقاتها الحاكمة تجد في هذا السلام فرصة لمضاعفة ثرواتها في امبراطوريات بلادها الشاسعة . فلفرنسا مستعمراتها في افريقيا وآسيا وانكلترا مثل هـذه المستعمرات ، اما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فقد كان لهما من الأراضي الواسعة والثروات الضخمة ما يدفعهما الى تجنب التفكير في اعلان حرب ضد هتلر . ولكن خطر هتلر جعل يتزايد . وكان الشيوعيون السوفيات اكثر احساساً به . ذلك لأن حـكم هتلر في المانيا قد بني على انقاض الحزب الشيوعي الألماني الذي كان اقوى حزب في المانيا بعد الحرب العالمية الاولى وكان يضم خمسة ملايين من الذكور والاناث المتحمسين لهذه الدعوة . يضاف الى ذلك ان الشيوعية السوفياتية كانت الكابوس الكبير في خيال هتلر الذي يحلم باستمرار بالقضاء على قاعدتها موسكو والاستفادة من ثروات الشعوب السلافية .

بداية انهيار الوضع

الخلاف بين المانيا وبولونيا :

لعل الأزمة التي نشبت بين المانيا النازية وبولونيا والمضاعفات التي

رافقتها ان تكون نقطة للارجوع في سير الأحداث نحو الحرب .

وقبل ان نتحدث عن هذه الأزمة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، يهمنا ان نسلط الأضواء على قضية طالما تناولهـا الكتاب بالنسبة لموقف القواد العسكريين الألمان من اطماح هتلر وأحلامه وخططه التوسعية .

هناك مؤرخون يؤكدون ان قواد هتلر كانوا يعارضون عند كل مغامرة جديدة من مغامراته ابتداءً من احتلاله للراين وانتهاءً بالأزمة البولونيـة التي انفجرت بها الحرب ، مروراً باحتلاله للبلاد النمساوية وأرض تشيكوسلوفاكيا التي ضمها نهائياً الى الريخ الثالث في شهر آذار من عام ١٩٣٩ .

ويؤكد المؤرخون ان بعض هؤلاء القواد قد فكر في الفترة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية بالانقلاب عليه وبإسقاطه خوفاً من ان يجر بلاده الى حرب مدمرة تقضي على شبابها وتحطم المنجزات والمكاسب التي حققتها .

وقد يكون هذا صحيحاً بالنسبة لأفراد معينين من القادة ولكنه ليس صحيحاً بالنسبة لمجموعة القواد على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم . ان هتلر لم يكن يحكم بلاده وهو في عزلة عن طبقات الشعب الالماني وفئاته المختلفة . ان الاحساس القومي العنصري العنيف الذي سبب كل المضاعفات المعروفة كان احساساً يغمر الكثرة الساحقة من ابناء الشعب ويهز الملايين هزاً فتنتشي به وتتأثر بأحلامه وأطماحه .

اما الفئة القليلة من القواد التي كانت ذكريات الحرب العالمية الأولى ما تزال تعيش في خيالها والتي كانت في الوقت نفسه تنفس على هتلر نجاحه انتزاع أكاليل الغار وهو المواطن الخارج من الدهماء مع اعوانه وأنصاره ؛ اما هذه الفئة القليلة فانها لم تلبث ان ضغطت على عواطفها وأحقادها الداخلية وسايرت هتلر وشاركته في تحقيق خططه وتنفيذ أغراضه .

ان الخلاف بين هؤلاء القادة وبين هتلر لم يكن خلافاً على حق

المانية في سيادة العالم ، ولكنه خلاف حول من يجب ان يقود المانيا في الأساس . وتأتي المبررات التي سجلها المؤرخون وفي مقدمتهـــا خوف هؤلاء القادة من نتائج المغامرات الهتلرية بمثابة التغطية الظاهرية لأحقادهم المحلية .

دانتزيغ والممر البولوني :

قلنا ان هتلر كان يسعى الى تحقيق الوحدة الألمانية ولذلك فإنه بادر الى التفكير في ضم الممر البولوني ومدينة دانتزيـــغ الحرة ليصل بروسيا الشرقية الالمانية بالوطن الأم وليضم سكان دانتزيغ وهم من الألمـــان في كثرتهم الساحقة الى بقية الشعب الألماني .

ولوحظ ان بولونيا قد حاولت بعد الحرب العالمية الأولى وبعـــد ان اعطيت حق الإشراف على مدينة دانتزيغ الحرة ، وعقد اتحاد جمركي معها يعطيها منفذاً الى بحر البلطيق ثم اعطيت الممر البولوني ؛ لقد لوحظ ان بولونيا هذه المؤلفة من (٣٥) مليون من السكان قد حاولت التقرب من جارتيها الكبيرتين روسيا والمانيا كما حاولت التقرب من فرنسا وبريطانيا .

وكانت بولونيا تشعر دائماً كلما تزايد النزاع الأيديولوجي بين النازية والشيوعية بأن ارضها ستكون ميدان الصراع بين هاتين القوتين الكبيرتين . لذلك سعى اقطاب الحكومات البولونية الى التخفيف من خطر احداهمـــا بمصادقة الأخرى بالاضافة الى عقد المحالفات مع الدول الغربيـــة . وقد حصلت على ضماناتها المطلوبة من بريطانيا بينما كانت فرنسا قد عقـــدت معها معاهدة قديمة .

وعندما نقضت المانيا النازية ميثاق عدم الاعتداء مع بولونيـــا الذي سبق ان وقعته الدولتان عام ١٩٣٤ ، اصبحت بولونيا في وضع لا تحسد عليه . لقد اصبحت مرغمة على الاستعداد لمواجهة خطر المستقبل لا سيما

وان كل شيء كان يدل على ان هتلر ليس بالرجل الذي يتردد في تنفيذ اغراضه واطماحه .

دانتزيغ :

ما هي مدينة دانتزيغ ؟ ولماذا انفجرت مشكلتها بهذا الشكل الحاد الذي عرف لها عام ١٩٣٩ ؟ الواقع ان دانتزيغ هي مدينة المانيـــة اذا نظرنا اليها من ناحية السكان فأكثريتهم تستعمل اللغة الالمانية وتنتمي الى اصول المانية . ولكنها ، أي المدينة ، لم تكن المانية دائماً بل اصبحت كذلك بمرور الزمن نتيجة لتنفيذ خطة الاندفاع نحو الشرق التي هي القاعدة القديمة للسياسة الالمانية . اما من النواحي الاقتصادية والعسكرية والجغرافية فإن دانتزيغ ضرورة لازمة لبولونيا لا يمكنها الاستغناء عنها خوفـــاً من الاختناق . انها باستثناء « جدينيا » المنفذ البولوني الوحيد الى بحر البلطيق .

ومدينة دانتزيغ الحرة هي ما يعرف بالمدينة نفسها ثم منطقة تحيط بها وتشمل ساحل « زابوت » وهو مصيف جميل يرتاده هـــواة الرياضة البحرية كما يشمل بلدتي « تيجنسوف » و « نورتيش » وقرى تحيط بهـا . اما مجموع السكان في المنطقة كلها فقد كان آنذاك (٤١٠) آلاف نسمة .

ولهذه المدينة الحرة دستورها الخاص الذي وضع لها بعد الحرب العالمية الاولى وعملتها الخاصة . ولكنها كانت مرتبطة ببولونيا في اتحاد جمركي . وكانت لها حكومتها الخاصة التي يعينها برلمان عدد اعضائه (٧٢) ويطلق على حكومتها اسم مجلس الشيوخ ويعتبر رئيس هذا المجلس الرئيس الأول لحكومة المدينة الحرة . وكان في المدينة مندوب سام يمثل عصبة الامم . ولم يسبق ان وقعت ازمة بين دانتزيغ وبين بولونيا التي كان لهـــا حق الاحتفاظ بقوة عسكرية في خليج دانتزيغ ، اللهم الا اذا استثنينا حادثة



خريطة الحرب في بولونيا وممر دانتزيغ

واحدة وحسب . يبقى التمثيل الدبلوماسي للمدينة الحرة الذي وُكل الى الحكومة البولونية .

وعندما نعلم ان مدينة دانتزيغ قائمة على نهر بولوني من منبعه الى مصبه ، نعني به نهر الفيستولا ، وان تاريخ هذا النهر مرتبط بتاريخ البلاد التي يجري في ارضها . فاننا حين نقتطع الجزء الذي يسير منه في دانتزيغ نكون كمن يقطع وريداً في جسم بولونيا يحدث لها نزيفاً حتى الموت .

واذا نوقش الموضوع من وجهة نظر المناداة بالمجال الحيوي فان نظرة واحدة الى الخارطة تؤكد ان دانتزيغ واقعة في نطاق المجال الحيوي

لبولونيا حتى ان بروسيا الشرقية نفسها واقعــة في هذا المجال . ومنطق المجال الحيوي هو المنطق الذي سوغت به المانيا النازية ضم بوهيميا ومورافيا في منتصف آذار من عام ١٩٣٩ الى اراضيها .

ننتقل بعد هذا الى بحث مبدأ تقرير المصير الذي يذكرنا بقول قاله ملك بروسيا « فريدريك الكبير » حين اعلن ان من يسيطر على مصب الفيستولا ودانتزيغ يكون له في بولونيـا سلطان اعظم من سلطان ملك « فارسوفيا » . فهل ان المانيا الهتلرية كانت تريد السيطرة على بولونيا تحت ستار المطالبة باستعادة دانتزيغ الالمانية والممر البولوني ؟

وقد يظن البعض ان اهالي دانتزيغ كانوا راغبين مائة في المائة في الانضمام الى الوطن الأم . الحقيقة ان اهالي دانتزيغ كانوا قلقين ، فهم من ناحية يشعرون بأهمية وضعهم الممتاز من الوجهة الاقتصادية بسبب مرور الصادرات والواردات البولونية في مدينتهم ، وهم من ناحية اخرى يتأثرون بضغط الدعاية السياسية والعواطف التي ألهبتها الحركة النازية آنذاك . لقد كانوا يريدون في أعماقهم ان يحافظوا على اوضاع مدينتهم وان يحكموها في الوقت نفسه وفقاً للمبادىء النازية .

اما الالمان انفسهم فلم يكونوا يجدون لدانتزيغ هذه القيمة الاقتصادية الكبيرة . كل ما كانوا يفكرون فيه هو الاستيلاء عليها لفصل بولونيا عن بحر البلطيق بحيث يتحقق قول « فريدريك الكبير » ثم تدخل بولونيا في نطاق الحماية الالمانية . هكذا يبدو ان الفوز بدانتزيغ هو وسيلة المانية لتحقيق اغراض توسعية وحسب ، بينما هو من وجهــة النظر البولونية خطر داهم على بولونيا كلها .

وقد لوحظ ايضاً ان بولونيا قد فشلت في اقناع النازيين بإزالة التوتر بينها وبين بلادهم رغم ان وزير الخارجية البولوني الكولونيل بيك قد حاول المستحيل لجعل سياسة بلده موالية للألمان . وعندما توفي المارشال بيلسوديسكي رئيس الجمهورية البولونية وخلفه الجنرال سميغلي ريدز تطور

الموقف قليلاً حين حاول هذا الاخير ان يتقرب من فرنسا وبريطانيا دون ان يقطع علاقته مع المانيا .

وقد فشلت كل محاولاته رغم ان بولونيا قد ايدت المانيا حين اجتاحت هذه الاخيرة الارض التشيكوسلوفاكية بل ذهبت الى اكثر من ذلك فطالبت ببعض الارض التشيكوسلوفاكية التي احتلها الالمان .

ستالين :

قلنا ان الاتحاد السوفياتي كان يحس بضغط الخطر النازي اكثر من احساس الغربيين به . ولكن ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي كان لا يرى في الحكومة الالمانية عدوة وحيدة له بل يعتبر كل الحكومات الرأسمالية عدوة لنظامه الشيوعي . ولذلك فإن الفرحة كانت تغمره وتشيع في نفسه حين يرى الاوضاع السياسية تنهار والعلاقات تتقطع بين المانيا والعالم الغربي .

وكان النفوذ الواسع الذي يتمتع به في بلاده قد سمح له بالمناورة وبأن يقامر على مستقبل بلاده حين عقد مع هتلر اتفاقية عدم اعتداء في شهر آب من عام ١٩٣٩ . هذه الاتفاقية لم تترك حرية العمل لهتلر وحده بل سمحت لستالين بتوسيع حدود بلاده والسيطرة على جانب كبير من بولونيا والدول البلطيقية الثلاث ليتوانيا وإستونيا وليتوفيا .

كان ستالين يرى ان طريق الشيوعية الى النصر لا يفتح نهائياً ما لم تقع الواقعة بين المانيا النازية ودول الغرب ولذلك فإنه لم يتردد في استدراج هتلر الى الحرب وفي التعهد بتزويده بكل ما يحتاج اليه من المواد الأولية والبترول والحبوب على امل ان يبدأ نزاع الرأسماليين حتى ينهك بعضهم البعض الآخر ، ولم يبخل ستالين على المانيا بما عنده حتى انه كان يقدم المواد الأولية الى المانيا بكميات اكبر من ان تحتمل روسيا حرمان نفسها منها .

حصة ستالين :

وعندما انفجرت الحرب البولونية الالمانية لم تتردد السوفيات في اقتطاع حصتهم من الكعكة التي أعدها النازيون وخبزوها فقاسموهم انتصارهم وظفروا بما اتفقوا معهم على اخذه من الغنائم والاسلاب .

في اللحظات الاخيرة :

لنعد إلى الأزمة الالمانية البولونية حول دانتزيغ والممر البولوني . لقد بادر هتلر إلى تقديم مذكرته المعروفة لحكومة فارسوفيا البولونية وطالب في هذه المذكرة بضم دانتزيغ والممر البولوني إلى بلاده . ورفضت فارسوفيا ولم تلين أمام أي ضغط أو تدخل فقد اعتبرت هذه المذكرة حكماً بالاعدام ووجدت من حقها ان تحافظ على حياتها . وهتلر ليس بالرجل الذي يفكر كثيراً في أمثال المطالعات التي يقدمها الجانب البولوني . كان منطقه بسيطاً جداً : الحرب أو تسيم دانتزيغ والممر البولوني . واضطرب العالم الغربي كله بينما كانت موسكو تنتظر وتتابع الاحداث . وبذل الغربيون كل جهد ممكن للحيلولة دون وقوع الحرب ولا سيما بعد الاتفاق الالماني الروسي .

وأرسل تشمبرلن رئيس الوزارة الانكليزية مذكرة خاصة إلى هتلر في ٢٢ آب سنة ١٩٣٩ يطلب اليه فيها تجنيب اوروبا حرباً عالمية جديدة مدمرة . ثم ارسل اليه السيد دالادييه رئيس الوزارة الفرنسية مذكرة بمثل هذا المعنى في ٢٦ من الشهر نفسه ، كما وجه الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت في الثالث والعشرين من آب نداءً إلى ملك إيطاليا يسأله التوسط في النزاع ثم اعقبه بنداء مثله إلى كل من هتلر ورئيس الجمهورية البولونية في اليوم التالي يناشدهما فيه تسوية الخلاف بالطرق السلمية .

وتتابع كبار العالم وعظماؤه يوجهون نداءاتهم الحارة متوسطين ملحين باسم السلام والمحبة وفي مقدمتهم البابا بيوس الثاني عشر الذي اصدر نداءه الخاص يحث فيه دول اوروبا على التمسك بالسلام . كما وقف كل من ليوبولد الثالث ملك بلجيكا وملكة هولندا وهلمينا إلى جانب المنادين بالسلام .

وفي ٢٩ آب عادت لندن إلى تنظيم حملة سلمية جديدة فحاولت إقناع هتلر بفتح باب المفاوضات من جديد بينه وبين بولونيا وقبل هتلر هذا الرجاء في اليوم نفسه واشترط ان ترسل بولونيا مندوباً من قبلها مزوداً بالصلاحيات الواسعة التي تسمح له بقبول الشروط الالمانية وعلى ان يصل إلى برلين في اليوم التالي . ورفضت بولونيا هذا الطلب رغم انها حاولت الاتصال ببرلين في الحادي والثلاثين من آب بالطرق الدبلوماسية المعتادة .

وفي مساء ٣١ آب أذاع راديو برلين الشروط التي تقبل معها المانيا بإجراء المفاوضات على أساسها .

وعند ظهر اليوم الحادي والثلاثين تدخل موسوليني في النزاع القائم وأحاط الحكومتين الانكليزية والفرنسية علماً باستعداده للدعوة إلى مؤتمر تعقده الدول الاوروبية الكبرى من أجل التوسط في النزاع .

ولكن محاولة موسوليني باءت بالفشل لأن التعليمات التي اعطاها هتلر قبل الهجوم بيوم واحد لقواده العسكريين كانت تقضي بالانقضاض على بولونيا في تمام الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح أول أيلول .

ونام العالم كله مساء الحادي والثلاثين من آب وهو في قلق مضن وخوف مقيم بينما كانت (٧٣) فرقة ألمانية بينها (١٥) فرقة مدرعة حديثة و (٤٠٠٠) طائرة تستعد كلها وتنتظر في مواقعها ومطاراتها عند الحدود بانتظار ساعة الصفر .

وجاءت ساعة الصفر وانطلقت الطائرات وزأرت الدبابات وترددت

أصوات المقاتلين وسارت عشرات الألوف مـن السيارات الشاحنة ترافقهـا المدافع من كل العيارات لتخترق أرض بولونيا وسماءها ولتحطم الخطوط الدفاعية التي كان البولونيون يظنون انها قادرة على الصمود طويلاً أمام الهجوم الالماني .

وذهل العالم وشاع رعب رهيب وأحست الدنيا ان البشرية مقدمة على أحداثٍ ومفاجآت لا يعلم كيف تنتهي غير الله .

بداية الحرب العالمية الثانية

وأخيراً وقع ما كان يتخوف العالم منه . لقد انطلقت قوات هتلر صباح اليوم الأول من ايلول سنه ١٩٣٩ ترسل قنابلها وتملأ سماء بولونيا بطائراتها المطاردة والقاذفة .

لقد بدأت الحرب في الوقت الذي كان يظن فيه البولونيون أن هتلر مستعد لفتح باب المفاوضات من جديد . وسبق السيف العذل .

ولوحظ أن عيون هتلر ورجال المخابرات عنده قد انتشروا في الأماكن الحساسة من الأرض البولونية كما انتشروا في أوساط الأقليات الألمانية التي كانت تعمل لمصلحة النازية بصورة خاصة .

حتى أن بعض الجنود البولونيين المتراجعين امام الهجوم الألماني كانوا يتعرضون للرصاص يطلق عليهم من ورائهم من على المنازل والأوكار والسطوح .

وبدأت الحرب دون إعلانٍ رسمي أو إنذار مسبق .



طائرات تصب قنابلها فوق المدن الآمنة

القضاء على الطيران البولوني

لم يمض يومان على بدء المعركة حتى كانت يد الفناء والتهديم قد اكتسحت الكثرة الساحقة من الطائرات البولونية . إن ألوفاً من الطائرات النازية قد قامت بهجومها المفاجىء في موجات متعاقبة وفي نظـام دقيق فأمطرت المراكز الحساسة والمواقع العسكرية ولا سيما المطارات منها بعشرات الألوف من القنابل الكبيرة والصغيرة . وقد استطاعت الطائرات الغازية أن تحطم الطيران البولوني كله من الناحية العملية . وعندما تابعت القوات الألمانية المدرعة انطلاقتها الهجومية كانت واثقة من ان بولونيا قد فقدت سلاحها الجوي بصورة نهائية .

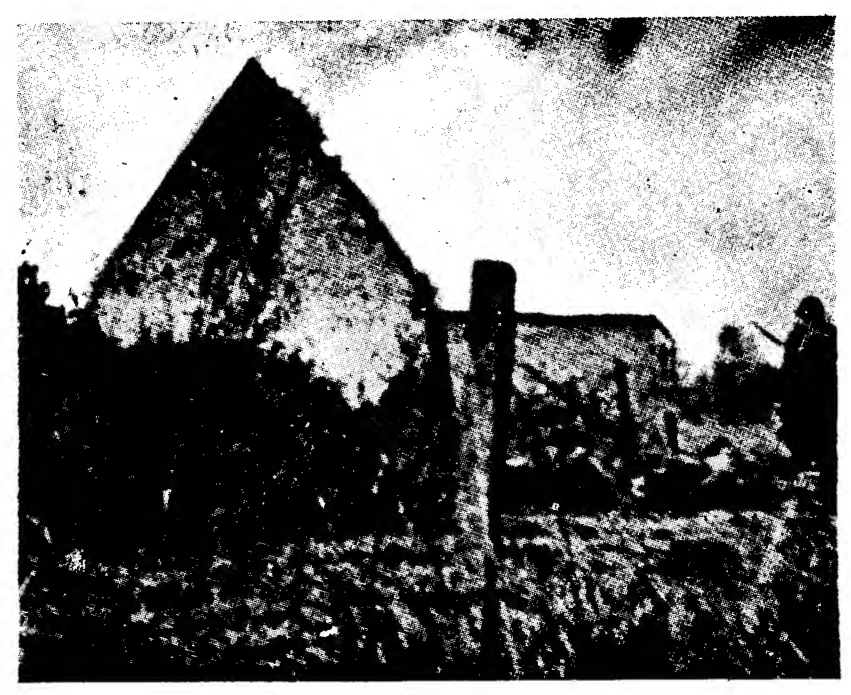
ولكي ندرك الفروق الشاسعة بين القوات الألمانية وقوات البولونيين يجب ان نذكر بأن ألمانيا قد وضعت على الجبهة البولونية (٤٠٠٠) طائرة من أحدث طراز بينما كانت بولونيا تملك (١٠٠٠) طائرة من طراز قديم.

كما يجب أن نذكر أيضاً بأن ألمانيا النازية ، قد وضعت على الحدود البولونية (١٥) فرقة مدرعة ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة وأقواهـا مقابل فرقة بولونية مدرعة واحدة ذات تسليح عادي .

ويجب أن نذكر أخيراً بأن ألمانيا النازية قد وضعت عـلى الحدود البولونية (٥٨) فرقة من المشاة والفرق الآلية مقابل (٣٥) فرقة بولونية لا تكاد تملك نصف أسلحة الفرق الألمانية .

فرنسا وانكلترا تعلنان الحرب

وفي اليوم الثالث من أيلول قررت انكلترا اعلان الحرب . وقد خطب



النار تشتعل في البيوت

السيد تشمبرلن في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر ذلك اليوم لاعلان هذا الخبر على العالم أمام مجلس العموم البريطاني وفاقاً للعهد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لمساعدة بولونيا حين تتعرض هذه الأخيرة لخطر اجنبي.

أما فرنسا فإنها بعد تردد استمر ساعات وتحت تأثير الضغط الانكليزي عليها أعلنت الحرب على ألمانيا .

ووقفت الامبراطورية الانكليزية كلها إلى جانب لندن فأعلنت الحرب على ألمانيا باستثناء حكومة ايرلندا التي اختارت الحياد ورفضت الدخول في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل .

هكذا بدأت الحرب ضيقة ، ثم لم تلبث أن اتسعت بسرعـــة البرق الخاطف في اليوم الثالث من نشوبها وأصبح العالم كله فريسة سائغة لنارها المحرقة الهائلة .

بولونيا في الميدان

كان الجميع يعتقدون وفي مقدمتهم القيادات الفرنسية والانكليزية أن بولونيا ستصمد أمام الهجوم الألماني عدداً من الأشهر كافياً لاعطاء الحلفاء الغربيين



قنابل تصيب أهدافها



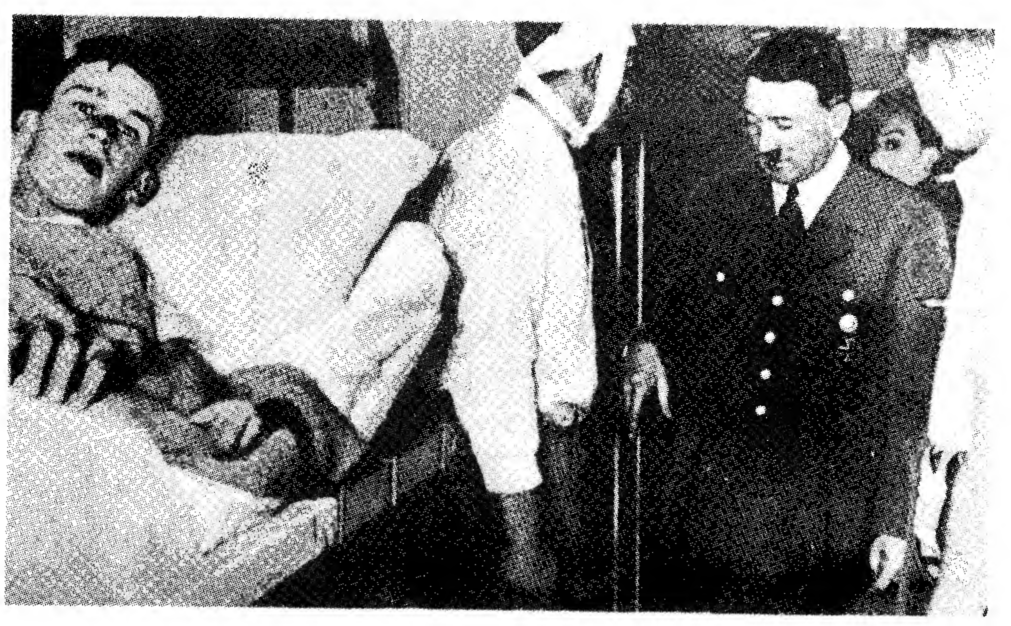
عربات مصفحة بولونية صغيرة

فرصة للاستعداد الواسع ثم للانقضاض على الحدود الغربية الألمانية .

ولكن الأيام الأولى للمعركة البولونية قد كذبت كل الظنون فما أسرع ما انهارت الخطوط الدفاعية البولونية القائمة عند الحدود . وكان انهيار الجيش البولوني بسرعة ادهشت أشد الناس تشاؤماً لأن هذا الانهيار تم بعد ايام معدودات من بداية الهجوم . الحقيقة ان الدنيا كلها قد ذهلت

وأصابها العجب حين رأت دولة عدد شعبها ٣٣ مليوناً تسقط منهارة بمثل هذه السرعة .

وكان مما زاد الدهشة ان الألمان قد تمكنوا رغم المقـــاومة البولونية العنيفة من الوصول الى حصون العاصمة فارسوفيا بعد اسبوع واحد فقط . وعندما مر الأسبوع الثـــاني كان كل شيء قد انتهى . وعندما تقدم الجيش الروسي ليحتل المساحة المتفق عليها من الأرض البولونية في اتفاقية سابقة كان الجيش الألماني يحارب فلولاً من البولونيين لا قوات عسكرية منظمة .



هتلر في بولونيا وهو يعود الجرحى في قطار حوِّل الى مستشفى

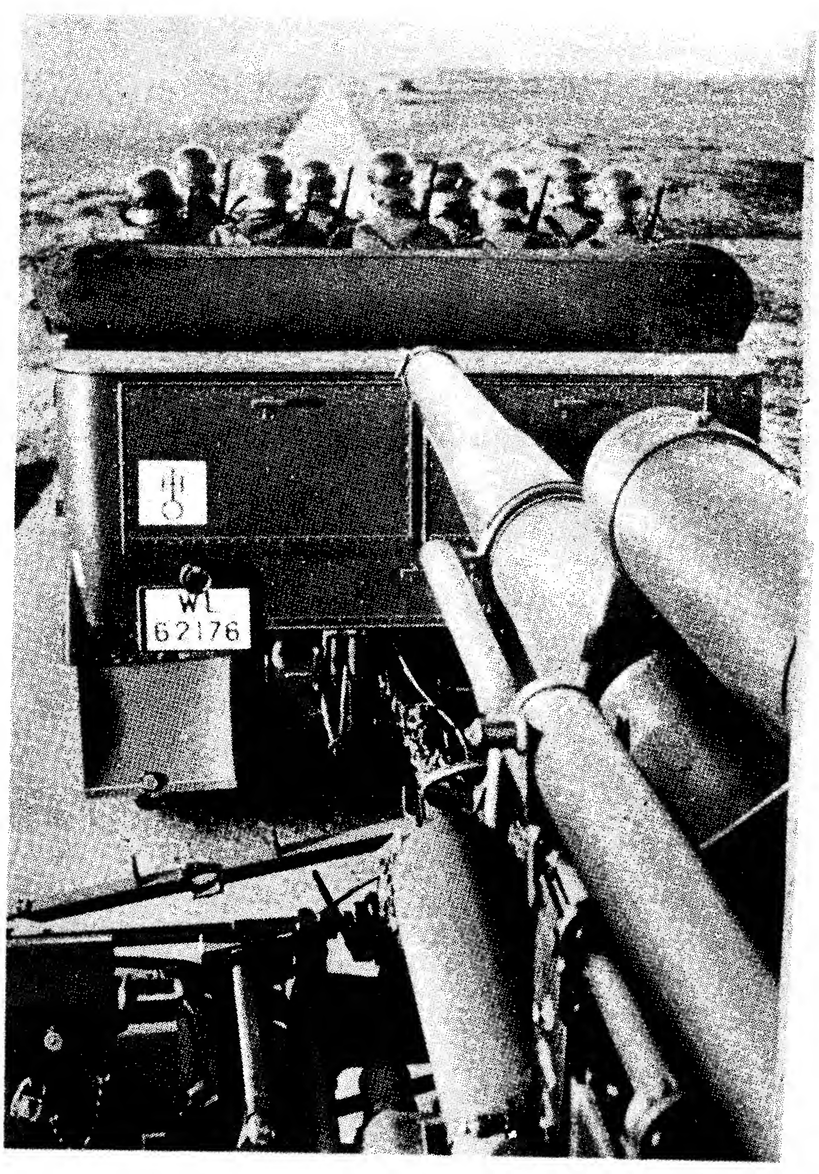
ونحن في غنى عن القول بأن البولونيين قد دفعوا الثمن غاليـــاً جداً

وكان خراب العاصمة واحتراقها بفعل القنابل الألمانية المحرقة والمتفجـرة بعض هذا الثمن .

الخطة الالمانية

لا خلاف بين الخبراء في ان الخطة العسكرية الألمانية التي نفذت في المعركة البولونية كانت من التنظيم والبراعـة والدقة في المكان الأول . والمعروف ان القيادة الألمانية العليا قد خصصت ثلاثة جيوش للزحف على العاصمة فارسوفيا . الجيش الأول ينقض من بروسيا الشرقية والثاني والثالث من الحدود الألمانية الشرقية بقيادة الجنرال فون رانستد .

ويقول النقاد الحربيون عن المعارك الأولى « انه لما بدأ النازيون هجومهم ومزقوا خطوط الدفاع البولونية الأولى على طول الحدود المشتركة انتقل هؤلاء الأخيرون الى تنفيذ عملية سحق واسعة تماماً كما يسحق المرء البيضة بعد نضوجها التام في الماء الحار . » وقد لاحظ النقاد ايضاً ان النازيين بعد اختراقهم لخطوط الدفاع البولونية لم يجدوا امامهم قوة محترمة تستطيع مناهضتهم او الصمود امام زحفهم . ثم يؤكدون من ناحيـة ثالثة ان النازيين لم يقتصروا على استعمال احدث الأسلحة وأقواهـا بل استعملوا ايضاً أدق الأنظمة والإدارات واعتمـدوا احدث الفنون العسكرية التي وصلوا بها الى أعلى الدرجات. لقد قلبوا بهذه الفنون خطط الحرب فبعد ان كانت قوات المشاة هي العصب الرئيسي للحروب اصبحت قوة ثانوية وانتقلت الأولوية للفرق الميكانيكية المدمرة التي كانت بالتعاون مع موجات الطائرات القاذفة والمطاردة تدمر كل شيء امامها وتكتسح كل العقبات ثم تأتي المشاة من ورائها ليدعموا الانتصارات التي سجلتها الفرق الميكانيكية .



الالمان يغزون بولونيا

وكان من ثقة الألمان بأنفسهم انهم كانوا ينقلون جنودهم من مكان لآخر دون اية تغطية جوية لعلمهم بأن الهجمات الأولى التي قاموا بها قد

أبادت القوات البولونية . ويذكر أحد الصحفيين الأميركيين الذين رافقوا الحملة الألمانية بأن سيطرة الألمان كانت من الشدة بحيث انهم بعد ان احتلوا مدينة لودز قد تركوا انوارها مضاءة في الليل ، رغم ان البولونيين كانوا على أميال قليلة منها .

ويضيف النقاد العسكريون قولهم : « إن الجيش البولوني قد حارب الألمان بخطط خليقة بجيوش القرن الثـامن عشر . فبينما كانت القوات الألمانية الزاحفة تتحرك بدقـة الساعة دونما سرعة زائدة او بطء شديد وبطريقة معتدلة تنتقل بهـا مئات الألوف من الجنود وآلاف الدبابات والسيارات المصفحة وتتوزع في انحـاء الأرض البولونية وكأنما هي في استعراض عسكري كبير ، ثم تلحق بها فرق المؤونة والأغذية دقيقة منظمة وتتقدمها فرق الهندسة لإصلاح الجسور والطرق التي يكون المتراجعون قد هدموها او الطائرات الألمانية المغيرة قد امطرتها بقنابلها ؛ بينما كل هذا



... و يحطمون حاجزاً من حواجز الحدود

يحدث في الجانب النازي كان البولونيون يعيشون في صميم الرعب القاتل فلا يدرون كيف تأتيهم الطعنات من كل جانب .

وفي الثامن من شهر أيلول كان فون رانستد قـد وصل الى ابواب العاصمة البولونية وبدأت مدافعه تدك خطوطها الدفاعية الخارجية :

وقد لوحظ ان الخطط النازيـة لكسب الحرب في بولونيا هي تلك التي جربت ونفذت في الحرب الأهليـة الأسبانية . والفرق بينهما هو في اتساع المناورات وكميات السلاح وحسب .

هتلر في موقف خطابي

ويؤكد الخبراء العسكريون انه اذا كانت هنـاك فروق ظاهرة بين حربي اسبانيا وبولونيا ، ففي ان الحرب البولونية كانت تتميز من جانب النازيين بسرعة الزحف وقوة الحملات وتطبيق النظريات بحسم وحزم قوي .

والثابت ان القادة البولونيين قد قطعوا الأمل من انقاذ اي جزء من ارض بلادهم بعد نهاية الأسبوع الأول ، اي عند وصول جيش فون رانستد الى ضواحي فارصوفيا العاصمة .

وكيف لا ييأس القادة البولونيون وهم الذين ظنوا في بعض الحالات ان مواقعهم العسكرية المحصنة تستطيع الصمود اسابيع او اياماً كثيرة على الأقل ، فإذا بهم يرون انها لم تصمد اكثر من ساعات قليلـة . ولو أن

النازيين كانوا يعتمدون على مواد بترولية غنية لكانت حربهم اسرع ولكانت ضرباتهم أقوى وأشد وأمضى . لكن الواقع ان مسألة البترول عند النازيين مسألة شائكة شغلت قيادة الجيش قبل المعركة وفي اثنائها .

ويقول النقاد العسكريون : ان من الأسباب التي ساعدت على سرعة الزحف النازي ان الطرقات كانت حسنة نسبياً . وان الأمطار كانت منقطعة او خفيفة بحيث ان ارض بولونيا بقيت جافة فسمحت للدبابات باجتياز المسافات الشاسعة دون اي عائق جدي .

وفيما يلي ننقل فقرات مما كتبه احد المراسلين الحربيين عما شاهده في ٢٦ أيلول أي بعد ٢٦ يوماً من بداية الهجوم قال :

اخذ الجيش الألماني الذي حطم القلاع البولونية عند بداية هجومه وهي القلاع والحصون القائمة على الحدود ، في ثمان واربعين ساعة ، والتي يزعم البولونيون انها لا تقهر ولا تدمر ، أخذ ينسحب من الأراضي التي احتلها شرقي بيزا ونهر « نارو » التي تقف عندها الحدود الروسية الألمانية الجديدة في طريقه الى الغرب ليواجه الجيشين الفرنسي والانكليزي المحتمين بخط ماجينو الكبير .

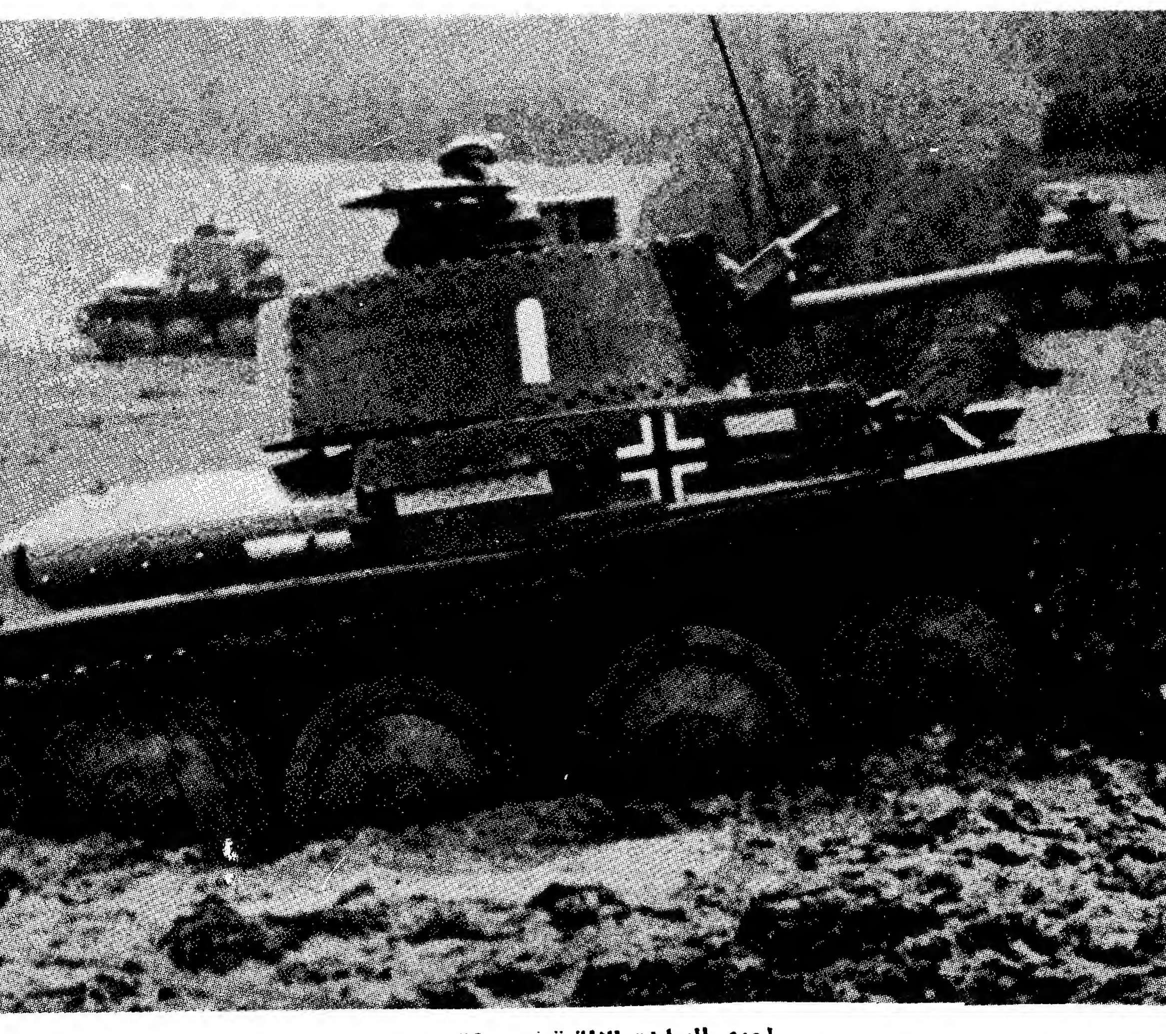
اصبحت كل الطرق في بروسيا الشرقية مليئة بالسيارات والدبابات والمصفحات ممتدة في خط طويل يبلغ اميالاً عديدة ...

الجيش الألماني المنتصر يعود الآن من حيث اتى ليعمل في جبهة جديدة .

هناك قطع من الجيش نقلت جواً من موانىء البلطيق وبعض آخر منها نقل بالسيارات والقطر الحديدية .

وكان اعجاب المراقبين الأجانب والمراسلين الصحفيين عظيماً لا بقوة الجيش وحسب بل بهذا النظام الدقيق الذي ظهر بعد النصر .

لقد شاءت القيادة في ذلك اليوم – ٢٦ أيلول – ان تستعرض بعض الفرق امام الصحفيين والملحقين العسكريين الأجانب . وعندما مرت هذه الفرق امامنا رأينا عجباً ...



احدى الدبابات الالمانية في معركه بولونيا

كانت أمامنا مشاهد لأروع منجزات الفن العسكري . وتعاقبت امامنا
أقوى الأسلحة وأمضاها وأشدها فتكاً في تاريخ الأسلحة . وقد بدت لنا

الفرق وكأنها قطعة واحدة من الحديد . حتى المشاة كانوا يركبون السيارات الكبيرة التي لم أستطع تحديد عددها أبداً .

وكان بين الدبابات التي ظهرت في الاستعراض الكبير ما يزن «٧» أطنان او يزن «٢٤» طناً . بالاضافة إلى اعداد هائلة من المصفحات الثقيلة والخفيفة التي تحمل المدافع الكبيرة والصغيرة ؛ ومن ورائها سيارات تحمل الرشاشات وأسلحة مضادة للدبابات ، ومن وراء هذه السيارات صفوف لا تكاد تنتهي من الجنود راكبي الدراجات البخارية . ولم اشاهد غير قطعة واحدة من المدفعية تجرها الخيول .

الجنود كلهم راكبون على اختلاف قطعاتهم . انهم لا يمشون إلا في بعض شوارع المدن المحتلة للحفاظ على الأمن أو لقضاء عطلة .

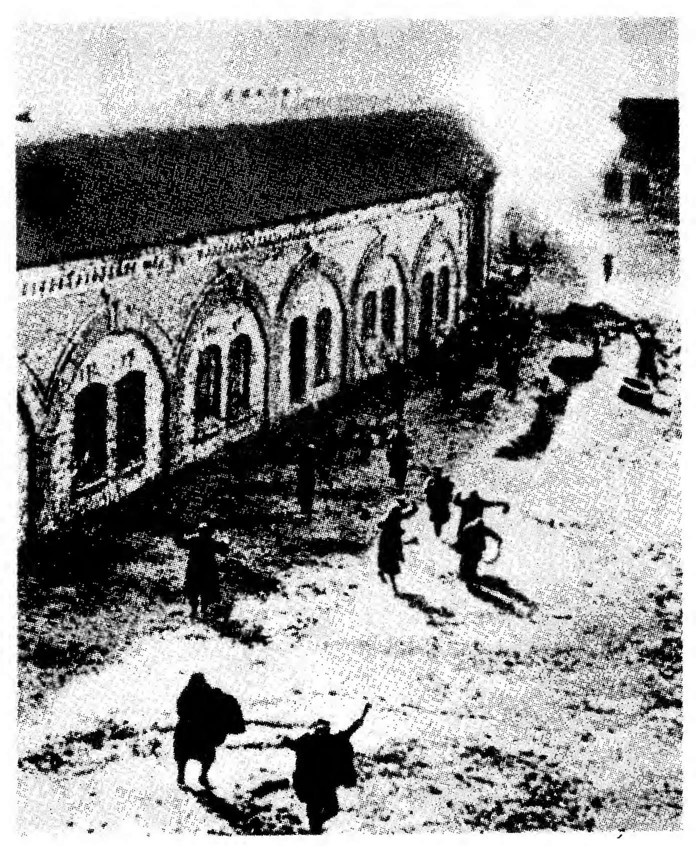
الجيش البروسي :

يبقى ان نتحدث قليلاً عن الجيش النازي الذي خرج من بروسيا الشرقية . فقد اقتحم الحدود البولونية في اليوم الأول وهاجم الحصون القائمة على نهر « نارو » في « توغرود » . وقد تابع زحفه ليستولي على حصن «غرودنز» ،وارتد إلى الشرق مرة اخرى باتجاه نهر « نارو » ومواقعه المحصنة .

كان ذلك في السابع من ايلول وقد وقفت القوات النازية أمام سلسلة من الحصون الهائلة التي تمتد لمسافة ٣٥ كلم . وهي عبارة عن حواجز من الأسمنت المسلح تبرز فوق كل أرض ليست فيها مستنقعات .

وقد أنشىء بعض هذه الحصون عام ١٩٣٩ بإشراف مهندسين فرنسيين وتشيكوسلوفاكيين .

وفي اليوم التالي تقدم النازيون نحو النهر واجتازته احدى كتائبهم على زوارق من المطاط دون ان تنطلق رصاصة واحدة من العدو أول الأمر.



جنود بولونيون يستسلمون في فرصوفيا

وفجأة انطلق الرصاص ودوت القنابل وانقطع اتصال الألمان بكتيبتهم، ثم لم يعرف شيء عنها .

ورد الألمان على هذه النيران البولونية ، بأستار كثيفة من القنابل من مختلف العيارات . واستمر هذا الوضع طوال النهـار ثم تمكن المهاجمون من تعيين مواقع البولونيين فأصلوهم ناراً حامية وأسكتوا اسلحتهم كلها. وتوجهوا بعد ذلك بقذائفهم إلى توغرود فدمروها تدميراً .

ومع ذلك فقد عجز النازيون عن اجتياز النهر . لأن نيران البولونيين عادت تحصد الكتائب التي تجتاز النهر حصداً .

وهنا قدم الألمان مدافعهم الكبيرة والبعيدة المدى وأخذوا يقصفون مواقع البولونيين دون شفقة او رحمة فلا يبالون اين تقع القنابل . أشعلوا النار في كل شيء حتى أن الأرض قد قلبت وكأنما مرت بها سكة حراثة عملاقة . واضطر البولونيون أمام هذا الجحيم المستعر إلى الهرب وهم يصرخون كمن به مس من الجنون، وفقدوا أعصابهم ثم لم يعودوا يعرفون ما يريدون .

في هذه الاثناء تمكنت قوة نازية من اجتياز النهر تغطيها المدفعية . وراحت تهاجم المراكز القليلة الباقية بالقنابل اليدوية والنيران المحرقة . وفي مساء اليوم العاشر من أيلول كان الخط الدفاعي الذي يفتخر به البولونيون ويعرفونه باسم « نارو » قد أصبح أثراً بعد عين .

هدوء في الجبهة الغربية

هتلر يريد السلام :

تحقق لهتلر ما يريد .

لقد افترس بولونيا وازدردها لقمة سائغة تقريباً . لم يزعجه منها شيء.
لقد تساقطت قطعاتها العسكرية كما يتساقط بيت من الكرتون ...

ومع ذلك فقد بقيت فرنسا وانكلترا جامدتين لم تفعلا شيئاً من أجل انجاد حلفائها البولونيين .

لم تحلق أية طائرة فرنسية أو انكليزية فوق المواقع الالمانية . ولم يحدث أي هجوم جدي من قبل الجيش الفرنسي على الخطوط الالمانية .

كل مـــا حدث ان طائرات انكليزية وفرنسية اكتفت بالتحليق في سماء المانيا لالقاء المناشير ضد النازية وللتحريض على زعمائها وحسب . كما ان كتائب فرنسية صغيرة اغارت على الحدود الالمانية واحتلت بعض القرى التي تنازل عنها الالمان . ثم جمدت القوات الفرنسية وكأن شيئاً لم يتغير في حياة الجنود .

حتى إذا انتهت حرب بولونيا وتم تقسيم هذه الدولة الضحية بـــين العملاقين الالماني والروسي ،واطمأن الالمان إلى سلامـة حدودهم الشرقية ،

ارتدوا راجعين إلى حدودهم الغربيـة وردوا الفرنسيين عن القـرى التي احتلوها ، ثم سكنوا بدورهم لا يتقدمون ولا يتأخرون .

وفي أثناء ذلك فكر هتلر بتسوية الوضع تسوية مرضية شريفة عـلى طريقته مع انكلترا وفرنسا .

لقد أراد أن تسلم الدولتان بالأمر الواقع الجديد . وان تقتنعا بعبث الجهود التي قد تبذلانها من اجل الحرب .

وبينما كان هتلر يقوم باتصالاته من أجل اعادة السلم كانت قيـادة جيشه تدرس نتائج الحرب في بولونيا وتعيد النظر في بعض تنظيماتهـا وتصلح ما فسد من اسلحتها وتصنع أنواعاً جديدة من الدبابات .

اما فرنسا !

هذا وفرنسا جامدة لا تتحرك ... وما يدرينا لعلهـا وجدت متعـة خاصة في الامتناع عن الحركة ...

أو لعلها كانت تعتمد على حصون ماجينو التي استقرت خلفها ظنـاً منها أنها أقوى كثيراً من ان تقتحم من قبل قوات العدو . ولكن الحقيقة أن فرنسا بجمودها هذا قـد خسرت الحرب سلفاً في الميدان النفسي . فبينما كان الألمان يأتون من بولونيا يجررون أذيال المجد ويحملون أكاليل الغار كان الجيش الفرنسي يخفي ضعفه وتفاهة أسلحته وراء الحصون كما يخفي ضياع روح المبادرة عنده بدعوى أن حصون ماجينو أمنع من عقاب الجو .

أما في الجانب الألماني فقد بنت المانيـا حصون سغفريد وهي بشهادة الألمان أنفسهم أضعف وأقل منعة من حصون ماجينو . لقد كتب الجنرال الألماني فون مالينتين الذي عين قائـداً لإحدى الفرق الألمانيـة في الجبهة

الغربية يقول بعد زيارة قام بهـا لحصون سغفريد : « لقد نقلنا أوائل تشرين الأول بعد نهاية الحرب البولونية إلى الجبهة الغربية ، وقد اغتنمت هذه الفرصة فزرت الحصون مستكشفاً فاحصاً . وكم كانت دهشتي حينما رأيتها اضعف كثيراً مما كنت اتصور . الحقيقة ان الحديث عنها كان نصيبه من الدعاية اكبر كثيراً من الحقيقة والواقع . وهنا ادركت معنى مغامرتنا في بولونيا وكيف انها كانت اقرب إلى المقـامرة . ولو حزم الفرنسيون امرهم وهاجموا حصوننا بكل قوتهم لتمكنوا منـا وافسدوا علينا حربنا في بولونيا . وهناك اكثر من ذلك ان الجنود الذين كانوا يحمون حصوننا جنود من الدرجـة الثانية ينقصهم الكثير من المرانة والتدريب . »

من خلال ما كتبه هذا القائد الألماني نستطيع ان نكتشف الحالة النفسية للجيش الفرنسي آنذاك بل ولفرنسا كلها . وقـد كتب برنارد فرغسون يتحدث عن الحالة النفسية المسيطرة على الشعب الفرنسي وجيشه يقول : « كان لسان حال الجميع جنوداً ومدنيين ، دعونا نعيش ودعوا الآخرين يعيشون . هذا ما كان عليه الناس ولا سيما الذين يسكنون في بلاد السار . ان العشرين سنة التي مضت بعد الحرب العالمية الاولى قد عودت الناس على الهدوء وابعدتهم عن روح المغـامرة وكرهت في نفوسهم الحرب والقتال والموت . ان بعضهم كان يفعل اكثر من ذلك ، كان ينـادي بعدم مهاجمة الألمان ما دام ان هؤلاء لا يريدون بفرنسا شراً ، وعندما أقدمت قوة المانية صغيرة على احتلال قرية فرنسية عد الفرنسيون هـذا الاحتلال تصرفاً بعيداً عن الذوق ولكنهم لم يشعروا ابداً بروح الاعتزاز والرغبة في رد التحدي الالماني بتحد مثله » .

هذا بالنسبة للاوضاع النفسية العامة . اما المسؤولون في فرنسا فقد أمروا المصانع بالعمل ليلاً ونهاراً تماماً كما كان شأن المصانع الألمانية .

وقد ألقى هتلر في تلك الاثناء وعلى التحديد في اليوم السادس مـن

تشرين الأول خطاباً في مدينة دانتزيغ دعا فيه إلى الصلح والسلام وعقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين الحلفاء على ان يتركوا له اوروبا لا يتدخلون في شؤونها وسياستها بعد ان فشلت سياستهم في تنظيمها ، ومن الطبيعي ان هتلر كان يستهدف بهذا الخطاب الشعب الانكليزي ليحرضه على حكومته فيمنعها من ارسال الجنود الى الارض الفرنسية . لكن لندن لم تتأثر بهذه المحاولة . وقد حدث العكس . فإن الحلفاء الانكليز والفرنسيين حاولوا ان ينظموا اكبر حملة دعاوية ضد دكتاتورية هتلر وسياسته العسكرية في كل مكان من العالم ولا سيما في الولايات المتحدة . كما حاولوا في الوقت نفسه ان يحملوا موسوليني زعيم ايطاليا على اتخاذ موقف الحياد . يضاف إلى ذلك ان قيادة الجيش الانكليزي ارسلت إلى فرنسا بعثة عسكرية مؤلفة من ١٦٠ الف جندي وضابط لمساعدة الجيش الفرنسي على رد القوات الالمانية . ويبدو ان العدوى قد انتقلت من الفرنسيين إلى الانكليز فاتخذوا موقف المتربص المدافع ولم يفكروا بالحملة على الجيش الالماني . لكن الانكليز من ناحية اخرى فرضوا حصاراً بحرياً على المانيا وحاولوا جهد طاقتهم ان يمنعوا وصول المعدات والاغذية اليها عن طريق البحر . هذا مع العلم أن روسيا وايطاليا واسبانيا والبلاد الاسكندنافية والبلقان كانت تمد هتلر بما يحتاج اليه من المواد الاولية والاغذية .

وقرر هتلر تمزيق الطوق البحري وبدأ اركان حربه يعدون الخطط لضرب فرنسا والبلاد المجاورة لها .

ومضت الايام ثم الاشهر كانت فيها القيادة الألمانية تجدد خططها البرية والجوية وتنظم قواتها العسكرية بينما كانت قادة الحلفاء تنام على الامجاد، مطمئنة إلى ان هذه الحرب ستكون حرب خنادق وحصون لا حرب مدرعات برية وطائرات .

ومما يدل على استرخاء القيادة الفرنسية ان الجنرال غاملان قد أصدر في ١٤ تشرين الأول أمراً إلى الجيش الفرنسي يأمره فيه بإخلاء القرى

الالمانية التي احتلها واللجوء إلى حصون ماجينو . ولكي ندرك هذا الهدوء العجيب الذي شاع في الأشهر التالية يجب ان نعلم بأن الجيش الانكليزي لم يخسر خلالها غير ستة من جنوده الذين يبلغون (١٦٠) ألفاً . وكتبت الصحف يومذاك تقول : « لقد أخذ المدنيون في المدن يحسدون الجنود على النعيم الذي يعيشون فيه ، إذ ينفقون نهارهم عابثين لاهين دون ان تطلق رصاصة من بندقية أي واحد منهم . وقيل اكثر من ذلك . قيل ان بعض وحدات الجيش كان يصرف وقتــه في تجهيز الالبسة للسكان المدنيين المهددين بخطر الغارات الجوية العدوة . يضاف إلى ما سبق ان شتاء عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ كان شتاءً شديد البرودة كثير العواصف ، وقد ساعد هذا الشتاء على تهدئة الحالة وتجميد كل حركـــة . واكتفى الفريقـــان ، الفريق الفرنسي بالوقوف خلف حصون ماجينو ، والفريق الالماني بمراقبة الفرنسيين من وراء حصون سغفريد .

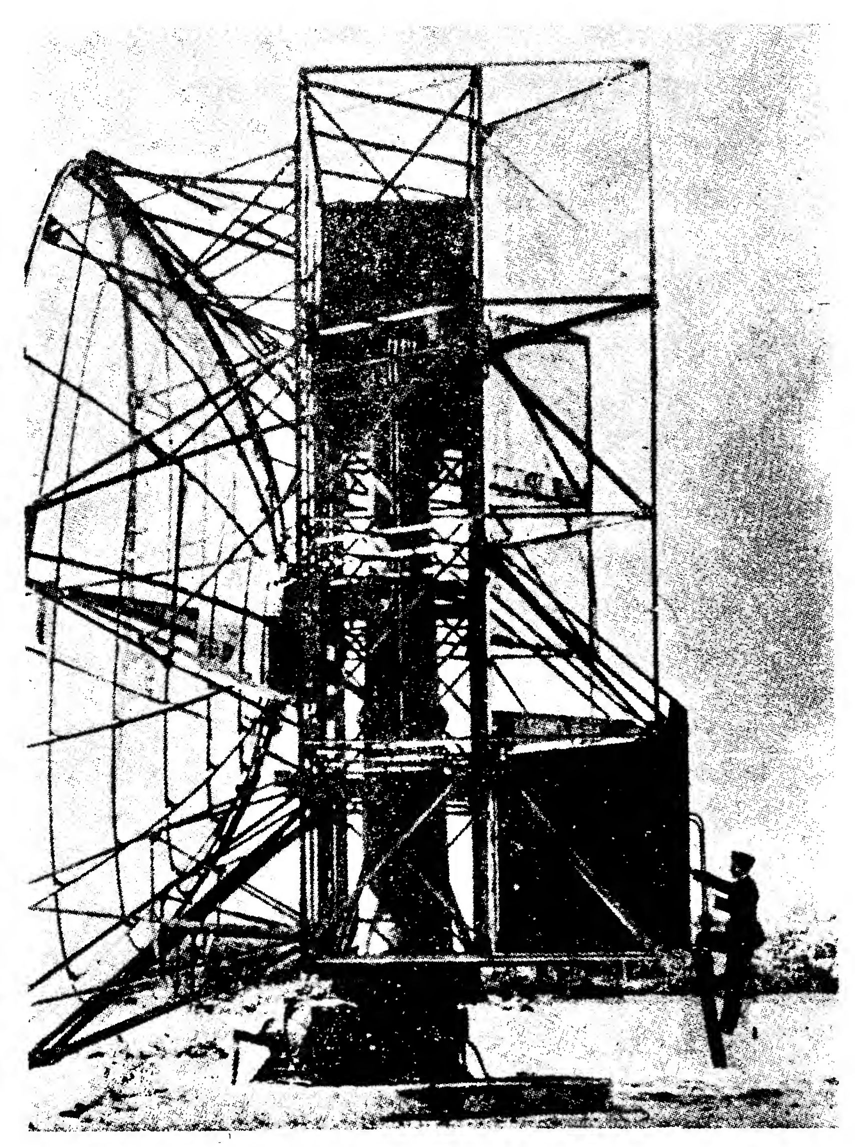
اما المعارك الجوية فلم يظهر لها اي أثر ولا بان لها اي خبر ، كل ما حدث ان الانكليز في بلادهم قد صرفوا هـــذه الفترة الطويلة في تحصين مطاراتهم وتطويرها من الناحية الفنية وإخلاء المدن الآهلة بالسكان من النساء والاطفال . ويؤكد المراقبون ان نشاط الطائرات كان وقفـاً على عمليات التصوير الجوي واستكشاف المواقع المحصنة كما كانت هناك معركة منشورات تلقيها طائرات كل من الطرفين في سماء الطرف الآخر . ستة اشهر مرت على حرب بولونيا دون ان يعكر صفو اوروبا اي معكر ودون ان يفقد الطرفان غير عدد قليل من الطائرات لا يكاد يذكر .

الحصار البحري

واذا كانت الحرب غير موجودة في تلك المدة جواً وبراً فقد كانت موجودة بكاملها نسبياً في ميادين البحار . لقد اخذ كل من الجانبين يعمل على تحطيم القـــوة البحرية التي يمتلكها الآخر تجارية كانت او حربية .

فبادرت انكلترا الى ضرب الحصار على المرافىء الالمانية تماماً كما فعلت في الحرب العالمية الاولى . اما اول باخرة انكليزية غرقت بالسلاح الالماني فهي الباخرة « أثينا » . لقد ارسلها الالمان الى الاعماق في اول يوم من ايام الحرب . وكان اغراقها بمثابة انذار للعـــالم كله بأن المانيا ستفرض حصارها على المرافىء الانكليزية وانها ستغرق كل باخرة تحاول نقل البضائع الى هذه المرافىء .

اما اول سفينة حربية انكليزية غرقت فهي حاملة الطائرات « كوريجس » لقد غرقت هذه السفينة الحربية في السابع عشر من ايلول . واما السفينة الحربية الثانية التي اغرقتها غواصة المانيـــة في عمل بطولي جريء فهي الدارعة الكبيرة « رويال اوك » . لقد تم اغراقها في حوض سفن عائم في « سكابافلو » المرفأ المحصن تحصيناً قوياً ، وتتابعت عمليات اغراق



الرادار الانكليزي

سفن الحلفاء حتى اذا انتهت سنة ١٩٣٩ بلغت خسائرهم في السفن البحرية والتجارية ثلاثة ارباع المليون من الاطنان . والخطر البحري الذي كانت القوات البحرية الانكليزية تحسب حسابه هو خطر طرادات الجيب الالمانية . هذه الطرادات كانت تذكر الانكليز بقصة الطراد الالماني « أمدن » في الحرب العالمية الاولى وكيف كان يسطو على السفن التجارية في البحار ويغرق كل ما صادفه في طريقه منها . من هذه الطرادات طراد الجيب الالماني « ادميرال غراف سبي » وهو اول ما ظهر من هذه السفن البحرية في عرض البحر . وقد تمكن من اغراق عدد من السفن التجارية قبل ان توفق ثلاث سفن انكليزية سريعة حسنة التسليح الى مطاردته وانزال اصابات شديدة به ثم اجباره على الالتجاء الى « مونتيفيديو » وهناك صدر الامر من برلين الى قائد الطراد باغراقه حتى لا يتمكن الحلفاء من اسره والافادة منه .

والواقع ان الحصار البحري الذي فرضه الانكليز على المانيا كان شديداً دون ريب . ولكنه لم يستطع ان يشل حركة الصادرات والواردات فيها كما لم يكن في استطاعته ان يحد من قوتها البحرية وهي التي جهزت نفسها بعدد كبير من السفن العائمة وبعدد اكبر من الغواصات .

الشيء الوحيد الذي كان ينقص المانيا هو البترول الطبيعي ، انه منها كما يكون شعر شمشون من صاحبه . هو نقطة الضعف الوحيدة في البناء العسكري الالماني الضخم . ولذلك فقد عمل هتلر المستحيل من اجل الحصول على اكبر كميات ممكنة من البترول كما استورد كثيراً منه من روسيا السوفياتية وعمل على بناء عدد كبير من المصانع التي تنتج البترول الاصطناعي . يقابل ذلك ان الحلفاء كانوا اعظم موارد وأغزر مادة فالبحار كلها مفتوحة امامهم واميركا تمدهم بالسلاح والاغذية وكل ما يحتاجونه لحربهم وبقائهم .

في تلك الاثناء كان الشعبان الانكليزي والفرنسي يشعران ان حكومتيهما

ليستا على مستوى المسؤولية . وانهما في حاجة الى زعامة اصلب ورجال اشد مراساً واقوى شكيمة . ولذلك اجرى تشمبرلن تعديلاً على وزارته فضم السيد ونستون تشرشل اليهـا وكلفه بوزارة البحرية وكان انضمام تشرشل الى الوزارة ، وهو المعروف بعداوته الشديدة لسياسة هتلر ، يعني في نظر الانكليز انقطـاع كل الخيوط بينهم وبين المانيا وابتداء مرحلة ليس فيها غير الدم والعرق والدموع والتضحيات . كما حدث في فرنسا تبدل وزاري كامل فقد استقال دالاديه رئيس الوزارة في شهر آذار من عام ١٩٤٠ وحل محله السيد بول رينو وزير ماليته السابق .

عودة الى روسيا

في هذه الاثناء لم تقف روسيا مكتوفة اليدين . لقد بدأت تحصن حدودها الجديدة التي مدتها الى قلب الارض البولونية تحصيناً شديداً لانها لم تكن تثق بعهود هتلر ولا مواثيقه ، وكانت تقصد من هـذه التحصينات الى توطيد مركزها في بحر البلطيق . ثم طلبت من دويلات هذا البحر الثلاث وهي : استونيا ولاتيفيا وليتونيا ، منحهـا بعض الامتيازات الاقتصادية والبحرية فأجابتها الدويلات المذكورة الي مطالبها .

اما استونيا فقد وقعت في التاسع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩٣٩ معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة ووضعت تحت تصرفها عدداً من القواعد الجوية والبحرية . واما ليتونيا ولاتيفيا فقد سمحتا في اول تشرين الاول للحاميات العسكرية الروسية بالمرابطة في نقط معينة داخل اراضيهما . ولم تكد روسيا ان تحقق مطالبها لدى هذه الدويلات الثلاثة حتى توجهت الى فنلندا وتقدمت منها ببعض المطالب . ومنها التنازل عن بعض الجزر

في خليج فنلندا وتسليمها ميناء بتسامو . وهي الميناء الوحيدة الموجودة في المنطقة المتجمدة الشمالية والتي لا تتجمد مياهها خلال الشتاء . كما طلبت منها ايضاً التنازل عن النصف الشمالي لبرزخ كارليان الواقع بين بحيرة « لادوغا » وخليج فنلندا .

لكن فنلندا لم تكن لينة العريكة . لقد ابت قيادتها السياسية والعسكرية ان تنحني امام الدولة الكبيرة وان تستجيب لمطالبها . وانقضّت روسيا العملاقة على فنلندا الدولة الصغيرة . وصمدت فنلندا امام العدوان بينما وقف العالم مندهشاً امام هذه المبارزة الغريبة يتابع عمليات البسالة النادرة التي كان يقوم بها الفنلنديون والتي استمرت اربعة اشهر كاملة .

وأخيراً ارغمت فنلندا على الاستسلام فألقت سلاحها في اوائل آذار سنة ١٩٤٠ . وعقدت صلحاً مع روسيا احتفظت معه باستقلالها بعد ان وافقت على التنازل عن بعض اراضيها الواقعة عند حدودها الشرقية وعن جزيرة « هانغو » ذات الموقع الاستراتيجي .

ومرت فترة اخرى اصبحت بعدها اراضي : استونيا ولاتيفيا وليتونيا ، امتداداً لاراضي الاتحاد السوفياتي . ثم اقدمت روسيا على انتزاع ولاية « باسارابيا » الرومانية ثم جلست بهدوء واستقرت لتهضم اللقم الجديدة التي ابتلعتها ، واطمأنت الى ان مواقعها الدفاعية قد اصبحت كاملة تامة . ثم راحت تعمل بعد ذلك على مضاعفة التحصينات وتدعيم المراكز الحساسة على امتداد ألفي كيلومتر من الشمال الى الجنوب .

حروب جانبية

كل هذا جرى في الوقت الذي بقي فيه الصمت والهدوء مسيطرين على الجبهة الغربية وبقية الدول الاوروبية . وقبل ان نتحدث عن المعارك

الحربية الجانبية التي بدأ بها هتلر توسعه في اوروبا الغربية ، يهمنا ان نشير الى حاجة المانيا الملحة الى الحديد الخام الذي يخرج من مناجم السويد . وكانت المانيا تستورد هذه المادة للصناعة الحربيـــة خلال شهور الشتاء ولا سيما حين يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق ، عن طريق الميناء النروجية « نارفيك » . وكان من المفروض طبعاً ان تحاول بريطانيا حمل النروج على وقف عمليات نقل الحديد الى المانيا عبر مياهها الاقليمية فتسد هذا الطريق البحري في وجه سفنها التجارية . وكانت المانيا تعرف ما يدور في الخفاء وكانت تستعد لتحطيم محاولات الانكليز والقضاء على مؤامراتهم . وانتظرت حتى تؤاتيها الفرصة الملائمة . ولكن العـــالم الخارجي لم يكن يعرف ما يدور في نفوس الالمان . انه لم يكن يعرف بأن المانيا تأخذ عدتها للقيام بحروب محلية قبل ان توجه ضربتها القاضية الى فرنسا ثم الى بريطانيا .

لقد ارادت ان تشغل الناس والحلفاء بصورة خاصة عن يوم الهجوم الكبير بحملة تشنها على الدانمرك والنروج اولاً ، ويكون نجاحها في هذه الحملة توكيداً جديداً لعجز الحلفـــاء عن انجاد الدول الصغيرة ورد العدوان عنها .

وطبيعي ان هتلر لم يكن يفكر في غزو هاتين الدولتين الشماليتين فقط بل ادخل في حسابه ايضاً كلاً من بلجيكا وهولندا .

وأقبل اليوم الثامن من شهر نيسان عام ١٩٤٠ هادئاً ككل ايام السنة في النروج والدانمرك . ولم يكن احد من سكان هاتين الدولتين يظن بأن ذلك اليوم سيكون يوماً مصيرياً بالنسبة له . حتى اذا جاء الليل صدرت الاوامر السرية الى الطوابير الخـــامسة للعمل بينما كانت البواخر الالمانية المحملة بالاسلحة موجودة في امكنة معينة من المرافىء الدانمركية . حتى اذا جاءت ساعة الصفر بدأ تنفيذ الخطط بإحكام وتنسيق وسرعة . ثم لم تمض ساعات حتى استولى هتلر على الدانمرك وتمكن من مدنها ومرافئها قبل ان يخرج الناس من ذهولهم . وكذلك الامر بالنسبة للنروج . لقد

اقبلت طائرات المانيـــة اثناء الليل تحمل جنداً وسلاحاً الى مطار اوسلو لمساعدة الطابور الخامس من سكانهـــا ولتزويدهم بما يحتاجون اليه من الاسلحة والمؤن .

وكانت الطائرات تأتي على موجات كل موجة منها تنقل ثلاثة آلاف جندي من جنود الصاعقة ، وبين كل موجة واخرى تمضي ثلاث دقائق وحسب . حتى اذا اشرف النهار اصبحت المدينة في حوزة الالمان .

ان عملية المباغتة هذه لم تحدث فقط في العاصمة النروجية بل تكررت في الوقت نفسه في المرافىء الهامة . ولم يمضِ اسبوع واحد حتى كان الالمان قد استولوا على القسم الاكبر من بلاد النروج .

وحينما بادر الحلفاء الى ارسال بعض سفنهم وجنودهم لمساعدة النروجيين وانزلوا قواتٍ لهم في مرفأ « نارفيك » ، كانت المعركة قد انتهت تقريباً لأن هتلر اصبح في وضع يمكنه من ارسال اضعاف ما يرسله الحلفاء من الجند والسلاح . وبينما كانت المعارك الصغيرة تدور حول « نارفيك » ، المرفأ النروجي النائي ، بين قوات الالمان وجنود الحلفاء كان هتلر قد أمر قواته باحتلال بلجيكا وهولندا .

ويقول المؤرخ الكبير « فيشر » في كتـــابه الذي أرخ فيه لاوروبا المعاصرة واصفاً الحوادث المتتابعة منذ اوائل نيسان عام ١٩٤٠ ما يلي :

« كان الهدوء يخيم على ميادين الحرب البرية حين حدث فجأة ما لم يكن في حسبان احد . لقد اغارت المانيا عشية التاسع من نيسان دونما انذار سابق على الدانمرك .

وفي صباح اليوم التالي انزل الالمـــان كتائبهم دون انذار ايضاً فوق العاصمة وعلى طول السواحل النروجية . وقد قابل الحلفاء ذلك بزرع الالغام في مياه النروج الاقليمية لمنع السفن الالمانية من نقل الحديد الخام الى بلادها .

وبسرعة مدهشة قضى الالمـــان على كل مقاومة في النروج باستثناء

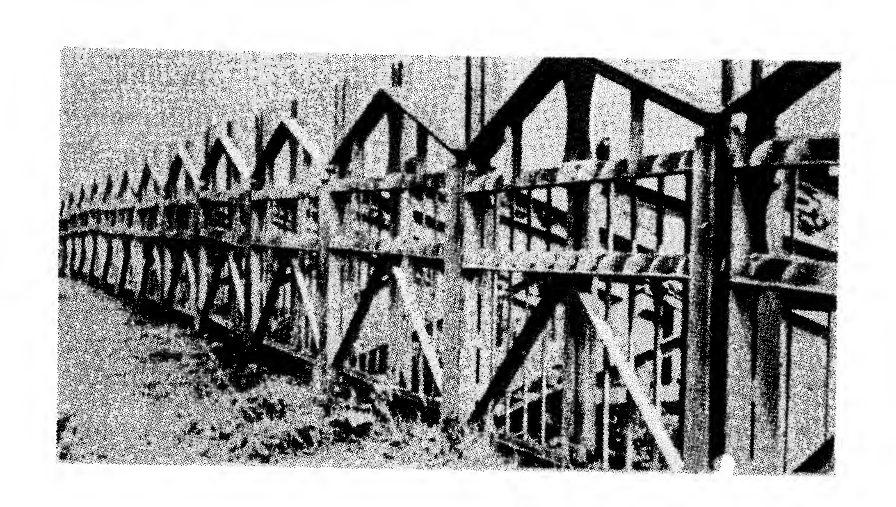
الشمال الاقصى حيث انزل الحلفاء الانكليز والفرنسيون قوات مشتركة في مرفأ « نارفيك » النروجي وفي « نارسس » لمقاومة الغزو الالماني . ولكن الحقيقة ان محاولة الحلفاء كانت لانقاذ المظاهر لا اكثر ولا اقل . وتمكن الالمان من سحق كل مقاومة الا عند « نارفيك » التي استولى الحلفاء عليها وثبتوا اقدامهم فيها . وعلى الاثر لجأ « هاكون » ملك النروج ووزراؤه الى الجزيرة البريطانية لينشئوا فيها حكومة حرة . »

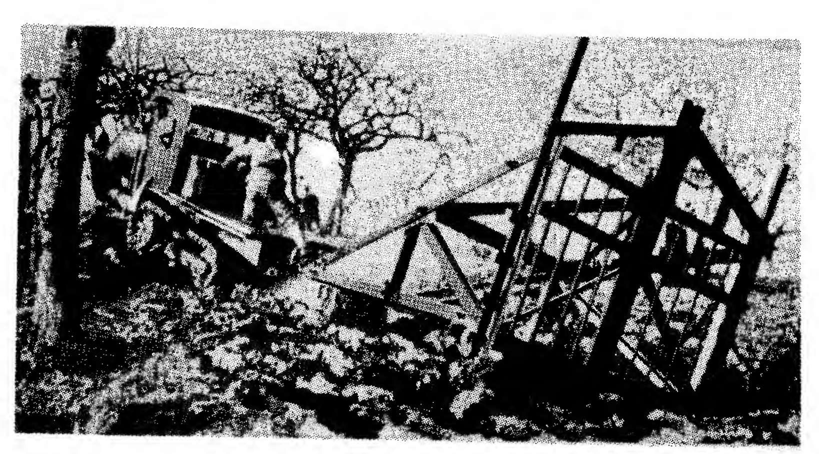
سقوط بلجيكا وهولندا

هكذا شعر الحلفاء انه قد أحيط بهم من كل جانب . وان الحرب القادمة اخطر مما يتصورون . ومع ذلك فان قياداتهم ولا سيما القيادة الفرنسية التي كان على رأسها الجنرال « غاملان » قد استقبلت احداث الحرب الجديدة بعقلية الحرب العالمية الاولى . فلم يكلف غاملان نفسه عناء البحث في اسباب الانتصارات السريعة التي سجلها الجيش النازي في بولونيا ، كما لم يحاول ان يقرأ التقارير التي وضعها الخبراء العسكريون الذين أعجبوا بالجيش الالماني وتحدثوا طويلاً عن قواتـه المدرعة وخطوط مواصلاته وطريقة تموينه وفعالية طائراته ، والدور الثانوي الذي تلعبه فرق المشاة في جيشه ، وقيمة المناورة والسرعة ، وتفاهة قدر الخنادق والحصون الثابتة . كل ذلك لم ينتبه له الجنرال « غاملان » ولم يعره انتباهه .

وعندما شنّ الالمان هجماتهم الاولى على هولندا وبلجيكا وفرنسا معاً أظهروا بجلاء انهم اقوى كثيراً من قوات الدول الثلاث واكثر شباباً وحيوية .

وبدأت الطائرات الالمانية بأعدادهـا الهائلة تضرب المرافىء والحصون





حواجز وحفر ضد الدبابات في بلجيكا

والجسور مـــدة ٤٨ ساعة ثم أخذ الجيش يزحف مجتازاً « نهر المور وقنال « ألبرت » بالقرب من حصن « لياج » المعروف بمناعته وقوته .
اما الهجوم على هولندا فقد ظن الحلفاء معه بأن الألمان قد عدلوا عن

خطط « شليفن » الحربية القديمة التي استعملوها في الحرب العالمية الأولى. ولكن الحقيقة ان الألمان قد اكتفوا بادخال تعديلات على هذه الخطط لتتفق مع اساليبهم الحربية الجديدة . ولم تمضِ ساعات على مهاجمة المانيا لهولندا حتى ادرك الحلفاء عقم محاولاتهم لإنقاذها ذلك لانها لم تكن قادرة على المقاومة بانتظار وصول النجدات اليها . لقد قام الالمان بحرب صاعقة كاملة .



جنود ألمان انهكهم التعب

وكانت خططهم من الاحكام والبراعة بحيث انها أدخلت الفوضى وأشاعت الذهول في كل طبقات الناس . وبينما كانت جيوشهم تخترق الحدود الهولندية كان المظليون من جنودهم يهبطون في مطار « نوتردام » وفوق الجسور الهامة والمراكز العسكرية الحساسة، فأصبح الجيش الهولندي بين نارين: نار المظليين من ورائه ونار الجيوش الآتية عبر الحدود من امامه . وعندما جاء اليوم الرابع عشر من ايار استسلم الجيش الهولندي .

وإذ كان الحلفاء قد نفضوا ايديهم من الجيش الهولندي فإنهم كانوا واثقين من مناعة الحصون البلجيكية . ولكن ما حدث قد اذهلهم وادخل الخوف إلى قلوبهم . لقد سقط اعظم حصن من حصون مدينة «لياج» في أربعٍ وعشرين ساعة . هذا الحصن هو حصن « بن آمال » . وانتشرت الاشاعات التي تحولت إلى أساطير حول سلاح ألماني جديد قادر على تفتيت أعظم الحصون واقواها . لكن الواقع انه لم يكن هناك سلاح جديد ، وإذا سمحنا لانفسنا باستعمال هذا التعبير قلنا إن السلاح الجديد هو سلاح التنظيم والدقة في التنفيذ والبراعة في التعاون بين القوى المختلفة.

خلاصة ما حدث ان الالمان قد انزلوا خلف حصون « بن آمال » قوات من المظليين قبل ان يأتي المساء . وكلفوهم نسف الحصون من الخلف بكميات من الديناميت والقنابل المدمرة ، وعندما أحست الحامية بالخطر ونشطت للمقاومة كان قسم آخر من القوات الالمانية قد اجتاز نهر « الموز » واصبح امام الحصون، بينما كانت الطائرات المنقضة تمطر هذه الحصون بقنابلها حتى أسكتت نيرانها .

الحلفاء يحاولون إنجاد بلجيكا

في تلك الاثناء كانت القوات الحليفة قد بادرت إلى إرسال عدد من فرقها لتساعد بلجيكا على الصمود امام الغزاة الالمان، ولم يكن يخطر في

بال الحلفاء ان بلجيكا لن تستطيع الصمود أمامهم . وعندما ظهرت لهم الحقيقة أخذوا يعملون المستحيل للوقوف في مكان ما، ينظمون فيه صفوفهم ويوطدون مراكزهم ثم يجابهون عدوهم بما يجمعون من السلاح والرجال. ولكن الغزاة الألمان لم يمكنوهم من ذلك فقد أرسلوا قواتهم الميكانيكية ودباباتهم الكثيرة تجوس خلال البلاد وتقسم جيوش الحلفاء من المشاة اقساماً عديدة، ليتمكن المشاة الألمان الزاحفون خلف دباباتهم وطائراتهم من القضاء على اعدائهم بسهولة .

في تلك الاثناء كان هناك ثلاثة جيوش فرنسية . جيشان يقود احدهما الجنرال « هونتزيجر » ويقود الثاني « كوراب » يرابطان على طول نهر « الموز »، اما الجيش الثالث فيقوده « جيرو » وقد رابط به وراء « أنفرس »، على ان يرسل هذا الجيش عدداً من السيارات في اتجاه « بريدا » عملاً باتفاق سابق جرى مع السلطات الهولندية للالتقاء بالجنود الهولنديين المرتدين عن مستنقعات « بيل » .

ولكن الهولنديين لم ينسحبوا إلى « بريدا » بل ارتدوا إلى شمال نهر « الموز » عندما علموا بجلاء القوات البلجيكية عن قناة « ألبرت » ثم استسلموا بعد ان مضت على دخولهم الحرب مائة ساعة فقط ، ولذلك وجدت الفرقة الفرنسية التي ارسلها الجنرال « جيرو » إلى « بريدا » نفسها وحيدة ضعيفة أمام القوات الالمانية المدرعة التي تؤيدها وتساندها اعداد كبيرة من الطائرات المنقضة . فارغمت الفرقة الفرنسية على الانسحاب إلى « انفرس » .

أما الخطة الموضوعة بالاتفاق مع البلجيكيين فهي ان يصبح الجيش البلجيكي تابعاً للقيادة الفرنسية . ولكن القسم الاكبر من الجيش البلجيكي المرابط في خط « لياج – آرلو » قد عبر الخطوط الفرنسية دون ان يشترك في القتال وشاعت الفوضى في صفوفه ، مما دعا الجنرال «بلانشار»

الفرنسي إلى توجيه نقد مـــر لهذه القوات البلجيكية التي امتنعت عن مساندة فرقه العسكرية .

كان الفرنسيون يعلمون ان هناك ثلاث ثغرات يستطيع الالمـــان ان يتغلغلوا عبرها إلى داخل البلاد .

الاولى : «السهل البلجيكي» ،وقد طلب إلى جيش «كوراب» ان يدافع عنه . الثانية : « مقاطعة دنيان » ،وقد اصدرت القيادة العليا لنخبة من الجنود باحتلال هذه المقاطعة . ولكن الذي حدث ان الاوامر الصادرة لم تنفذ بالدقة المطلوبة كما لم تكن الروح المعنوية عند رجـــال القوات المسلحة على مستوى المسؤولية ، بالاضافة إلى فقر هذه القوات في المدافع المضادة للطائرات والاسلحة المضادة للدبابات .

المهم ان هذه القوات الحليفة لم تصل إلى اية من الثغرتين في الوقت المناسب فقد سبقها العدو إلى احتلال مواقع نهر « الموز » ثم عبره دون صعوبة في نقط مختلفة .

وأما الثغرة الثالثة فقد حشدت لهـــا القيادة ثلاث فرق من القوات الاحتياطية . هذه الثغرة هي « ممر سيدان » . الفرقة الاولى منها رابطت عند الجناح الأيسر من جيش الجنرال «كوراب» ،وأما الفرقتان الاخريان فكانتا من فرق جيش الجنرال « هونتزيجر » .

الجميع كانوا يعرفون أن تسليح هذه الفرق الاحتياطية تسليح رديء وان حالة ضباطها المعنوية كانت منخفضة بالاضافة إلى عدم خبرة هؤلاء الضباط بشؤون الحرب الحديثة .

كانت مهمة هذه الفرق هي الاحتفاظ « بسيدان » وهي بمثابة البوابة لفرنسا . وكان من مظاهر الغفلة والبطء والتخلف في التخطيط والتفكير في الجيش الفرنسي ،ان قيادته قد وكلت هذه المنطقة الهامة إلى مثل هذه الفرق الهزيلة ثم حشدت إلى الجنوب (٦٣) فرقة من فرق الجيش العامل.

وانهارت الفرق الاحتياطية الثلاث امام السلاح الالماني الرهيب وقـد وجد رجالها منه نوعاً من الحرب لم يعرفوه من قبل ولم يتخيلوا يومـاً أنهم سيعرفونه .

البلجيكيون يتراجعون :

في صباح ١٩ ايار أرسل الجنرال « هونتزيجر » عـدداً من الفرسان من سيدان إلى مونتميدي عبر منطقة الاردين البلجيكية لمساندة البلجيكيين بعد فراغهم من عمليات النسف والتدمير التي عهد بها اليهم . ولكن البلجيكيين لم ينتظروا وصولهم فارتدت فرقتان من رماة « الاردين » كما تراجعت فرقتان أخريان من الفرسان باتجاه « نامور » وتركت البـاب مفتوحاً لجنود العدو .

ونستون تشرشل رئيساً للحكومة :

أمام هذه الاخطار المتزايدة التي سببها الغزو الالماني شعرت الاوساط الانكليزية المسؤولة في لندن أن حكومة تشمبرلن لم تعد قـادرة على مواجهة الأحداث، ولذلك فقد استقالت هذه الحكومـة لتخلفها حكومـة السيد « تشرشل » الذي قال لشعبه متحدثاً عن مسؤوليات الحرب : « ليس لدي ما اقدمه سوى الدماء والتعب والدموع والعرق » . ثم قـال أيضاً : « سنقاتل بكل قوانا . وإذا ما تساءل أحدٌ عن الهدف الذي نقصد إلى تحقيقه ؛ قلت له : انه النصر . النصر بـأي ثمن ... النصر بالرغم من جميع الأهوال والمتاعب التي سنواجهها . »

وقوع الكارثة

وصح مـا كان يتوقعه النقاد العسكريون والخبراء . ونجحت القيادة الالمانية في تحطيم كل الحواجز وبـدأت الانتصارات الحاسمة التي سجلها الالمان في « ممر سيدان » حيث انهارت القوى الفرنسية وانكشفت هزيمتها عن فراغ في كـل شيء : في التخطيط والادارة وخطوط التموين والاسلحة واخيراً في الروح المعنوية الهابطة .

لقد اعترف الفرنسيون ان جيشهم في « سيدان » كان دون سلاح وان الممر لم يزرع بالالغام لتبطئة زحف العدو . وان الطائرات الفرنسية المطاردة قد اختفت امام القاذفات الالمانية المنقضة وان المدافع المضـادة للدبابات كانت غير موجودة .

ويقول شهود عيان ان رجال الفرق الثلاث المكلفين بالحفاظ عـلى ممر « سيدان » اخذوا يرتدون خوذاتهم المعدنية والهلع يزلزلهم ويهزهم هزاً عنيفاً وراح بعضهم يقول للبعض الآخر : « لقد وصل الالمان فلينقذ كل منا نفسه » .

على ان الوقائع والنظرة الموضوعية تفرض على الباحث ان يعتدل في توجيه الاتهامات ويقتصد في تحميل هؤلاء الجنود مسؤولية الهزيمة الكارثة .

ان صفوف المدرعات الهائلة والطائرات التي كانت تملأ الجو قـد وضعتهم امام مشهد رهيب لم يكن لهم به عهد من قبل ، واذا كانت الروح المعنوية لجنود الحلفاء في حالة انهيـار فليس الخطأ خطأهم لان قياداتهم لم تدربهم وتعدهم لمثل هذا العمل الخطير ، كما ان الشعب الفرنسي كله كان في حالة من الاسترخاء واللامبالاة في البدايـة لا تسمح لهؤلاء الجنود بأن يفعلوا فوق الذي فعلوه .

ويميل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بـأن وضع الاتحاد السوفياتي الذي

سالم الالمان وتعاون معهم ودافع عن حربهم ووجه اتهاماته إلى مـا كان يسميه البرجوازية العفنة في بلاد الحلفاء دفاعاً عن موقفـه الجديد وعن اتفاقه مع المانيا في ٢٣ آب سنة ١٩٣٩ ؛ ان هذا البعض يميل الى الاعتقاد بأن الاتحاد السوفياتي قد اثر عن طريق انصاره من الشيوعيين الفرنسيين في اضعاف روح المقاومة الفرنسية وتغذية تيارات اللامبالاة بالاضافة إلى تراخي السلطات الحاكمة عسكرية كانت أو مدنية .

لماذا نموت ؟

ولماذا يجب ان نتعرض لنيران النازيين لانقاذ دانتزيغ ؟

وشاع مثل هذا الهمس في كل مكان . يرمي اصحابه به إلى اضعاف فرنسا وتثبيط همم الناس حتى ان بعضهم اخذ يردد قائلاً : لماذا نقاتل هتلر ؟ أليس انه افضل من ستالين ؟

واخيراً وفي مساء ١٤ ايار وفي ١٥ منه استطاعت القوات الالمانية ان تخترق الجبهة الفرنسية عند سيدان وجيفيه ودينان .

تعديلات في القيادة الفرنسية :

وشاع الخوف في نفوس الجميع واحست السلطات الحاكمة ودوائر القيادة العسكرية العليا ان عليها ان تعيد النظر في توزيع قيادات الجيوش فاجتمع السيد دالاديه والجنرال غاملان خلال فترة الصباح في مقر قيادة الجنرال جورج .

وفي اثناء الاجتماع دق جرس التلفون في مكتب الجنرال وكان المتحدث عند الطرف الآخر هو الجنرال بيللو قائد الجيوش المتحالفة في بلجيكا . وفي هذه المكالمة الهاتفية طالب بيللو بعزل الجنرال كوراب وتعيين جيرو خلفاً له . ثم اقترح الجنرال جورج على الجنرال غاملان عزل هونتزيجر قائد جبهة سيدان ، لكن غاملان وافق على تعيين جيرو مكان كوراب

ورفض اقالة هونتزيجر .

اما جيرو فعندما توجه ليتسلم قيادة جيش كوراب لم يجد امامه غير فلول من الجند شردتهم القوات الغـــازية ، وأما هونتزيجر الذي رفض غاملان عزله بسبب كفاءته القيادية فإنه كان عند حسن الظن ، اذ لم يعتم حتى احرز نصراً عظيماً حين انقذ قواته بمناورة بارعة امام عدو يفوقه عدداً وعدة وتنظيماً .

وفي الشمال ، اي في المنطقة الواقعة وراء الديل ، لم يشتبك الألمان بالقوات البلجيكية والبريطانية الموجودة ، بل شنوا هجوماً واسعاً على جيش الجنرال بلانشار بين الدايل ونامور .

والواقع ان قوات بلانشار لم تكن من طراز الفرق التي كان يقودها كوراب والتي تبخرت امام ضغط العدو ذلك لأنها مؤلفة من جنود عاملين ذوي خبرة قديمة ويتمتعون بروح معنوية عالية . وصمدت قوات بلانشار وكان الظن ان تضعف انطلاقـــة الغزاة النازيين او على الأقل ان تكبح من جماحهم . ثم لم تتراجع هذه القوات الا حينما صدرت الأوامر من القيادة العليا بالتراجع العام . وانسحب بها بلانشار الى المنطقة الإنكليزية فعمت الفوضى وشاع الخوف في النفوس .

سقوط فرنسا

قد يكون من المفيد في هذا الفصل ان نستعرض بعض ما كتبه القادة العسكريون والمدنيون الذين رافقوا معركة فرنسا من البداية الى النهاية . وفيما يلي نقدم تلخيصاً لبعض ما كتبه الجنرال الألماني غودريان قائد الفرق المدرعة التي سحقت فرنسا . قال الجنرال في كتابه الذي تحدث فيه عن

الفرق المدرعة ما خلاصته :

كانت القيادة الألمانية العليا تريد تنفيـــذ خطة شليفن التي اقرت في الحرب العالمية الاولى مع ادخال تعديلات عليها . ولكنني بالاتفاق مع الجنرال مانستاين عارضت هذه الخطة بعد النجاح الذي احرزناه في حرب بولونيا . لقد ثبت لنا ان الفرق المدرعة الخفيفة قادرة على قلب الاوضاع وبالتالي انها العنصر الاساسي في القتال .

وعندما اجتمعت الى مانستاين في تشرين الثاني من عام ١٩٣٩ لاعداد هجومنا المقبل على الجبهـــة الغربية شعرت انه يرى رأيـي في القوات المدرعة ، حين اقترح ان تقوم الدبابات والفرق الآلية بالهجوم على بلجيكا ولوكسمبورغ باتجاه سيدان الفرنسية ثم الانقضاض على حصون ماجينو في حركة جانبية . ووافقته دون اي اعتراض مشترطـاً استخدام اكبر عدد ممكن من الدبابات .

ورفضت القيادة العليا وجهة نظرنا رغبة منها في الاحتفاظ بدباباتها الجديدة حتى تأتي الحاجة الماسة لاستعمالها . ولكن الاقدار لعبت لعبتها حين سقط طيار الماني فوق الارض البلجيكية وكان يحمل معه تفاصيل خطة شليفن . ولم تدر القيادة العليا ما اذا كان هذا الطيار قد احرق اوراقه ام انها اخذت منه ساعة سقوطه . وعلى سبيل الاحتراز والتحفظ وجدت نفسها مرغمة على اعتماد الخطة التي وضعتها مع مانستين .

كانت هذه الخطة تقضي باندفاع المدرعات الالمانية نحو نهر الموز بالقرب من سيدان . ثم اختلفنا مع القيادة فيما وراء ذلك : هل تنتظر المدرعات وصول المشاة اليها ، ام انها تتابع هجومها مجتازة هذا النهر ؟ وبعد مناقشة طويلة تقرر ان تقوم قواتي المدرعة بالهجوم وهي مؤلفة من الفرق المدرعة الاولى والثانية والعاشرة ، ثم فرقة رابعة من المشاة للمساعدة ولاحتلال المناطق التي تجتاحها الفرق الاولى .

امام هتلر :

وكان على كل قائد ان يستعرض خطته في مجلس اعلى يرئسه هتلر وعندما جاء دوري في الكلام قلت :

– في اليوم الأول اجتاز حدود دوقية لوكسمبورغ ثم انطلق باتجاه جنوب بلجيكا نحو سيدان ، ثم اقطع نهر الموز واقيم عند ضفته جسراً يمكن المشاة من اجتيازه . وستكون قواتي صفوفاً ثلاثة . اما في اليوم الأول فانني اتوقع الوصول الى الحدود البلجيكية ثم اقتحامها ، وفي اليوم التالي ابلغ (نوف شاتو) ، اما في اليوم الثالث فأكون عند نهر الساموا واقطعه . وفي اليوم الرابع اصبح عند نهر الموز ، اما في اليوم الخامس فاجتاز هذا النهر واقيم فيه قاعدة تحميها قوة المانية .

وعندما سألني هتلر : وما الذي تفعله بعد ذلك ؟ قلت : سوف اتقدم نحو الغرب صباح اليوم التالي وعلى القيادة العليا ان تقرر ما اذا كان يجب ان اتجه نحو اميان او نحو باريس ، وانا افضل بالطبع التوجه نحو اميان ثم متابعة الطريق حتى الوصول الى بحر المانش . ورغم ان الجنرال بوش قد اعلن شكه في قدرتي على اجتياز نهر الموز ورفضت وجهة نظره امتنع هتلر عن التعليق على ما سمعه . وعندما تقرر البدء بالهجوم نفذت خطتي على النحو الذي استعرضته امام هتلر ووصلت الى ابفيل دون ان انظر الى الوراء .

سبب ايماني بفاعلية المدرعات :

واضاف غودريان يقول :

والحقيقة ان الحلفاء الذين افادوا كثيراً من الدبابات في الحرب العالمية الاولى وغلبوا بها المانيا ثم ناموا بعد ذلك على امجادهم ، لم يحاولوا بعد

الحرب تطوير هذا السلاح وذهب عنهم ما يمثله من فعاليات هادئة اعتقاداً منهم ان الحرب القادمة ستكون حرب استحكامات وخنادق لا حرب حركة ومناورات .

ويتابع غودريان عرضه للأحداث فيقول : وعندما اشرف ربيع عام ١٩٤٠ كنا على علم تام بالخطط العسكرية الفرنسية واساليب القادة الفرنسيين التقليدية المختلفة كما كنا نعلم ان حصون ماجينو لا يمكن اختراقها اذا اتيناها من الوراء .

ويبدو ان الحلفاء كانوا مقتنعين بأننا سنطبق خطة شليفن في هذه الحرب فوضعوا خططهم المعاكسة على هذا الاساس . ولذلك دهشت من جمود الفرنسيين امام حدودنا بينما كنا في حربنا مع بولونيا التي خضناها بالقسم الاكبر من قواتنا الضاربة . ولم يحاول الفرنسيون الاستفادة من هذه الفرصة الذهبية ، مما جعلني شديد الاقتناع بسلامة خطتي التي تقضي بأن تهاجم الدبابات الجنوب البلجيكي باتجاه سيدان وأميان حتى بحر المانش .

الهجوم الكبير :

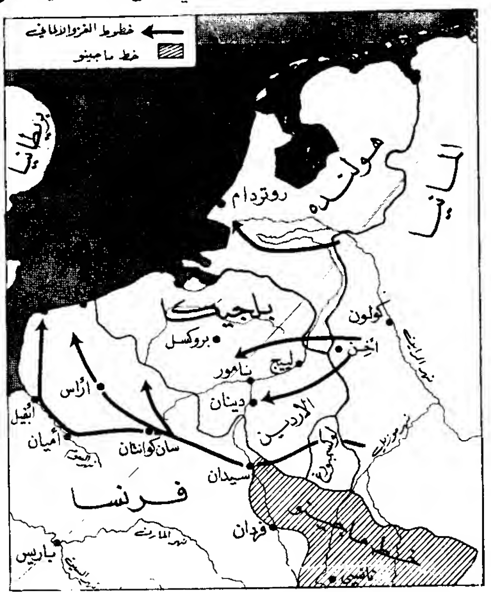
وفي تمام الساعة الخامسة من صباح اليوم العاشر من شهر ايار بدأ هجومنا على الحدود الفرنسية ، ومضت فرقي الثلاث تنهب الارض نهباً وفقاً للخطة الموضوعة .

في اليوم الأول حطمنا الخطوط الدفاعية الأولى . وفي اليوم الثاني تمكنا من الاستيلاء على الشاطىء الشمالي لنهر الموز ومن الاستيلاء على سيدان وقلعتها الأثرية . ثم اجتزناه الى ضفته الثانية ، واندفعت قواتي في الأرض الفرنسية لا تعترضها عقبة ولا يردها شيء . واسقط في يد الفرنسيين حينما وجدونا في بلادهم وقد اسرنا عشرات الالوف من الرجال دون حرب او قتال .

وفي عشرين ايار وصلنا الى اميان ومنها الى ابفيل ثم الى مرافىء بحر الشمال حيث كانت القوات الانكليزية التي لم تصمد امام دباباتنا وطائراتنا وفرقنا المنظمة . والواقع ان الانكليز قد اخذوا يفكرون سريعاً في الهروب من فرنسا التي اجتاحتها جيوشنا . وفي السابع والعشرين من ايار بدأت اكبر عملية اجلاء سببتها ابشع هزيمة من ناحية واسرع انتصار من ناحية اخرى في ميناء دنكرك . واستمرت عملية الاجلاء عدة ايام تمكنت فيها القيادة الانكليزية من انقاذ ٣٣٤٠٠٠ من الجنود الانكليز والفرنسيين وغيرهم وقد تركوا وراءهم كل معداتهم الحربية الثقيلة .

استسلام فرنسا

امام هذه الكارثة تقررت اقالة الجنرال غاملان كقـائد عام لقوات الحلفاء وعين مكانه الجنرال ويغاند الذي قضى اسبوعين في تعزيز المواقع الفرنسية في الشمال والشمال الشرقي . وفي تلك الاثناء كانت المصفحات الالمانية قد حولت وجهتها صوب الجنوب ، وتمكنت من اختراق الخطوط الفرنسية في كل مكان ومزقت الجيش الفرنسي كل ممزق في كل نقطة اخترقتها.



تبين هذه الخريطة تطور المعركة في بلجيكا وفرنسا

اعام هذه الكوارث المتتابعة لم يعد ويغاند قادراً على حماية الحكومة في باريس ولذلك فقد تقرر انتقالها اولاً الى تور ثم الى بوردو .

ايطاليا تعلن الحرب :

وفي العاشر من شهر حزيران اعلن موسوليني زعيم ايطاليا الحرب على فرنسا لكي لا يفوته الظفر بنصيبه من الأسلاب ، وقد ادرك ان الحرب الالمانية الفرنسية قد انتهت وان المقاومة المنظمة قد اختفت .

وسقطت العاصمة الفرنسية في ايدي الألمان بعـــد خمسة ايام . وتلفتت الحكومة الفرنسية تسأل المعونة . لقد توجهت الى لندن وواشنطن تسألها انجادها . ولكن صرخاتها ذهبت ادراج الرياح .

وفي ٢٦ حزيران سقطت حكومة بول رينو لتأتي حكومة المارشال بيتان الذي طلب من الألمان وقف القتـــال تمهيداً لعقد اتفاقية هدنة بين الدولتين المتحاربتين . واختار بيتان مدينة فيشي مقراً له ولحكومته . وقد استجاب الألمان لطلبه رغم انهم كانوا قد احتلوا في تلك اللحظة نصف فرنسا .

وفي الثـــامن والعشرين من شهر حزيران وقع المندوبون الفرنسيون شروط الهدنة في (كومبيان) في الحافلة الحديدية نفسها وفي البقعة التي سبق للالمان ان وقعوا عليها وثيقة استسلامهم المذل للحلفاء في تشرين الثاني من عام ١٩١٨ .

وكان من شروط هذه الهدنة ان يكون للألمان حق احتلال جميع الأراضي الفرنسية الواقعة في الشمال والغرب من خط يمتد من جنيف الى تور ومن هنـــاك جنوباً حتى الحدود الإسبانية بما في ذلك كل المرافىء الفرنسية الواقعة على بحر المانش والمحيط الأطلسي . كما كان من شروط الهدنة ان توافق فرنسا على نزع سلاحها وتسريح قواتها فيما عدا القوات

الضرورية لحفظ الأمن ، وأن تتحمل فرنسا نفقات الاحتلال وان تبحر قطع الأسطول الفرنسي الى مرافىء فرنسية معينة تجرد فيها من السلاح . واعلنت المانيا في الوقت نفسه انها لا تنوي استخدام قطع هـــذا الأسطول ضد انكلترا او الاحتفاظ بها بعد ابرام الصلح بين البلدين . واخيراً تعهدت فرنسا باطلاق سراح كل الجنود الألمان ولكن المانيا تحتفظ بكل اسراها الفرنسيين .

الاحداث التفصيلية للأيام الاخيرة :

فيما سبق حاولنـــا ان نستعرض صورة عاجلة للأحداث المؤسفة التي سببت كارثة المزيمة للجيوش الإنكليزية والفرنسية . ولكن هذه الكارثة



مدني يحتمي بالشجرة من قنابل الطائرات المغيرة

لم تمر بأيامها السوداء دون ان يحاول الإنكليز بـذل آخر مجهود ممكن لتجميد فرنسا وتشجيعها على الوقوف امام الغزاة . ولذلك لم يكد رئيس الحكومة الإنكليزية ونستن تشرشل يعرف بالنتائج الاولى للغزو النازي حتى طار إلى فرنسا في ١١ حزيران ليجتمع إلى رئيس حكومتها بول رينو . وقد تم الاجتماع فعلاً في مقر قيادة الجنرال ويغاند . واشترك في الاجتماع الجنرال ويغاند نفسه ثم المارشال بيتان والسير جون ديل .

وافتتح تشرشل الاجتماع معلناً ان حكومته تنتظر في القريب العاجل أن يشن الالمان على بريطانيا هجوماً كاسحاً . وان حدوث هذا الهجوم سيخفف الضغط عن فرنسا .

وتابع كلامه شارحاً استعدادات الإنكليز للرد على الغزو الالماني فقال : إذا استطاع الجيش الفرنسي ان يصمد امام الالمان حتى ربيع عام ١٩٤١ فإنه سيكون في وسع بلاده ان تحشد قوة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ فرقة مسلحة بأحدث السلاح وأقواه . وظن تشرشل ان في كلامه هذا ما يساعده على اقناع الفرنسيين بالصمود طويلاً . ولكن ويغاند لم يلبث حتى شرح الموقف الحربي معلناً أن كل القوات الفرنسية العاملة منها والاحتياطية تخوض الحرب ضد العدو . ولكن العدو يفوقها عدداً وعدة وتنظيماً . وطلب مساعدة الطائرات الإنكليزية . فوعده تشرشل خيراً .

وعاد ويغاند إلى الحديث مرة اخرى فقال : نحن نعيش الربع الاخير من الساعة الحاسمة . وليست هناك دلالة على احتمال كسبنا للمعركة . ولذلك أعود واكرر بأن أية مساعدة تقدم الينا الآن ستكون عظيمة الفائدة . وتابع يقول : ولنذكر جيداً انه إذا احتل الالمان كل الارض الفرنسية فإن أحداً لن يدري كيف تستطيع فرنسا ان تواصل القتال .

وهنا تدخل بول رينو الرئيس الفرنسي فقال : إن القائد الاعلى ويغاند قد قدم تقريره الشفهي بشأن الخطط الحربية لكن مواصلة القتال ليست من اختصاصه . إنها مسألة سياسية محض تستقل بها الحكومة .



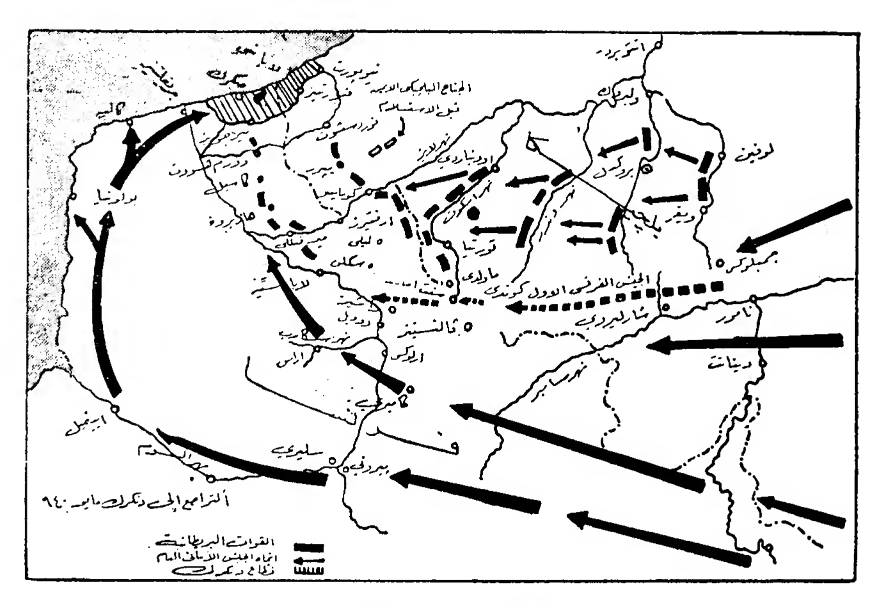
العائلات الفرنسية تتراجع امام الهجوم الالماني الكاسح

ويبدو أن تشرشل قد شعر بخطورة الموقف في نظر الفرنسيين فأدار المناقشة على مستوى آخر ،وسأل ما إذا كان في وسع المسلحين القيام بحرب عصابات منظمة في فرنسا إذا حدث ان انهارت القوات النظامية ؟

وهنا تدخل المارشال بيتان وقال : هذه الحرب تجلب الخراب والدمار ، وفرنسا غير قادرة على تحمل هذا الخراب . واسترد تشرشل المبـادرة وراح يتحدث بطلاقة عن تصميم بريطانيا على القتال مهما تكن النتائج .

وعقد اجتماع آخر وجه فيه بول رينو إلى ويغاند وبيتان السؤال التالي:

هل نستطيع في حالة انتهاء القتال فوق الاراضي الفرنسية ان نتفادى وقوع عدد كبير من قواتنا في الاسر وان نرسل جيشاً فرنسياً إلى سويسرا ؟ فكان جواب القائدين العسكريين بصوت واحد : كلا !.



خريطة تبين لنا معركة فرنسا

أما ويغاند فقد أصر على عقد هدنـة مع الالمـان . فأردف تشرشل مذكراً الجانب الفرنسي بالعهد الذي قطعه الشعبان الانكليزي والفرنسي على القتال حتى النهايـة . وانتهت الجلسة دون ان يتقرر شيء حاسم.

وعندما انعقد مجلس الوزراء بعد ذلك عـاد ويغاند إلى المطالبة بعقد الهدنة وادعى ان كل القادة العسكريين يوافقون على ذلك لأنهم مقتنعون اقتناعاً تاماً بعجزهم عن الصمود أمام الغزاة . وختم مرافعته بقولـه : إن الكف عن اطلاق النار هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على النظـام في الجيش . أما إذا استمر القتال فان الفوضى ستسود بين العسكريين وبين المدنيين ايضاً بالنظر إلى تضخم عدد اللاجئين الذين يهيمون على وجوههم دون زاد أو مال .

ووقف بول رينو إلى جانب ويغاند ، ولكنه قبل ان يتخذ قراراً نهائياً

دعا ونستن تشرشل ليتحدث اليه فيما صار اليه وضع البلاد . وجاء تشرشل فقال له الرئيس الفرنسي : سأوجه نداءً أخيراً إلى روزفلت . وعندما امتنع تشرشل عن الجواب،تابع قائلاً : انك تعلم انني لن القي السلاح . واريدك قبل مغادرتك لبلادنا ان تعدني بشيء واحد هو ان تبقى انكلترا إلى جانب فرنسا فلا تتخلى عنها إذا حدث أن وقعت حكومة غير حكومتي وثيقة هدنة مع الالمان . واجاب تشرشل بقوله:ان انكلترا لا تضيع وقتها في اجراءات لا طائل من ورائها . وإذا كنت تصر على ارسال النداء فانتظر حتى يأتيك الجواب. ثم تغير صوت رئيس الحكومة البريطانية وتحيرت في عينيه الدموع وقال :

– إذا كسبت بريطانيا الحرب فان فرنسا ستعود سيرتها الأولى .

ويؤكد بول رينو رغم اقتناعه بوجهة نظر ويغاند أنه قد عمل المستحيل من أجل نقل المقاومة الفرنسية إلى الشمال الافريقي واستمرار الحرب مع الحلفاء ولكنه اعلن ان المارشال بيتان والجنرال ويغاند قد خذلاه لأنهما كانا من دعاة التسليم .

وعقد اجتماع وزاري آخر عاد فيه ويغاند إلى تقرير الوقائع العسكرية كما يراها دون زيادة أو نقصان ، وكان فيما يبدو خائفاً من حدوث ثورة شيوعية وتنظيم انقلاب مسلح في باريس ولذلك راح يقول بصوت مسرحي ان السيد توريز سيقيم وشيكاً في الاليزيه بباريس . والسيد توريز هو سكرتير الحزب الشيوعي،ومضى يتابع كلامه : إن على الوزراء ان يتحلوا بقدر كاف من الشجاعة فيبقون في فرنسا مهما ساءت الحالة . ان بقاءهم سيشجع الفرنسيين على تحمل كثير من التضحيات . وأكد للجميع ان انتقال الحكومة الفرنسية لإحدى المستعمرات لن يساعد على حل المشكلة . وراح يتساءل قائلاً : هل تعتزم الحكومة بعد خروجها من فرنسا ان تعود اليها على طائرات تمطر مدنها بالقنابل أو على سفن تنسف بيوتها بالمدافع وتقتل المواطنين ؟ ان هذه الخطة تدل على قصر



هتلر يبتسم .. لقد احتلت جيوشه فرنسا
ودخلت باريس منتصرة

نظر وجبن ، وأنا كقائد عام أرفض ان اقتفي أثر الوزراء . فلن اغادر فرنسا حتى ولو كبلت قدمـاي بالحديد . وبدا ويغاند شديد العصبية لا يفكر الا في شيء واحد هو تجنيب الفرنسين ويلات القتل والتدمير . ونسي وهو يدافع عن وجهة نظره ان استقلال فرنسا وتحررها من الغزاة أمران يجب ان يقدما على كل اعتبار آخر .

وفكر بول رينو باقالة ويغاند ولكنه خاف من ان تسبب هذه الإقالة

استقالة المارشال بيتان وبعض الوزراء . وبعد مناقشة تقرير ويغاند وقف بيتان يقرأ بياناً سياسياً ، جـاء فيه : « ان القوات الفرنسية لا تستطيع النهوض وحدها بمسؤولية الدفاع عن مقاطعة بريتانيا وانه يجب الاستعانة بقوات بريطانية جديدة » . وقال أيضاً : انه من المستحيل ان تغـادر الحكومة الفرنسية ارض الوطن دون ان تتهم بجريمة الفرار . ان واجب الحكومة هو البقاء فاذا خرجت من البلاد تعرضت لخطر فقدان سلطتها كحكومة مسؤولة . ومثل هذا التصرف اشبه شيء بتسليم فرنسا إلى العدو. ونحن ننتظر انبعاث البلاد من الداخل وبواسطة حكومة قائمة داخل الحدود لا بغزو تقوم به القوات المتحالفة تمطر فيه بلادنا حديداً وناراً . اما انا فسأبقى إلى جانب افراد الشعب الفرنسي أشاطرهم آلامهم واحزانهم . »
كل هذه المناقشات التي اوردناها ملخصة من مذكرات بول رينو ،تشير بوضوح إلى الأوضاع المتردية فى داخل فرنسا وخصوصاً بعد ان وقع في اسر القوات الالمانية ما يقرب من مليون جندي :

الهدنة الفرنسية الإيطالية :

قلنا ان إيطاليا قد بادرت إلى اعلان الحرب على فرنسا في اليوم العاشر من حزيران . وقد ثبت ان المارشال بادوليو رئيس هيئة أركان الحرب الإيطالي قد عارض هذا التصرف وايده فيه السيد تشيانو وزير الخارجية. واعتبر بادوليو اعلان الحرب في مثل ذلك الظرف عملاً شائناً ومعيباً ومضراً بالسمعة الادبية الإيطالية . لا سيما وان اعلان الحرب آنذاك كان بمثابة الضربة الغادرة لجيش مهزوم . وفعلاً بدأت القوات الإيطالية القائمة على الحدود بالهجوم على القوات الفرنسية ولكنها لم تتقدم خطوة واحدة،حتى جـاء اليوم السابع عشر مـن حزيران فسقطت فيه حكومة رينو وتسلم المارشال بيتان زمام السلطة وطالب بايقاف القتال بانتظار عقد الهدنة .



الجيش الالماني يمر تحت قوس النصر في باريس

وقد رأى هتلر مجاملة موسوليني والاجتماع به لتقليب وجوه الرأي في شروط الهدنة .

ويقول وزير خارجية موسوليني تشيانو :

لقد كان موسوليني قلقاً منزعجاً بسبب توقف القتال . كان يريد أن يحتل الاراضي الفرنسية كلها وان يستولي على الاسطول الفرنسي . وفي ١٨ حزيران انفرد موسوليني وهتلر في غرفة واحدة وتبادلا الرأي في الطلب الذي قدمه المارشال بيتان . وحاول موسوليني التمسك بوجهة نظره

في الاستيلاء على الأسطول الفرنسي واحتلال كل الأرض الفرنسية، ولكنه لم يلبث أن شعر بعد ذلك بأن دوره دور ثانوي وأن شريكه هتلر هو صاحب الكلمة الأخيرة .

وأخيراً تقرر ان يأتي مندوبون فرنسيون مفوضون في ٢٣ حزيران على طائرة المانية إلى روما لتوقيع شروط الهدنة مع الحكومة الإيطالية بعد ان وقعوا هذه الشروط نفسها امام الالمان في اليوم السابق أي ٢٢ حزيران.

وقد لوحظ ان المارشال بادوليو لم يخف عواطفه الطيبة نحو الفرنسيين. فقد عاملهم بأدب ولطف عظيمين، وعندما جلس الجانب الإيطالي عند طرف مائدة طويلة بقي الفرنسيون واقفين ثم ردوا التحية الإيطالية الفاشستية بإحناء رؤوسهم .

وتولى المارشال بادوليو قراءة شروط الهدنة باللغة الإيطالية . وتبعه (رواتا) مدير قلم المخابرات في الجيش الإيطالي فقرأ الترجمة الفرنسية .

وهنا طلب الجنرال الفرنسي هونتزيجر رئيس الوفد الفرنسي وقائد مجموعة الجيوش الفرنسية الرابعة تأجيل الاجتماع ليبعث بتقريره عن الشروط إلى بوردو العاصمة الفرنسية المؤقتة . وتم الاتفاق على التأجيل ، ووقف تشيانو وزير الخارجية الإيطالية ثم تقدم من الجنرال هونتزيجر وصافحه بلطف ظاهر مما أثار دهشة الجنرال لأنه لم يكن يتوقع مثل هذه الحركة . واستغرقت الجلسة ٢٥ دقيقة .

وفي ٢٤ حزيران وفي تمام الساعة السابعة والربع مساءً وقعت شروط الهدنة . وتم الاتفاق على ان يتوقف اطلاق النار بعد ٦ ساعات إلا إذا حدث ما ينقض ذلك .

هكذا انتهت جولة المانيا النازية الاولى في اوروبا الشرقية والغربية، وهي جولة سريعة لم تكن ذات شأن كبير بمعاركها واشتباكاتها الدامية بالنسبة للمعارك الكبرى التي عرفها العالم في السنوات التي تلت هذه الكارثة .

كل ما تحقق حتى تلك الايام هو ان العالم الغربي قد استيقظ على تخلفه العسكري فبدأ يجمع قواه ويعبىء إمكاناته الهائلة ويقدم للحرب وقودها البشري ثم الاقتصادي والتكنيكي . وكانت معركة بريطانيا الجوية



شوارع دنكرك المدمرة بالقنابل

التي عقبت هزيمة الفرنسيين وجلاء الجيش البريطاني عبر دنكرك هي أول مفرق طريق تغيرت أو بدأت تتغير به مصائر الدنيا ومقدرات العالم. وكان صراع سببه الحقد والغرور من ناحية والطمع والاستغلال ثم

النوم على الامجاد من ناحية أخرى .

ان مـا جرى في تلك السنوات التاريخية الدامية حتّى آخر قطرة في شرايين الناس ، والتي نزفت فيها دماء ٣٥ مليوناً من الرجـال والنساء والاطفال على الاقل ، هو قصة الحضارة التي لم يستطع بناتها ان يكونوا على مستوى المعاني الرسالية فيها .

بريطانيا امام المحنة

بعد شهر واحد تقريباً من ركوع فرنسا امام الجيش الالماني ؛ وبعد توقيعها وثيقة الاستسلام المهينـة في كُومبياني ، يقف هتلر ليقول في خطاب له امام الريشتاغ الالماني :

«في هذه الساعة يملي علي ضميري أن أوجه نداء إلى العقل والادراك الحسن عند الشعب الانكليزي وعنـد غيره من الشعوب . وانني اعتبر نفسي في الموقف المناسب لارسال مثل هـذا النداء ، فلا ارسله كعدو منهزم يلتمس منحة لنفسه ، بل كمنتصر يتحدث باسم العقل . انـا لا أرى أي مبرر لاستمرار هذه الحرب ... »

هذه فقرة من الخطاب الذي وجهه هتلر في ١٩ تموز من عام ١٩٤٠ إلى شعب الجزيرة البريطانية يعرض فيه عليه السلم ؛ والجيش الالماني في تمام قوته وانتشائه بانتصاراته السريعة الصاعقة ، بينما كانت الجزيرة البريطانية تقف وحيدة امامه ، محرومة من اسلحتها الثقيلة وتجهيزاتها العسكرية التي تركها جيش دانكرك المنهزم وراءه . ولكن قواتها البحرية والجوية كانت ما تزال سليمة تقريباً وكان على هذه القوات ان تواجه اكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم .

وطبيعي ان هتلر كان يعتمد في تحقيق نصره النهائي على انصار السلام والدعاة إلى مفاوضات الصلح في بريطانيا نفسها . وقد بلغ من ثقته بنفسه وبصدق تقديراته انه لم يكلف نفسه مشقة اعداد اية خطة واسعة لغزو الجزيرة البريطانية بالقوة .

في تلك الايام كانت بريطانيا تستعرض احتمالات التصلب في الحرب او الاستسلام ... وكانت تعود بالذاكرة إلى امبراطوريتها المترامية الاطراف وتشهد الاخطار المحدقة بها عبر الجيش الالماني الفتي الجاثم فوق اوروبا كلها، فتشعر أن الاستسلام والركوع امام الغازي الجديد لا يعنيان غير شيء واحد هو ان تتحول إلى محمية من محميات الامبراطورية الهتلرية .

وبينما كان الالمان يطلقون مناطيد تجريبية من جهة السويد والولايات المتحدة والفاتيكان ، جاء جواب اللورد هاليفكس برفض العرض الذي تقدم به هتلر في خطابه . وكان هاليفكس يقول : ان بريطانيا لا تستطيع ان تقبل سلماً يترك بين ايدي الالمان اي جزء من الاراضي الاجنبية .

هكذا اختارت بريطانيا ان تدخل معركة المصير مع هتلر . ثم انتفض الشعب البريطاني فأطلق على لسان ونستون تشرشل ، قائده في الحرب الضروس ، العبارة التالية :

« انتهت معركة فرنسا . واعتقد ان معركة بريطانيا لن تتأخر كثيراً. ان مصير الحضارة المسيحية مرتبط بهذه المعركة ، كما ترتبط بها حياة بريطانيا ومؤسساتنا الكبرى وامبراطوريتنا بالذات . كل عنف العدو وقوته سيقضيان علينا في الايام القريبة القادمة . ان هتلر يعلم تمام العلم بأن عليه ان يهزمنا في جزيرتنا أو يخسر الحرب . فاذا استطعنا ان نصمد فستكون كل اوروبا حرة وسيشهد العالم انفتاح آفاق واسعة مشمسة . وإذا فشلنا فان العالم كله بما فيه الولايات المتحدة ، وكل ما نعرفه وما نحبه سيسقط في الظلمات، ظلمات سيجعل منها علم هدام فاسد شيئاً اكثر جهامة واطول بقاء . وإذن لنكن على مستوى واجباتنا ولنتصرف بحيث يقال

يوماً ، اذا بقيت الامبراطورية والشعب البريطاني الى ما بعد الف عام : لقد كانت ساعة مجد لهم » .

ووضع هتلر خطة الغزو التي اطلق عليهـا اسم « اوتاري » ولكن تنفيذ هذه الخطة كان يشترط السيادة في الجو والبحر ولا سيما في القطاعات التي سيجري فيها انزال القوات الغـازية . كان في حاجة الى اسطول بحري كبير قادر على نقل الجيش الالماني بمعداته الثقيلة وعلى تأمين المؤن اللازمة له . الجنود كانوا ينشدون قائلين : « نحن ذاهبون الى بريطانيا » .

وتقرر اللجوء الى اللفتواف ، الطائرات الألمانية التي يقودهـا غورنغ لتحطيم الطيران البريطاني واضعاف بريطانيا قبل اجتياحها . وكان هتلر يأمل في ان يحطم معنويات الجماهير ويرغم الحكومة على الاستسلام . وكانت خطة « اوتاري » تقضي بتنظيم غارات جوية كاسحة بحيث تتأمن السيادة الجوية للألمان حتى اذا انتصف شهر ايلول كان الغزو ممكناً تحت ضوء القمر وفوق مدّ مرتفع . وفي هذه الاثناء يحاول الاسطول البحري تجميع اكبر عـدد ممكن من الوحـدات ويتدرب الجيش على القيام بعمليات برمائية .

وقد جرت المعركة على ثلاث مراحل . اما في المرحلة الأولى فقد اغارت الطائرات الألمانية على شواطىء بريطانيا الجنوبية والمناطق المعينة للغزو ، قاذفةً قنابلها على السفن ، والمستودعات والمؤسسات المرفأية . وكان الألمان يفكرون في استدراج الطاردات البريطانية على هذه الصورة ثم في عزلها . واما المرحلة الثانية فهي تستهدف القيادة الجوية وطائراتها ومطاراتها بحيث تتم ابادة الأسطول الجوي الانكليزي وتطهر السماء من طائراته المطـاردة ، ولما لم تستطع اللفتواف ان تحقق اهدافها في هاتين المرحلتين راحت تنقض انقضاضاً صاعقاً على المدن الكبيرة والمرافىء والمراكز الصناعية . فكانت بذلك المرحلة الثالثة للمعركة .

لقد استطاع الطيران الانكليزي وهو يعـد ١٤٧٥ طائرة ان يصمد

امام ٢٦٧٠ طائرة معادية . يضاف الى ذلك ان الشعب البريطاني لم يستسلم للخوف . القاذفات الألمانية ، دورنيا ، هينكل ، وشتوكا كانت تتلاحق



آثار الغارات الجوية على لندن

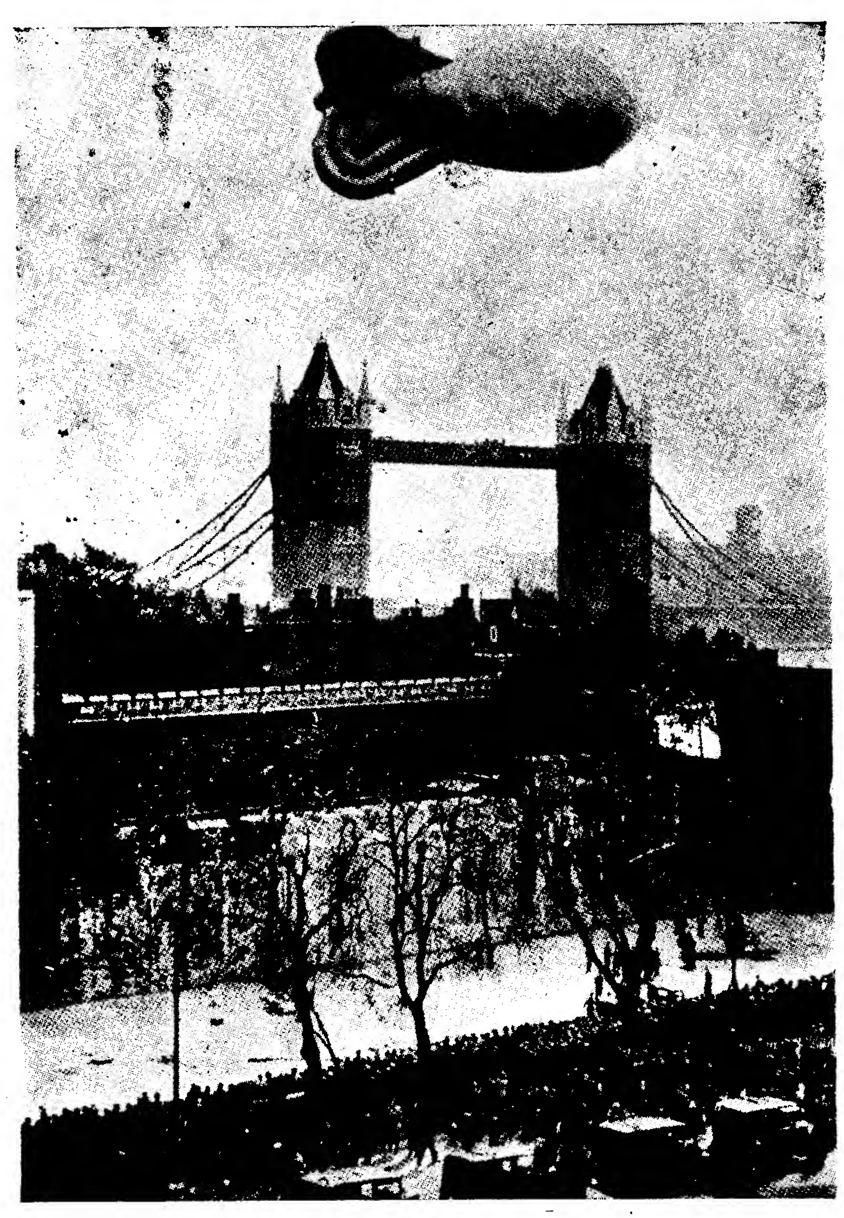
في موجات فوق سماء بريطانيا ترافقها صفوف من طائرات مسرشمت المطاردة فتنطلق الطائرات الانكليزية سبيتفاير وهاريكين وتعترض طريقها ثم تسقط منهـــا المئات . الطائرات الألمانية التي سقطت كانت ضعف الطائرات الانكليزية المسقطة . وبينما كان الطيران الانكليزي قادراً على الاستفادة من الطيارين الذين تحترق طائراتهم ويهبطون فوق ارض بلادهم بالمظلات كان الطيران الألماني يخسر طياريه الهابطين بمظلاتهم هناك .

يضاف الى ذلك ان حواجز المناطيد والمدافع المضادة للطائرات والتحسينات السرية التي ادخلت على اجهزة الرادار من قبل العلماء الانكليز قد قدمت مساعدات ثمينة لطائرات سبيتفاير وهاريكين القليلة نسبياً في الفضاء .

والواقع ان احداثاً بطولية كثيرة قد جرت خلال ايام المعركة فوق بريطانيا من الجانبين الألماني والانكليزي وان شواهد متعددة قد اثبتت بأن الطرفين قد بذلا جهوداً جبارة من اجل انتزاع المبادرة وتركا في الميدان ضحايا كثيرة . اما الألمان فقد فقدوا بين تموز وتشرين اول من عام ١٩٤٠ ما لا يقل عن ١٧٣٣ طائرة بينما لم تتجاوز خسارة الأسطول الانكليزي ٩١٥ طائرة للأسباب المذكورة قبل قليل .

في منتصف تموز كانت خطط الغزو قد وضعت . وفي بداية شهر آب ، ألغيت مأذونيات الضباط والجنود في الجيش الألماني ، وفي ايلول اصبح عدد السفن التي جمعها هتلر ٣٠٠٠ بين كبيرة وصغيرة تنتظر في موانيء فرنسية والمانية وهولاندية وبلجيكية الأمر لحمل الجنود الغزاة عبر بحر المانش .

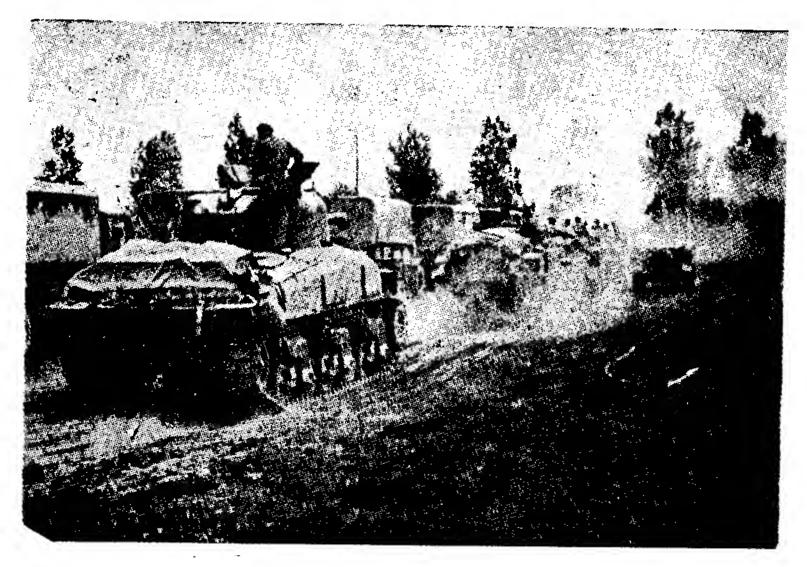
ولكن اللفتواف لم تحقق اغراضها ، فالمطارات البريطانية رغم الاصابات الشديدة التي نزلت بها كانت ما تزال قادرة على اعتراض المغيرين ؛ اما المطارات والمؤسسات القائمة فوق الأرض فانها لم تهدّم طبقاً للخطة الموضوعة . والواقع ان الطائرات والسفن الانكليزية بقيت تشن الهجمات العنيفة على مواقع الألمان فوق الشاطىء الأوروبي قاذفةً قنابلها على السفن



احدى البالونات الحاجزة فوق جسر لندن

المعدة لحمل الجنود والموانىء التي ترسو فيها هذه السفن . اما المراكب الحليفة فقد كانت تصل الى الموانىء البريطانية دون انقطاع وتفرغ فيها حمولاتها . والثابت ان الخسائر كانت كبيرة ولكن سفناً وطائرات جديدة كانت تخرج باستمرار وباعداد كبيرة من مصانع التجميع .

وبدلاً من ان يتابع الألمان عملياتهم الهجومية اقترفوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين امتنعوا عن متابعة الغارات على الطائرات الانكليزية ومؤسسات الطيران في البر البريطاني . لقد كان احتياطي الأسطول الجوي الانكليزي في حالة نزيف شديد . وكان في وسع اللفتواف متابعة الهجوم حتى تطهر الفضاء من الطائرات المعادية . وعندما تتأمن لها السيادة في الجو يصبح في مكنتها تجميد السفن البحرية والقاذفات البريطانية ومن ثم قطع خطوط التموين والقضاء على القوافل المتجهة نحو الجزيرة . وفي هذه الحالة تركع بريطانيا على ركبتيها او يصبح الغزو عملية نقل للجنود وحسب .



الدبابات البريطانية تحرس قوافل الاعاشة

ولكن غورنغ الذي يئس من القضاء على الطـائرات الانكليزية في الفضاء اطلق قاذفات قنابله فوق لندن . وقد تساءل المراقبون عن الغاية من هذا التحول ؟ هل هي تحطيم معنويات الشعب ؟ أم هي القضاء على المرفأ الذي تمر منه نسبة اربعين في المئة من الواردات الى بريطانيا ؟ كانت هناك غارات نهارية فوق التايمز في كل يوم دون انقطاع وغايتها اشاعة الخراب في كل مكان من المدينة . قنابل محرقة ومتفجرة تساقطت فوق لندن حتى اواسط تشرين الثاني ولا سيما الأحياء الكثيفة السكان عند الطرف الشرقي . وكما ان الخسائر الثقيلة قد ارغمت غورنغ على الامتناع عن متابعة المعركة ضد المطارات الانكليزية فان هذه الخسائر بالذات قد اوقفت سيل غاراته على لندن ايضاً . السبب بسيط جداً . فاذا كانت المصانع الألمانية قادرة على صنع طائرات مطاردة وقاذفة مكان تلك التي تتساقط فوق بريطانيا فان اعداد الطيارين الذين تحتاج هذه الطائرات اليهم امر غير سهل ولا يسير . ومن هنا اصبحت الغارات النهارية ليلية ابتداء من تشرين الثاني . ليلة بعد ليلة كانت القنابل الألمانية تتساقط فوق احياء العاصمة . وكان الناس فيها يقضون لياليهم في انفاق المترو او في المخابىء . فيواجه بعضهم الموت او الجراح او الاختناق تحت الانقاض .

لقد كانت اياماً عصيبة . وكان المنتظر من الشعب ان يصمد فيها وهو اعزل من السلاح تماماً كما كان يصمد الطيارون في السماء ورجال السفن في البحر . ذلك لأن المعركة كانت في تلك الأوقات معركة جوية بحرية فقط .

وعند كل صباح كان المدنيون في لندن يخرجون الى اعمالهم كالعادة ، بانتظار مجيء ساعات الليل الرهيبة بينما تتابع السفن القادمة تفريغ حمولاتها . والمصانع دورانها ووسائل النقل تحركاتها العادية .

يضاف الى ذلك ان عشرات الآلاف من المدنيين قد توزعوا مهمات الوقاية فكانت منهم فرق الأطفاء والرقابة التي تعلن عن اقتراب طائرات

العدو والمتطوعة في رفع الانقاض عن الضحايا وازالة الخرائب ، وكان منهم المهندسون والاختصاصيون الذين يتولون نزع كبسولات القنابل التي لم تنفجر او ذات الانفجار المتأخر ؛ كما كان منهم الأطباء والممرضات الذين يعنون بالمشوهين والجرحى .

حدث هذا كله والألمان يعتقدون ان الانتصار قد اصبح في متناول ايديهم ، وفيما يلي نورد تأملات سجلها الرقيب الطيار « غوتفريدلَسلك » قال :

كنـــا في هذه المرة سنضرب مطارات لندن بالقنابل . وصعدنا الى طائرتنا : اولاً : ليدرر ثم لومل وبعده زولدنر ثم انا يتبعني الملازم الثاني . كانت هناك عشرون طائرة بما فيها طائرتنا ، تتقدمنا او تطير خلفنا تشكيلات كثيرة من المطاردات .

وكلما اقتربنا من المانش ونحن على ارتفاع ثلاثة آلاف متر كان الجو يتحسن . لقد كنا مثقلين بحمولتنا . وكنا نعرف ان تلك هي بدايـــة النهاية . الحملة الكثيفة التي طالما انتظرناها على قلب الامبراطورية البريطانية قد بدأت وكان علينا في ذلك اليوم ان نحطم مطارات العدو ، ومراكزه الكهربائية ، وحظائره ، ومستودعات ذخيرته وخزانات بتروله . لقـــد كان علينا في تلك الأيام ان نحطم مواقع بريطانيا الدفاعية .

وكانت تطير فوقنا عالياً مطاردتنا «مسرشمت» ، لقد بلغنا فضاء كريدون ثم وصلنا الى هدفنا الذي عين لنا . كان هذا الهدف على صورة مثلث وكان يتمدد على امتداد طابق كبير . القاذفات المتقدمة القت قنابلها . وبدت لنا احدى الحظائر وقد اصيبت اصابة شديدة اما فيما سواهـــا فلم تحدث اضرار تذكر .

وانقضت علينا طائرات سبيتفاير وهاريكين . وفي طرفة عين اختلطت بنا في دوامة عاصفة ، بين المطاردات والقاذفات من طائراتنا .

عدد طائرات العدو كان اكثر مما ننتظر . انني لم اكن اظن ان

العدو يملك مثلما يملك من الطائرات ، يضاف الى ذلك انه قد كان في وسع طائرات العدو ان تهبط الى الأرض وتعيد ملء خزاناتها بالوقود ثم تعود الى فضاء المعركة بينما كان زملاؤنا مقيدين بكمية الوقود التي يحملونها في خزانات طائراتهم. مطارداتنا كانت تقاتل كما يقاتل الأسود وقد تساقطت امامها اكثر من هاريكين واحدة في هبوط عامودي وهي تحترق .

وقررنا اخيراً ان نتخلص من قنابلنا ، ولكن زولدنر يقول : انها لم تحدث اضراراً كثيرة . ومهما يكن الأمر فهي خير من لا شيء .

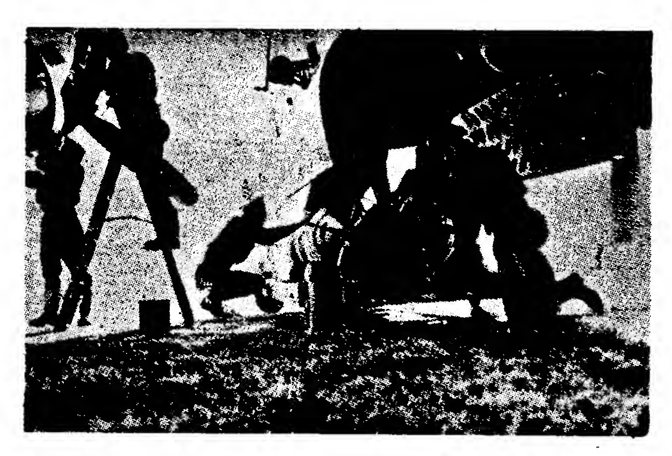
لن انسى لندن ابداً . انها المرة الأولى التي كنت اراها فيها وكنت جديراً بالمراهنة على انها ستكون الأخيرة . كان ذلك يجري في غارتنا الثانية . السماء صافية الأديم . وعند هبوط الليل ارتفع ضباب خفيف . ومع ذلك فقد كنت قادراً على رؤية سطوح المدينة . رأيتها بأشكالها المتنافرة وبألوانها القوية . ثم رأيت شوارع الضواحي وهي اكبر حجماً واكثر استقامة ، ومن ورائها مصب التايمز بألوانه الخاصة . في تلك البرهة أسفت على انني لم أزر هذه المدينة من قبل وانا الذي لن ازورها بعد ذلك ابداً . وبينما كنت اطير فوق اكبر مدينة في العالم ، كنت على ثقة تامة ، وانا القادر يومذاك على التنبؤ بالمستقبل ، من ان هذه المشاهد كلها ستزول ، وانه لن يبقى شيء من المدينة بعد ايام قليلة ، حين يصدر الفوهرر قراره باعدامها . انه لن يبقى شيء غير اكوام من الخرائب .

في هذه الأيام تكتب صفحة من التاريخ . وسيكون في وسعي القول بانني قد شاركت في كتابتها . وسيقرأ الناس بعد عشر او عشرين عاماً في كتب التاريخ : أيلول ١٩٤٠ = هدم لندن . تماماً كما قرأنا في هذه الكتب تاريخ هدم قرطاجة او حريق روما .

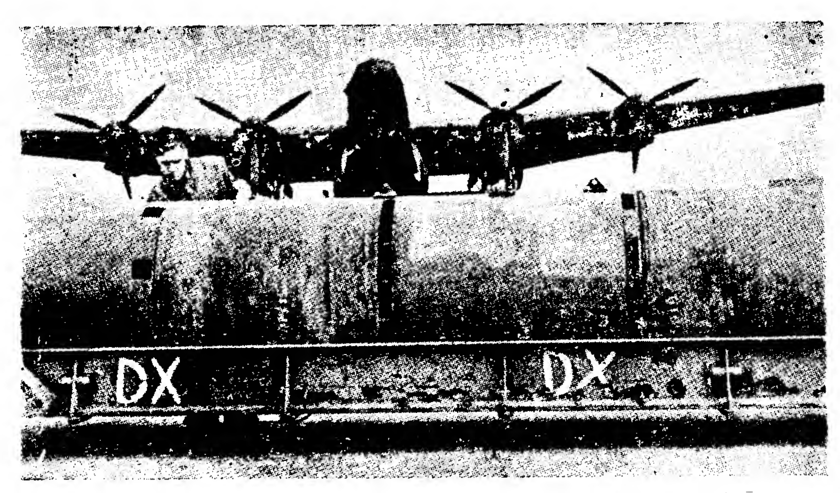
لندن تحترق . انها تحترق مرة واحدة في مئة مكان تقريباً ، وهي اشبه

ما تكون من الخرائب لا بالمدينة . انني أفكر وأعـود إلى التفكير ثانية في طيراني الاول فوق لندن ، بينما لم تكن أية قنبلة من قنابلنا قد سقطت بعد ، وفي الوقت الذي كانت مـا تزال فيه هذه المدينة الكبيرة سليمة من كل أذى ، والانكليز يتخيلون انه ما من قوة في العالم تستطيع ان تفعل شيئاً ضدها . ثم اعود واقول لنفسي : لعلهم قـد غيروا الآن رأيهم .

لم تمر ليلة واحدة دون ان نشعل فيها الحرائق وسط المدينة ، ما من ليلة لم يرتفع فيها اللهيب إلى السماء فيلونهـا بلون الدم . المدافع المضادة للطائرات تطلق قنابلها ، الكشافات الضوئية تجتـاح السماء ، لكن مـاذا عساها تصنع ؟ نحن لا نترك هذا العمل . إننا نقوم به بكل امـانة . أمس كان الرائي يظن ان نهر التـايمز نفسه يحترق . كل الاحواض والمستودعات تحترق ، وفي كل دقيقة ، تحدث الانفجارات ثقيلـة أو خفيفة . ويرتفع قناع من الغبار والدخان فيغطي المدينة . سنتابع ملاحقاتنا لهم عن قرب ، ولن ندعهم يستعيدون انفاسهم . تشكيلاتنا الجوية تطير



طائرة بريطانية تشحن بالقنابل لتقوم بغارتها فوق المانيا



قنبلة زنة ٥٥٠٠ كلغ تحملها طائرة لانكستر بريطانية

فوق لندن دون توقف . هذه الغارات مستمرة خلال شهر تقريباً . ان لندن مدينة تحتضر .

ولكن الحقيقة ان لندن كانت ترفض الموت . فإذا كانت المطاردات الانكليزية عاجزة عن مقاومة قاذفات الليل فان القاذفات الانكليزية كانت تقوم بعمل كبير في المانيا كما كانت تقوم بعمليات انتقامية فوق مدن برلين ، دوسلدرف ، ميونخ ، مانهيم ، بريم ، ومدن اخرى غيرها . وينقض النازيون بدورهم على المراكز الصناعية الكبيرة والمرافىء الرئيسية العظمى ، برمنغام ، روشستر ، بريستول ، بلايموث ، دوفر ، سوثمبتون .

أما مدينة كوفنتري فقد هدمت خلال غارة من أشد الغارات عنفاً في ١٤ تشرين الثاني . وفي ٢٩ كانون أول تساقطت القنابل المحرقة فوق لندن واحدثت ١٥٠٠ حريق ؛ كان هذا الحريق أكبر كارثة عرفتها هذه المدينة منذ الحريق الكبير الذي حدث فيها عام ١٦٦٦ . ان ٢٠٠ الف طن من

القنابل تساقطت فوق الارض البريطانيـة خلال تلك المعركـة ؛ وكانت حصيلتها ٤٠,٠٠٠ قتيل و ٢٠٠,٠٠٠ جريح بـين المدنيين . ومع ذلك



تشرشل يتفقد آثار الغارات الالمانية في كوفنتري

صمدت بريطانيا واجتاح العالم آنذاك شعور غريب امـام ضخامة الهجوم الذي قام به الطيران الالماني .

ولما لم تتحقق اهداف هذا الطيران حتّى شهر ايلول ، وبما ان خسائر الاسطول البحري الالماني في معركة النرويج كانت كبيرة ، فقـد قرر هتلر ارجاء موعد الغزو إلى تشرين الاول . ثم تقرر التأجيل مرة اخرى إلى ربيع ١٩٤١ ، وبانتظار تحسن الاحوال الجوية ، تقرر التأجيل مرة ثالثة بعد القيام بالحملة التاريخية الكبرى على الاتحـاد السوفياتي . وأخيراً دفن مخطط أوتاري نهائياً في كانون الثاني من عام ١٩٤٢ .

وقد حاول الكثيرون ان يبحثوا عـن الاسباب التّي منعت هتلر من غزو بريطانيا . ولكن الجواب بقي سراً خفياً . هكذا استمرت محنة النار حتّى ربيع ١٩٤١ بالنسبة للجزيرة البريطانية . ومنذ تلك الفترة اصبحت الغارات الجوية اشبه بالاختلاجات المتباعدة ، ولا سيما بعد ان تحولت القوات الالمانية نحو الاتحاد السوفياتي .

والملاحظ ان غزو الاتحاد السوفياتي قد وضعت له خطة خاصة واطلق عليها اسم (عمليات باربروس) . وحددت ساعة الصفر في شهر أيار من عام ١٩٤١ . ومن هنا لم يفهم احد سبب الاستمرار في الغارة على بريطانيا والإعداد لغزوها من البحر . لعل الشيء الوحيد الـذي يفسر موقف هتلر وعناده في الاستعداد لضرب بريطانيا وغزوهـا هو اعتقـاده بأنها لن تصمد طويلاً بعد استسلام فرنسا وهزيمة جيوشها في دانكرك .

ويقدر بعضهم ان هتلر قد وثق ثقة تامـة بأفكار غورنغ المغرورة التي كانت تؤكد بأن في وسع طائرات اللفتواف الالمانية ارغام بريطانيا على الركوع . وليس غريباً أن يقدر الألمان مثل هذه النهاية لبريطانيا فيما إذا وفق الريخ إلى تحطيم الحليف الاخير المحتمل للجزيرة البريطانية الذي هو الاتحاد السوفياتي . وإذا كان هتلر قد قرر الحملة على هذا الاخير

فلأنه لم يكن يريد ان يشعر بحاجته إلى ستالين للحصول على الحبوب والبترول والمعادن التي كان يزوده بها الاتحاد السوفياتي .

ومهما يكن الامر ، فإن معركة هتلر في سهول روسيا هي التي انقذت بريطانيا . وسيتبين لنا ان هذه المغامرة الاخيرة هي التي حملت الخراب والدمار إلى ريخ الالف عام الذي كان يحلم به هتلر .

السيادة على البحر الابيض المتوسط

بعد سقوط فرنسا السريع أمام صفوف الجيش الالماني غادر الجنرال ديغول أرض بلاده إلى الجزيرة البريطانية ليتابع فيها كفاحه من أجل العودة ، وقد جمع حولـه الفرنسيين الأحرار وأقام حكومة مؤقتة في لندن . وقد أعلن كل من الكمرون وافريقيا الاستوائية الفرنسية وقوفها إلى جانبه . لكن افريقيا الشمالية ومستعمرات الشرق الأوسط والأسطول البحري بقيت كلها موالية لحكومة فيشي . وقد قرر الانكليز خوفاً من ان يسيطر الالمان على الاسطول الفرنسي رغم تأكيداتهم المشددة للأميرال دارلان على عدم المس به ، قرر الإنكليز ان يفعلوا شيئاً يحـول دون حدوث هذا الاحتمال .

وطبيعي ان محاصرة اوروبا الهتلرية من البحر تبقى شيئاً نظرياً ما دام أن الاسطول الفرنسي لا يتعاون مع البريطانيين يضـاف إلى ذلك أن المواصلات البريطانية في البحر الابيض المتوسط كانت مهددة بالخطر . وقد زاد الطين بلة حين دخلت ايطاليا الحرب بقواتها الجوية والبرية والبحرية. فاذا قدر للأسطول الفرنسي ان ينضم إلى الاسطولين الإيطـالي والالماني فان المحور سيتفوق حتماً على بريطانيا في الميدان البحري وستكون الطريق



الجنرال ديغول يلجأ الى انكلترا متابعاً النضال باسم فرنسا الحرة

مفتوحة لغزوهـا او على الاقل سيكون خنق مواصلاتها البحرية امراً لا بد منه .

يضاف إلى هذا كله الضغط الكبير الذي يستطيع ان يقوم به الاسطول البحري الياباني في الشرق الاقصى ، لا سيما وان اليابانيين كانوا يطمعون في الهند الصينية ويقومون بتحركات عنـد شواطىء سنغفورة . هكذا قررت بريطانيا اغتيال حليفها القديم . وكان من حسن الحظ ان جانباً مـن الاسطول الفرنسي موجود في مرافىء انكليزية ، في بلايموث

وبورتسماوت وكذلك في مصر . وفي ٣ تموز ١٩٤٠ استولى الانكليز عن طريق المفاجأة على سفن كانت موجودة في بريطانيا ثم تم الاتفاق على تجريد السرب البحري الفرنسي الموجود في مصر .

ولكن اهم الوحدات كانت راسية في موانيء شمال افريقيـــة ، في وهران ، والجزائر ، والدار البيضـــاء . ووحدات اخرى في دكار ، ومدغشقر ، والمارتينيك .

وقد ارسل سرب بحري بريطاني بقيادة الاميرال سومرفيل من جبل طارق إلى المرسى الكبير (ووهران)،وكانت مهمته وضع القائد الفرنسي الاميرال جانسول ، أمام أحد أمرين لا ثـالث لهما : الانضمام الى مرفأ بريطاني أو الانتقال إلى المارتينيك حيث تجرد سفنه من اسلحتها . وبما ان مهلة الانذار هي ست ساعات ، فقد أعلن سومرفيل أنه سيجد نفسه مرغماً على استعمال القوة لمنع هذه السفن من الوقوع في ايدي الاعداء فيما إذا مرت المهلة المعطاة دون جواب .

ورفض جانسول انذار سومرفيل فحمل هذا الاخير عليه وهو يعرب عن أسفه ، وقد اغرقت اكثرية السفن الفرنسية أو تركت في حالة عجز شديد وقتل قرابة ١٠٠٠ بحار . وقد استطاعت المدمرة (ستراسبورغ) وسفن اخرى من السرب أن تقتحم الحصار وتعود ادراجها إلى قاعدة طولون . وبعد ذلك بخمسة أيام،أي في ٨ تموز،أغارت طائرات البحرية البريطانية على الدارعة الفرنسية ريشيليو الراسية في دكار فأحدثت فيهـــا اضراراً شديدة . أما الدارعة جـــان بار فقد جمدت في الـــدار البيضاء وهي التي لم ينته بناؤها بعد .

وفي اليوم التالي قطعت حكومة فيشي علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا.

وبقي اسطول فرنسي كبير منذ ذلك اليوم في قاعدة طولون وهـــو يشكل خطراً دائماً في المتوسط . والواقع أن الالمان لن يكون في وسعهم استخدام هذه السفن شأن الانكليز بالطبع قبل عمليات النزول في افريقيا

الشمالية كما انهم لن يستعملوا السفن الراسية في الاسكندرية او المتروكة تحت رقابة القوات الأميركية في المارتنيك . ان مناورة سومرفيل التي جرت في المرسى الكبير قد شطبت فرنسا كعنصر قوة في المتوسط . وهكذا استطاع الانكليز ان يتوجهوا ضد الأسطول الإيطالي .

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٤٠ فاجأ الأميرال كنينغهام قائد الأسطول البريطـــاني في المتوسط الشرقي ، الأسطول الإيطالي وهو في قاعدته (تارانت) . فاستطاع ان يخرج نصف السفن الإيطالية من المعركة مقابل خسارة طائرتين فقط . وبعد ذلك بخمسة اشهر ، وبينما كان يقوم بتغطيـــة قافلة متجهة نحو اليونان ، انقض كنينغهام مرة اخرى على الأسطول الإيطالي الذي كان في مياه رأس ماتابان في البحر الأيوني . فأغرق ثلاث سفن جوالة وطرادين وأحدث اضراراً في سفن اخرى . واستطاع الايطاليون ان ينجوا بأنفسهم ويلجأوا الى قواعدهم . وهكذا اصبحت كفة الإنكليز بعد هذه المعركة اثقل من الكفة الإيطالية بصورة نهائية .

سيادة في الاطلانطيك

اراد هتلر قبـــل النزول في الأرض البريطانية ان يحاصر الجزيرة . وطبيعي ان بريطانيـــا ستعتمد في مواردها بعد عزلتها عن اوروبا على امبراطوريتها من ناحية والولايات المتحدة من ناحية اخرى . كان هتلر مصمماً على قطع الشريان الحيوي الهام الذي يتمثل في الاطلانطيكي ابتداء من كندا والولايات المتحدة . هكذا ستكون معركة الأطلانطيكي سلسلة من الغارات تشنها الغواصات الألمانية على القوافل في عرض البحر كما

ستكون عمليات واسعة لزرع الألغام وهجمات جوية فوق مياه الشواطىء البريطانية .

اما بالنسبة لهتلر فان سقوط فرنسا قـد ازال كثيراً من العقبات . فالمطارات الفرنسية قائمة على بعد دقائق من المرافىء الانكليزية والمواقع الحساسة . يضاف الى ذلك ان قواعد الغواصات الفرنسية تزيد من مجال الغواصات الألمانية وتتيح لها امكانية المناورة وصيد سفن الحلفاء على نطاق أوسع بحيث انها تستطيع الوصول الى الاطلانطيك الأوسط اي بعيداً عن المطاردات الانكليزية . وكذلك زارعات الألغام البحرية فانهـا بانطلاقها من الموانىء الفرنسية تستطيع ان تملأ بألغامها مياه بحر المانش . يضاف الى ذلك كله ان السفن الألمانية الماخرة فوق الماء تستطيع الانقضاض على قوافل الحلفاء التي تشكل الجسر التجاري في الاطلانطيك الشمالي .

والواقع ان خسائر الحلفاء تضاعفت بعد ان تزايد نشاط الغواصات الالمانية . وقد بلغت هذه الخسائر في السفن التجارية خلال شهر آذار عام ١٩٤١ ما زنة حمولتها نصف مليون طن فأصبح مجموع الخسائر منذ بداية الحرب ٧ ملايين من الاطنان . كان الالمان يغرقون ثلاث سفن مقابل كل سفينة تخرج من الورشات البحرية البريطانية او الاميركية . هكذا اصبح الوضع شديد الخطورة . ووجد الحلفاء انفسهم امام امرين لا ثالث لها : اما زيادة عدد البواخر المبنية واما وضع حد لغـارات الغواصات المعادية . والافضل هو تحقيق الامرين معاً .

وقد تبنى الانكليز لمواجهة الغواصات الالمانية الطريقة المتبعة في الحرب العالمية الاولى اي طريقة القوافل . وقد اثبتت هذه الطريقة فعاليتها في التقليل نسبياً من الخسائر . واستعـانوا لحماية هذه القوافل بسفن حربية مرافقة ، او طائرات مواكبة وكان بين هذه السفن دوارع وطرادات وقوارب مسلحة ثم طائرات تنطلق من حاملات طائرات صغيرة او من قواعـد قائمة فوق الارض اليابسة في جزر غرينلاند او ايسلندا او ايرلندا الشمالية

واخيراً في الشواطىء الغربية للجزيرة البريطانية . هكذا تتعاون القوات البحرية والجوية على حماية القوافل التجارية عبر المحيط الاطلانطيكي .

هذه الطريقة كانت تعتمد في الاساس على الطرادات وطـائرات الاستكشاف . والبريطانيون لم يكونوا يملكون منهـا غير القليل جداً . وكانت قيادة الشواطىء مرغمة على التنازل عن قسم كبير من طائراتها للقيادة المقاتلة خلال معركة انكلترا كما ان الكثير من الطرادات قد غرق في النرويج ودنكرك او خلال الدوريات العادية او الطرق البحرية .

هذه الحرب في الاطلانطيك هي التي استدرجت الولايات المتحدة في الحقيقة ودفعتها الى خوض المعركة ضد الالمان .

في أيار من عام ١٩٤٠ طلب تشرشل من الرئيس روزفلت ان يتنازل لبلاده عن ٥٠ الى ٦٠ طراداً اميركياً من الطراز القديم وعن اكبر عدد ممكن من طائرات الاستكشاف لتجنب الخطر الذي بدأت ترتسم معـالمه بعد ان انضمت مئة غواصة ايطالية الى الاسطول الألماني .

وقد كانت حجـة تشرشل الرئيسية ان الاسطول البريطاني هو خط الدفاع الاول عن الولايات المتحدة ، فاذا فقدت بريطانيـا السيطرة على المحيط فان مصالح الولايات المتحدة تصبح عرضة لاخطار جدية . وبعد مفاوضات طويلة وافق روزفلت في شهر ايلول من عام ١٩٤٠ على تزويد البريطانيين بخمسين طرادة متقاعـدة مقابل تأجير القواعد البريطانية في « الارض الجديدة » في جزر الانتيل وغينيا البريطانية لمدة ٩٩ سنة . هذا الاتفاق اعتبر ساري المفعول دون ان يمر بالكونغرس .

نهاية « بسمارك » :

وبينما كانت الغواصات الالمانية تنقض على القوافل التجارية في المياه

الانكليزية بالذات كانت الدوارع الالمانية تحدث بدورها في عرض المحيط خسائر كبيرة في هذه القوافل بالذات .

وفي ايار ١٩٤١ غادرت فخر الدوارع الالمانية بسمارك – حمولة ٤٥ الف طن – مرفأ نرويجياً قرب برجن لغرض اغراق القوافل الانكليزية في الاطلانطيك الشمالي . وكانت ترافقهـا السفينة الجوالة « برنس اوجن » يحميها سور من الطرادات . وشاهدت طائرات استكشاف انكليزية هذا الاسطول فاطلقت الاميرالية وراءها الدارعة « برنس اوف ويلز » والسفينة الجوالة المقاتلة « هود » . وكان اللقـاء بين الطرفين قرب شواطىء غرينلاند صباح الرابع والعشرين من ايار . كانت بسمارك تتمتع بتفوق في السرعة وفي التدريع وفي قوة نيرانها « بمدافعهـا ٣٨٠ » بالنسبة للسفن الانكليزية . ولم تمض دقائق حتى اصيبت السفينة « هود » ثم انفجرت . ثم لم ينج منها احد تقريباً . اما « برنس اوف ويلز » فقد احدثت اضراراً في « بسمارك » ولكنها اصيبت هي ايضاً اصابات شديدة واضطرت للانسحاب من المعركة . وحاولت بسمارك ان تبحر باتجـاه « برست » بعد ان اصبحت دفتها في حالة سيئة وفقدت كمية من المازوت . ولكن الاميرالية البريطانية لم تلبث حتى انذرت كل سفنها الحربية التي كانت تمخر المناطق المجاورة حتى جبل طارق . وبدأت المطاردة . الاوامر كانت صريحة : ابحثوا عن « بسمارك » واغرقوها .

وبعد مطاردة امتدت الفي ميل تم اللقاء بين بسمارك وسرب انكليزي على بعد ٤٠٠ ميل من برست . ووجدت بسمارك نفسها وحيدة امام هذا السرب بعد ان انفصلت عنها « برنس اوجن » وبقية الطرادات المرافقة .

وبدأت معركة غير متكافئة بين الطرفين . فهاجمتها الدارعة « الملك جورج الخامس » والدارعة « رودني » وانقضت عليها قاذفات القنابل بطوربيداتها منطلقة من حاملتي الطائرات « ارك روايال » و « فكتورياس »

كما هاجمتها سفن جوالة وطرادات . ولكنها بقيت صامدة بالقدر الذي صمدت فيه مدافعها . وفي صباح ٢٧ أيار اغرقها طوربيد من الدارعة « دورتشاير » ؛ فتنفس الانكليز الصعداء .

هكذا كانت نهاية الدارعة الألمانية . وبغرقها اصيبت القوات البحرية الألمانية بهزيمة شديدة وشعرت القوات البحرية الانكليزية بالنجاح العظيم .

الحرب في افريقيا

كانت اطماع موسوليني بعيدة الأغراض . لقد كان دكتاتور ايطاليا يفكر ويخطط لتحويل البحر الأبيض المتوسط الى بحيرة ايطالية . وقد كانت الحرب العالمية الثانية التي فجرها هتلر فرصة ذهبية في تقديره لتنفيذ خطته . والمعروف ان موسوليني قد وضع حجر الأساس للأمبراطورية الجديدة التي يحلم بها حينما ضم الحبشة الى جملة ممتلكات بلاده في عام ١٩٣٥ ، ثم دعم هذه الأمبراطورية بضم بلدان من افريقيـــا الشرقية الأريتريا والصومال الايطالي . وقد زاد في تفاؤله بنجاح الخطة سقوط فرنسا وزوال الخطر منه من جهة تونس التابعة لحكومة فيشي العزلاء بالاضافة الى زوال كل خطر عنه من شواطىء المتوسط الغربـي .

بقي لتحقيق هذا الحلم ان يحطم الأسطول البريطاني في هذا البحر وان ينطلق عبر البانيا حتى اليونان بحيث يستطيع ان يسيطر على كل القسم الشمالي من حوض المتوسط ثم يغزو مصر ليجمع بين يديه وتحت سلطانه شاطىء المتوسط الجنوبـي وقناة السويس . هكذا تنفتح امامه الطريق نحو الموصل وبترول الشرق الأوسط .

في شهر آب من عام ١٩٤٠ توجه الجيش الايطالي الأول بقيادة نائب الملك في الحبشة الدوق اودست الى الشمال باتجاه مصر ، على امتداد النيل الأزرق مهدداً الخرطوم في السودان الانكليزي ــ المصري . وفي الوقت نفسه كان الايطاليون يغزون الصومال البريطاني ، والصومال الفرنسي ثم يقفزون جنوباً الى كينيا الانكليزية خلال اسبوعين .



حملة رومـل عام ١٩٤١

اما الجيش الثامن بقيادة الماريشال غرازياني فقد انطلق من ليبيا باتجاه الشرق . وفي ١٣ ايلول اجتازت دباباته وفرقه المدرعة الحدود المصرية . هذه المعركه ، كان موسوليني قد استعد لها منذ زمن طويل ببناء طريق بين طرابلس الغرب والحدود المصرية طولها ١٦٠٠ كلم وبتحويل الموانىء الموجودة على امتداد هـذا الطريق — بنغازي ، درنا ، طبرق ، برديا والسلوم — الى قواعد صالحة لتموين جيوشه . وكان الايطالبون متفوقين تفوقاً ساحقاً في السيارات المدرعة والمدافع والأسلحة المضادة للدبابات والطائرات ولا سيا في عدد الجند : ٣٠٠ ألف جندي مقابل ٧٠ ألف انكليزي او من سكان الأمبراطورية .

ولكن الايطاليين لم يلبثوا ان توقفوا عند سيدي براني لمدة ثلاثة أشهر بعد ان انزلت بهم الفرق الانكليزية الخفيفة ضربات ساحقة بينما كانت تقوم هذه الأخيرة بتغطية تراجع القسم الأكبر من الجيش الانكليزي الى مرسى مطروح . وقد كان على موسوليني ان يهدد غرازياني بالاقالة لبرغمه على متابعة الغزو .



دبابة وقتلى في معركة الصحراء

وفي هذه الأثناء لم يبق الانكليز مكتوفي الأيدي . كان تشرشل قد ارسل نصف دباباته الى افريقيا ودعم جنـــود المارشال ويفل بعناصر امبراطورية من اوستراليا والهند وزيلاندا الجديدة ، انضمت اليها بعد ذلك قوات من افريقيا الجنوبية وكتائب بولونية . وقد فعل هذا كله رغم استمرار خطر الغزو الألماني على بلاده . وفي ٦ كانون الأول اطلق ويفل في هجوم مفاجىء فرقه المدرعة الجديدة ضد الايطاليين . والملاحظ ان



السلاح الابيض في حرب الصحراء



جنديان ألمانيان يتقيان عواصف الرمل في صحراء برقة

الحرب هناك كانت من طراز مختلف عن تلك التي قام بها الانكليز في فرنسا والفلاندر .

ولكي ندرك الفرق بين الحربين نورد فيما يلي وصفاً واقعياً لحرب افريقيا في تلك الفترة كتبه المراسل الحربي « آلان مورهد » قال :

كنت بدأت ادرك شيئاً فشيئاً ان الحرب في الصحراء اشبه ما تكون بالحرب في البحر . الرجال يتحركون مستعينين بالبوصلة ، ولم تكن هناك حامية ثابتة ، لولا عدد قليل من الحصون المتفرقة المتباعدة . كل سيارة شحن وكل دبابة كانت مستقلة استقلال الطراد في ماء البحر ، وعلى كل سرب من الدبابات او المدافع ان يقوم بتحركات واسعة جداً عبر الصحراء ، تماماً كما يتحرك سرب من السفن قبل ان يختفي وراء الأفق . احتلال الصحراء متعذر تعذر احتلال البحر . فقد يحتل موقع معين ليوم او لأسبوع ، وتنتشر الدوريات بسيارات ذات سلاسل مجهزة ببنادق رشاشة « برن » ومع سيارات مسلحة خفيفة . فاذا تم التلاقي مع العدو تناور قواتنا بحيث تختار المكان المناسب للانقضاض عليه ، كما يناور اسطولان بحريان للدخول في المعركة . لم تكن هناك متاريس ، ولا جبهة ثابتة . لقد كان في وسعنا ان نقوم بدورية على امتداد ٣٠٠ كلم وان نعتبر المنطقة منطقة لنا . وكان في وسع الايطاليين ان يفعلوا مثل ذلك عبر الصحراء المصرية دون ان يراهم احد . والواقع ان هذه الدوريات لم تكن تعني شيئاً كثيراً . لقد كان غرضها جمع المعلومات عن طريق المراقبة الشخصية او بأسر بعض من جنود العدو . وكانت تتميز بانها تضع العدو في حالة قلق مستمر . المهم بالنسبة لقوات الصحراء هو الحركة : اذ لم يكن عليها ان تغزو مواقع او مساحات معينة من الارض بل ان تقاتل العدو . لقد كنا نطارد رجالاً لا بلاداً . تماماً كما تفعل السفينة البحرية التي تطارد سفينة اخرى دون ان تعير مكانها من البحر اي اهتمام .

وانطلقت جيوش ويفل تساندها وحدات من الطيران والبحرية الانكليزية تخرج الايطاليين من مصر : عبر الشاطىء الليبي الخصيب . وفي شهر

شباط استولت على السلوم ، بارديا ، طبرق : درنا ، بنغازي ثم لم تتوقف الا عند العجيلة ، اي عند الحدود الطرابلسية .

لقد كان ما جرى انتصاراً عظيماً للجيش الانكليزي الأمبراطوري وهزيمة نكراء للماريشال غرازياني . وقد اوقع الانكليز بالقوات الايطالية خسائر في الرجال تبلغ ١٥٠ الفاً بين قتيل وجريح وأسير . كما استولوا على كميات كبيرة جداً من المعدات والتجهيزات العسكرية ، او ابادوها . يضاف الى ذلك انهم قد اسقطوا او اغرقوا او اسروا ثلثي الطائرات والسفن الايطالية .

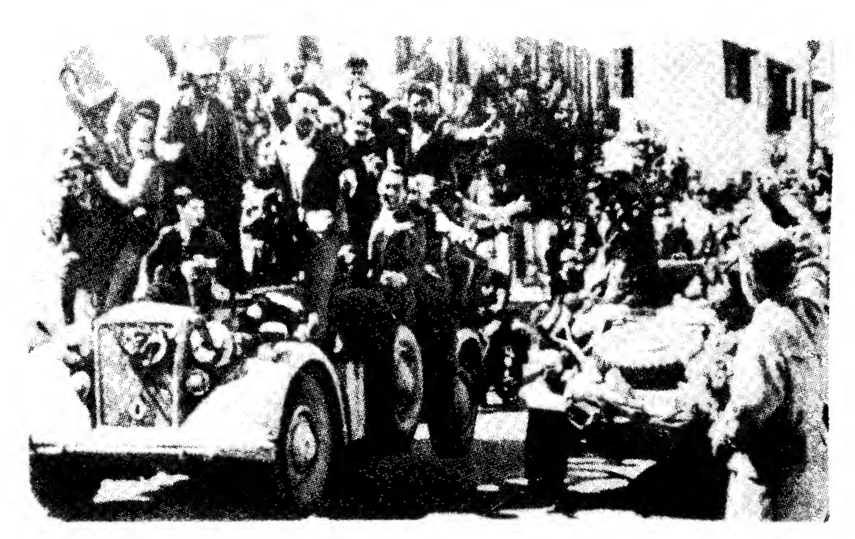
١٩ جنرالاً فاشستيين وقعوا في الأسر . اما الانكليز فلم يخسروا كما تقول رواية الحلفاء اكثر من الفي رجل . وكان الفارق كبير بين الخسارتين بحيث ان المراسل الحربي للحلفاء ، الآن مورهد لم يصدق اذنيه . وقد سجل بعض ما شاهده في الفقرات التالية . قال :

« امام بوك – بوك وقعت انظارنا فجأة على مشهد لا نكاد نصدقه ، ليس فيه شيء من الواقعية فنصدق عيوننا . فرقة كاملة من العدو تتوجه نحو الأسر . وكان غبار كثيف ينعكس عليه نور الشمس الغاربة فيعطيه لوناً وردياً ، يرتفع من تحت الخطوات الثقيلة للأسرى الذين كانوا يسيرون اربعة اربعة في صف طويل جداً . لقد مرت المئات في البداية ثم اصبحت المئات الوفا حتى امتدت الأفعى البشرية امتداداً ضاعت معه ابعادها في الأفاق ، ولم يكن هناك من يجد الوقت الكافي لعد هؤلاء الرجال : كانوا ستة آلاف ، وربما كانوا سبعة آلاف. كلهم يلبسون زياً اخضر اللون مغطى بالغبار ويحملون على رؤوسهم قبعات من القماش . اما الذين كانوا يحرسونهم فبضعة من الجنود الانكليز لا تزيد نسبتهم على واحد من ٥ لحماية اسير . وكان هؤلاء الحراس يسيرون على امتداد صفين بينهما تسير سيارة او سيارتان من ذوات السلاسل مجهزة كل منها ببندقية رشاشة طراز «برن» . وكلمني الايطاليون بحرية تامة حينما كنت اوجه سؤالاً معيناً اليهم ، ولكنهم كانوا في حالة يأس حتى اللامبالاة بالاضافة الى علامات الارهاق البادية

على اجسامهم . المشهد لم يكن فيه اي مظهر من مظاهر النصر ـ لقد كان مجرد مأساة من الجوع والهزيمة ..

ولم يكتف ويفل بما فعله في ليبيا حتى طرابلس الغرب بل افتتح عام ١٩٤١ بهجوم واسع في افريقيا الشرقية . صفان انكليزيان يدخلان الى الأريترة من الشرق ، ثم تابعا سيرهما الى الحبشة على امتداد النيل الأزرق . وكان هناك صفان انكليزيان آخران قد انطلقا من كينيا متوجهين نحو الشرق في الصومال الايطالي ونحو الشمال في الحبشة ايضاً . واخيراً اجتاز صف خامس خليج عدن وطهر الصومال البريطاني من الحاميات الايطالية .

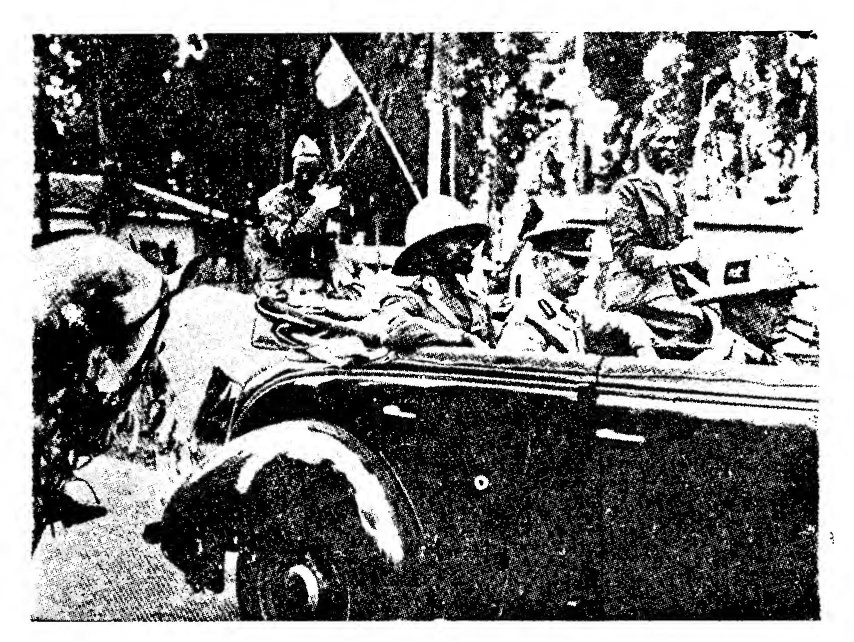
وقد تحقق هذا كله بثلاثين الف جندي بريطاني وبمقاتلين من الأحباش . كل هؤلاء استطاعوا ان يتغلبوا على ٢٠٠ الف مقاتل في جيش الدوق اودست . وتم الاستيلاء على الأريترة والصومال الفرنسي والانكليزي والايطالي خلال اربعة اشهر . وفي الوقت نفسه احتلوا بمعاونة جيش الكونغو البلجيكي القسم الأكبر من الحبشة التي تحررت عاصمتها ، اديس ابابا ،



الالمان يدخلون بنغازي

في ٥ نيسان . وبعـــد ذلك بشهر واحد عاد الأمبراطور هيلا سيلاسي الى عرشه . وفي ١٧ ايار استسلم من بقي من الجنود الايطاليين مع قائدهم الدوق اودست .

اكثر الجنود والضباط من جيوش المئتي ألف مقاتل قتلوا او وقعوا في الأسر . وبذلك تحرر خليج عدن والبحر الأحمر وهما الطريقان الى



الامبراطور هيلاسيلاسي يعود الى بلاده

المتوسط عبر قناة السويس ، وتبخرت بهذا التحرر امبراطورية موسوليني في افريقيا الشرقية .

الولايات المتحدة
مصنع الديمقراطيات المتحالفة

الملاحظ ان الرأي العام الأميركي قد بقي منقسماً على نفسه لفترة

طويلة بين منادين بالانعزال وبين دعاة الى التدخل في الحرب . اما الأولون فقد كانوا يرفضون ان تدس الولايات المتحدة أنفها في حروب تجري في الخارج ، او ان تتحمل مسؤولية محالفات اجنبية . وأما الآخرون فقد كانوا مجمعين على ان مصالح عديدة توحد بين الولايات المتحدة وبين الأمم التي كانت تقاتل الجيوش النازية والفاشستية . وكانوا يعتبرون ان الديمقراطية التي هي نظام بلادهم مهددة بالخطر بسبب الحروب التي تشنها بلدان المحور .

الانعزاليون كانوا مجموعة متنافرة من الهيئات والأفراد وكانوا ينادون بالعزلة لأسباب مختلفة متعددة . وكان بينهم انصار للفاشست من مثل اعضاء العصبة الجرمانية الأميركية التي يتزعمها فريتز كوهن ، ومن مثل اصحاب القمصان الفضية الذين يتزعمهم وليام دادلي بللي ، ثم انصار الجبهة المسيحية وانصار جمعية كو–كلوكس–كلان ، يضاف اليهم عملاء اجانب يعملون لمصلحة النازيين والفاشيست . وكان بين هؤلاء الناس شيوعيون ، امناء على خطة الحزب ممن كانوا ، حتى حزيران ١٩٤١ ، الشهر الذي انقض فيه هتلر على الوطن السوفياتي الأم ، يقولون : هذه الحرب هي حرب الأمبرياليين والبورجوازيين ممن لا مصلحة لنا في تأييد اي فريق منهم .

يضاف الى هؤلاء جميعاً انصار السلام ودعاة التهدئة كالاشتراكي نورمان توماس الذين كانوا يعملون ضد الحرب حباً في السلام لا لشيء آخر ، ثم الايرلنديون الذين يكرهون بريطانيا بحكم تقاليدهم التاريخية . وأخيراً كان هناك المان وايطاليون متأمركون يعطفون بحكم اصولهم على المحور او يعجبون بالدوتشي او بهتلر . ومن وراء هؤلاء يعارض فريق من الأمريكيين كل ما كان يقترحه روزفلت لأنهم من اعداء « النظام الجديد » New deal . واخرون كانوا من انصار هذا النظام الجديد ولكنهم لا يريدون ان ينفق الوقت والطاقة والمال عند الاميركيين لأي غرض آخر غير الاصلاحات الاجتماعية في البلاد .

بين زعماء الانعزال كان الشيخان هويلر ووناي ، ثم الكولونيل ماك

كورميك ووليم هيرست ، وهما من اكبر اصحاب الصحف الاميركية ثم بطل الطيران تشارلز لندبرغ .

كثيرون من هؤلاء المجموعات والافراد تحالفوا مع لجنة « اميركا اولاً » التي انشئت في ايلول من عام ١٩٤٠ .

وفي اثناء الصيف الخطير الحرج لعام ١٩٤٠ ، وبينما كانت انكلترا وحدها امام اللفتواف من ناحية واحتمال غزو نازي من ناحية أخرى ، بدأ الرأي العام الاميركي يطالب المسؤولين بتقديم مساعدات اكثر فعالية للجزيرة البريطانية . وبدأت الولايات المتحدة تدرك انها انما تساعد نفسها حين تساعد بريطانيا على مقاومة الهجوم النازي . وبما ان الانكليز قد تركوا في دانكرك القسم الاكبر من تجهيزاتهم العسكرية فقد ارسلت الولايات المتحدة اليهم ٦٠٠ الف بندقية و٩٠٠ مدفع ميدان وكميات كبيرة من الذخائر التي كانت تزيد عن حاجة جيوشها الوطنية .

وفي نهاية الصيف اقترع مجلس الكونغرس على تخصيص عدة مليارات من الدولارات لبناء اسطول بحري كبير وطيران قوي وجيش جبار ، في الوقت نفسه الذي وضعت فيه خطة مشتركة مع كندا وهي دومنيون بريطاني وكانت في حالة حرب ضد المحور . وفي ايلول كان روزفلت قد تنازل عن ٥٠ طراداً قديماً للأسطول الانكليزي الذي فقد نصف طراداته . وعندما تم الاتفاق الثلاثي بين المانيا وايطاليا واليابان في الشهر نفسه زاد ذلك من مخاوف الاميركيين وضاعف من تصميمهم على الوقوف الى جانب الانكليز . يضاف الى هذا كله ان شهر ايلول قد شاهد اجماع الكونغرس الاميركي تقريباً على تبني خدمة العلم . ففرض التدريب الاجباري لسنة كاملة على كل الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين ٢١ و٣٦ . هذا القانون الجديد سمح للولايات المتحدة بأن تملك جيشاً عدته ١,٢٠٠,٠٠٠ جندي واحتياطياً عدته ٨٠٠,٠٠٠ رجل .

وفي انتخابات الرئاسة التي جرت في تشرين الثاني من عام ١٩٤٠

اعيد انتخاب روزفلت رئيساً للبلاد للمرة الثالثة مما لم يسبق حدوثه ابداً في تاريـخ الولايات المتحدة . وطبيعي ان روزفلت الديمقراطي كان كخصمه وندل ويلكي الجمهوري قد وضع في صميم برنامج سياسته الاجنبية فقرات تنص على تقديم مساعدات كاملة لبريطانيا .

وقد حاول الرئيس الاميركي روزفلت في مقابلة اذاعية جرت في ٢٩ كانون الاول خلال (محادثة عند زاوية الموقد) ان يحدد موقف الامة الاميركية قال :

اذا سقطت بريطانيا العظمى فان قوات المحور ستشرف اشرافاً تاماً على القارات الاوروبية ، الآسيوية ، الافريقية والاسترالية كما انهـا ستسيطر على كل البحار . وسيكون في وسع هذه القوات ان توجه ضد نصف كرتنا الارضية قوات بحرية وعسكرية هائلة . ونحن الاميركيين لا نبالغ اذا قلنا بأننا نعيش اليوم امام فوهة مدفع ، مدفع محشو بمتفجرات رهيبة من وجهة النظر الاقتصادية والعسكرية ... ان علينا ان نصنع المزيد من الاسلحة والمراكب بكل ما نملك من الطـاقة معتمدين على كل ما نملك من الارصدة والامكانيات المنتجة ... ان علينـا ان نكون مصنع الديمقراطيات الكبير .

ان شعوب اوروبا المشتغلة بالدفاع عن نفسها لا تطالبنا بالقتال مكانها . انها تسألنا فقط ان نرسل اليها تجهيزات عسكرية . انها تريد طائرات ودبابات ومدافع لتحافظ في الوقت نفسه على حرياتها وعلى امننا الوطني . انني اصر على ارسال الاسلحة الى هذه الشعوب بكميات كافية وبأسرع ما يمكن لكي نتجنب نحن واطفالنا قلق الحرب وآلامها تلك التي يصطلي بنارها الآخرون .

كان هناك عدد من العقبات يجب ان يتغلب عليها الاميركيون لتزويد الجزيرة البريطانية بالطائرات والدبابات والسفن والمدافع . صحيـح ان الكونغرس الاميركي قد اقترع على قانون الحياد في عام ١٩٣٥ خلال

حرب الحبشة لكي يحول دون توسع النزاع رافضاً تقديم الاسلحة والذخائر إلى المتقاتلين . وصحيح ايضاً ان هذا القانون كان بمثابة الكابوس بالنسبة للاحباش والحكومة الاسبانية وهم يقاومون العدوان الفاشيستي . أما في الشرق الاقصى فان هذا القانون لم يمنع اليابانيين من ان يتزودوا بكل الاسلحة والمواد الأولية التي كانوا يحتاجون اليها لغزو الصين .

ولم تمض ايام قليلة على بداية الحرب العالمية الثانية حتى بادر روزفلت في شهر أيلول من عام ١٩٣٩ إلى المطالبة باعادة النظر في قانون الحياد الذي كان يمنع الاميركيين من تزويد فرنسا وانكلترا بالاسلحة ؛ والمطالبة ايضاً باعــلان حالة الحصار المحدود في الولايات المتحدة . وبعد ذلك بشهرين وضع مجلس الكونغرس نظاماً آخر مكان ذلك القانون يكون بمقتضاه من حق الفريق الاجنبي ان يدفع وينقل ما يشتريه . وبذلك سمح هذا النظــام للمقاتلين بشراء اسلحة من الولايات المتحدة شرط ان يدفعوا نقداً وأن يتولوا هم أنفسهم نقل ما يشترون . وبما ان الانكليز في ذلك الوقت لم تكن تنقصهم السفن والجنيهات الاسترلينية فقد لعب هذا التعديل في الحقيقة دوراً لمصلحة الحلفاء .

وفي المحادثة التي أجراها الرئيس روزفلت في ٢٩ كانون أول قــال للعالم حقيقة موقف الامة الاميركية . أما في ٦ كانون الثاني من عــام ١٩٤١ فإنه قد أعلن مبرر هذا الموقف الاميركي والسبب الذي اختارته من اجله قال :

في الايام القادمة – الايام التي نريدها اكثر أمناً واستقراراً – يجب ان يتوج العالم بأربع حريات اساسية :

الحرية الاولى هي حرية التعبير – في كل مكان من العالم .

الحرية الثانية هي حرية العبادة – في كل مكان من العالم .

أما الثالثة فهي الحرية الاقتصادية . وأنا افهم بالحرية الاقتصادية أن لكل دولة – في كل مكان من العالم – الحق في أن تكون لها الامكانيات

الكافية لتأمين الحاجات الحيوية لرعاياها . وأما الرابعة فهي التحرر من الخوف . وافهم بالتحرر من الخوف – في كل مكان من العالم – الخوف من اي عدوان خارجي بحيث يصبح هذا العدوان متعذراً بتخفيض الاسلحة تخفيضاً هاماً وعلى ان يتم هذا التخفيض على المستوى العالمي .

هذا الاعلان الصادر عن الرئيس الاميركي كان يفرض على الولايات المتحدة ان تلتزم به وقد التزمت به فعلاً بالنسبة لوضع بريطانيا التي كانت تقاوم العدوان النازي وحدها تقريباً .

ولكن المؤسف أن الولايات المتحدة لم تلتزم بهذا الاعلان بالنسبة لأبشع عدوان ظهر في تاريخ العالم بعد ذلك . نعني به العدوان الصهيوني المجرم على شعب عربي آمن في فلسطين المحتلة . لقد شرد هذا الشعب العربي عام ١٩٤٨ ، وأرغم مليون من ابنائه وبناته على الخروج من أرض الآباء والاجداد دون ان يتذكر الاميركيون إعلان رئيسهم الاسبق روزفلت . وهكذا يكون الاميركيون قد عملوا بمبدأ (صيف وشتاء على سطح واحد) فوزنوا بميزانين وقاسوا بمقياسين .

نعود مرة اخرى الى الموقف البريطاني من الهجوم النازي . لقد كانت أموال بريطانيا تذوب وتتبخر وكان اسطولها التجاري يفقد في تلك الايام العصيبة عدداً متزايداً من سفنه، ثم اصبح من المتعذر عليها ان تدفع وتنقل ما تشتريه بوسائلها الخاصة من الولايات المتحدة . وتوصل روزفلت إلى اضعاف موجة الانعزال التي كانت تجتاح الولايات المتحدة وأخذ يقنع الاميركيين شيئاً فشيئاً بضرورة تقديم المساعدة إلى الانكليز. وبعبارة اخرى بجعل الولايات المتحدة مصنعاً للديمقراطيات في العالم .

ثلاثة أشياء كانت ذات اهمية أولية : المال والارصدة ، الاسلحة والذخيرة ، السفن . وعندما بدأت الولايات المتحدة بتزويد بريطانيا بهذا كله انتقلت بسرعة من حالة الحياد إلى حالة عدم العدوان وبذلك اقتربت من حالة الحرب . في ١١ اذار ١٩٤١ أقر مجلس الكونغرس

قانون (الاعارة والتأجير) .

وفي مؤتمر صحفي عقد بعد ذلك حاول روزفلت ان يشرح معنى قانون (الاعارة والتأجير) فاستعمل صورة مألوفة قال :

لنفترض ان بيت جاري قد اخذت النار تلتهمه وانني أملك أنبوباً مائياً على بعد ١٠٠ أو ١٥٠ متراً من منزله . فاذا سمحت له بأخذ هذا الانبوب للاستفادة منه بأن يضعه على صمام الماء فقد اساعده على اطفاء النار . وفي هذه الحالة اتساءل ماذا يجب أن أصنع ؟ طبعاً لن اذهب اليه واقول له ايها الجار ان ثمن انبوبي هو ١٥ دولاراً فادفع لي إذاً هذا المبلغ . كلا أنا لا اريد هذه الدولارات الخمسة عشر . إن ما اريده هو ، ان تعود الي ملكية هذا الانبوب بعد ان تنطفىء النار .

هذا القانون الجديد كان يسمح لرئيس البلاد بإقراض أو تأجير المواد المطلوبة وبمنح التسهيلات اللازمة لكل امة يعتبر الدفاع عنها شيئاً أساسياً لأمن الولايات المتحدة وسلامتها .

وخصصت اعتمادات كبيرة لتنفيذ هذا القانون قيمتها سبعة مليارات دولار . وبمقتضى هذا القانون أخذت السفن والطائرات والمدافع والدبابات طريقها إلى بريطانيا دون أن يدفع ثمنها نقداً . وبقي على رزوفلت أن يساعد الانكليز على نقلها إلى بلادهم .

لا شك ان الوضع الجديد كان يسمح بتقديم مساعدات غير محدودة ولكنه مع ذلك لم يكن هو الحرب . وفي شهر آذار ، أي في الشهر الذي وضع فيه قانون الإعارة والتأجير وضعت الولايات المتحدة يدها على كل سفن المحور الراسية في موانيء امريكية . وفي شهر نيسان استعملت سفن حربية أميركية للقيام بدوريات أمن مهمتها مرافقة القوافل المتوجهة الى بريطانيا العظمى حتى بداية منطقة الحرب عينت حدودها بصورة تحكمية في وسط الطريق في المحيط الاطلنطي . هذا الإجراء خفف كثيراً من الاعباء عن كاهل الاسطول الانكليزي البحري الذي اصبح عليه

القيام بواجب المواكبة في النصف الغربي من المحيط وحسب . وفي ايار أعلن روزفلت حالة الحصار غير المحدود وقبلت الولايات المتحدة تدريب ٨٠٠٠ طيار انكليزي في كل عام . وفي حزيران جمدت ممتلكات المحور في الولايات المتحدة ثم ابعد منها القناصل والصحفيون والهيئات السياحية .

وفي تموز وآب حلت القوات الاميركية محل الجيوش الانكليزية الكندية في غرينلاند وايسلندا وتولت الدفاع عن هاتين المنطقتين .

ولكن البحرية الالمانية لم تلبث أن اعترضت طريق السفن الاميركية فأغرقت بطوربيداتها ثلاثة طرادات اميركية كانت في دورية من دوريات الامن . وفي ايلول اصدر روزفلت أمره لسفنه الحربية بالانقضاض على سفن المحور في داخل منطقة الدفاع الاميركية . وفي تشرين الثاني سمح الكونغرس الاميركي بتسليح السفن التجارية وبارسالها إلى مناطق المعركة. هكذا كانت الولايات المتحدة تقترب من الحرب يوماً بعد يوم وهي تفعل ذلك مدركة السبب العميق لتصرفها كما أشار الرئيس روزفلت نفسه في خطاب ألقاه في ٢٧ أيار :

لا أحد يعلم متى يقرر الطغاة مهاجمتنا في بلادنا. ولكن ما نعرفه يجعلنا مقتنعين بأن انتظارهم حتى يصلوا الى نوافذ بيوتنا هو عملية انتحار .

عندما يقترب عدوك في دبابة او في قاذفة قنابل ثم تروح تنتظره حتى ترى بياض عينيه لتطلق النار عليه فأنت لن تعرف ابداً بماذا ضربت . إن حصوننا يمكن ان تكون غداً على بعد كثير من آلاف الكيلومترات من مدينة بوسطن .

إن بيننا من المتزمتين من يطالب بالحفاظ على السلم بأي ثمن ممكن خوفاً من ان نفقد حرياتنا الى الابد. أقول لهؤلاء الناس : لم يحدث في تاريخ العالم ان امة فقدت امتيازاتها الديمقراطية في معركة مظفرة تخوضها من اجل الدفاع عن الإمتيازات . إننا يجب ان لا نجعل للخوف سبيلاً الى نفوسنا ، الخوف من خطر نستعد نحن اليوم لمقاومته . لقد اثبتت حريتنا

بأنها جديرة بالبقاء بعد الحرب ، ولكنها لا يمكن ابداً ان تبقى بعد الاستسلام .
إن الشيء الوحيد الذي يجب ان نخاف منه هو الخوف نفسه .

ميثاق الاطلنطي

وبعد ذلك بشهرين ، في ٩ آب ١٩٤١ على التحديد ، وبينما كان الالمان يجتاحون الاتحاد السوفياتي بقوات عسكرية هائلة ، وبعد ان انقضت ستة اسابيع على بداية هذا الاجتياح ، اخذ التعاون الانكليزي الاميركي يتزايد قوة بصورة ظاهرة خلال لقاء سري بين السيدين تشرشل وروزفلت في خليج بلاسانيتا الصغير من الارض الجديدة . وكانت الغاية من هذا اللقاء اعلان المبادىء الكبيرة لسياسة الديمقراطيات في العالم . ومن ناحية اخرى اقبل كل من الرئيس والوزير الأول ورؤساء أركان حربهما على دراسة المسائل الجوهرية التي كان عليهم ان يواجهوها آنذاك ، ولعل هذا ان يكون أعظم أهمية من اعلان مبادئها السياسية .

من هذه المسائل الجوهرية تموين بريطانيا العظمى ، معركة الاطلنطي ، مساعدة روسيا التي تتعرض للاجتياح والتهديد الياباني في الشرق الاقصى . وبالرغم من انهم حاولوا الامتناع عن التعهد بما وراء الحدود التي سمح بها الكونغرس الاميركي ، فقد تم الاتفاق على اعلان تصريح مشترك عرف باسم ميثاق الاطلنطي في ١٢ آب .

إن رئيس الولايات المتحدة في اميركا والوزير الأول السيد تشرشل ، ممثلاً حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة ، بعد لقائهما ، يقدران وجوب التعريف ببعض المبادىء المشتركة للسياسة الوطنية لبلديهما . وهي المبادىء التي يبنيان عليها آمالهما في مستقبل احسن للعالم كله .

١ — إن بلديهما لا يحاولان القيام بأية عملية توسعية او غيرها .

٢ — انهما غير راغبين في رؤية اي تغيير يجري في كيان اي بلد لا يكون متفقاً مع الارادة الحرة للشعوب ذات العلاقة .

٣— انهما يحترمان حق كل الشعوب في اختيـــار نظام الحكم الذي يلائمها ؛ ويتمنيان عودة السيادة والاستقلال لكل الشعوب التي حرمت منها بالقوة .

٤ — انهما سيبذلان كل جهودهما ، مع احترامها الفائق لالتزاماتهما القائمة ، لوضع التسهيلات الكافية امام كل الدول ، كبيرها وصغيرها، المنتصر فيها والمنهزم ، وعلى مستوى من المساواة في الحقوق ، بالنسبة للتجارة وحقوقها في المواد الاولية الضرورية لرفاهيتها الاقتصادية .

٥ — انهما يتمنيان اقامة اوثق تعاون اقتصادي بين كل الامم،لتوفير احسن شروط العمل من أجلها جميعاً ، وضمان وضع اقتصادي اكثر ملاءمة وتحقيق الضمان الاجتماعي .

٦ — انهما يأملان في اقامة سلام يزود الامم كلها بوسائل العيش في طمأنينة تامة ضمن حدودها السياسية ويوفر لسكان كل البلاد التوكيدات اللازمة لقضاء أيامهم كلها في نجوة من الخوف والحاجة ، بعد تحطيم الطغيان النازي .

٧ — على مثل هذا السلام ان يسمح لكل النـــاس باجتياز البحار والمحيطات دون اية عقبة .

٨ — انهما يعتقدان ان على كل امم العالم ، لاسباب مادية وروحية، ان تتوصل الى التخلي نهائياً عن استعمال القوة . علماً بأنه لا يمكن ان يكون هناك سلم دائم اذا بقيت الاسلحة أداة تستعمل على الارض ، وعلى البحر او في الجو من قبل أمم تهدد او تستطيع ان تهدد باللجوء الى عمليات عدوانية خارج حدودها . وهما مقتنعان ، بانتظار اقامة نظام اكثر اتساعاً واستمراراً لتحقيق الامن العام ، بأن تجريد مثل هذه الامم من

السلاح هو شرط اساسي . وانهما سيشجعان على اتخاذ كل الاجراءات التي تنتهي عملياً الى تخفيف الاثقال المرهقة لعمليات التسلح بالنسبة للشعوب المحبة للسلام .

وقد اشترك الاتحاد السوفياتي وتسع حكومات أخرى تقيم في المنافي في التوقيع على هذا الاعلان ، بعد ذلك بقليل . وقد كان هذا الاعلان، في تلك الساعات القاتمة عام ١٩٤١ بمثابة تشجيع لكل اولئك الذين كانوا يقاومون العدوان في العالم .

عاصفة في المتوسط

الحرب في بلاد البلقان :

في خريف ١٩٤٠ ، كان موسوليني يحلم دائماً بتحقيق انتصارات في مصر وفي الشرق الافريقي . ورغبة منه في البرهنة على استقلاله بالنسبة لزميله الالماني ، وسعياً منه في الوقت نفسه الى الحفاظ على مصالحه الخاصة في بلاد البلقان ، فقد انطلق عبر الحدود الالبانية بمئتي الف جندي من جنوده لغزو بلاد اليونان . وكان ذلك في ٢٨ تشرين اول . وبما ان اليونان كانت بلاداً ضعيفة محرومة من الناحية العملية من الطائرات والدبابات والسيارات المسلحة والمدافع ، فانها لم تستطع ان تقابل الفرق الايطالية السبع والعشرين إلا بسبع عشرة فرقة. وكان الدوتشي موسوليني على مثل اليقين بأن انتصاره على اليونان سيكشف الهجمات المظفرة لحليفه الالماني . واندفعت الصفوف العسكرية الايطالية مجتازة معابر « الباند » باتجاه اليونان نحو يانيني . لكن اليونانيين الذين أصلوا القوى الايطالية بنار حامية من فوق قممهم ، سببوا لها الخسائر الثقيلة وتوصلوا الى ايقاف

تقدمها الى الامام . وبعد ذلك بثلاثة اسابيع استطاع اليونانيون بهجماتهم المعاكسة ان يقذفوا بالايطاليين الى الجانب الآخر من الحدود الألبانية . وفي ٢١ تشرين الثاني كان اليونانيون قد استولوا على المستودع الرئيسي للتموين الايطالي ، كوريتزا ، وفي ٨ كانون اول احتلوا قاعدة ارجيرو كاسترو في جنوب البانيا . وفي نهاية السنة ، وبينما كان الهجوم الايطالي قد جرى في جو فائق من الثقة والتفاؤل قبل ذلك بشهرين اثنين فقط ، كان اليونانيون قد توصلوا الى طرد الايطاليين مسافة ٦٥ كيلومتراً داخل الاراضي الالبانية كما اصبحوا يسيطرون على الموقف في اكثر من ربع البلاد .

أما هتلر ، فقد دعم قواته العسكرية خلال خريف وشتاء ١٩٤٠ وارغم المجر ورومانيا وبلغاريا على الانضمام الى صفوف المحور استعداداً للحملة القادمة على الاتحاد السوفياتي . وقد تعرضت خططه العسكرية التي وضعها لتلك المنطقة لأخطار البلبلة بسبب الحملة التي تفرد موسوليني بالقيام بها هناك ، وذلك بأحياء خلافات الحدود والجنسيات القديمة بين شركائه الجدد الصغار . يضاف الى ذلك ان هذه الحملة الايطالية كانت سترغم تشرشل على ارسال قواته الى اليونان بصورة حتمية ، كما أنها ستزيد شكوك الاتحاد السوفياتي حول اغراض المحور في بلاد البلقان . ومع ذلك ، فقد ارغم هتلر ، بعد الحالة السيئة التي آلت اليها قوات الدوتشي الايطالية ، على التدخل لانقاذها رفعاً لمعنويات المحور من ناحية وحفاظاً على جناح قواته الجنوبي قبل الانقضاض على روسيا .

وقد حاول هتلر ما امكنه العمل بالطرق الدبلوماسية والاقتصاد في استعمال قواته العسكرية من أجل معركة الاتحاد السوفياتي . ولكي يسيطر على اليونان بالسرعة القصوى ، بادر الى اغراء يوغوسلافيا بالانضمام الى بلدان المحور بان تعهد بالحفاظ على حدودها من ناحية كما وعدها مقابل تعاونها معه بتسليمها مرفأ سالونيك اليوناني . وكان الوصي على العرش

الأمير بول وهو نازي النزعة ورئيس الحكومة ستكوفتش مساندين له . فوقعا في ٢٥ آذار ١٩٤١ معاهدة ثلاثية . ولم يمض يومان على توقيع هذه المعاهدة حتى انهـــارت الحكومة اليوغوسلافية بانقلاب عسكري والغيت المعاهدة من طرف واحد . والواقع ان التظاهرات الجماهيرية التي جرت في الشوارع ضد خطة التعاون مع النازي هي التي اتاحت للجنرال الطيار سيموفتش فرصة اعداد هذا الانقلاب . وسيطر الجنرال على البلاد ووضع مكان الوصي الملك الفتى بطرس الثاني .

وفي ٦ نيسان هاجم هتلر يوغوسلافيا واليونان بعد ان ارتجل خطة قتال سريعة . ٦٥٠ الف جندي اجتاحوا يوغوسلافيا على اربع جبهات مرة واحدة . هؤلاء الجنود فتتوا الجيش اليوغوسلافي الضعيف بحملة خاطفة انطلقت قواتها عبر النمسا والمجر ورومانيا وبلغاريا .

واضطرت يوغوسلافيا ان تستسلم بعد ١١ يوماً فقط كما اضطر الملك بطرس الثاني للهرب الى بريطانيا .

وبسقوط يوغوسلافيا التي هي اكبر بلدان البلقان — ٢٥٠ الف كلم مربع و١٤ مليون نسمة — تحولت هذه الامكانات كلها الى الجانب الألماني .

وقد أعد هتلر لبلغراد ، العاصمة اليوغوسلافية ، مصيراً شديد القسوة رغم انها اعلنت مدينة مفتوحة . لقد أمر بالاغارة عليها دون تمييز بين المواقع العسكرية والمدنية ، واعتبر عملياته هـــذه « عقوبة لها » بسبب تمردهـــا على المحور . لقد كانت القاذفات الألمانية تمطر مدينة بلغراد بالموت وتطير مباشرة فوق سطوح المنازل فتحصد ارواح الناس حصداً دون ان تجد أية مقاومة مسلحة ؛ ١٧ الف من الرجال والنساء والأطفال قتلوا بسبب الغارات المسلحة . وقد وصف الصحفي الاميركي هـــذه المجزرة في العبارات التالية قال :

سمعنا أصوات الطائرات قبل ان نراها . انها لم تكن في البداية غير



جوزيب بروز تيتو قائد المقاومة اليوغوسلافيّة

طنين ضعيف اشبه ما يكون بأصوات رفيف النحـــل من بعيد . ثم لا يلبث هذا الطنين حتى يقوى ويقوى اكثر فأكثر . لقد كانت الطائرات ثلاثين أو اربعين . أية تشكيلة رائعة كاملة ! ولكن لماذا لا نرى طائرات يوغوسلافية تعترض طريقها ؟ انظر انها تأتي نحونا بصورة مباشرة فتنقض على القصر الملكي الصربي .

وفجأة أخذت مليون من الرشاشات تعوي في الفضاء ... والى جانب هذا العواء كانت تتردد اصداء انفجارات القنابل اليوغوسلافية « بم ... بم » ثم بدأنا نسمع المدافع المضادة للطائرات . ويبدو ان اثني عشر منها تطلق قنابلها في كل مرة . الآن اصبحت السماء مليئة باشكال على صورة العناقيد السوداء والبيضاء ، لا تلبث ان تختفي بعد قليـــل . كانت هذه هي شظايا قنابل المدفعية . وقد انفجر بعضها بالقرب من القاذفات الألمانية المغيرة . ولكن هذه القاذفات لم تتوقف بسبب ذلك . فقد بقيت تطير محتفظة بتشكيلاتها الأساسية ... كان يجب ان تكون على ارتفاع ٣ آلاف متر وفجأة اختفت التشكيلات وانقضت الطائرة القائدة الأولى . وقد كان في وسعنا تعيين المكان الذي ألقت قنابلها فوقه وارتفعت ضجة صماء . وبعد ثوان قليلة جاءنا الصوت العاصف الرهيب الذي ينبىء بانهيار الجدران ..

وبوصولنا الى مكان الانفجار رأينا فجوة احدثها انفجار القنبلة تتسع على الأقل لحاملتين اميركيتين كبيرتين . ورغم محاولتنا الاقتراب منها الى أقصى حد ممكن لم نستطع رؤية قرارها . لم يسبق لنا ان شاهدنا مثل هذه الخرائب . ففي دائرة قطرها ٨٠٠ متر اعتقد اننا لم نستطع رؤية قطعة واحدة من الزجاج اللهم غير مقبرة مربعة . لقد هدمت القنابل واجهات مجموعة من الأبنية الكبيرة . أعرف ان هذا ليس جديداً . كل الناس شاهدوا صوراً لأبنية على هذه الحالة ، في اسبانيا ، في فرنسا ، في روتردام وبطبيعة الحال في لندن . ولكن المرء حين يشهد هذا كله بأم عينيه ولا سيما حين تكون القاذفات فوقه ثم لا يدري متى تنتهي من

هذا العمل القذر ، لا بد ان يكون المشهد شيئاً آخر . هذه الابنية العارية كانت تدفعنـــا الى التفكير في مسرحية لاوجين اونيل .. « رغبة تحت شجرات الدردار » ، حيث كان يوجد مشهد لبيت ترتفع منه واجهة لاظهار ما كان يجري في داخله ...

وقد عددنا مئتين او ثلاثمائة جثة في الساحة العامة « ترازيا » التي لا تتجاوز مساحتها نصف مساحة « تايمز سكوير » . ان ما جرى هناك كان يدل على وجود مذبحة عن سابق اصرار وتصميم . الطائرات لم تكن تلقي قنابلها من فوق الغيوم . واحدة وراء الاخرى كانت تنقض او تنزل حتى تقترب من سطح الارض ثم تضع قنابلها تماماً فوق المكان الذي تختاره . وفي وسعي القول ، خلال المشاهد التي رأيتها في بلغراد ، ان هذه الطائرات كانت قادرة على انزال كل قنبلة في فتحة أية مدخنة من مداخن البيوت . اما ان تصبـح « ترازيا » هدفاً عسكرياً فقد شرحه الالمان بعد ذلك . لقد كان هتلر ينتقم لنفسه من الاهانة التي لحقت به قبل ذلك بعشرة ايام ! كان يريد ان يقول للصربيين : ان احداً لا يستطيـع ان يمزق صورته على مرأى من الجميع دون ان تنزل به عقوبة رادعة .

لقد كانت هذه الغارات عمليات اعدام بالجملة لاولئك الذين تظاهروا ضد هتلر في تلك الساحة .

كانت عمليـــات اعدام تمت بأوامر صادرة من برلين ، وبواسطة جلادين يمتطون صهوات الغيوم .

وعلى بعد ١٥ كيلومتراً من بلغراد كان يوجــــد مكان تحيط فيه الطريق بهضبة من الضباب . من هناك استطعنا ان نرى المشهد الرهيب . عند اقدامنا كانت تجثم بلغراد ، بلغراد المحترقة ، بلغراد التي بدأت تصبح مدينة البُكْم .

وفي ٦ نيسان وفي الوقت الذي تم فيه الهجوم على يوغوسلافيا ، انطلق الالمان نحو الجنوب عبر يوغوسلافيا بالذات وبلغاريا وانقضوا على اليونانيين انقضاضاً صاعقاً تساعدهم الفرق الايطالية ، التافهة التي كانت تقف في الجانب الآخر من الحدود اليونانية . منذ الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٤٠ اي بعد اسبوع تقريباً من حملة موسوليني ، بدأت قوات بريطانية وامبريالية استراليون ونيوزيلانديون بصورة خاصة بالنزول الى الشاطىء اليوناني لانجاد هذه البلاد . وبذلك يكون الانكليز قد اضعفوا جيش ويفل في افريقيا الشمالية وارغموه على ايقاف مسيرته المظفرة عند العجيلة . ان نصف رجال جيش ويفل قد نقل الى اليونان اي ما عدته ستون الف رجل . العدد المنقول الى اليونان قليل بالنسبة للمهمة العسكرية المنوطة به . والوقت الذي تم فيه النقل كان متأخراً .

ان ايقاف نصف مليون جندي الماني لا يمكن ان يتحقق بهذه القوة العسكرية ، يضاف الى ذلك ان التجهيزات المدرعة في البعثة الانكليزية العسكرية كانت قليلة بالاضافة الى قلة الاسلحة المضادة للدبابات والطائرات .

اما فيما يتعلق بانعكاسات هذه التصرفات بالشرق الاوسط فقد تحدث عنها تشرشل فقال : (الثـــابت ان هيبتنا ستتأثر الى حد بعيد في تلك المنطقة اذا طردنا من البر اليوناني بصورة مذلة . ومهما يكن الامر فان تضحياتنا ستكون اقل فيما اذا فضلنا القتال والكفاح في اليونان على ترك هذه البلاد لمصيرها وحيدة دون مساندة) .

اما الخطوط الدفاعية الرئيسية هنـــاك من مثل خط ماتكساس وخط الياكمون فقد خرقت من قبل الجيش الالماني وتجاوزتها قواته المسلحة . فانهار الجيش اليوناني تحت وطأتها . وليس غريباً ان يوفق الالمان الى تحقيق



القوات اليونانية في زيها الوطني تخترق شوارع اثينا

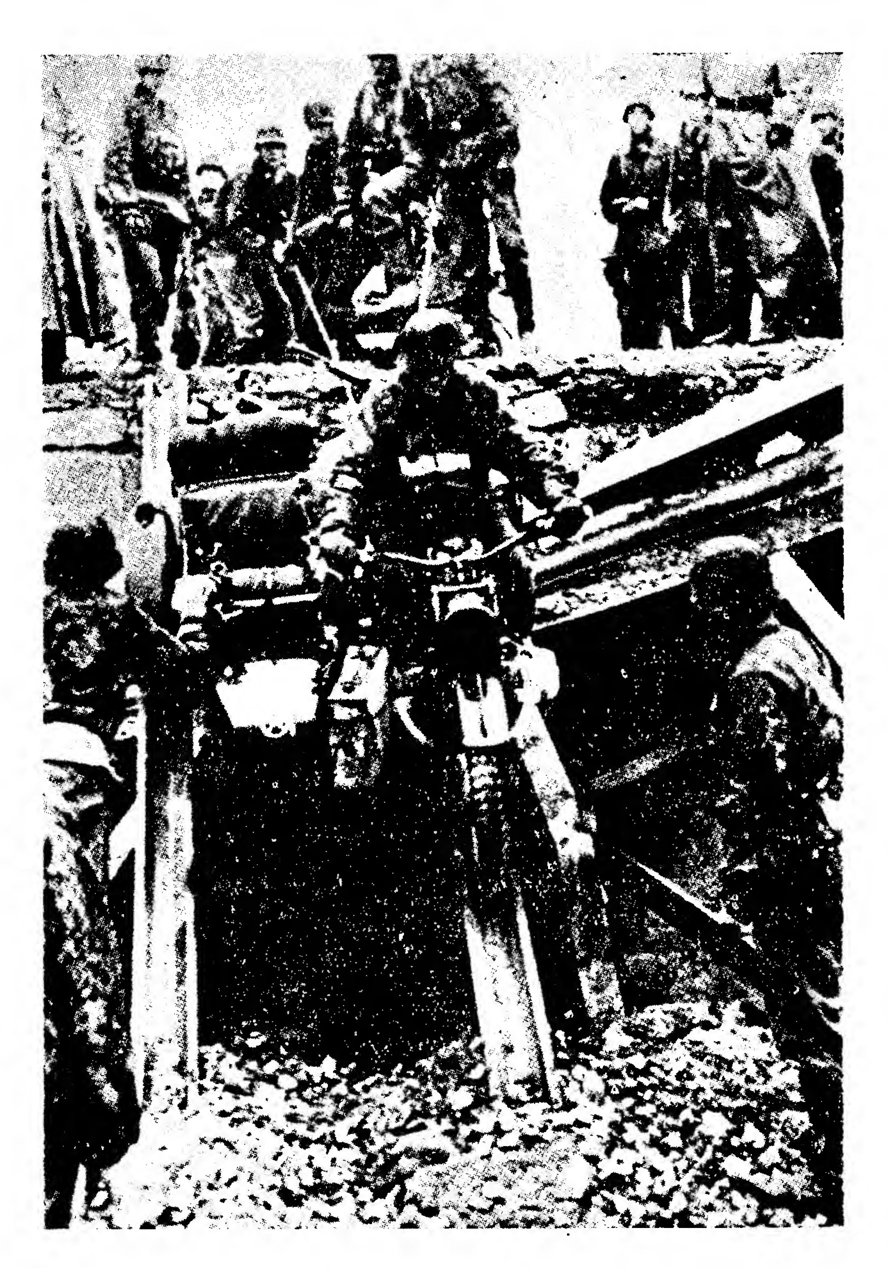
مثل هذا النصر السريع لأن تفوقهم في الرجال والسلاح والطائرات كان تفوقاً ساحقاً .

لقد كانوا يملكون عشر طائرات مقابل طائرة واحدة لليونانيين . وارغم الجيش اليوناني على الاستسلام اما البريطانيون فقد اخذوا يتراجعون وقد تركوا وراءهم فرقاً كثيرة لتخوض معارك عنيفة ضد المهاجمين الالمان ، تتيح الفرصة للجيش الانكليزي في ان يغادر البر اليوناني . تم استسلام الجيش اليوناني في ٢٤ نيسان اي بعد ١٨ يوماً من بداية العمليات الحربية ضده . وقد طلب الجيش من الانكليز ان ينسحبوا من البلاد للحيلولة دون تهديمها . وهنا بدأت دنكرك جديدة تظهر في موانىء اليونان الجنوبية وشواطئها . واستطاع الانكليز ان ينقذوا اكثر من ٨٠ في المئة من قواتهم العسكرية . ولا سيما عبر موانيء البيريه ، نويلي ، ميقارا ، مونمقازيا ، وموانىء اخرى في المنطقة . وفي ٢ ايار ، عندما وصلت القوات النازية الى الشاطىء كان قد تم نقل ٤٣ الف رجل من رجال البعثة العسكرية الانكليزية .

اما الهزيمة الساحقة التي احدثها الاميرال كننغهام في صفوف الاسطول الايطالي عند رأس ماتابان ، وفي ٢٨ آذار بالذات ، فقد منعت الاسطول الايطالي من التدخل من جهة البحر . ومع ذلك فقد اغرقت القاذفات الالمانية ٢٨ سفينة حليفة .

وهنا بادر هتلر الى تقسيم الغنائم . فأسست كرواتيا مستقلة بقيادة رجلين فاشستيين من المنطقة هما : أنط بافلتش وكفاترنيك . اما المجر فقد ضمت اليها منطقة (ألبنات) ، واما بلغاريا فقد اصابت منطقة تراقيا ، واما ايطاليا فقد حصلت على شواطىء الادرياتيك ووكلت اليها مهمة الحفاظ على الأمن والاستقرار في حكومة اليونان الجديدة والتي عين لرئاستها الجنرال تسولاكوغلو .

هذه الهدية الصغيرة التي قدمت الى ايطاليا كانت علامة على تغير



المحاربون اليونانيون لم يستطيعوا عرقلة زحف القوات الالمانية طويلا



جنود ايطاليون يتقدمون في اليونان ، ولكن هذا لا يدوم طويلا

الاوضاع في داخل بلـــدان المحور . ان هتلر الذي سحب الكستناء من النار في اليونان كما يقول المثل الاوروبي ، بدلاً عن موسوليني قـــد حول ايطاليـــا الى دولة على مستوى الدول الصغيرة التي تدور في فلك





بالرغم من النقص الكبير في المشاة وفي المدفعية ، الجنود اليونانيون
يواصلون تقدمهم في جبال البانيا

المحور . وبذلك تكون ايطاليا قد انتهت الى مكانها الطبيعي الذي يتكافأ مع امكاناتها العسكرية والبشرية .

حملة على جزيرة كريت

لم يطل هدوء الالمان بعد ذلك . لقد انطلقت القاذفات الالمانية « اللفتواف » تغير على جزيرة كريت وعلى قناة السويس بقصد اعداد اول غزو جوي يتم في الحرب عن طريق المظليين . والواقع ان الانكليز قد بادروا الى تحصين هذه الجزيرة خلال نصف عام تقريباً . ولكن جهودهم لم تكن كافية ولا ذات فعالية .

الجزيرة كانت محرومة من المطارات إلا القليل وكذلك من الطائرات والمدافع المضادة لها ايضاً . وقد لوحظ ان الالمان لم يتركوا للانكليز فرصة للتنفس . لقد راحت طائراتهم القاذفة تدك مواقع الانكليز الدفاعية في الجزيرة ، مركزة جهودها فوق المطارات الثلاثة الموجودة فيها وفي الاماكن المعدة لانزال المظليين . وقبل ان تنتهي المهلة التي حددتها القيادة الالمانية لقذف الجزيرة والتأكد من سكوت الاسلحة المضادة ، انزلت فرقة الهجوم الأولى لتستقبل فيما بعد موجات القوات الرئيسية المعدة لاحتلال الجزيرة . وتم الاستيلاء على مطار « مالام » الذي ينتظر ان يستعمله النازيون لانزال النجدات المطلوبة .

وقد وصف طبيب يوناني هو الدكتور ستيفانيداس بداية معركة الجزيرة وقد كان في عداد القوات الانكليزية المعسكرة هناك ، قال :

في ٢٠ أيار ، كان للفجر باسماً في روعة فائقة . وعند الساعة السابعة والنصف من الصباح ، كنت واقفاً الى جانب عدد من الضباط قريباً من الخيمة التي كنا نستعملها نادياً ومطعماً لنا . وكنا نتبادل الحديث

بانتظار ان يصبح طعام الافطار جاهزاً ، حينما فوجئنا على غير انتظار منا بطلقات رهيبة مضادة للطـــائرات . وقفزنا جميعاً الى الملاجىء ،



المدافع الألمانية تشق طريقها الى كريت

ونحن نظن ان الأمر لا يعدو ان يكون غارة من تلك الغـارات اليومية التي بدأنا نعتادها . لكن الأمر لم يكن كما نظن . وقبل ان ندرك تماماً ما كان يجري حولنا امتلأت السماء بالطائرات تأتيها من كل مكان . ومن المحتمل ان يكون عددها قد بلـغ المئات ؛ كانت تنقص ، ثم ترتفع الى السماء مرة اخرى ، ملتوية ، متمعجة ، تطلق رصاص رشاشاتها او تقذف قنابلها فوق كل شيء . ثم ظهر بعد ذلك سرب من الطائرات الضخمة ذات اللون الفضي على ارتفاع شديد الانخفاض فوق رؤوسنا ، آتية من الجنوب الغربي ومتوجهة نحو منطقة « كاناه » . لقـد مرت هذه الطائرات كما تمر الاشـباح لا يصدر عنها اي ضجيج اللهم غير صوت ضئيل ابعد ما يكون عن الصخب العادي للطائرات . جوانحها كانت طويلة جداً ثم تضيق عند النهـاية . وهنا ادركت انها طائرات شراعية وان الجزيرة على وشك ان تستقبل موجة من المظليين تحميهم الرشاشات والقنابل .

أما قنابل مدافعنا المضادة فقد كانت تنفجر حول الطائرات الصاخبة والطائرات الشراعية ، وكانت هذه الاخيرة من الكثرة بحيث ان مدافعنا التافهة المتباعدة لم تحدث فيها غير أضرار ضئيلة . وشاهدت طائرات شراعية تتمزق ثم تنقض في خط عامودي وراء الاشجار . ولكن اكثر الطائرات الشراعية الباقية وعدتها كما قدرت ثلاثون استمرت تزحف بهدوء وتنزل فوق منطقة « كاناه » .

كنت آنذاك مشغولاً بالنظر إلى قاذفة بدا لي انها مصابة باحدى القنابل، لأنها كانت تتأرجح من جانب الى آخر تاركة وراءها موجة ممتدة من الدخان الاسود ، حين صرخ الضـابط النقيب « فن » : « انظروا ! مظليون ! »

والتفت لأرى صفاً من النقط السوداء الصغيرة يسقط من الطـائرات التي تحلق على ارتفاع اكثر انخفاضاً . وكان يبدو لي ان المظليين قد



المظليون الالمان بعد ان ثبتت اقدامهم في كريت

أنزلوا من ارتفاع منخفض ثم تحولوا الى مظلات صغيرة بيضاء اختفت وراء الاشجار . بعض هذه المظلات بدا لي بلون أخضر أو بني ولكنها كانت بعيدة جداً فلم اتأكد من صدق الرؤية . وهناك مظلات اخرى اكبر كثيراً ذات اشكال طويلة . ثم ادركت بعد ذلك انها مظلات ثلاثية تحمل مدافع خفيفة وذخائر او معدات ثقيلة .

ورغم ان القوات الانكليزية والامبراطورية كانت محرومة من الحماية الجوية أمام القاذفات الالمـــانية فانها قد احدثت بين المهاجمين الهابطين بالمظلات والطائرات الشراعية بعض الخسائر .

وفي الوقت نفسه توجهت نحو الجزيرة ثلاث قوافل من السفن الالمانية عبر الدوريات البحرية الانكليزية التى ارغمت احداها على التراجع واغرقت القافلتين الأخريين مع الخسمة الآف جندي الذين كانت القافلتان تنقلانهم الى الجزيرة .

وفي كل حال استطاع النازيون ان ينقلوا نجدات متتابعة دون توقف الى الجزيرة المحاصرة عبر مطار « مالام » .

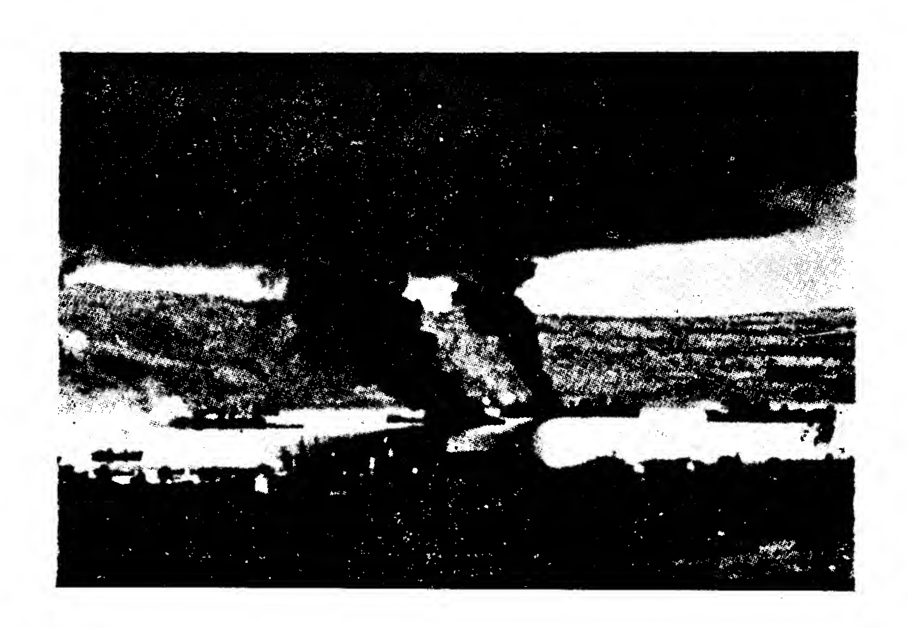


جنود بريطانيون أسرى في كريت

وبدأ التفوق الالمـــاني يلعب دوره . واضطر الانكليز للتراجع نحو شواطىء سباكيا في الجهة الجنوبية الغربية استعداداً لمواجهة دنكرك ثالثة. وبين ٢٨ أيار وواحد حزيران نجح الاسطول البحري الانكليزي في ترحيل ١٦٥٠٠ جندي ، تاركاً وراءه ١٣ الف قتيل وجريح واسير . كما فقد الاسطول الفي رجل وثـــلاث سفن جوالة وطرادين وهو في طريقه إلى قناة السويس على بعد ٦٠٠ كلم بسبب حرمانه من التغطية الجوية . كما استطاع الطيران الالماني ان ينزل الاضرار بدارعة واحدة وسفينتين جوالتين وثلاث طرادات .

هكذا اصبح النازيون خلال شهرين اثنين وبخسائر قليلة سادة يوغوسلافيا واليونان . لم تتجاوز خسائرهم ٢٥٠٠ قتيل و٩٠٠٠ جريح او مفقود . أما الانتصار في جزيرة كريت فقد دفعوا له ثمناً اعلى ١٧ الف رجل وطائرات كثيرة . ومنذ ذلك التاريخ اصبح في وسعهم ان يسيطروا على بحر ايجه وان يهددوا اسطول كاننغهام في المتوسط الشرقي . كما اصبحوا على مقربة من تركيا ومصر والشرق الاوسط .

هكذا انتهى هتلر من بلاد البلقان وبدأ يفكر في احتلال روسيا . ويقدر الخبراء العسكريون انه قد كان في وسع هتلر تغيـــير مجرى الحرب لو أنه تابع زحفه نحو الشرق الاوسط بـــدلاً من ان ينقض على روسيا . ان النهاية كان يمكن ان تكون شيئاً آخر . وبينما كانت الجيوش الالمانية تنقض على يوغوسلافيا واليونان في شهري نيسان وأيار بادر عملاء المحور الى تنظيم انقلابات عسكرية في سوريا والعراق وايران. ولو ان الالمان تابعوا خطتهم ونجحوا في وضع ايديهم على تلك المناطق الشرق اوسطية لحرموا البريطانيين من موردهم البترولي الرئيسي وعزلوا تركيا عزلاً تاماً ، والتي كان يحتمل آنذاك ان تعلن انضمامها اليهم . يضاف إلى ذلك ان بلاد الهند ستصبح معرضة لخطر شديد فتنقطع طريق التموين التي تمر عبر الخليج العربي وايران .





الاسطول البريطاني يساعد في عمليات الجلاء عن جزيرة كريت

لكن الانكليز والفرنسيين الأحرار لم يقفوا مكتوفي الأيدي . لقد استولوا على سوريا والعراق في شهر حزيران وطردوا منها انصار المحور وأقاموا فيها حكومتين موالتين لهم . وفي شهر آب ، وبعد ان بدأ الهجوم الألماني على الاتحاد السوفياتي اشترك الروس والانكليز في احتلال ايران ، وطردوا الحكومة الموالية للنازيين وضمنوا سلامة الطريق الايرانية نحو البلاد الروسية .

ثعلب الصحراء

وبالقدر الذي كانت تنتقل فيه المبادرة من يد موسوليني الى يد هتلر في منطقة البحر الأبيض المتوسط كانت المصيبة تتفاقم أمام الانكليز ويتجهم الجو من حولهم .

في كانون الثاني من عام ١٩٤١ أرسلت وحدات من اللفتواف الى جزيرة صقلية . واستطاعت قاذفات القنابل منها ان تجعل المضيق البحري بين صقلية ورأس بون محرماً على القوافل الانكليزية . وهناك نزلت بالسفن الحربية الانكليزية وبقوافلهم التجارية خسائر فادحة ، أما جزيرة مالطة التي كانت قاعدة للطائرات المكلفة بحماية هذه القوافل والسفن في ذلك الجزء من المتوسط فقد كانت تتعرض في اليوم الواحد لعدة غارات جوية مما أضعف قدراتها الهجومية وحال دون ان تنجد القوافل والسفن الى حد بعيد بسبب حاجتها الى حماية نفسها من الطائرات الألمانية المغيرة .

وزاد الطين بلة ... وتفاقم الوضع أمام الانكليز حين أرسل الجنرال الالماني اروين روميل ، أحد أبرع القادة في حرب الدبابات ، الى افريقيا حيث وكلت اليه قيادة كل قوات المحور هناك . وقد رافقه جيش أعد جنوده خصيصاً لخوض معارك الصحراء . وقد أدرك الجنرال روميل ما

يجب أن يصنعه هناك وهو الذي كان يتصف بالشجاعة الخارقة من ناحية وباصالة التخطيط العسكري . ولعل فيما رواه المؤرخ والصحفي تشستر ويلموث ما يلقي ضوءاً على شخصية هذا القائد :

شرطـــان أساسيان يفرضان نفسيهما في عمليات القتال في صحراء ليبيا ومصر : التموين من ناحية ، والتفوق في القوة الضاربة المتحركة من ناحية أخرى .



اسرى ايطاليون في الصحراء

هذه العبارة قصد بها تحديد قوة الجيش المزود بالدبابات والمدافـــع المضادة للدبابات ، وبمدفعية الميدان ، شرط أن يكون التنسيق بين هذه الأسلحة تنسيقاً يتحرك به الجيش وكأنه قوة واحدة . ان العامل الجغرافي الأساسي الذي يؤثر في خطط الصحراء باستثناء معركة العلمين قريباً من الاسكندرية والعجيلة عند الحدود الطرابلسية ، هو انه لا يوجد موقـــع دفاعي يعجز العدو عن الاحاطة به . أما في العلمين والعجيلة فان سلامة

الاجنحة مضمونة بممرات ضيقة – أما في الأولى فان الممر قـــائم بين البحر المتوسط وبين منخفض القطارة ، وأما في الثانية فهو بين البحر المتوسط وبحر الرمال الكبير . وفي كل مكان آخر غيرهما كان هناك جناح دائم مفتوح على الصحراء . وهو مصدر القلق الدائم للقادة الذين لم يكونوا يملكون قوة ضاربة متحركة ومتفوقة . حتى المشاة يعجزون عن الحفاظ



الجنود الانكليز يقاومون هجمات رومل

على مواقع دفاعية ثابتة في هذه الصحراء حينما تحيط بهم قوة عدوة مدرعة. فاذا لم يرد المشاة الوقوع في أيدي العدو فان عليهم أن يتراجعوا وأن يستمروا في التراجع حتى يقوم الارهاق أو طول طريق التموين بدوره في القضاء على تفوق العدو في قواته المدرعة والمتحركة ، الى حد يفقد معه

القدرة على حراسة جناحه المفتوح على الصحراء . المقاومة الممكنة والوحيد هناك هي في دائرة من الأرض محتوية على مورد ماء ومرفأ كما هو الشأن في طبرق .

وبعد اسبوعين من وصول رومل الى افريقيا ، أي في ٣١ آذار ، وبالرغم من أن أركان الحرب الألمان كانوا يستعدون للتدخل في بلاد البلقان ، قام رومل بهجوم مفاجىء صاعق ضد المواقع الانكليزية في العجيلة . فتراجع الانكليز لا سيما وانهم قد فقدوا نصف قواتهم بعد إرسالهم للبعثة العسكرية الى بلاد اليونان . وقد استطاع رومل بطيرانه القوي أن يسحقهم ويحاصرهم ، ويقسمهم أقساماً متعددة ، حتى أن كتيبة من راكبي الموتوسيكلات في الصفوف الأمامية قد حالت دون تراجع فوج من الجنود الانكليز وأسرت الجنرالين رينشارد اوكونر وفيليب نيم ولم يحتج رومل الى أكثر من اسبوعين لدفع أعدائه حتى الحدود المصرية والاستيلاء كرة أخرى على ليبيا بما فيها بارديا بالذات ؛ باستثناء طبرق التي حاصرها . وقد وصف أريك لامبر أحد المراقبين الانكليز تفاصيل هذه الهزيمة فقال :

كانت السيارات تتزاحم الواحدة وراء الأخرى فوق طريق مزروعة بالعقبات . الجميع كانوا يفكرون في النجاة بأنفسهم وعندما يحدث عطل في وسيلة من وسائل النقل تترك في الطريق . ولكن عناصر معينة من الفرقة لحق بها العدو وأسر أفرادها . وفي المعسكرات النازية كان الأسرى الاوستراليون يتحدثون غالباً عما يسمى بفوج الأفطار . ان قائد هذا الفوج وقد كان يظن دون ريب انه يقاوم بمناورة بيضاء في مكان ما من اوستراليا مع سريته من أفراد الميليشيا ، أصدر أمره بالوقوف لتناول طعام الأفطار . واعترض ضباطه على هذا الأمر لافتين نظره الى أن سيارات الاستطلاع النازية كانت على بعد بضعة كيلومترات من موقعهم . ولكن الكولونيل أصر دون أن يرف له جفن على التوقف لتناول طعام

الأفطار . وتمرد عدد من السرايا على هذا الأمر فتابع جنوده وضباطها طريقهم الى الوراء أما قائد الفوج ومعه قرابة مئة رجـــل فقد توقفوا لتناول الطعام . وتناولوا طعامهم في السنوات الأربع التالية في معسكرات النازيين : لقد كانت استراحة طويلة جداً بسبب هذا الافطار بالذات .



رومل « ثعلب الصحراء »

وجرت الرياح لمصلحة جيش ليبيا الفخور بنفسه . واسترجع روومل بنغازي . وبعد ذلك بستة أيام وصلت الفرقة التاسعة وبقايا فرقة مدرعة بريطانية الى طبرق . هكذا انتهى السباق في بنغازي . أما في طبرق فقد صمد الحلفاء لروومل ولكل القوى التي كان يستعد لاطلاقها ضدهم .

الآن اصبح الانكليز والاوستراليون المنسحبون الى طبرق معزولين عزلاً تاماً عن مصر . أما روومل فقد أخذ يرسل موجة بعد موجة من الهجمات ضد الحامية المتحصنة فيها وعدتها ٢٣ الف رجل، لكنه لم يستطع التسرب اليها عبر المواقع الحصينة المحيطة بها . قذفت المدينة بقنابل الطائرات والمدفعية واستقبلت هجمات عنيفة من الدبابات ولكنها صمدت ايضاً . على أن الحامية لم تبق في حالة دفاع ، بل قامت دوريات منها بهجمات عنيفة على قوافل التموين ووسائل النقل النازية . وبذلك أصبحت مصدر خطر على جناح جيش روومل ومؤخرته . أما فيما يتعلق بالأسطول البحري الانكليزي فقد استطاع رغم غارات الطائرات الألمانية أن يدخل البواخر الى مياه المرفأ أثناء مدة الحصار التي استمرت ٩ أشهر ، ورغم الخسائر التي نزلت به . كان ينقل الى الحامية نجدات ، وأسلحة، وذخيرة وطعاماً . وكان يفيد من الليالي التي لا قمر فيها لاجلاء الجرحى بواسطة بعض الطرادات أو السفن السريعة الزارعة للالغام البحرية .

وقام ويفل بهجوم معاكس في ١٥ أيار قبل ارتفاع الحرارة ارتفاعاً تتعذر معه العمليات العسكرية . كان يملك عدداً من المدرعات أقل مما يملكه روومل ودونها جودة وتسليحاً وقوة . ثم لم يلبث بعد قليل حتى وجد نفسه مرة أخرى وراء الحدود المصرية مغلوباً على أمره . في تلك الأثناء كان تشرشل يرى انه قد آن الأوان لخوض معركة حاسمة من أجل مصر وقناة السويس . كان يريد أن ينزل الهزيمة بروومل قبل أن تأتيه النجدات من الجبهة الروسية وقبل أن ينجح في اختراق الجبهة باتجاه الاسكندرية والسويس . ولتحقيق هذه الغاية أقال الجنرال ويفل وعين مكانه في الثاني

من تموز الجنرال اوكنلك . ومن ثم أصبح جيش النيل الجيش الثامن المشهور ، الجيش الذي بدأ يعد العدة للقيام بهجومه الكبير ضد رومل في الخريف القادم.

نزوة في رأس رودولف هس

حادث غريب كان بمثابة التمهيد لعملية بارباروس الكبرى . جرى هذا الحادث قبل شهر تقريباً من صدور القرار الرسمي لغزو البلاد الروسية. لقد طار رودولف هس ، الرجل الثالث في المانيا النازية الى بريطـانيا بتاريخ ١٠ ايار . وهبط باحدى المظلات فوق قرية من القرى غير بعيد عن هدفه الذي قصد اليه ، دوفانجيل ، حيث كان يملك فيها الدوق هاملتون بيتاً له .

كان هس قد لقي الدوق عام ١٩٣٦ خلال الالعاب الاولمبية في برلين وقد بدا له هذا الأخير موالياً للنازين ومیالاً اليهم . وكان هس يأمل



رودولف هس

بواسطته في اقناع الملك بتوقيع اتفاق مع المانيا . وقد اصيب هس بكسر في عقبه بعد ان وصل الى الارض فقبض عليه احد المزارعين وسلمه الى السلطات . وقد عرف المحققون منه ان الغاية من مجيئه هي وضع حد للنزاع بين الالمان والانكليز – وهم اخوة من العنصر الآري – ثم اقناعهم بالعمل معاً ضد البلشفية . وقد قدم هس اقتراحات معينة اعتبرها منطقية ومعقولة لا سيما وانه كان واثقاً من انتصار الالمان ومقتنعاً بأن وضع الانكليز العسكري هو وضع يائس . خلاصة هذه المقترحات ان تترك بريطانيا للألمان حرية التصرف في اوروبا وتعيد اليهم مستعمراتهم السابقة وتوقع صلحاً مع ايطاليا ، كل ذلك بعد اقالة حكومة تشرشل . ومقابل ذلك يترك هتلر لبريطانيا امبراطوريتها كاملة غير منقوصة .

اما هتلر فلم يلبث حتى اعلن بأن هس مصاب بمرض عقلي وانه قد تصرف تحت ضغط حالة من الهلوسة المرضية . الا ان سفيره فرانز فون بابن المتآمر العجوز ، قد عاد الى القيام بالمحاولة نفسها لدى السفير البريطاني في انقرة بعد ستة اسابيع من بداية الغزو الالماني لاراضي الاتحاد السوفياتي .

وقد عومل هس معاملة لائقة ، كما يفرض ان تكون معاملة رجل مريض في جسمه وفي عقله . اما الانكليز فقد رفضوا الموافقة على اية تسوية مع النظام النازي الجديد .

الهجوم الكبير على الاتحاد السوفياتي

الساعة تدق الثالثة بعد منتصف الليل . اليوم هو الثاني والعشرون من حزيران من عام ١٩٤١ . ثمانية آلاف قطعة من المدفعية الألمانية منتشرة بين البلطيك والبحر الأسود تطلق نارها بصورة مفاجئة . انه تمهيد لعملية باربارس : غزو الاتحاد السوفياتي .

قال هتلر عن هذه الحملة : « عندما تبدأ مسيرة باربارس سيمسك العالم أنفاسه . » ثلاثة ملايين رجل كانوا ينتظرون عند فجر ذلك اليوم ساعة الصفر وهم مختبئون وراء الاشجار والاسيجة او في مستودعات الحبوب ، ومتجمعون على امتداد الطرق الزراعية ، كل ذلك من اجل اجتياز الحدود السوفياتية .

لقد بدأت أعظم حرب في العصور الحديثة .

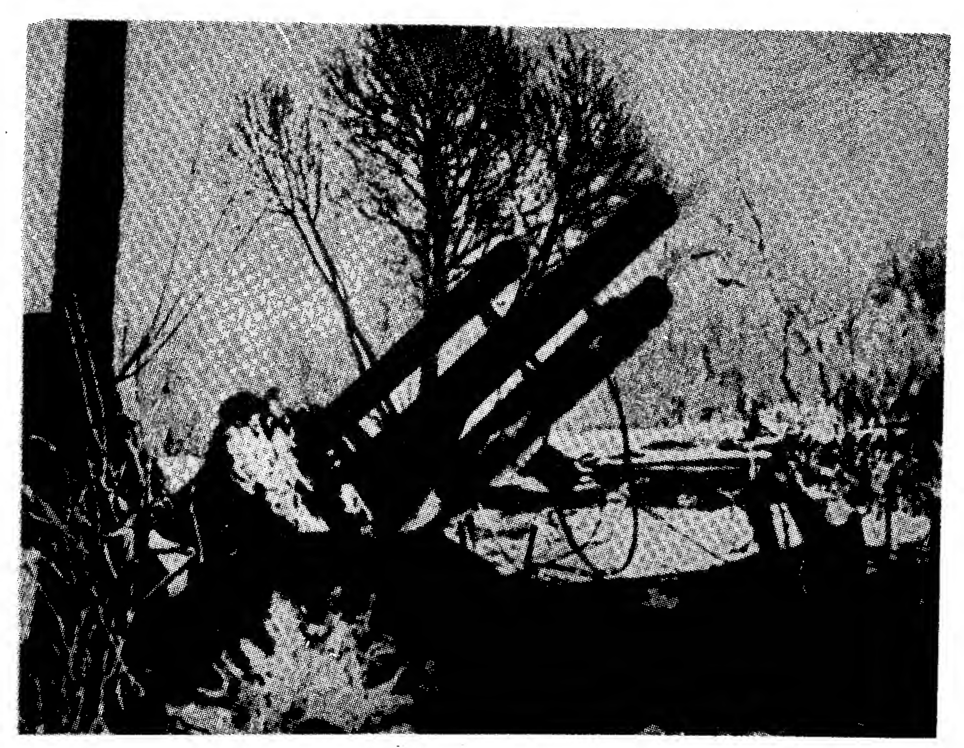
كل جزيئة من جزيئات هذه الحرب الرهيبة الضروس درست بدقة واعدت بعناية بالغة . كل شيء يجب ان يجري على مرحلتين . اما في المرحلة الأولى فان على الجيوش الألمانية المعسكرة في الجبهة الشمالية ان تنقض على لينينغراد ، كما ان على الجيوش المعسكرة في الجبهة الوسطى ان تحتل موسكو . وتأتي بعد ذلك مجموعة الجيوش الثالثة ، في الجنوب لتحتل

اوكرانيا مستودع الحبوب والحوض الصناعي الرئيسي للاتحاد السوفياتي .

اما المرحلة الثانية للخطة الألمانية فتقضي بمحاصرة الأجنحة الروسية فيما وراء موسكو . فان تحقق هـذا الهدف قبل شتاء عام ١٩٤١ فان على الجيش الألماني المظفر بعد طرده لبقايا الجيش الاحمر الى سيبيريا ان يتمركز على امتداد خط طويل يبدأ من المحيط المتجمد وينتهي الى بحر قزوين .. هكذا ينهار النظام السوفياتي في تقدير هتلر . والواقع ان هتلر قد جمع لتنفيذ عملية بارباروس خيرة جنرالاته : فون بوك ، فون ليت ، فون رانستد ، وبينهم بطل سيدان من غير طبقة الارستقراطيين الجنرال غودريان .



بدات « عملية باربادوس » لاكتساح روسيا في الساعة الثالثة
من صباح ٢٢ حزيران ١٩٤١ على جبهة تمتد من بحر البلطيق الى البحر الاسود



مدافع الالمان مصوبة الى موسكو

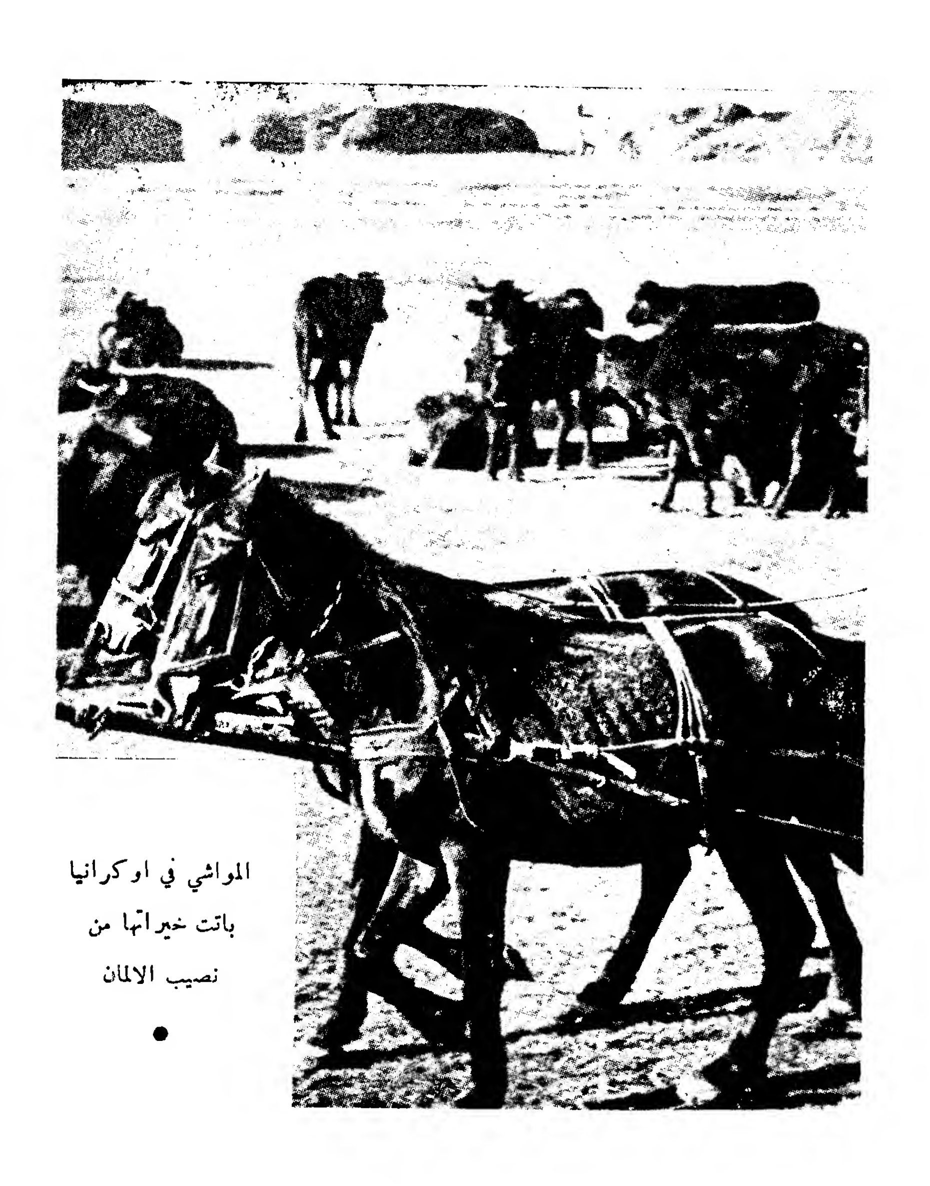
إن الحرب الصاعقة التي جرت عام ١٩٤٠ تتكرر اليوم في سهول روسيا البيضاء . حتى ان مقدمة القوات الزاحفة والمدرعة قد اصبحت في بعض القطاعات على بعد ١٠٠ [illegible] من الحدود الروسية في مساء يوم ٢٢ حزيران .

المفاجأة كانت تامـــة بالنسبة للروس . ففي يوم ٢٢ حزيران فقط استطاعت طائرات اللفتواف ان تحطم ١٢٠٠ طائرة روسية اكثرها جاثمة فوق الارض . ولكن هذه المفاجأة لم تكن حرباً صاعقة في كل مكان .



الالمان يقرعون اجراس النصر في اوكرانيا

ففي برست ليتوفسك استطاع ثمانيـــة آلاف رجل ان يصمدوا للهجوم الالماني الساحق في حصنهم حتى شهر تموز رغم المدرعات التي احاطت بهم من كل مكان والطائرات القـــاذفة والمطاردة التي كانت تمطرهم حديداً وناراً في كل يوم بل في كل ساعة .



المواشي في اوكرانيا
باتت خيراتها من
نصيب الالمان

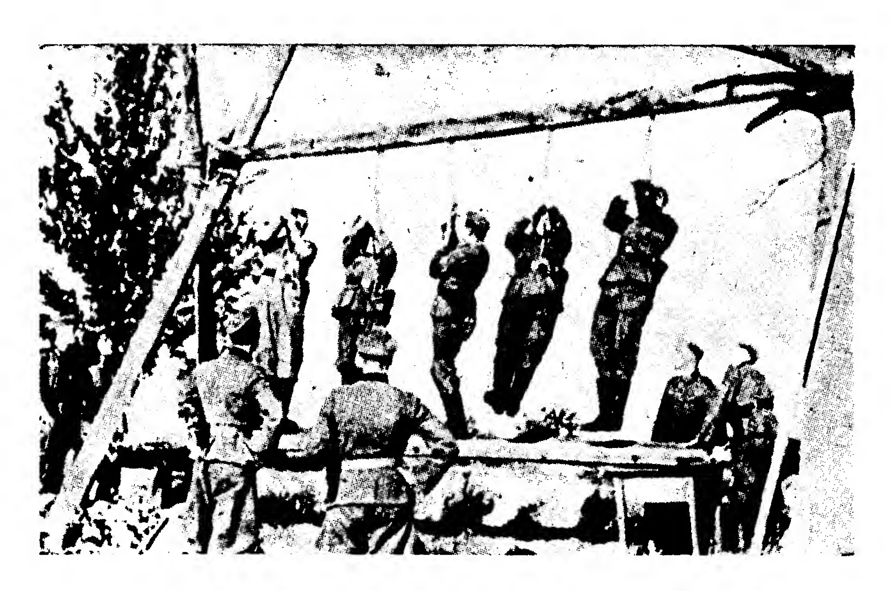
واما في دوبيسا من البلدان البلطيقية فان مدرعات فون مانستين قد اكتشفت دبابات روسية من طراز « ت ٣٤ » و « ك ف (٢) » . وفي كل حال استمر تقدم الجيش الالماني في كل يوم . جيش فون ليب في

الشمال يقترب من لينتغراد . وفي الجنوب يحاصر الرومانيون مدينة اوديسا .
وفي ١٦ ايلول استطاع فون رانستد ان يحاصر في كييف جيش الجنرال
بودياني والمفوض السياسي الملحق بجيشه نيكيتا خروتشوف . اما في الوسط



خروتشوف (المفوض السياسي) يتباحث
مع الجنرالين ايرامنكو وماتغيف

فان فون بوك يتقـــدم نحو موسكو . وقد اسر الالمان بين ٢٢ حزيران
وبداية تشرين الاول رجالاً عدتهم مليونان . على ان خسائرهم هم ايضاً
كانت كثيرة جداً . فقد بلغت في نهاية تشرين الثاني ٨٠٠ الف رجل .
ومنذ بداية آذار عام ١٩٤١ كان هتلر قد أنذر قادته قائلاً لهم :
« إن الحرب التي ستبدأ ستكون دون شفقة . »
ولذلك فقد صدر حكم الموت اولاً بالمفوضين السياسيين من الروس .
اما بالنسبة للأسرى فلم يكونوا احسن حالاً لأنهم كانوا يموتون بمئات



الجنود الالمان يختبرون قوة حبال المشانق التي نصبوها للانصار الروس
كانوا يقولون : يجب ان يموت الروس لنعيش نحن

الالوف موتاً بطيئاً بسبب الجوع والامراض . وقد اقترح الماريشال كيتل ان يوسم الأسرى بالحديد المحمي . كما اوصى الماريشال فون مانستين بعدم تقديم اي نوع من الطعام الى الأسرى : لأن مثل هذا التصرف في رأيه هو شعور انساني منحط . ومنذ عام ١٩٤٢ اخذ الجنود الروس يستميتون في القتال حتى الانتحار فلم يستسلموا ابداً بسبب هذه المعاملة الوحشية الرهيبة .

هذه الحقائق وعشرات بل مئات غيرها نجدها في تفصيلات الهجوم الكبير الذي لم يعرف العالم شبيهاً له من قبل والذي اعده هتلر ونفذه لغرض تغيير وجه التاريخ .

وبما ان هذا الهجوم هو على هذه الدرجة من الأهمية والخطورة فان

نقل ما كتبه واضع خطط هذا الهجوم الكبير يبقى بالنسبة للقارىء العربي ذا فائدة خاصة .

ان الجنرال فارلي مونت هو الخبير العسكري الذي وكلت اليه هيئة



الجنرال الالماني فاري مونت المكلف بوضع الخطط
الحربية الكبرى ولا سيما خطة غزو روسيا

أركان الحرب الالمانية مهمة إعداد هذا الغزو والاشراف على تعين تفصيلاته وجزئياته . وفيما يلي النص الحرفي لما كتبه الجنرال فارلي مونت منقولاً عن مجلة « باري ماتش » الفرنسية في عددها رقم ٨٢٣ الصادر



احد ضباط الطيران الالمان يطلق رصاصة الخلاص على جثث الرجال الروس الذين اعدموهم . ان هذا المنظر كان يتكرر يومياً .

في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٦٥ . قال :

في هيئة أركان القيادة الالمانية العامة أخذنا على غرة حينما قرر هتلر في النصف الثاني من تموز ١٩٤٠ توسيع الحرب ونقلها الى روسيا بصورة مفاجئة . كانت المفاجأة شديدة لأن المعاهدة الجرمانية السوفياتية التي وقعت في آب ١٩٣٩ قد مضى عليها عام واحد تقريباً وحسب . ومن ناحية اخرى كان هتلر منذ قليل قد اعرب عن نيته في انزال قوات الى الجزيرة البريطانية . وهذا يعني بطبيعة الحال ان قوات كبيرة ستحتجز في اوروبا الغربية .

هذه الحجج قدمت للجنرال جودل ، رئيس هيئة اركان الحرب ، المنسقة للقوات المسلحة ، منذ بادر هذا الاخير الى اعطاء ارشاداته الاولية

بالنسبة للمعركة القادمة . هذا اللقاء تم في ٢٩ تموز ١٩٤٠ في القطار الخاص الذي كان أعوان جودل وانا واحد منهم ، ينتظرونه فيه ، في محطة ريشنهول ، عائداً من « عش النسر » حيث يقيم هتلر . كانت الشمس تلمع فوق جبال الالب البافارية ، وكان الجميع يتوقعون نهاية الحرب بين وقت وآخر . ولذلك فان الموضوع الذي أثاره جودل قد أحدث صدمة أشبه بانفجار القنبلة . والحقيقة ان الجنرال كان على عادته أميل إلى الصمت فرفض الاجابة عن الاسئلة التي وجهها اليه أربعة ضباط كبار ممن كانوا يصرون على معرفة الاسباب التي دعت الى اتخاذ مثل هذا القرار غير المنتظر . وما يدرينا لعله هو شخصياً كان يحاول ان يهضم هذا النبأ الجديد الذي كان يجب أن يهزه هزاً عنيفاً رغم خضوعه غير المشروط لرغبات الفوهرر . والحقيقة إنني مقتنع بأن الجنرال قد قدم الينا يومذاك حجج الفوهرر لا حججه هو شخصياً .

ما أزال اذكر حتى اليوم جوابين من اجوبته التي كانت تفسر موافقته الواعية على اعلان حرب في جبهتين . قال لنا بأن تصفية الحسابات بين المانيا الوطنية الاشتراكية وروسيا الشيوعية امر لا سبيل الى تجنبه وأن ضرب روسيا الآن والجيش الالماني في الذروة من القوة خير من الانتظار حتى تأتي مناسبة أخرى لإعلان تعبئة ثانية .قال جودل إن الهجوم المنتظر يجب ان يبدأ في أيار ١٩٤١ وهو موعد أقرب ما يكون بالنسبة لامكاناتنا على مواجهة المسؤوليات المترتبة عليه . وعلى ذلك فإن روسيا التي ستسحق خلال بضعة اشهر ستتيح للجيش الالماني فرصة جديدة لتنفيذ مهات اخرى في تشرين أول او تشرين ثاني على أبعد تقدير من العام نفسه .

هل تمكننا القول بأن إرادة القدر بدأت تفعل فعلها مع مثل هذه العبارات الكبيرة ؟ أما بالنسبة للعسكريين فقد كان الموقف واضحاً جداً : أي انهم وضعوا مرة أخرى أمام الأمر الواقع وبتعبير آخر أمام قرار متخذ خارج هيئة اركان الحرب العامة . ولكي يقطع كل مناقشة وهو

الذي تعود مثل هذا الاسلوب ، أخذ يتكلم عن قراره النهـائي في هذا الموضوع . اما اليوم فان كثيراً من رجـال السياسة والمؤرخين ممن لم يعايشوا هذه الاحداث يؤكدون أن هتلر قد اتخذ هذا القرار بعـد محادثته التي اجراها مع مولوتوف في مدينة برلين خلال تشرين الثـاني ١٩٤٠ . حتى في ذلك الوقت كان جديراً به ان يتردد . ومن البديهي ان الحسم في مثل هذا الموضوع امر متعذر . وفي رأيي ان وجهة النظر هذه هي واحدة من وجهات نظر اخرى كثيرة . وعلينا ان لا ننسى ان هتلر ، الكوميدي الحاذق ، كان بارعاً في اصطناع التناقضات بين مستشاريه وزعمائه العسكريين وفي خداعهم واصطناع المفاجآت امامهم . كما اننا يجب ان لا ننسى بأن التطور العام خلال مدة التسعة اشهر التي مضت بين اتخاذ القرار وبداية الهجوم ، بقي بعيداً عن متناول التنبؤات. وليس هناك أية وثيقة تشير الى ان هتلر قد افضى لأحد محدثيه بأيـة تفصيلات او تأملات بالنسبة لهـذه العملية الكبيرة . وزيادة على ذلك نستطيع ان نشير الى عملية إرسال بعثة عسكرية الى رومانيا ترافقها قوات هامة . وعلى الضد من ذلك فإن هتلر لم يعترض أبداً على عمليات الاستعداد لمعركة إنزال الجيوش في بريطانيا : لقد كان يسأل القيادة العليا باستمرار ان تضع دراسات استراتيجية تغطي منطقة تبدأ من افغانستان وتنتهي عند جزر آزور .

هذه الخطط كانت من الطموح بحيث ان ضباط الأركان العامة كانوا يعتبرونها نوعاً من الهذيان والاحلام غير قابلة للتحقيق وقياساً عـلى ما كان يجري في غير هذه المرة كانت معارضة الجنرالات لهجوم عسكري ضد روسيا معارضة مترددة خجولة . أما زعمـاء الجيش البري الذين سيتحملون القسم الاكبر من أثقال هذه المعركة فقد كانوا منهمكين بدراسة الخطوط العامة وتعيين القواعد الرئيسية التي ينطلقون منها بعـد ذلك لدراسة كل الاحتمالات العسكرية . ومن ثم تبدأ دراسة التفاصيل

لوضع الخطوط العامة للعمليات القادمة في جبهة الشرق الجديدة . وعندما تتضح العناصر الرئيسية لهذا العمل يصبح في الامكان إعطاء أجوبة على توكيدات هتلر بحجج ثابتة .

غورنغ ضد الحرب ولكنه يحتفظ بالصمت

هذه المناقشة لكي لا نقول هذا الانذار جرت في شباط ١٩٤١ دون فائدة . أما غورنغ سيد الطيران الالماني الكبير فقد كان معارضاً للحرب ولكن الاهـــداف الايديولوجية للمعركة التي هي تصفية البلشفية وغزو مجال حيوي واسع ارغمته على الاحتفاظ بالصمت . أما الاميرال ريدر فلم يكن يعرف شيئاً واضحاً حول هذا الموضوع وهتلر لم يكن راغباً على ما يبدو في اطلاعه على مخططه بالسرعة المطلوبة ، وهو الذي كان يعلم تماماً أن البحرية هي في كل حال ضد كل استراتيجية برية . فاذا انتقلنا إلى هيئة اركان حرب هتلر فهي في الحقيقة غير موجودة ! فجودل رئيس هذه الهيئة كان يعيش وحيداً في الوسط الذي يحيط مباشرة بهتلر . في هذه الشروط كان الضباط قادرين فقط على مساندة الخطط الاخرى من مثل خطة إنزال القوات في بريطانيا او تقديم المساعدات للايطاليين في المتوسط وافريقيا الشمالية أو الاستيلاء على جبل طارق .

كانت الاحتجاجات غير مرئية كما أنها في كل حال ذات طـــابع أفلاطوني. والخلاصة أن المعارضة الفعالة لهذه الحرب التي ينتظر ان تلهب العالم كله قد جاءت بصورة غريبة من قبل وطني اشتراكي متعصب هو رودولف هس « وكيل الفوهرر » الذي طـــار بصورة سرية في ايار ١٩٤١ الى بريطانيا ساعياً إلى تحقيق وساطة وتسوية .

وكان من غريب المصادفات ان هتـــلر كان سيوقع في ١٢ تشرين

الثاني ١٩٤٠ على توجيهات صادرة من القيادة العليا بالنسبة لمسير العمليات القادمة من روسيا . هذا اليوم نفسه الذي جاء فيه مولوتوف الى برلين لإجراء محادثات حول انضمام روسيا الى المعاهدة الثلاثية لكل من المانيا وايطاليا واليابان . في هذه الوثيقة نقرأ العبارة التالية : « مهما تكن نتيجة هذه المحادثات فإن الاوامر المتعلقة بالاستعدادات في الشرق تبقى سارية المفعول » . وقد فهم منها بعضهم ان هتلر سيصدر توجيهات اكثر تفصيلاً بعد أن يحيط علماً بخطة العمليات الموضوعة والتي سيوافق عليها .

بعد ذلك بثلاثة اسابيع ، أي في ٥ كانون الاول وبتعبير أدق بعد ظهر ذلك اليوم وصل القادة العسكريون الى قصر المستشارية . أما الجنرال هالدر فقد وضع بين يدي الفوهرر خطة (عمليـــة أوتو) وهي اسم متواضع يغطي في الحقيقة أعمال أحسن الادمغة في هيئة الاركان العامة .

ومنذ ذاك الوقت اصبح واجبنا ان نناقش خطط المعركـــة لا ان نتساءل عن مبرر القيام بها . وفي هذا الميدان ايضاً كان هتلر يريد ان يقول شيئاً كثيراً . وبدأ بالتقليل من قيمة الخصم والسخرية به . وكان في رأيـــه ان الجيش الروسي هو اشبه ما يكون بالجيش الفرنسي يوم انزلنا به الهزيمة . فاذا وضعنا جانباً بعض المدافـــع الحديثة فان الجيش في تقديره لا يملك غير اسلحة قديمة الطراز ودبابات غير ذات قيمة ولا سيما بالنسبة لتدريعها قال : « الجيوش الروسية اقل كثيراً من ان تكون على مستوى جيوشنا . وعلى كل حال فان الجيش الاحمر يفتقر الى القادة الاكفاء » .

ونخرج من هذه المقدمات الى التأكيد على ان الكارثة هي التي تنتظر هذا الجيش . وكان عـــلى الجنرال جودل ان يلخص افكار الفوهرر بعبارة حاسمة . « سيكون الجيش الاحمر أشبه (بالضرف) المنتفخ وسنفجره بضربة سيف واحدة . »

أما الجنرالات فلم يكونوا يشاركون الفوهرر في هذا الرأي أبداً . على

ان الفوهرر نفسه لم يلبث حتى تراجع عن رأيه بعد مرور فترة على بداية العمليات الحربية . على ان وجهة نظره في هذا الموضوع قد تمضي دون خطر . ولكن الاخطر منها جداً أفكاره واساليبه واجتهاداته في توجيه العمليات الحربية بالذات . طبعاً كان الجميع متفقين على تفتيت الجبهة السوفياتية لاقامة حصار واسع بعد ذلك حول قطاعات الجيش الاحمر وذلك خوفاً من ان تعود هذه القطاعات الى التجمع والانتظام وترميم القوى بفضل الاراضي الواسعة القائمة في صحراء سيبيريا . كان المهم هو تحطيم الجيش الاحمر وابادته . ومن الضروري هنا ان نشير الى وجهات النظر المختلفة لكل من هتلر وبقية العسكريين . لقد كان الفوهرر يلمح اكثر من مرة الى عمليات مشتركة تستهدف حرمان العدو من مصادر قوته . ويضيف جودل باسم الفوهرر قائلاً ، وهذا شيء خطير : « ليست موسكو هدفاً بالغ الاهمية » .

وفي الايام التالية ، اصبحت ثمرة الجهد الفكري للجيش ، كما كان يقول هالدر ، ثمرة معجونة اعيدت صياغتها لتأخذ شكل التعليمات الصادرة عن القيادة العليا للجيش الالماني . وظهرت الخلافات والتناقضات منذ بداية هذا العمل . فبينما كان العسكريون يرون ان الاندفاع نحو موسكو يجب ان يستمر بغض النظر عما يحدث حول جناحي الجيش اذا بجودل يقرر في ضوء توجيهات هتلر قراراً ينسف جهود اشهر طويلة بذلتها هيئات اركان الحرب في اعدد الخطط . لقد قرر ان على الجيش الالماني بعد تفرق قوات السوفيات في القطاع الاوسط ، ان يتجه نحو الجنوب والشمال. أما في الشمال فيجب ان تحتل مدينة لينينغراد واما في الجنوب فيجب التوصل الى ابادة جملة الجيوش الروسية المعسكرة غربي نهر الدنيبر . فاذا تحقق هذان الهدفان تابعت القوات الالمانية الوسطى مسيرتها نحو موسكو .

اما اسم « باربياروس » الذي اطلق على الحملة الروسية والذي ظهر لأول مرة في نشرة توجيهية من نشرات هتلر بتاريخ ١٧ كانون اول

١٩٤٠ فهو أيضاً فكرة صادرة عن القيادة العليا . لقد تم من قبل اقتراح اسم « اوتو » او « فريتز » . ولكن هذين الاسمين في نظر القيادة العليا اقل كثيراً من ان يكونا على مستوى المعركة المدهشة التي يستعدون لها . وقد يكون اختيار الفوهرر لهذا الاسم لاحد سببين : اولاً ، التوازي التاريخي مع فردريك بارباروس امبراطور الغرب الذي انطلق محارباً



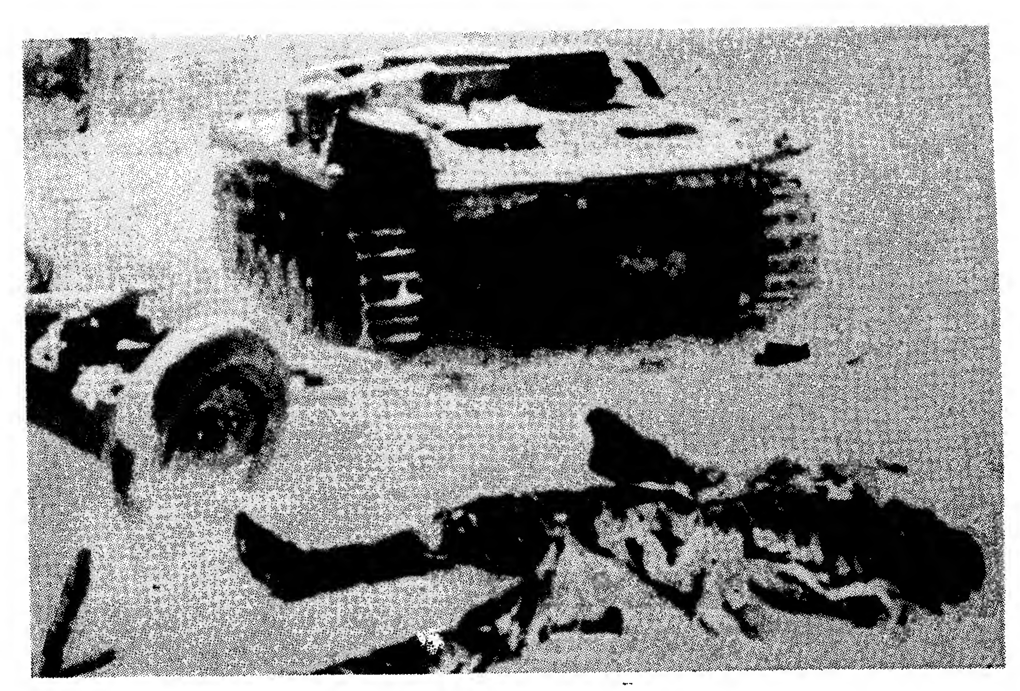
● الشتاء الروسي ●

من اجل قضية مقدسة منذ ثمانماية عام . ثانياً ، ان كلمة « روسا » كانت تذكر هتلر بعلم البلشفية الاحمر ... والآن ... لم يعد سبيل الى الشك : لقد قرر هتلر تنفيذ خطته التي وضعها بنفسه . ولن يغير رأيه احتجاج القوات البحرية او البرية . لقد كان الجنرالات يقدرون ان الجيش الاحمر اقوى كثيراً مما يقدره هتلر . ولكن الجنرالات في رأيه مخطئون .

وخلال الاشهر الستة التي مضت بعد ذلك حتى بداية الغزو فان خطط العمليات قد خضعت لتعديلات كثيرة اجراها هتلر نفسه .

كل هذه التعديلات كانت تعكس مفهومه لمعركة الغد . لقد كان يرى ان لقاءً عنيفاً سيجري بين فلسفتين متناقضتين .

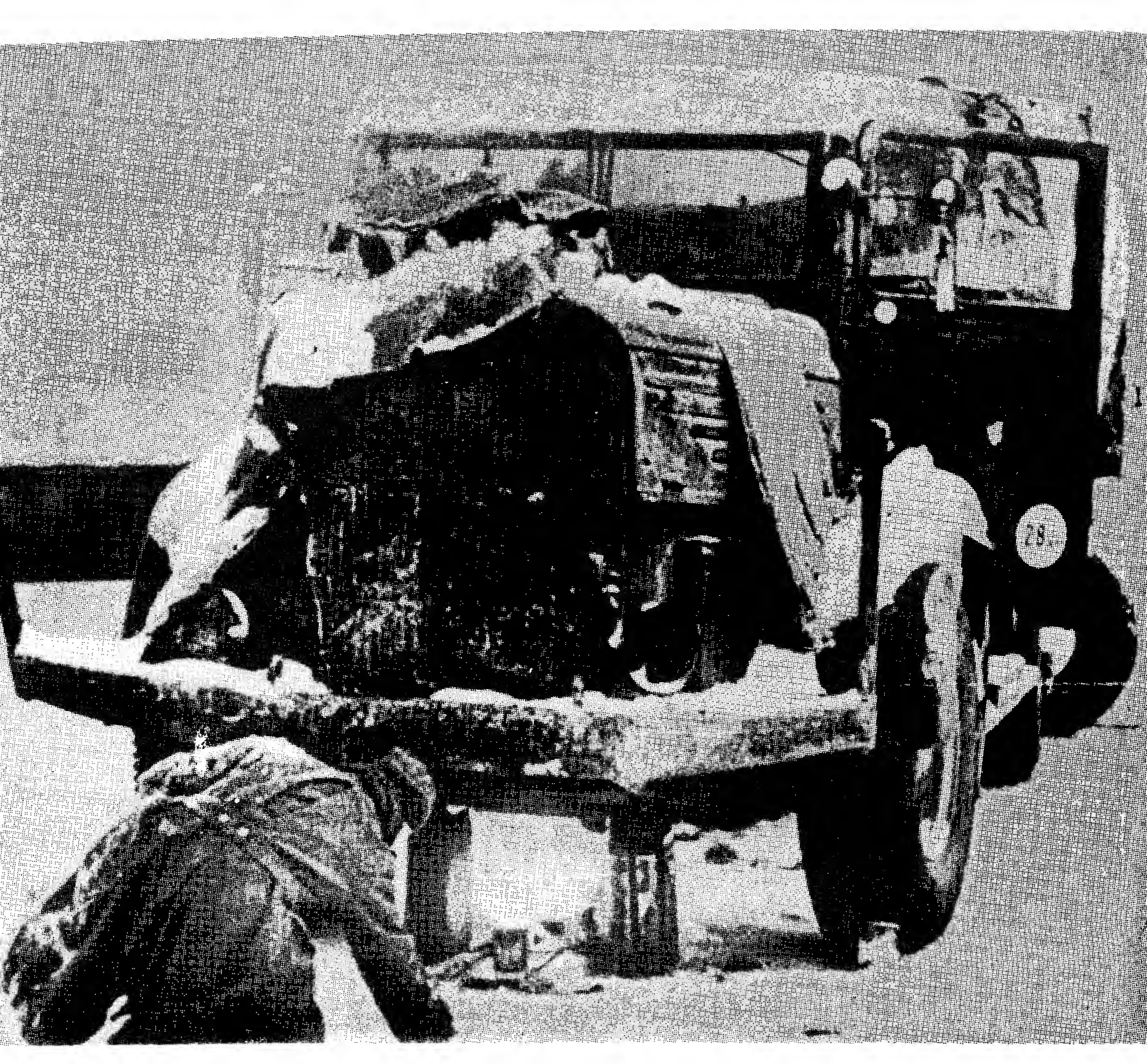
ومن هنا تقضي الضرورة بتقرير بعض المبادىء : « الضباط كالرجال كان عليهم ان يتحرروا من الزمالة التقليدية بين الجنود . » اما محاكم



دبابة وجثة في الطريق الى موسكو

الحرب بقوانينها القائمة على الشرف العسكري فلم يكن لها مكان في منطقة الشرق ؛ ان على الضباط ان ينتصروا على كل معارضة قد تصدر عنهم لحرب الابادة التي يجب ان يقوموا بها . وعلى ذلك فانه بعد ان ضمن أقصى ما يمكن من طاعة الجيش امتنع عن الاشارة الى خطته التي سينفذها فيما وراء خطوط القتال . اما فيما يتعلق بحلفاء المانيا ، فالأمر يتعلق اساساً بفنلندا ورومانيا ، ثم بهنغاريا وسلوفاكيا . اما الزعماء العسكريون للبلدين الأولين فلا يجب ان يعرفوا بالنزاع الجرماني السوفياتي

المنتظر الا حين يصبحون جديرين بالثقة . واما فيما يتعلق بالحليفين الكبيرين ايطاليا واليابان فيجب ان يحتفظ الجميع بالصمت . وقد اندهش



كان الجنود الالمان مضطرين الى تحمية محركات شاحناتهم قبل ان يقلعوا بها .

العارفون بالأمور حينما وقع وزير الخارجية اليابانية معاهدة حياد مع الاتحاد السوفياتي بعد نهاية المحادثات التي اجراها في برلين بتاريخ نيسان ١٩٤١ . هذه العلاقات الثلاثية التي نشأت عن هذا التصرف بقيت قائمة بعد دخول اليابانيين في الحرب ضد الغربيين تنتهي فقط عام ١٩٤٥ . هذا الموقف هو الذي سمح دون ريب للدكتور سورج الصحفي ذي النسب الجرماني الروسي بالبقاء في سفارتنا في طوكيو وبتزويد الروس بمعلومات واسعة حول الأغراض اليابانية . وقد تأخر غزو الاتحاد السوفياتي خمسة اسابيع عن الموعـــد المقرر له بسبب معركة البلقان وهو تأخر كادت تكون له نتائج خطيرة .

واخيراً اخترق الجيش الالماني حدود البلاد السوفياتية في ٢٢ حزيران على جبهة طولها الفا كلم . ولكي يكون هتلر اقرب الى قواته المهاجمة فقد اقام قاعدة لقيادته على بعد مئة كيلومتر من حدود ارض العدو . اما قيادة غورنغ فقد قامت بالقرب منه . لكن القيادة البحرية بقيت في برلين .

والواقع ان الروس فوجئوا بالهجوم . وكان غزونا في البداية غزواً مظفراً حتى فصل الخريف . وعندما جاء الشتاء مبكراً في ذلك العام جمد كل شيء والمحركات . وقد قدم القدر فاتورته تحت برودة بلغت ٣٥ درجة تحت الصفر . وبفضل هذه البرودة دقت ساعة الهجوم المعاكس بالنسبة للروس . بينما كان طيف الهزيمـــة يرتفع امام النظرات الزائغة لقيادتنا العليا .

شكوك :

هذا هو التقرير الذي وضعه الجنرال فارلي مونت واستعرض فيه الملابسات والمواقف والافكار التي رافقت المرحلة التمهيدية لهذه المعركة . ولكن

شبحاً من الشك ما يزال يبدو امام النظرة الموضوعية السليمة . هذه النظرة الموضوعية قد سجلت بعض الملاحظات المتعلقة بموقف كل من هتلر وستالين .

اما بالنسبة لهتلر فالواقع ان احتلال ستالين لمنطقة بسارابيا وبوكونين الشمالية من البلاد الرومانيـــة قد اثار الشكوك عنده . لا سيما وان زعيم النازية كان شديد التخوف من زحف النفوذ الشيوعي الى البلاد البلقانية . ولم يكن في وسع المعاهدة الروسية الالمانية التي وقعت في آب ١٩٣٩ ان تخنق عداوة النــازية ومخاوفها من سلطان الشيوعية وقوتها النارية في العالم . لذلك فان احتلال ستالين لهذه المنطقة من رومانيا قد أثار هذه المخاوف او كشف عن مبرراتها في نظر النازي الأول .

يضاف الى ذلك ان ستالين قد انقض على البلدان البلطيقية في شهر حزيران من عام ١٩٤٠ بينما كان هتلر منهمكاً في الحملة على فرنسا . ومعنى ذلك ان الاتحاد السوفياتي الذي كان يقوده آنذاك خبير على صورة ستالين ، مدرك لما تحفل به خلفية العقول الالمانية التي كانت تشرف على مقدرات المانيا من العداوة والبغضاء لا يمكن ان يغفل عن الاحداث القادمة واحتمالاتها المفاجئة . لقد كان عليه ان يوسع حدوده الى اقصى حد ممكن بانتظار انقلاب الاوضاع وليكون في وسعه امتصاص الهجوم الالماني الكاسح الذي سيجري حتماً في يوم قريب او بعيد .

لذلك بادر الاتحاد السوفياتي الى احتلال جزء كبير من بولونيا ثم ضم الى اراضيه لتوانيا واستونيا ولاتفيا .

ومع ذلك فان الاتحاد السوفياتي قد وجد بأن هذا التوسع لا يسمح له بامتصاص القوة الضاربة الالمانية وهي في ذروة انتشائها . لقد كان عليه ان يستدرج هذه القوة الى داخل بلاده الواسعة عاملاً جهده على تبطئة الهجوم بحيث يستطيع ان يمتصه او يمتص الجولة الأولى منه حتى يدخل فصل الشتاء ، وبحيث تكون ضواحي كل من موسكو وستالينغراد ولينغراد الحدود القصوى التي يسمح للجيش الالماني بالوصول اليها ، وبحيث

تبقى هذه المدن في حوزة القوات السوفياتية المدافعة . وستالين كان يعرف تماماً بأن حليفه الكبير الذي سيغيّر موازين القوى لمصلحته هو الشتاء وما يرافقه من الصقيع القاتل المميت .

ولا شك ان هـــذه الخطة كانت ستكلف الاتحاد السوفياتي خسائر كبيرة في الارواح . لكن هذه الخسائر أمر لا بد منه من اجل استيعاب القوات الالمانية المهاجمة ...

اما ما يقال من ان الاتحاد السوفياتي قد فوجىء بالهجوم وان الحدود لم تكن من اجل ذلك محروسة بقوات كافيـــة فهذا في رأينا تقدير غير منطقي ولا معقول . اذ ليس من الممكن ان يبقى الاتحاد السوفياتي جاهلاً لما يجري عند حدود بلاده من تجمعات عسكرية هائلة بلغت ثلاثة ملايين من الجنود مع ثمانية آلاف مدفع من كل العيارات وأربعة آلاف دبابة على امتداد الفي كلم .

واذا صح ان الاتحـــاد السوفياتي كان غافلاً عما يجري في الجانب الالماني فان غفلته هذه جريمة لا تغتفر . جريمة تعرض سلامة البلاد للخطر وتسبب الخسائر الفادحة التي لا مبرر لها .

ولم يكتف ستالين في رأينا بوضع خطة التراجـــع الهائلة التي كان يقصد بها امتصاص الهجوم الالماني الأول وهو في ذروته ؛ بل اضاف الى ذلك مواقف ومناورات تبدو لنا مدروسة قبل بداية الحرب بوقت طويل ...

ان معركة الاتحـــاد السوفياتي مع فنلندا كانت في رأينا بتفاصيلها ومراحلها ، أشبه بمسرحية موضوعة لتضليل المانيا ولاعطاء صورة غير صحيحة عن الامكانات العسكرية للجيش الاحمر . لقد كان تعثّر الروس في مقاتلة الفنلنديين تعثراً مدروساً فائق البراعة بحيث ان هتلر المغرور بقوته والمنتشي بالانتصارات التي سجلها في الجبهات الغربية ، قد اصبح على

مثل اليقين من تفاهة الجيش الاحمر المزعومة وافتقاره الى الاسلحة الثقيلة الحديثة .

وبالغ ستالين في اظهار الغفلة وحسن الظن . فراح يتصرف تماماً على طريقة الفلاح الساذج . فلم يتردد في تزويد هتلر بكل ما كان يحتاج اليه من المواد الأولية الضرورية لصناعاته الحربية ومن الحبوب . لقد ارسل اليه حتى بداية عملية بارباروس مليون طن من الحبوب ونصف مليون طن من المعادن و٩٠٠ الف طن من البترول . بل فعل ستالين اكثر من ذلك . لقد مثل دور الزوج المخدوع الذي يحاول استدراج زوجته ليواجهها بعد ذلك بتهمة الخيانة . لقد راح يتسوق المواد الأولية التي كان يحتاج اليها هتلر من بلدان الشرق الأوسط محطماً بذلك الحصار الذي ضربه الحلفاء على القارة الاوروبية . وسجل ستالين خطوة اخرى بلغت القمة في براعة (التباله) . لقد اوحى للسفير الالماني باستعداده لتقديم خمسة ملايين طن من القمح في كل عام . وكانت هذه السلع من الأهمية بالنسبة لهتلر بحيث انه كان يمنح الأفضلية في عمليات النقل للشحنات التي كان يزوده بها الاتحاد السوفياتي . وكانت هذه الافضلية سارية على كل جهة حتى على الجيش الالماني نفسه .

يبقى ان نشير الى ظاهرة خطيرة جداً .

ان الجيوش الروسية التي تلقت صدمة الهجوم النازي الاول لم تكن جيوش النخبة المختارة . وان الاسلحة المختلفة التي استعملها الروس في البداية لم تكن اسلحة حديثة قادرة على مواجهة السلاح الالماني الرهيب في الجو او في البر . اما القوات التي مثلت دور الفداء حقاً ، والتي استطاعت ان تقلب الاوضاع وان تجمد اكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم ، فهي تلك التي كانت تنتظر عند الحدود المعينة لها في قلب الاتحاد السوفياتي .

ونحن لا نعني بذلك ان الاتحاد السوفياتي كان في تسلحه وامكانياته

العسكرية على مستوى الجيش الالماني الذي يعتمد على موارد القـارة الاوروبية وصناعاتها الثقيلة ولكننا نقصد الى تقرير حقيقة بدهية ننفي بها بلاهة القيادة في موسكو وغفلتها وتأخرها المزعوم في الاستعداد للحرب .

يضاف الى ما سبق ان الاتحـاد السوفياتي قد دافع سياسياً عن قضية هتلر واستغل الاحزاب الشيوعية الوطنية في العالم لتوجيه الحملات الدعاوية العنيفة ضد الحلفاء متهماً اياهم بالاعتداء على الدولة النازية وبقي على موقفه هذا حتى قبيل بداية الغزو النازي . وفي ايار ١٩٤١ ، اي قبل شهر واحد تقريباً من بداية غزو البلاد الروسية ، عـاد ستالين عن قراره بالاعتراف بالحكومات المنفية لكل من بلجيكا والنرويج ويوغوسلافيا كما اعترف بالحكومة العراقية التي كانت موالية للنازيين .

اما في الميدان العسكري فقـد استقبل الاتحاد السوفياتي هزيمة فرنسا بقلق بالغ وكذلك ضياع كل امكانية لايجاد جبهة ثانية ضد هتلر في بلاد البلقان ـــ هذه الجبهة الثانية التي لم يلبث بعـد وقوع الحرب بينه وبين المانيا ان دعا اليها بكل قواه في الحاح ودأب وشدة . كما انه في كل حال لم يبد اية شفقة على الانكليز الذين سحقهم الهجوم النازي في الجبهة الغربية بنوع من اللامبالاة المحسوبة بقدر امام التهديد النازي بغزو الجزر البريطانية .

واستمر الاتحاد السوفياتي يلعب لعبة النازية في اقتسام النفوذ والمقدرات في العالم . لقد كان يسعى جهده الى تدعيم مركزه والحصول على اكبر قدر من المكاسب . ولذلك فقد قلق ستالين وراح يتساءل عن دوره بالنسبة للاتفاق الثلاثي الذي وقعته كل من اليابان والمانيا وايطاليا . وزاد قلقه حين بادر هتلر الى ضمانة الحدود الرومانية بعد ان احتل بيسارابيا وبوكوفين الشمالية . وراح يفكر في الحصول على بوكوفين الجنوبية . وجاء مولوتوف الى برلين بعـد توقيع الاتفاق الثلاثي الذي تم في ايلول ١٩٤٠ لاجراء محـادثات مع المسؤولين هناك . وقد اوحى كل من هتلر وريبنتروب

لمولوتوف خلال زيارته التي جرت في اواسط تشرين الثاني عن استعداد المانيا لاقتسام الامبراطورية الانكليزية مع الاتحاد السوفياتي .

هكذا كان يتصرف الاتحاد السوفياتي اعتقاداً منه ان في وسعه كسب الوقت والاستعداد لتلقي اية مفاجأة من المفاجآت ، بينما كان هتلر يحاول جهده ان يقنع السوفيات بعدم التفكير بأي غزو في اوروبا الغربية ثم يدفعه دفعاً الى الشرق باتجاه الخليج العربي والمحيط الهندي حيث يصطدم بالانكليز . لكن مولوتوف رغم هذا كله كان يصر في هدوء وتؤدة على معرفة النوايا الالمانية بالنسبة للبلقان وعلى حصة الاتحاد السوفياتي في صميم المحور الثلاثي . وانتهت المحادثات الى طريق غير نافذ .

ويبدو ان ستالين قد وجد الفرصة مؤاتية لتكرار المحاولة على أمل تحقيق بعض المنجزات لمصلحة بلاده . ولذلك فانه اقترح على هتلر في ٢٥ تشرين الثاني تحويل الاتفاق الثلاثي الى اتفاق رباعي تكون روسيا طرفاً فيه . ولكن ستالين لم يكتف بتقديم الاقتراح بل ارفقه بشروط معينة :

١ — على الجيوش الالمانية ان تنسحب من فنلندا .
٢ — على اليابانيين ان يتنازلوا عن امتيازاتهم في سخالين الشمالية .
٣ — على البلغاريين والاتراك ان يمنحوا السوفيات امتيازات خاصة وقواعد عسكرية .

اما هتلر فلم يكلف نفسه عناء الجواب ؛ ذلك لأنه قد قرر اعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي .

أليس في هذا كله ما يبعث الشكوك في رؤوس القادة الروس ؟!

أوليست المراوغة الالمانية بالنسبة لقضايا حساسة كهذه جديرة بأن تزيل الاقنعة وتكشف عن النيات المخبأة ؟!

الواقع ان ستالين قد ادرك هذا كله ولكنه قرر الحفاظ على المظاهر ، بينما كان يستعد ليل نهار لاستقبال اليوم العصيب .

والثابت ان تشرشل وروزفلت قد حذرا ستالين من غزو نازي مرتقب واثبتا له بما لا يقبل الشك بأن دور بلاده قد اصبح قريباً جداً .

وعندما سئل تشرشل عما يفعله فيما اذا هوجم الاتحاد السوفياتي وهو الذي كان الخصم الأكبر للشيوعية خلال ٢٥ عاماً سبقت، قال : « ليس عندي غير هدف واحد .. هو القضاء على هتلر .. فاذا غـزا هتلر الجحيم ، فلا أقل من أن أقول في مجلس العموم كلمة طيبة عن الشيطان.» وعندما بدأ الغزو الألماني للبلاد الروسية لم يتردد تشرشل في اعلان تضامنه المطلق مع الاتحاد السوفياتي :

سنساند كل من يكافح النازية . وسيكون كل من يسير مع هتلر عدواً لنا ... هذا هو خط سيرنا . وهذا هو قرارنا . يتبع ذلك اننا سنقدم كل مساعدة ممكنة الى روسيا والشعب الروسي . ونحن نستحلف كل اصدقائنا وحلفائنا في كل انحاء العالم أن يسيروا على طريقنا كما سنفعل نحن باخلاص وتصميم حتى النهاية .

الأرض المحروقة :

وعندما بدأت الحرب أعلن ستالين لشعبه بعد أن تلقى وعوداً جازمة من قبل الانكليز والأميركيين بتقديم المساعدات المطلوبة ، بأنه لن يكافح هتلر وحيداً . ثم أمر باتباع خطة الأرض المحروقة في حـالة التراجع بحيث لا يجد العدو ما يستعمله ضد الجيش الأحمر .

الهجوم الكبير

وفي ٢٢ حزيران صدر عن القيادة السوفياتية العليا بيان يقول : لقد

اجتاز الألمان حدودنا في الساعة الرابعة من هذا الصباح . وأغارت طائرات اللفتواف على كثير من المدن . انها الحرب .

وتساءل كبار القادة الروس ومن بينهم الماريشال ارمنكو : لماذا اخفت القيادة العامة عنا حقيقة الموقف . واعتقد هؤلاء القادة أن النازيـــة قد غدرت بهم دون أن يكونوا مستعدين لمقاومتها . ولكن القيادة السوفياتية العليا لم تلبث حتى كشفت عن مخططها الواسع اعتماداً منها على دروس



جنود المان يتقدمون وسط الادغال

تاريخية سابقة فأصدرت أوامرها بمقاتلة العدو بينما أخذت تعد العدة للقيام بهجوم معاكس في الشتاء القادم .

والحقيقة ان انتصارات الألمـــان في الأشهر الأولى كانت انتصارات هائلة . في كل مكان من الجبهة سجلوا تقدماً بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كلم في شهر واحد . أما في الوسط فقد تميز فون بوك بمنجزات مدهشة . لقد خاض جيشه معركتين كبيرتين خلال عمليات الإبادة عند مدينتي منسك وسمولنسك وقد أتاحت له هاتان المعركتان فرصة اعتقال عدد هائل من الأسرى . وقد اجتاز ثلثي المسافة الى موسكو خلال ١٨ يوماً . ومع ذلك فان فوك بوك لم يستطع رغم مناورات الحصار التي قام بها ان يحطم



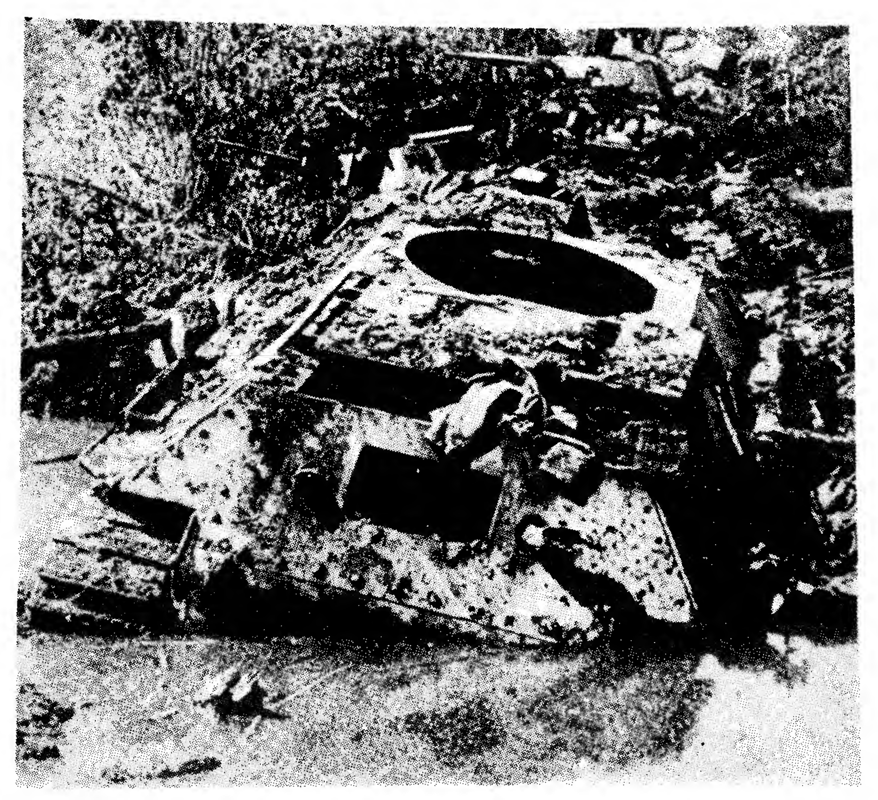
كان للحصان دور هام في حرب روسيا ، وكان الجيش الأحمر يملك ٦٠٠ ألف حصان

جملة القوات الروسية في هذا القطـاع . لقد انسحب قسم كبير من الجيش الروسي الى مواقع جديدة معدة من قبل فنجا من الكماشة الألمانية العملاقة .

وقد تحدث الجنرال غنتر بلومنترث ، أحد القادة التابعين لقيادة فون بوك عن بعض المعارك التي جرت في البداية فقال :

كانت قوات المشاة تجد صعوبة بالغة للحاق بمسيرة القوات المدرعة . ان اجتياز أربعين كلم في كل يوم لم يكن شيئاً استثنائياً آنذاك : وذلك

في طرق سيئة جداً . صورة واحدة كانت تطفو في تلك الفترة . انها صورة سحب الغبار الاصفر التي كانت تحدثها صفوف الجيش الروسي المتراجعة والتي كانت تشارك في إثارتها أيضاً قوات المشاة الألمانية التي تطاردها . الحرارة كانت خانقة ، رغم الامطار المفاجئة التي تحول الطرق



احدى الدبابات الروسية المحطمة

سريعاً الى أرض موحلة . وعندما تعود الشمس الى الظهـــور لا تلبث الوحول حتى تجف فتصبح الارض شبيهة بالفخار المشوي .

انتهت المعركة الاولى بانتصار كامل . الشبكة كانت رائعة : ١٥٠ الف أسير ، ١٢٠٠ دبابة و ٦٠٠ مدفع تم الاستيلاء عليها او حطمت.



كان على الجيوش الألمانية ان تسير على مثل هده الطرق الموحلة

ملاحظتنا الاولى ان الجندي الروسي هو مقاتل عنيد صبور . لكن دباباته لم تكن جيدة . أما طائراته كما بدا لنا آنذاك فلم تكن موجودة .

سلوك الجيوش الروسية في الهزيمة يتناقض تماماً مع سلوك البولونيين والحلفاء الغربيين . لقد كان الروس يقاتلون بعنف ويتشبثون بمواقعهم حتى في حالة حصار . الغابات الواسعة والمستنقعات الكبيرة كانت تساعدهم. والحقيقة انه لم يكن في الإمكان حملُ عددٍ كاف من الجنود على جعل حصار هائل كحصار بياليستوك – سلونم ، حصاراً غير قابل لتسلل القوى المحاصَرة . قواتنا المدرعة كانت تقاتل في الطرق العامة او في المناطق المتاخمة لها . اما في الساحات الشاسعة التي لا تجتازها أي طريق فقد كان سهلاً على الروس أن يتسللوا عبر شبكات الحصار .

أفواج بكاملها كانت تنتقل خلال الليل عبر الغابات التي تمتد بعيداً

الى الشرق . كان الروس يحاولون دائماً التوجه الى الشرق بحيث ان هذه الجبهة كانت تفرض علينا أن نخصص لحمايتها واغلاقها خير فرقنا العسكرية. ورغم هذا كله فان عمليات الحصار التي كنا نقوم بها لم تكـــن تكلل بالنجاح إلا في حالات نادرة .



والبرغش ايضا يحارب الالمان في روسيا ، وفي الصورة جنود ألمان يحجبون وجوههم عن البرغش .

وبما أن هتلر لم يكن راغباً في جعل القطاع الأوسط لجيوش الغزو ميداناً للضغط العسكري الأساسي رغم اجـــماع العسكريين على ضرورة توجيه الضربة الحاسمة الى موسكو العاصمة ودماغ المقاومة السوفياتية ، فقد

نفذت خطة هتلر وأهملت رغبات العسكريين . كان يتعجل الاستيلاء على لينغراد وكذلك حرمان السوفيات من بترول القوقاز .

ولتحقيق هذا الغرض أمر هتلر بفصل أجنحة من جيش فون بوك والحاقها بجيش فون ليب في الشمال للانقضاض على لينغراد من ناحية كما أمر بفصل اجنحة أخرى من هذا الجيش وإلحاقها بقوات رانستد في الجنوب

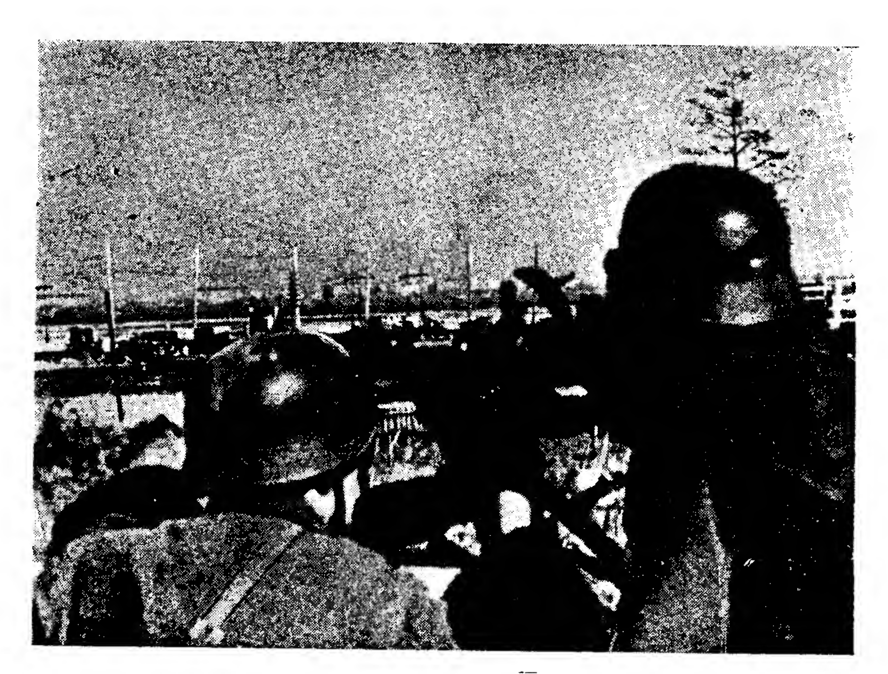


جنود روس مسلحون بالبنادق الرشاشة يتسلقون احدى القمم في جبال القوقاز

لمساعدته على أحكام الحصار حول مدينة كييف . من أجل ذلك توقفت مسيرة فون بوك خلال أخطر شهرين من شهور هذه الحرب .

أما رانستد فقد استطاع بمساعدة القوات المنفصلة عن جيش فون بوك أن يأسر حول كييف أكثر من ٦٠٠ ألف جندي روسي .

وأما في الشمال فقد وصل جيش فون ليب الى ضواحي لينغراد في ٣٠ آب ١٩٤١ وهو مؤلف من ٣٠٠ ألف جندي . وبدأ اطول حصار عرف في العصور الحديثة . لقد كتب لهذا الحصار ان يستمر ٢٩ شهراً وأن يسبب وفاة ٩٠٠ ألف إنسان من سكان المدينة وعدتهم ثلاثة ملايين. وفي ٤ ايلول أمر هتلر بأبادة هذه المدينة من على وجه الارض . كتب يقول : في هذه الحرب المصيرية لا نملك أي مبرر للحفاظ حتى على



رجال المدفعية الألمانية يشاهدون قباب ليننغراد

قسم من سكانها . وانتشرت المجاعة في المدينة : خط التموين الوحيد الذي كانت تستعمله ليننغراد هو الخط الذي يمر عبر بحيرة لادوغا . الاعاشة كانت تقل في كل يوم : وفي تشرين الثاني بلغت ١٢٥ غرام من الخبز للموظفين و ٢٥٠ غراماً للعمال . أما الجنود في الميدان فقد كان عليهم أن يتابعوا المعركة باعاشة يومية لا تتجاوز ٣٥٠ غرام من الخبز . وبذلك زادت نسبة الوفيات بسبب قلة التغذية فبلغت في شهر كانون الأول ٥٢ ألفاً . وفي بعض الأيام بلغت الوفيات اليومية ٤ آلاف . وببداية فصل الشتاء زاد الموقف سوءاً . لقد حرمت المدينة من الكهرباء والوقود تحت برودة بلغت ٤٠ درجة تحت الصفر . ومع ذلك استمر شعب ليننغراد يقاوم ويقاوم حتى نهاية الحصار .



لم يترك الالمان وراءهم سوى الخراب والدمار

هكذا اصبحت الحياة جحيماً في المدينة الباسلة . القنابل الالمانية التي كانت تتساقط لم تكن تستهدف مواقع عسكرية . لقد كانت تنفجر في الشوارع بينما صفوف طويلة من المدنيين تقف ساعات طويلة امام المخابز للحصول على الاعاشة اليومية . اما الوقود فقد كان الناس يحصلون عليه باحراق اثاث بيوتهم وكتبهم . ولكي يتجنبوا الموت جوعاً كان يذيبون غراء اثاثهم في البيوت ويشربونه . وتحسن الموقف قليلاً عندما تجمدت بحيرة لادوغا تجمداً سمح لسيارات التموين بالمرور فوقها . ورغم الغارات الجوية التي كانت تحاول تحطيم الجليد فوق البحيرة فان قوافل التموين استطاعت ان تحمل الى المدينة ما زنته ٤٥ الف طن من المواد الغذائية . وابتداء من شهر شباط من عام ١٩٤٢ بدأت عمليـــات ترحيل المدنيين عبر البحيرة . وتم ترحيل مليون من النساء والاطفال والشيوخ خـــلال ثمانية أشهر .

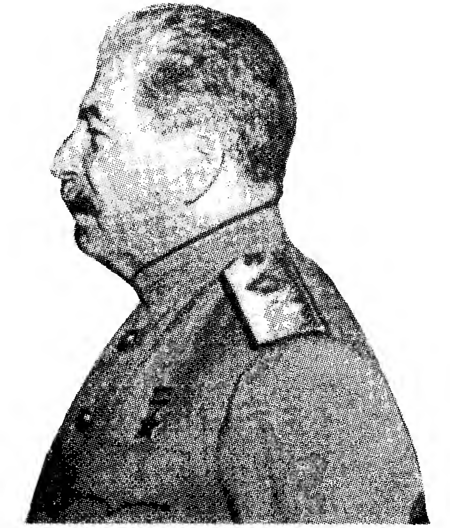
عودة الى معركة موسكو

طبعاً كانت موسكو هي الهدف الرئيسي لجيش فون بوك في القطاع الاوسط وقد صدر الامر الى قائد هذا الجيش بعد توقف استمر شهرين دون ان تتحقق خطة هتلر في الشمال والجنوب، بالانقضاض على العاصمة الروسية .

وبدأت المسيرة الكبيرة مرة اخرى . واذا بالجيش الالماني يجد نفسه عند أبواب العاصمة في وسط تشرين الاول . فهاجمها عبر جبهات ثلاث مرة واحدة. وفي ١٧ تشرين اول جلت دوائر الحكومة والمصانع وفئات المدنيين الذين لم يطلبوا لخدمة العلم والدفاع عن موسكو ، الى مدينة كويبيشيف خلف قمم الاورال . وبقي ستالين وحيداً في الكرملين ليقود

العمليات العسكرية .

والواقع ان هتلر قد وجه نداء الى قواته المسلحة قبل أن يصدر أمره بالهجوم . جاء في بعض فقرات هذا النداء قوله : « اخيراً تحققت كل الشروط المطلوبة لتوجيه الضربة النهائية للعدو » . صدر هذا النداء في



جوزيف ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي



حائط الكرملين وقد اضيء بأنوار طلقات المدافع المضادة للطائرات
وقد التقط هذه الصورة احد الطيارين الالمان

٢ تشرين الاول . وقد تم الهجوم على جبهة طولها ٣٥٠ كلم بقوات عدتها ٥١ فرقة . وكانت مهمة فرق المدرعات الالمانية التي يقودها هوث وغودريان الاحاطة بموسكو على صورة الكماشة . ولكن الجنرال الروسي جوكوف حطم هذه المحاولة . وبينما كان شعب موسكو يستعد لمعـــارك الشوارع حاول جوكوف تأخير التقدم الالماني بانتظار وصول النجدات من سيبيريا.



المصانع الروسية التي باتت خراباً

لقد استطاعت فرقة روسية ان تحتفظ بمواقعها في بوردينو حيث جرت معركة نابوليون عام ١٨١٢ اربعة ايام امام هجمات فرقتين المانيتين من فرق الصاعقة . وحطمت لها مئة دبابة واصابت من رجالها عشرة آلاف بين قتيل وجريح . وقد تم استعراض الجيش الاحمر في ٧ تشرين الثاني بمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة البلشفية رغم المعركة الدائرة . اما الدبابات التي مرت بالاستعراض فانها لم تتوقف بعده بل تابعت طريقها الى الميدان .

هكذا بقيت مدينة موسكو في حـــالة حصار مستمر . اما اكثر الوزارات والسفـــارات تم مسرح بولشوي فقد نقلت الى كويبيشيف كما ذكرنا منذ قليل وهي على بعد ١٠٠٠ كلم من العاصمة موسكو . وبقي ستالين في الكرملين حيث كان يسمع من وراء مكتبه اصوات المدافـــع الالمانية . ولكي ندرك المهمة التي قام بها ستالين لترحيل المصـــانع في موسكو وضواحيها يجب ان نعلم بأنه تم نقل ١٥٢٣ مصنعاً الى الشرق بين شهري تموز وتشرين الثاني بواسطة مليون ونصف مليون من الشاحنات الحديدية . وبفضل هذا العمل العظيم سيكون في وسع الاتحاد السوفياتي ان ينتج في الاورال وسيبيريا اسلحة النصر عام ١٩٤٦ . لقد صنع هنـــاك



المصانع الروسية وقد اخذت تنتج ٢٠٠٠ دبابة في الشهر



مصانع الطائرات التي نقلت الى الاورال انتجت
٢٢ الف طائرة عام ١٩٤٢

٢٢٠٠٠ طائرة و ٢٥٠٠٠ دبابة . كما ان الذين انقذوا موسكو هم الذين أتوا من سيبيريا ايضاً في وحدات فتية قويـــة انتظر ستالين وصولها في تشرين الثاني ليبدأ هجومه المعاكس بعد ذلك .

السيبيريون يصلون مع برد الشتاء

وفي ١٠ تشرين الثاني وصلت قطارات طويلة جداً محملة بجنود يلبسون ثياباً بيضاء أشبه بالعباءة . وقد وصل هؤلاء الجنود بعشرات الالوف ومئاتها الى موسكو . وقد كانوا يغادرون قطاراتهم في ريازان وكولومنا مهاجرين من مساقط رؤوسهم ، كازاكستان ، شواطىء نهر الآمور ، والتايغا . ثم ينطلقون الى المعركة في فرق كاملة بعد وصولهم مباشرة . هؤلاء السيبيريون يملكون من الجلد أمام اشد انواع الصقيع ما جعل ستالين يحتفظ بهم على امتداد الجبهة الصينية والمنشورية حتى ساعة الخطر. وقد جاءت ساعة الخطر حول ضواحي موسكو . والواقع ان قائد الجيوش

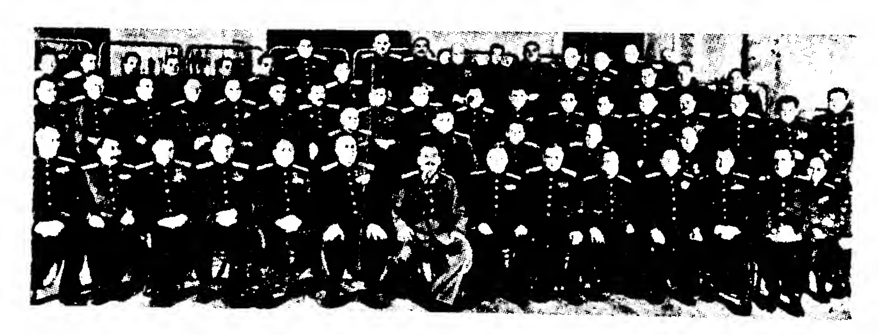


تالاليخين بطل روسي قذف بطائرته نحو طائرة عدوة

الروسية استطاع ان ينقل قواته من الجبهات الآسيوية لمساعدة العاصمة وان ينظم هجوماً معاكساً واسعاً بهؤلاء الجنود الشرقيين بفضل التقارير التي كان يرسلها اليه سورج الجاسوس السوفياتي المعروف .

لقد احاطه سورج علماً بأن اليابان المنهمكة بمشاغلها في الباسفيك لن تهاجم الاتحاد السوفياتي من الخلف . إن هذه المساعدة الرئيسية التي قدمها جاسوس لعمليات الدفاع عن موسكو بقيت مجهولة من الروس حتى عام ١٩٦٣ . وفي عام ١٩٦٤ اعتبر سورج (بطل الاتحاد السوفياتي) وتم هذا الاعلان بعد وفاته لأن هذه الوفاة قد جرت عام ١٩٤٤ في احد السجون اليابانية . وتتابع السيبيريون فرقة وراء فرقة وفيلقاً وراء فيلق وكان الجميع

يرددون عبـــارة ستالين التي اطلقها حين طلب الى جنوده ان يتشبثوا بمواقعهم حتى الموت . لقد جاء في هذه العبارة قوله (إن روسيا بـــلاد كبيرة . ولكن موسكو وراءنا فليس لنا مكان نتراجع اليه) . وكان بعض هؤلاء الجنود يقتل واقفـــاً ، متجمداً من الصقيع فيبدو وكأنه يتابع كفاحه وسلاحه بيده . ان هذا الجندي الذي يموت عـــلى هذه الصورة كان رمز المقاومة في الجيش الأحمر . أما البطولة التي ظهرت في القتال فكانت غير ذات حدود . إن فوجين من الخيالة القوزاقيين حملا



مارشالات الاتحاد السوفياتي يتوسطهم ستالين

على موقع من مواقع المدفعية واستطاعا القضاء عليه ولكنه لم يبق من جنود الفوجين وعدتهم ٢٠٠٠ غير ثلاثين فقط .حدث ذلك وجنود الفوجين يتذكرون امام منطقة موسينو عبارة الجنرال القوزاقي دوفاتور (الحياة قصيرة ولكن المجد سيكون طويلاً) . وفي تميبلوي هاجم فوج آخر احد المرتفعات ست مرات متوالية ثم لم يبق من جنوده غير ٢٠ فقط . يضاف الى هؤلاء ان رجال الرقيب دوبروبادين قد استطاعوا ان يحطموا ١٨ دبابة وثبتوا في مواقفهم حتى سحقتهم جميعاً سلاسل دبابة عدوة بقيت سليمة .

هذا فيما يتعلق بالجانب الروسي اما فيما يتعلق بالالمـــان فإن هتلر قد

وجه اوامره الى ضباطه وجنوده منذ بداية الهجوم الروسي المعاكس قائلاً لهم : (احفروا الخنادق واوقفوا الروس) . ولكن الارض المتجمدة هناك على ارتفاع متر ونصف قد تحولت قوتها الى قوة الفولاذ . ولكن هتلر رفض الاعتراف بهذا الواقع . لقد اصر على تنفيـــذ اوامره رغم الجنرال غودريان الذي يريد ان يتراجع بجنوده . كان يجري هذا حول موسكو في الوقت الذي كانت فيه الجبهة الالمانية في الجنوب تتساقط وتتفتت . وكان جنود الجيش الالماني يتراجعون امام ضربات الانصار والقوزاق . بينما كان السيبيريون الذين يقودهم روكوسوفسكي في الشمال يحتلون مدينة كالينين بيتاً وراء بيت . في عشرة ايام فقط خسر الجيش الالماني ١٥٠٠



جنود روس في المعركة

دبابة و١٥٠٠ مدفع و١٢٠٠٠ سيارة . اما بالنسبة للارض المتجمدة بسبب الصقيع فإن الالمان قد فشلوا حتى في حفر قبور يدفنون فيها ٧٠٠٠٠ من رفاقهم .

هكذا اكتشف الالمان الصقيع الروسي الرهيب . بينما هتلر لم يسبق له ان فكر جدياً في هذا الفصل لأن خيالته هناك كانوا يلبسون في جو برودته ٣٢ درجة ثيابهم التي يلبسونها وهم في رينانيا من البلاد الالمانية . على ان الشتاء رغم ذلك لم يلعب غير دور ثانوي في عملية التراجع امام موسكو . وكان دور الشتاء كبيراً في احداث آلام شديدة عند الجنود الالمان خلال تراجعهم الاول على امتداد ١٠٠ كلم . ان حرب روسيا التي كانت تبدو للألمان سهلة يسيرة قد اصبحت فجأة اشبه بالكابوس ، فبينما خسر الالمان ١٥٦٠٠٠ رجل خلال انتصاراتهم في الغرب والتي استمرت ٢١ شهراً اذا بهم يخسرون اكثر من مليون رجل خلال سبعة أشهر في معركتهم ضد الاتحاد السوفياتي . ونروي فيما يلي ما كتبه الصحفي الأميركي هنري كسيدي عن موسكو في ذلك الوقت :

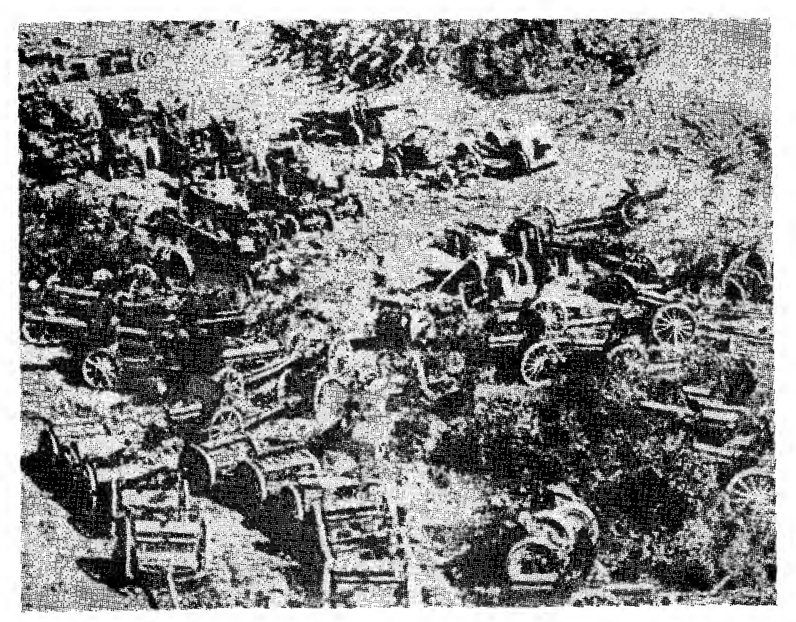
لقد صودر شعب موسكو ليلعب دوراً هاماً في مأساة مدينته ، مأساة يمكن ان نضع لها العنوان التالي (قضية حياة او موت) ... ألوف من النساء جندتها نقابات الأبنية توجهن الى غربي موسكو في القطارات أو سيارات النقل أو السيارات الشاحنة في البرد والوحل والثلج الذائب وهن يلبسن ثيابهن المدنية . ورحن هناك يحفرن الخنادق الهائلة وحفراً لمقاومة الدبابات . وقد امتدت المواقع المحصنة حتى المدينة نفسها حيث رفعت المتاريس من الحديد أو من اكياس الرمل أو اكوام من الحجارة . ان قصر السوفيات وهو هيكل عار من الجسور الفولاذية والذي كان ينتظر أن يصبح أعلى بناء في العالم بدأ يتمزق ويتحول الى أدوات للأعمال الدفاعية . أما المترو في موسكو وهو أحدث مترو في العالم فقد خصص فقط لحركات الجيوش ونقل المؤن .



الشعب الروسي يحفر الخنادق ويقيم المتاريس حول موسكو

وفي كل الورشات الصغيرة التي لم ترحل الى الشرق خصص العمل كله لتحقيق طلبات الحرب ، فهذه ورشة مثلاً كانت تنتج أوعية وآنية للمطبخ قد اصبحت تصنع قنابل يدوية . وهذه ورشة أخرى كانت تصنع آلات التسجيل أو أجهزة المحاسبة قد أخذت تصنع البنادق الأوتوماتيكية .

وعندما بدأت عمليات الترحيل بالجملة في ١٥ تشرين الأول شاعت الفوضى خلال ثلاثة ايام فقط . كان الناس يتزاحمون في المحطات بحثاً عن وسائل النقل وعندما كانوا لا يجدون ما ينتقلون به يغادرون المدينة نحو الشرق مشياً على أقدامهم . صفوف طويلة كانت تمتد امام المخازن التي كانت توزع اعاشات الخبز واللحوم المجففة والجبنة للمرحلين . وفجأة ارتفعت الأسعار في السوق الزوجية : كان هناك اشخاص يتزوجون

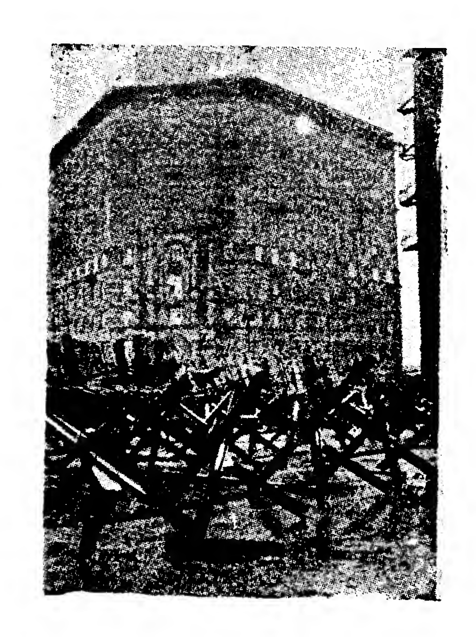


عتاد روسي محطم

لكي يستطيع أحدهما الرحلة مع رفيقه حين يكون موظفاً في مكتب أو عاملاً في مصنع تقرر نقلها الى الشرق البعيد .

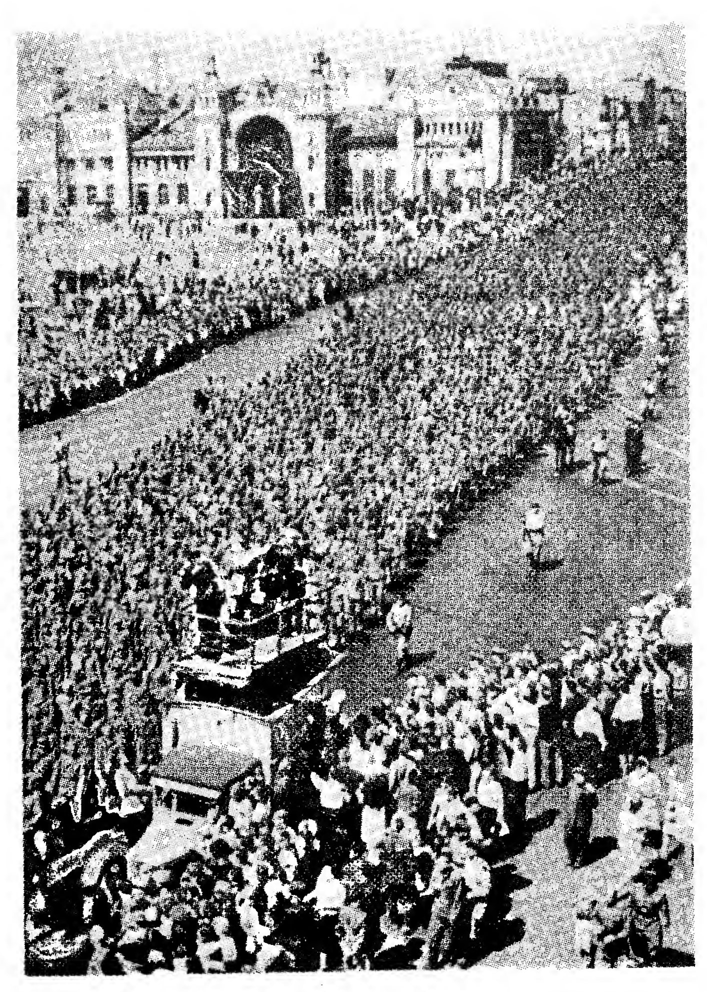
والواقع ان الألمان قد استطاعوا التقدم حتى مسافة تبعد ٣٠ كلم عن موسكو . وفي ٢ كانون الأول دخلت وحدات متقدمة من الخيالة الى

ضواحي العاصمة استطاع فيها أفرادها ان يشاهدوا لهيب الكرملين ولكنهم لم يبقوا في هذه الضواحي غير بضع ساعات . ومهما يكن الأمر فإن الألمان قد فقدوا الجولة اليائسة ضد الشتاء . وفيما يلي وصف تقريبي لموقف الألمان آنذاك كتبه الجنرال بلومنتريت :



حواجز الدبابات في الساحة الحمراء بموسكو

بينما كانت موسكو بادية امام الأنظار تقريباً ، حدثت ظاهرة غريبة : لقد تغير مزاج الضباط والجنود من النقيض الى النقيض . لقد كنا نفكر بأن الروس المغلوبين على أمرهم سيدركون انهم لم يعـودوا موجودين كقوة عسكرية . ولكننا في نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني اكتشفنا ان الأمر لم يكن كذلك أبداً ... أعشاش محصنة ، شبكة من الأسلاك الشائكة وحقول واسعة من الألغام كانت موزعة بكثرة هائلة في الغابات القائمة عند الأطراف الغربية للعاصمة .



اسرى المان في شوارع موسكو

وهنا بدأ الرجال يسخرون بعنف ويتهجمون فيما بينهم على المسؤولين العسكريين الموجودين بعيداً عن الخطر في المانيا . وكانوا يقولون ايضا : لقد جاء الوقت الذي يجب ان يأتي فيه القادة السياسيون الى هنا ليعرفوا ماذا يحدث في الجبهـــة . كان جنودنا مرهقين وكانت وحداتنا مفتقرة

الى الكثير من الرجال . وقد ظهرت هذه الحالة بصورة خاصة في قوات المشاة التي لم تعد تحتوي السرية الواحدة من سراياهم اكثر من ستين أو سبعين رجلاً ، أما الخيول فقد واجهت هي ايضاً ألواناً من المتاعب . وكذلك فرق المدفعية التي كانت تواجه صعوبات فائقة لنقل مدافعها . عدد الدبابات المخصصة للعمليات الحربية في الفرق المدرعة هبط الى ما دون المستوى العادي . ومنذ اليوم الذي اعتبر فيه هتلر ان المعركة تقارب النهاية أو هي انتهت فعلاً اصدر أوامره الى الصناعة الوطنية لتخفيض انتاج الذخائر . ومنذ ذلك اليوم اصبحت قطع الغيار شديدة الندرة فلا تصل الى الوحدات المقاتلة الا بصعوبات شديدة . ان البرد الشديد الهائل قد بدأ يغزو كل مكان في الوقت الذي لم نكن نرى فيه اي اثر للتجهيزات المعدة لفصل الشتاء .

وليس في هذا شيء من الغرابة .. ان هتلر الذي كان يقدر بأن حربه الصاعقة لن تستمر أكثر من خمسة اشهر لم يستعد بالنسبة لثياب الشتاء استعداداً يغطي حاجات هذا الجيش الكبير ، لقد كانت المستودعات العسكرية قادرة على تزويد خمس القوات العسكرية فقط .. وفيما يلي بعض ما كتبه الطبيب العسكري هانرش هاب وهو شديد التأثر من حالة الجنود ، قال :

في ١٣ تشرين الثاني كنا نرتجف صباحاً من البرد بعد خروجنا من الفراش . كانت ريح ثلجية آتية من الشمال الشرقي تعصف في موجات متتابعة فوق المنطقة الثلجية . السماء كانت ذات زرقة قاتمة لا أثر فيها للغيوم . اما الشمس فكانت تبدو وكأنها فقدت كامل قوتها اذ ان ميزان الحرارة الذي كان يرتفع في الايام السابقة حتى يأتي وقت الظهيرة قد استمر يومذاك ينزل وينزل حتى اذا غابت الشمس كان يسجل ١٢ درجة تحت الصفر .

اما الجنود الذين لم يكونوا يأخذون الصقيع مأخذ الجد في البداية بسبب خفته كانوا قد بدأوا في ذلك اليوم يكتشفون قسوته وشدته . حتى ان أحد الرجال قد حاول القيام بنزهة قصيرة دون غطاء لرأسه لم

يلبث بعد قليـل حتى دخل المستشفى . كانت أذناه بيضاوين قد جمدت فيهما الحياة تقريباً . وكان هذا الحادث هو اول حادث من نوعه في منطقتنا .

هذه البداية البسيطة كانت انذاراً لما سيحدث من بعد . ان رياح سيبيريا الثلجية – انفاس الموت – كانت تكنس السهول الشاسعة ، هذه الرياح كانت تأتينا من القطب الشمالي حيث يقضي البرد على كل حياة فيه . وكان من المنتظر ان تنزل بنا مأساة رهيبة لو لم نلك في نجوة من البرد في ابنية كبيرة وثكنات عسكرية ضخمة . ورحت افكر في الجيوش التي كانت في ذلك الوقت تسير نحو موسكو عبر سهل منفتح على كل الرياح . هذه الطلقات القطبية العاصفة التي كانت تفاجئنا في ملاجئنا قد اجتاحت الجيوش العاملة في الميدان . ففي يومين او ثلاثة ايام فقد ١٠٠٠ رجل بسبب حالات التجمد هذه ، و١٠٠٠٠٠ رجل من خيرة جنودنا ومن اصحاب التجارب العسكرية سحقهم البرد عن آخرهم .

وأرسلت التقارير يتلو بعضها بعضاً الى قيادة الجيش العامة لإيقاف الهجوم الذي يجري بثياب صيفية وللمطالبة بإقامة مساكن شتوية . بعض هذه التقارير نقل من قيادة الجيش الأوسط الى القيادة العامة عند الفوهرر . ولم نتلق أي جواب او ما يشير الى وصول هذه التقارير . لقد استمر الأمر اليومي : هاجموا . واستمر جنودنا يهاجمون .

ولكن الهجوم الألماني لم يلبث ان واجه الألوف من العقبات امامه . وأخذت جبهاته تتراخى الواحدة وراء الأخرى وراح الجنود المهاجمون يتعثرون تحت وطأة البرد الشديد وأسلحة الجيش الروسي ، ولم تلبث الأوضاع حتى تغيرت رأساً على عقب فاذا بالمبادرة تنتقل من الألمان الى الروس ، واذا بالجنرال جوكوف قائد الجيش الروسي في الجبهة الوسطى ينطلق في هجوم معاكس ضد فون بوك ابتداء من صباح ٥ كانون الأول بقوات فتية آتية من الشرق الأقصى وبدبابات عملاقة (ت ٣٤) . ودفع الألمان الى

الوراء مسافة ١٥٠ كلم ونجت العاصمة السوفياتية .

وبينما كان الالمان يتراجعون على امتداد الجبهة كان هتلر يعزل القائد تلو القائد وهو في حالة غضب شديد ثم قرر اخيراً ان يقود الحرب هو شخصياً بصورة مباشرة .



الجنرال الروسي جوكوف

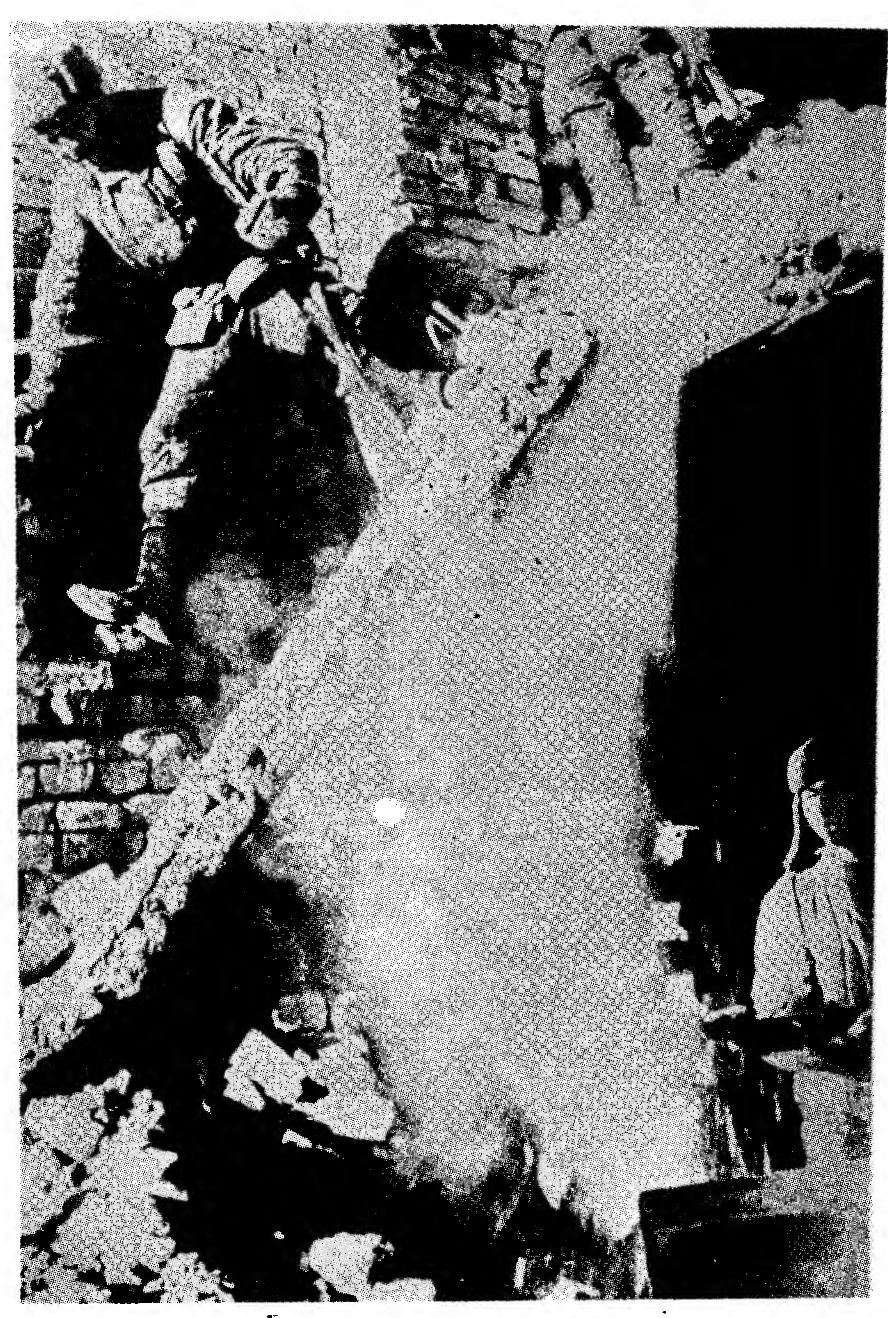
لقد كان على الجيوش الالمانية ان تقاتل في الوقت نفسه كلاً من الجنرال جوكوف (والجنرال شتاء) وفيما يلي وصف دقيق للتراجع الالماني أمام موسكو :

في هذا البرد الفائق كانت الانفاس تتجمد من الصباح الى المساء ، وكانت قطع من الثلج تتكون تحت المنخرين وفوق أهداب العينين بل ان مجرد التفكير كان عملاً متعباً . الجنود الالمـــان لم يعودوا يكافحون من أجل مثل أعلى أو من أجل فلسفة معينة بل ولا من أجل وطن . كانوا يقاتلون هكذا تحت ضغط العادة دون ان يوجهوا أسئلة لأنفسهم ودون رغبة في معرفة ما كان يوجه أمامهم . كانوا يمشون بحكم العادة وخضوعاً



دبابة روسية تستعد للهجوم

للنظام ودون شك ايضاً بدافع من غريزة الدفـــاع عن الذات . وعندما يشيع الحذر في عقل الجندي وعندما تنفصل عنه قواه وإرادته وروح النظام عنده لا يلبث حتى يقع متدحرجاً في الثلج . ولو حاولنا ان نلاحظ ما كان يجري في مثل هذه الحالة لرأينا ان ضربة بالقدم أو صفعة باليد كانت كافية لكي يستعيد الجندي وعيه في شيء من الغموض فيدرك ان عمله في الارض لم ينته بعد فينهض على قدميه في تعثر ظاهر ويتـــابع



الروس يهاجمون منزلا في ستالينغراد

سيره ملتمساً طريقه كالأعمى . أما إذا ترك هناك فالرياح الباردة تتولى أمره ثم ينتهي كل شيء .

كل هذا بالنسبة لمعركة موسكو ولكن ما كان يجري في الجنوب لم يكن أقل شأناً مما كان يجري في الشمال والوسط .

ففي الجنوب كان فون رانستد يطير من نصر إلى نصر . وعندما جاء تشرين الثاني كان قد تم غزوه لمنطقة اوكرانيا ولكل بلاد القرم باستثناء سيباستوبول التي كانت محاصرة ، وكان قد انطلق عبر حوض الدونيتز . وبعد ان استولى على روستوف عند نهر الدون كان قد وصل إلى أبواب القوقاز . وكما ان فون بوك في الوسط وفون ليب في الشمال قد طالبا بإقامة ملاجىء شتوية للجنود فان رانستد نفسه قد فعل مثلهما بعد ان بدأ الثلج بالسقوط . وكما ان هتلر رفض في البداية الاستماع إلى طلبات القائدين الاولين فقد فعل ذلك رانستد . وراح يتخبط في تصرفاته حتى اعترف أخيراً بالهزيمة أمام البرد القارس ووافق في ٨ كانون الثاني ١٩٤٢ على ايقاف العمليات العسكرية حتى نهاية الشتاء . هكذا بدأ عهد جديد في تاريخ المعركة..ولكي ننتقل إلى هذا العهد يجدر بنا قبل كل شيء ان نعين بعض الأرقام التي تسلط اضواء على نتائج هذه الحرب في مرحلتها الأولى.

تقدمت جيوش هتلر خلال ستة أشهر داخل الاتحاد السوفياتي ٩٠٠كلم واحتلت من الارض ما مساحته مليون ونصف كلم مربع . النازيون اعترفوا بأنهم قد فقدوا في هذه المعركة ٧٤٠٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح ومفقود بينما اعترف الروس بثلاثة أضعاف هذا العدد تقريباً أي مليونين . وبما ان الالمان قد زعموا انه قد وقع في أسرهم ثلاثة ملايين من الجنود الروس فان رقم ستة ملايين كخسارة اجمالية في الجانب الروسي يبدو معقولاً في نظر الخبراء .

ولكن هل تحققت أهداف هتلر في هذه الأشهر الستة ؟ هل قضي

على الجيش الاحمر ؟ هل تحطمت الصناعة الروسية ؟ هل انهارت الدولة السوفياتية ؟

يؤكد المراقبون الغربيون بأن الغزاة النازيين قد استقبلوا في البداية من قبل روسيا البيضاء واوكرانيا كما يستقبل المحررون المنقذون حيث جرت حوادث هرب كثيرة من الجيش الروسي لمصلحة النازيين. ويقول هؤلاء الخبراء : لكن النازيين لم يلبثوا حتى فقدوا ولاء هاتين المنطقتين الكبيرتين عندما راحوا يقتلون ويعذبون ويجيعون مئات الألوف من الاشخاص بين أسرى وهاربين من الجندية ومدنيين. ان خطة النازيين في استبعاد العناصر السلافية المنحطة في نظرهم وان الوحشية والقسوة التي تميزت بها قواتهم المسلحة قد غذت روح المقاومة عند الروس الذين عاملوا الغزاة بدورهم بمثل القسوة والوحشية اللتين عوملوا بهما من قبل.

ويؤكد المؤرخون الغربيون بأن أوكرانيا لم يظهر فيها أي انهيار سياسي . فقد أشرف ستالين شخصياً على الحالة هناك وبعملية ترميم سريعة لدور المفوضين السياسيين دعم الحزب الشيوعي سلطته في داخل الجيش الاحمر .

انهم يقولون أيضاً بأن آلافاً من بطاقات العضوية في الحزب والتي كانت تغطي شوارع موسكو عند اقتراب النازيين منها يمكن ان تفسر على انها علامة تغير في موقف الشعب نحو العهد القائم أو انه علامة على خوف متزايد من الغزاة .

هذا ما يؤكده بعض الصحفيين الغربيين ومؤرخيهم . وطبيعي ان في هذه الاقوال بعضاً من المبالغة لا سيما وانها كتبت بعد بداية الصراع بين المعسكرين الرأسمالي الغربي والشيوعي الشرقي . ولكن المبالغة في مزاعم الغربيين لا تمنعنا من تقرير بعض الحقائق التالية .

أولاً : لا شك ان الاجماع في أي حكم في العالم وفي بلد مؤلف من عشرات الشعوب ويتكلم سكانه عشرات اللغات غير مضمون . وبما ان

عهد النـــاس بالثورة الحمراء وبحمامات الدم التي عرفتها هذه الثورة في البداية للتخلص من انصار العهد القيصري ومن الاحزاب المنـــاوئة ومن العناصر المتمردة على قيادة الحزب ، لم يكن بعيداً في ذلك الوقت فليس غريباً ان تبادر فئات الروس البيض وسكان اوكرانيا الى اعتبـــار الغزاة النازيين محررين ومنقذين على أمل أن يتخلصوا من وصاية الحزب عليهم.

ثانياً : ولا شك أيضاً في ان ما تسامع به الناس في الاتحاد السوفياتي من قسوة الالمان ووحشيتهم وخطتهم في ابادة الروس قد يدخل الخوف إلى قلوب الكثيرين منهم فيحاولون التخلص من بطاقات عضو الحزب على أمل أن يتجنبوا الوقوع في قبضة النازيين . أما ان يقال بأن شوارع موسكو قد غطيت بالبطاقات التي ألقى بها أعضاء الحزب ففي هذا القول شيء كثير من الاصطناع ومظاهر الاخراج المسرحي .

ثالثاً : وكما ان قسوة الالمان قد احدثت حـــالة شديدة من الرعب والخوف فانها قد غذت من ناحية اخرى روح المقاومة والرغبة في الفداء والاعتزاز بالكرامة . ان غزواً كالغزو الالماني ، بمثل جبروته وعنفه وقسوته وقدرته التخريبية كان جديراً به ان يسحق روسيا دولة وجيشاً وحزباً وشعباً لو لم يكن للعزة القومية والكرامة دورهما الكبير في مواجهة الجيوش الغازية والقضاء على أطماعها التوسعية .

رابعاً : يضاف إلى ما سبق ان الالمان قد اعماهم غرورهم وحطستهم تبعيتهم للفوهرر ففقدوا الوعي والتأني وحسن الرأي في مواجهة مسؤوليات حرب على مستوى الحرب الروسية . لقد كانوا عاجزين حقاً عن استغلال كثير من الاوضاع والظروف النفسية الملائمة لهم بسبب عنجهيتهم وغرورهم. لقد كانت خطتهم في روسيا حرباً عليهم لأنهم دفعوا السوفيات جميعاً على اختلاف مشاربهم ولغاتهم وألوانهم إلى مقاومتهم حتى الموت .

خامساً : ينتج من هـــذا كله ان الروس الذين التحقوا بالغزاة النازيين قد كانوا في الحقيقة قلة من الخونة المنحرفين إذ انهم اختاروا

البقاء مع الغزاة رغم الجرائم التي كان يرتكبها هؤلاء ضد اخوانهم من المواطنين ، يقابل ذلك ان المدنيين والجنود الروس قـد نظموا عصابات انصار وراء الجبهة الالمانية وراحوا يضحون بكل شيء دفاعاً عن وطنهم هؤلاء الانصار الذين كان يتزايد عددهم باستمرار كان يقف أمامهم، إلى جانب الالمـان جيش جمع جنوده من بين أسرى الحرب وقاتل إلى جانب الالمان بقيادة الجنرال فلاسوف .

والواقع ان ستالين قد احسن الاستفادة من هذا الموقف وأطلق دعاية منظمة احيت وطنية الروس وغذت حبهم لبلادهم وبذلك لم تعد الحرب معركة كبيرة من أجل الدفاع عن الشيوعية ولكنها أيضاً معركة من أجل الدفاع عن الوطن الأم .

الحرب في آسيا

عندما انفجرت الحرب في أوروبا وجدت اليابان نفسها أمام أحد أمرين لا ثالث لهما .

هل ستكرر في هذه الحرب ما فعلته في الحرب العالمية الاولى فتحاول الاستفادة من هذه المنازعات مدعمة قوتها الاقتصادية، فتحقق لها أغراضها دون ان تدفع ثمن اهدافها ذهباً من خزانة الدولة العامة أو دماً من أجسام المواطنين ؟ أو أنها ستبادر الى احتلال المناطق التي كانت ترغب في احتلالها في تلك الأيام ؟

المصلحة الاقتصادية في نظر الزعماء اليابانيين آنذاك كانت تفرض على اليابان ان تمتنع عن كل حرب وان توقف حتى النزاع مع الصين ، ولكن العسكريين اليابانيين الذين كانت تستخفهم قوة جيشهم المسلح كانوا يرفضون الاستماع إلى هذا الرأي . إن التنازل عن المنجزات التي حققتها غزوات عشر سنوات هو من جهتهم إعتراف صريح بأن برنامج تطوير البلاد لجهة تحقيق الرفاهية للمواطنين — وهو برنامج ربط بغزو الصين— إن هذا التنازل هو اعتراف صريح بإفلاس البرنامج المذكور .

والسلام في نظر هؤلاء العسكريين سلام مذل وهو يعني من ناحية

اخرى ضياع سلطانهم الكامل على الحكومة اليابانية .

وبينما كان الانكليز والفرنسيون مشغولين بالخطر النازي بخاصة، انتهز اليابانيون الفرصة لاحتلال هاينان في ١٠ شباط ١٩٣٩ وجزائر سبارتلي في ٣ آذار ، وهما مركزان استراتيجيان هامان على الطريق البحرية هونغ كونغ – سنغافورة ، وكانت فرنسا تطالب بهما وتطمع الى احتلالهما آنذاك .

ولم يكتف اليابانيون بما حصلوا عليه فقد ضاعفوا ضغطهم خلال شهر حزيران من العام نفسه على الامتيازات الدولية في كل من شانغهاي ، تيانتس ، وكولانغسو . ثم راحوا يطاردون السفن البريطانية عن سابق اصرار وتصميم وفي ضوء مخطط محكم قاصد . لقد كانوا ينوون القضاء على كل المصالح الأجنبية في بلاد الصين الشاسعة ، كما يستهدفون حرمان تشان كاي تشك من كل مساندة خارجية .

ولما كانت بريطانيا آنذاك منهمكة بالخطر الالماني ومشدودة بكل امكاناتها الى المستقبل الذي يخبئه هتلر لها ولامبراطوريتها الواسعة ، ولما كانت حكومتها حكومة تعتمد انصاف الحلول وتؤثر خطة التراجع بسبب الفراغ الذي كانت تشكو البلاد منه في كل ميدان من ميادين الحياة العامة لجهة التعبئة العسكرية ، ولما كان تشمبرلن هو الرجل الذي تبنى خطة التراجع بانتظار الانتفاضة المرتقبة ابتداء من اتفاقية ميونيخ المشهورة فقد بدا مستعداً يومذاك للقبول بوضع ياباني خاص في الصين .

اما الولايات المتحدة فقد كانت اكثر ادراكاً لاغراض الحكومة اليابانية واكثر يقظة على مقاصدها البعيدة في الصين ولذلك فانها لم تتبع تشمبرلن في هذا الميدان ؛ وانتظرت الفرصة المناسبة للقيام بعمل رادع في حدود الظروف القائمة . وفي ٦ تموز أعلن وزير الخارجية كوردل هل الغاء الاتفاق التجاري الذي عقد عام ١٩١١ مع اعلان مسبق لستة اشهر قبل نهاية العمل به في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٠ ؛ رداً على

عمليات التخويف التي قام بها اليابانيون وعلى تدخلهم في المصالح الاميركية في الصين . يضاف الى ذلك ان الرئيس روزفلت اصدر مرسوماً بالتوقف عن تصدير الحديد والفولاذ الى البلاد اليابانية ، ومنح تشان كاي تشك مبلغاً اضافياً قدره ٢٥ مليون دولار ونصح المواطنين الاميركيين المقيمين في الشرق الاقصى بالقفول الى بلادهم حفاظاً على سلامتهم .

وأتت بعد ذلك الحرب الصاعقة التي اعلنها هتلر ضد كل من بولونيا والنرويج وبلجيكا والبلاد المنخفضة وفرنسا ففتحت امام اليابان افاقاً جديدة للاستفادة . ووجد الحلفاء ، الذين عصفت بهم القوات الألمانية ، انفسهم مرغمين على منح اليابان امتيازات جديدة خوفاً من انضمامها الى النازيين .

وفي ٢٤ حزيران ارغم اليابانيون الحكومة الانكليزية على اغلاق طريق بورما لمدة ثلاثة اشهر ، كما فعلوا مثل ذلك مع الحكومة الفرنسية بالنسبة للحدود الهندوصينية . وفي ايلول ، وأمام ضغط الماني ياباني مزدوج اضطرت حكومة فيشي للتنازل عن قواعدها العسكرية في الهند الصينية . ومن ثم زاد تسلل اليابانيين الى سيام وطالبوا بامتيازات اقتصادية في جزر الهند النيرلاندية .

وعندما سجل النازيون انتصاراتهم السريعة المدهشة لم يجد اليابانيون بداً من توقيع المعاهدة الثلاثية في ٢٧ أيلول . فتحولت اتفاقية عام ١٩٣٦ لجهة مقاومة الكومنترن الى محالفة عسكرية مع المحور . يضاف الى ذلك ان انتصارات النازيين قد شجعت العسكريين اليابانيين على متابعة الطريق التي اختطوها لأنفسهم وبالتالي على زيادة ضغطهم وتوسيع سلطانهم على الحكومة اليابانية المدنية . وفي الصيف ألغى هؤلاء العسكريون كل الأحزاب السياسية وخلقوا حزباً دكتاتورياً وحيداً ، هو عبارة عن جمعية لمساندة السلطات الأمبريالية .

وعندما وقعت الاتفاقية الجرمانية — الروسية في آب عام ١٩٣٩ كان ذلك بمثابة الحجر في حديقة العسكريين اليابانيين المعادين للشيوعية . وكان

من نتائج هذه الاتفاقية ان هتلر قد نصح اصدقاءه اليابانيين بعدم التعرض لحلفائه السوفيات بعد ان غير خطة الهجوم نحو الشرق وابدلها بخطة الحملة على الغرب . ولما لم يستطع النازيون بعد سلسلة من الانتصارات في أوروبا الغربية ان يخضعوا الجزر البريطانية ويرغموا حكومتها على الاستسلام شعرت اليابان بضرورة الاعتدال في اطماحها والتعقل الحذر في تسجيل خطوات جديدة والاعلان عن مطالبها التوسعية .

ومرت الأيام وبقيت بريطانيا قاعدة عسكرية للحلفاء الغربيين بانتظار يوم تنقلب فيه الأدوار . وقبل ان يبتدىء غزو النازيين لبلاد الروسيا مر وزير الخارجية الياباني ببرلين لاجراء محادثات مع الحكومة الألمانية . وكان ذلك شهر آذار ١٩٤١ . وقد أخفى عنه هتلر خطته الموضوعة لتحقيق هذا الغزو واعترافاً منه في التعمية لم يعترض ابداً على عقد معاهدة بين روسيا واليابان . وعلى ذلك فقد عاد يوزوك ماتسوكا وزير الخارجية الياباني الى بلاده مروراً بموسكو حيث وقع في ١٣ نيسان مع ستالين معاهدة عدم اعتداء مدتها خمس سنوات . وقد افضى اليه ستالين بقوله على سبيل التحبب بأن بلديهما ، بلدان آسيويان . هذه المعاهدة حررت ستالين من حماية مؤخرته واتاحت لليابان فرصة العمل ضد الحلفاء .

والمعروف ان هتلر قد حاول اقناع ماتسوكا بضم اليابان الى الجانب النازي بعد بداية الحملة الألمانية على روسيا . ولم يرفض الوزير الياباني ، ولكن العسكريين الذين كانوا مقتنعين بعدم جدوى الدخول في حرب ضد روسيا وقفوا ضد رغبة الوزير ، وراحوا يؤكدون له ولمن ينتصر لرأيه بأن امامهم وقتاً طويلاً للنظر في مصير النازيين ومعرفة ما اذا كانوا سيخرجون من هذه المغامرة منتصرين .

واخذت معالم صورة جديدة تبرز امام اليابان بعد ذلك . لقد كانت حاجة اليابانيين ماسة الى الطعام والمطاط والرصاص والنيكل والكروم والحديد والخشب ، واخيراً الى عصب الحرب الذي هو البترول ، كل ذلك

موجود بكثرة هائلة في الجنوب اي في الهند الصينية وماليزيا والفيليبين والهند النيرلاندية .

يقابل هذا ان الأميركيين قد امتنعوا عن تصدير هذه المواد الأولية الا بحساب وقدر بين تموز ١٩٤٠ وربيع ١٩٤١ . ولما كان الأميركيون هم المصدرون الرئيسيون للبترول « العالي الاوكتان » وللسيارات والطائرات والحديد والفولاذ والنحاس ، فان امتناعهم عن التصدير قد ارغم اليابانيين على الرد بسرعة . وفي الوقت نفسه بادرت بريطانيا الى فتح طريق بورما بعد نهاية المهلة المتفق عليها اي بعد نهاية ثلاثة اشهر رغم هزائمها في اليونان وكريت وافريقيا الشمالية ، وعلى الرغم من الضعف الذي اصيب به اسطولها بسبب غارات اللفتواف عليه . أما الهولنديون الذين هزمهم هتلر في بلادهم فانهم قد راوغوا طويلاً في المفاوضات التي اجراها اليابانيون معهم لفرض الحصول على امتيازات بترولية ثم انتهت المفاوضات دون ان يعطوهم شيئاً . السبب في ذلك ان الأميركيين والانكليز قد ساندوهم وشجعوهم على اتخاذ هذا الموقف .

وفي ٢ تموز قرر مؤتمر امبراطوري الانتقال الى العمل في الجنوب . ونزلت قوات يابانية عدتها خمسون الف رجل في الهند الصينية وحولتها الى محمية يابانية مع الاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات التي قد تصدر عن الانكليز والأميركيين .

والواقع ان الحلفاء لم يترددوا في الرد على اليابان . لقد اعلن الأميركيون في ٢٤ تموز تجميد الممتلكات اليابانية ، ثم تبعهم الانكليز والهولنديون الذين توقفت كل صلة تجارية بينهم وبين اليابانيين من الناحية العملية .

ولما كانت اليابان مضطرة للاعتماد على مخزونها من المواد الأولية ، ولما كان استهلاك هذه المواد سيجعلها في حالة عجز عن القيام بأية عملية حربية واسعة ، فقد وجدت نفسها في حرج شديد ولا سيما بعد إحكام الحصار الاقتصادي عليها من قبل الدول الغربية الثلاث . على ان اليابانيين العسكريين

لم يختاروا الانقضاض على الحصار وتمزيقه والاستيلاء بالقوة على مصادر المواد الأولية بصورة مباشرة بل اعطوا الوزير الأول فوميمارو كونوي فرصة أخيرة لايجاد تسوية للوضع تخرج باليابان من المأزق الذي وجدت نفسها فيه عن طريق المفاوضات .

ومن أجل هذا الغرض ارسل كونوي سفيراً جديداً إلى الولايات المتحدة هو السيد كيشيزابورو نومورا في شباط ١٩٤١ لمفاوضة المسؤولين في واشنطن على أمل الخروج من المأزق والحفاظ على السلام وايقاف تيار العسكريين القائلين بالحرب . ولكن سفر السفير الياباني قد سبق ببرقية أبرقها السفير الامريكي في اليابان السيد جوزيف غرو في ٢٧ كانون الثاني . وقد كانت بمثابة انذار خطير جاء فيه :

ان زميلي البيروني قد حكى لعضو في السفارة ان القوات اليابانية المسلحة تخطط لهجوم مفاجىء ضد بيرل هاربر في حالة ظهور « صعوبات» بين اليابان والولايات المتحدة ، وان الهجوم سيتم بكل القوى اليابانية. وقد أضاف الزميل أنه قد سارع إلى ابلاغ هذا الشيء لأنه كان قد استقاه من مصادر كثيرة ، رغم ان هذا المخطط يبدو له غريباً .

ان ما كانت تريده اليابان وتحلم به هو ان يعترف الغرب ولا سيا الولايات المتحدة بنظامها الأسيوي الجديد .

وقد حاول السفير نومورا اقناع واشنطن بقبول بعض المطالب اليابانية الأساسية ، ولا سيا الاحتلال الياباني للصين ، ورفع الحجز عن الممتلكات اليابانية ، وعودة التبادل التجاري بين البلدين إلى حالته الطبيعية وتأمين المساعدة الامير كية للحصول على المواد الأولية . وقد أجاب الأمير كيون على مساعي السفير الياباني بما يلي :

١ ـ مستعدون لاعادة العلاقات التجارية مع اليابان .
٢ ـ الجلاء الياباني الكامل عن الصين والهند الصينية .
٣ ـ احترام الأرض الصينية ووحدتها الوطنية ثم الحفاظ على مبدأ

المساواة في الحقوق في الميدان الاقتصادي في هذه البلاد .
٤ – الامتناع عن تعديل الأوضاع القائمة في الشرق الأقصى لمصلحتها الخاصة .

هكذا بدا للطرفين تعذر التوفيق بينهما . فالجيش الياباني لم يكن مستعداً أبداً للتنازل عن مكاسبه في الصين ، أو إعادة النظر في دور اليابان الآسيوي.
أما بالنسبة للولايات المتحدة فانها كانت ترفض جملة وتفصيلاً أن تتكرر حادثة ميونيخ في آسيا . وهي حادثة ستنتهي بالتضحية بالصين . كما لم يكن في وسعها القبول بأي اتفاق يترك لليابان ثمرة اعتداءاتها أو الانحناء أمام النظام الاسيوي الجديد . وهنا طلب كونوي الاجتماع بالرئيس روزفلت . ولكن هذا الأخير رفض الموافقة على الطلب ما لم تقدم اليه اقتراحات جديدة مقنعة . وبذلك سقطت حكومة كونوي في ١٨ تشرين الأول ليأتي الجنرال توجو وزيراً أول . وفي ١٧ تشرين الثاني كرر توجو الحملة الدبلوماسية فأرسل رسولاً خاصاً هو السيد سابورو كوروزو لغرض الحصول على موافقة الولايات المتحدة ومباركتها لكل المطالب اليابانية . ولكن الحملة الثانية قد لقيت مصير الحملة الأولى .
وأدرك العسكريون اليابانيون عقم محاولاتهم . فقرروا المبادرة إلى القتال . وبدأوا بتنفيذ خطط الحرب بينما كانت المحادثات الثنائية مستمرة دون نجاح في مدينة واشنطن .

بيرل هاربر

وطبيعي ان يضع العسكريون اليابانون خطة حرب قصيرة ومحدودة من أجل الوصول إلى اغراضهم الاقتصادية والسياسية . ولهم في الحروب الصاعقة التي أشعلها هتلر في اوروبا آية وعلامة على امكانية تحقيق انتصارات

سريعة بأقل خسارة ممكنة . وكما تعلموا من حروبه في أوروبا الغربية فقد اتعظوا من حربه في الاتحاد السوفياتي . إن الغارة المفـــاجئة التي كانوا يعدونها يجب في تقديرهم أن تبيد الأسطول الأميركي في بيرل هاربر وان تضمن لهم السيطرة على مياه المحيط الباسيفيكي وان تعد لهم الطريـــق لغزوات قادمة في الجنوب الشرقي الاسيوي . وتنص هذه الخطط على الطريقة التي تحافظ بها اليابان على مكاسبها العسكرية . إن اليابان بعد ان تنفذ خطط الغزو ستبادر إلى اغلاق المجال الذي تسيطر عليه بدائرة دفـــاعية بالغة القوة بحيث ان الاميركيين يمتنعون عن القيام بأية محاولة هجومية عليها بل بالتفكير في الهجوم لأن أيـة محاولة من هذا القبيل ستكلفهم خسارة هائلة في الأرواح البشرية . في ضوء هذا التخطيط كان العسكريون اليابانيون يأملون بعد توجيه الضربات المنشودة في ارغام الاميركيين على الدخول في مفاوضات سلمية تسمح لليابان بتقوية مجالها الحيوي وتوسيعه في الشرق الأسيوي .

والواقع ان هذه الخطط اليابانية قد قتلت درساً وتمحيصاً وقلبت على وجوهها كلها خلال سنة كاملة ولكنها لم تأخـــذ شكلها النهائي إلا في شهري ايلول – تشرين أول .

الأمران الرئيسيان الأولان رقم واحد واثنان الموجهان إلى الاسطول المشترك والمتعلقان بالهجمات المنسقة على بيرل هاربر ، ماليزيـــا ، الفيلبين وجزر الهند النيرلندية ، قد اعطيت مسجلة في مغلفين مغلقين يومي ٥ و ٧ تشرين أول . وقد تقرر أن يكون الهجوم على بيرل هاربر دون إعلان حرب بحيث يسمح للامبراطور ، في حالة الفشل بشجب العملية كلها باعتبارها تصرفاً غير مسؤول صدر عن بعض المتطرفين من العسكريين .

وتم كل شيء في سرية تامة ولا سيما توقيت الهجوم الجوي والبحري الساحق الذي بدأ بالغارة على بيرل هاربر . ففي ٢٢ تشرين ثاني بينما

كان كوروزو ونومورا يتابعان مفاوضتهما في واشنطن ، ويحتمل أنهما كانا يجهلان ما يجري في اليابان ، تجمعت قطع من الأسطول اليـــاباني بسرية تامة في خليج تانكان عند جزر ساخالين . هـذا الأسطول كان مؤلفاً من سرب يقوده الأميرال شويغي ناغومو مؤلف من ٦ حاملات طائرات ، ٢ دوارع ، ٢ سفن جوالة ثقيلة وسفينة جوالة خفيفة يتبعه عدد من الغواصات والطرادات وحاملات البترول للقيام بعملية التغطية .



المبعوث الياباني الخاص كوروسو والسفير نومورا يغادران وزارة الخارجية الاميركية بعد مقابلتهما لوزير الخارجية الأميركية كوردل هل . بعد ساعات من هذه المقابلة اغار اليابانيون على بيرل هاربر

وقد أقلع الأسطول الياباني في ٢٦ تشرين الثاني وتوجه بعيداً نحو شمال جزر هاواي مع إصدار الأوامر المشددة بمنع كل الاتصالات اللاسلكية . وبعد ذلك بستة أيام أي في ٢ كانون أول وجـــه ايزوروكو ياماموتو الرجل الذي وضع خطة الغزو برقية بالراديو لأول مرة إلى ناغومو قال له فيها بالشيفرة : (إصعد إلى قمة نيتاكا) وهي عبـــارة تعني الأمر

ببداية الهجوم . وتحول ناغومو نحو جزر هاواي .

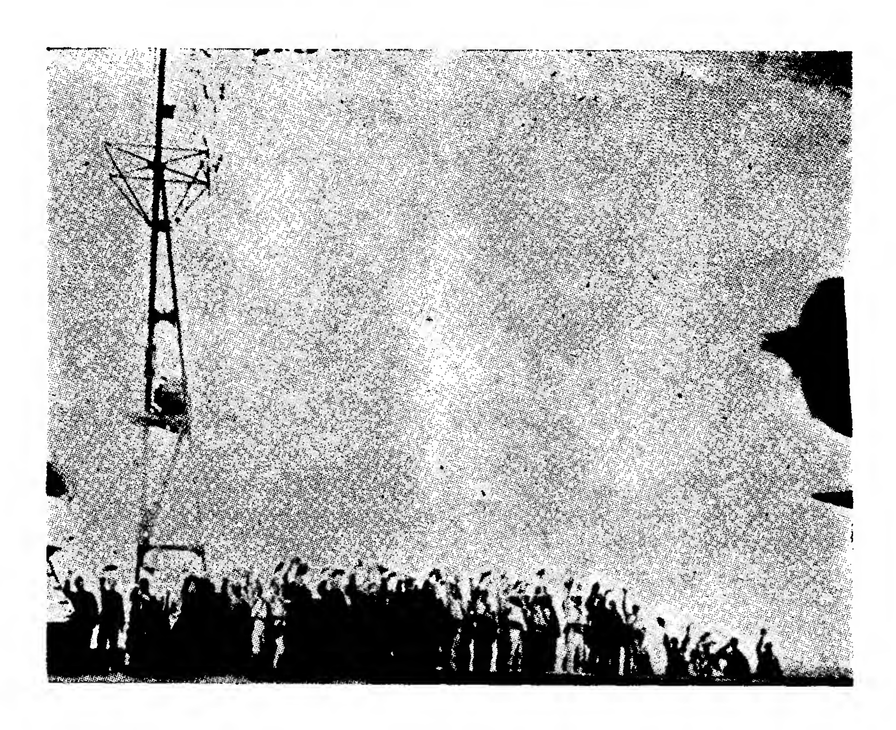
المعروف أن دوائر الاستعلامات في البحرية الأميركية كانت تحيط علماً بالشيفرة العسكرية والبحرية عند اليابانيين . وقد اكتشفوا عن طريقها كثيراً من الرسائل وتعرفوا الى محتواها ولكنهم كانوا يجهلون في ذلك الوقت قوة اسطول ناغومو . أما واشنطن فقد احيطت علماً بالحركات المقلقــة التي كانت تجري في خليــج سيام ، حركات القوافل اليابانية المتجهة نحو ماليزيا أو سيام . وهنا ارسل روزفلت بقصد اقناع اليابانيين بالعودة عن تصرفهم وتحركاتهم المقلقة في محاولة اخيرة ، رسالة شخصية الى الأمبراطور هيروهيتو في ٦ كانون الثاني . وقد وصلت الرسالة بعد فوات الأوان . لقد كانت حاملات الطائرات من اسطول ناغومو تقترب من جزائر هاواي .

وإذاً فقد كان هناك اجماع على ان واشنطن مدركة لكل تحركات اليابانيين قبل ذلك بوقت كاف كما كانت تعرف القرار الحاسم لخوض المعركة من قبل اليابان . ولذلك فان واشنطن قد حذرت الأميرال كيمل والجنرال وولتر شورت في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤١ بأن يكون على استعداد دائم وفي حالة انذار مستمر في بيرل هاربر .

ويبدو ان التحذير لم يشدد كثيراً على خطورة الوضع وعلى خطورة حالة الإنذار التي يجب ان تعلن آنذاك . البرهان على ذلك انه لم تنظم اية دورية بحرية في مياه الجزيرة او اية دورية جوية في سمائها بالاضافة الى ان اجراءات الحماية من الأخطار الجوية لم تتخذ عند الابنية او في المؤسسات العسكرية . ان نصف بطاريات المدافع المضادة للطائرات كانت منزوعة السلاح اما السفن فقد كانت راسية قرب الأرصفة في طمأنينة تامة . وكانت الطائرات العسكرية فوق مدارج المطارات في أواهو منسقة كأنها صفوف من البط فوق الماء تقف الواحدة وراء الأخرى في ذيل طويل . شيء واحد كان الفضل فيه للمصادفة . ان حاملات الطائرات التي كانت

الهدف المختار للغارات اليابانية كانت قد غادرت بيرل هاربر مع السفن الجوالة المرافقة للقيام بمناورات في منطقة ويك وفي جزر مدواي .

وارتفع الفجر هادئاً مشمساً في هونولولو صباح يوم الأحد الواقع في ٧ كانون الاول ١٩٤١ . وفي تمام الساعة السادسة من ذلك الصباح أقلعت ٣٥٣ طائرة يابانية من مدارج حاملات الطائرات التابعة للأميرال ناغومو



البحارة اليابانيون يحيون الطائرات التي اقلعت للاغارة على بيرل هاربر

على بعد ٣٥٠ كلم شمالي منطقة أواهو . وفي تمام الساعة السابعة الا الربع شاهد الطراد الاميركي وورد غواصة يابانية فبادر الى اطلاق النار عليها ثم قذفها بالطوربيد . وأرسل قائد الطراد مباشرة علماً بهـذا اللقاء الى

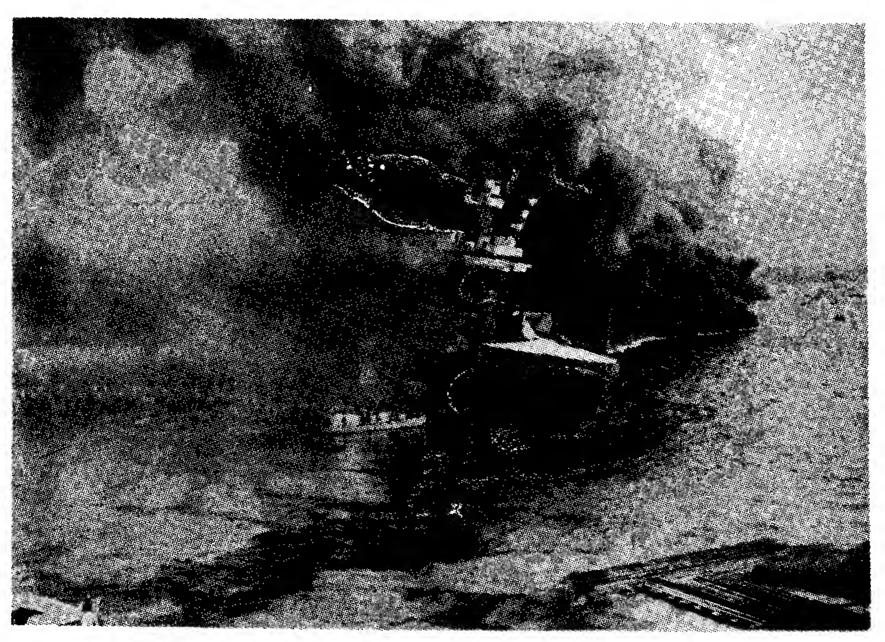
رؤسائه . ولكن رسالته اللاسلكية لم تكن تقول بوضوح ما اذا كان قد شاهد غواصة او انه قام بلقاء مع غواصة اي مناورة . يفسر هذا الغموض ان حالة الانذار لم تعلن بعد وصول هذه الرسالة . وفي الدقيقة الثانية بعد الساعة السابعة اكتشف الجنديان جوزف لوكارد وجورج إيليوت وكانا يراقبـــان شاشة الرادار في أوبانا قرب هالاوة ، شمال بيرل هاربر ، تشكيلة جوية تقترب . وقد نقل هذا الشيء الى ضابط الوردية الملازم الأول كرميت تايلر الذي طلب اليهما نسيان الحادث . السبب في ذلك ان الضابط تايلر كان ينتظر في ذلك اليوم وصول ١٢ قطعة طائرة ب — ١٧ وأنه كان مقتنعاً بأن ما ظهر على شاشة الرادار انما هو هذه التشكيلة بالذات.

كل شيء كان هادئاً في ذلك الوقت . الناس يعدون في الشوارع أو ينتظرون طعام الافطار او يجلسون بمناسبة يوم العطلة فوق شرفات منازلهم . واذا كان هناك قلق فهو قلق مبهم محصور في فئة كبيرة من فئات العسكريين . وخير شهادة يمكن ان نستعين بها لمعرفة الوضع آنذاك هي شهادة الجانب الياباني . وفيما يلي واحدة من تلك الشهادات سجلها قائد التشكيلة اليابانية المغيرة ميتسور فوشيدا الذي كان على رأس الموجة الأولى من الطائرات . قال :

لم يكن الجو مثالياً . كانت الريح تسير بسرعة ٢٠ عقدة تحدث موجات ضخمة في مياه المحيط . كنا نطير على ارتفاع ٣٠٠٠ متر وكانت تحتنا طبقات كثيفة من الغيوم تتراكم واحدة فوق الاخرى حتى ١٥٠٠ متر فوق الماء . واشرقت شمس صباحية لماعة منذ قليل .

وبعد ان غادرنا حاملات الطائرات بساعة و٤٠ دقيقة عرفنا اننا نقترب من الهدف . وكانت هناك فتحات صغيرة عبر طبقات الغيوم تسمح لنا برؤية المحيط وكنت انتظر الوقت الذي تبدو لنا فيه اليابسة . وفجأة شاهدت خطاً طويلاً من الأمواج المنكسرة عند الشاطىء تحت طائرتي . لقد كان الشاطىء الشمالي لمنطقة أواهو .

وبالاتجاه الى اليمين نحو الشاطىء الغربي للجزيرة كان في وسعنا ان نرى السماء صافية فوق بيرل هاربر . ثم بدا لنا المرفأ نفسه بعد سهل أواهو الأوسط ؛ وكانت سحابة خفيفة تغطيه . نظرت محملقاً عبر نظاراتي الى السفن الراسية في طمأنينة عند أرصفة الميناء واخذت اعدها واحدة واحدة. نعم ، الدوارع كانت هناك .. لقد كانت ثمانية ! ولكن املنا في ان نجد حاملات الطائرات لم يلبث حتى اختفي . انه لم تكن هنـــاك أية حاملة منها .



بعد الغارة على بيرل هاربر ، سفينة اميركية تغرق ...

كانت الساعة الثامنة إلا ١١ دقيقة حين اصدرت امراً بالراديو بالهجوم . وبدأ جهاز الراديو يرسل الاشارات المتفق عليها .

وفجأة وفي مقدمة المجموعة انقضت قاذفات الملازم الأول موراتا لتطلق طوربيداتها بينما كانت قاذفات الملازم الأول ايتايا ترتفع وتختفي

عن ناظري . في ذلك الوقت كانت قاذفاتي قد قامت بدورة كاملة من جهة (باربرز بوينت) عملاً بخطة الهجوم . أما في الجو فلم تكن هناك مطاردة عدوة واحدة وأما على اليـــابسة فلم يبد لنا أي بريق يدل على انطلاق قنابل المدافع المضادة للطائرات .

هكذا اصبحت فعـــالية هجومنا شيئاً فشيئاً لا مرية فيه وارسلت الى القيادة في أغاكي الرسالة المتفق عليها (نجح الهجوم المفاجىء) في تمام الساعة السابعة و٥٣ دقيقة .

وعندما أنهت قاذفاتنا مهمتها كانت بيرل هاربر وقواعدها الجوية قد اصابت حظها من الهجوم . ان المشهد البحري الرائع للسفن الراسية الذي كان يبدو لنـــا قبل قليل قد ذاب كما يذوب الثلج تحت وطأة الشمس المحرقة .

موجتان من الطائرات قامتا بالهجوم ، الأولى في تمـــام الساعة الثامنة الا خمس دقائق . والثانية في تمام الساعة الثامنة واربعين دقيقـة . وكان كل شيء قد انتهى في العاشرة .

القاذفات المنقضة ، والطائرات المطـــاردة المقاتلة ، والطائرات الحاملة للطوربيدات كلها استطاعت ان تحيل بيرل هاربر الى اكوام من الخرائب المحترقة . ١٨ من ٩٦ سفينة غرقت او اصبحت في حالة عجز طويل ، بينها ثماني دوارع وثلاث سفن جوالة . مئة وثماني طائرات حطمت وهي جاثمة من ٣٩٤ طائرة . القتلى بين الاميركيين ٢٣٤٣ ، والمفقودون ٩٦٠ ، اما الجرحى فقد بلغوا ١١٧٢ . وخسر اليابانيون في تلك المعركة ٢٩ طائرة و٥٥ رجلاً ، وغواصة واحدة وبعض غواصات الجيب . هكذا استطاع اليـــابانيون ان يتخلصوا بخطة محكمة جريئة من قسم كبير من القوات البحرية والجوية الاميركية في الشرق الاقصى . وعلى هذه الصورة بدأت سلسلة من المعارك سجلت فيها اليابان انتصارات متعددة . ثم تغيرت

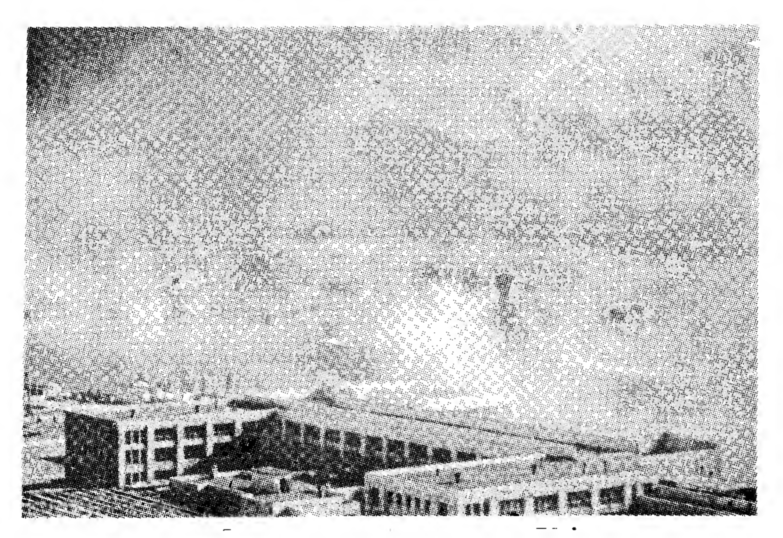


مطار بيرل هاربر بعد الغارة ..

الادوار بعد ذلك حينما وضعت الولايات المتحدة في الميزان كامل ثقلها الاقتصادي وبلغت الذروة في الانتاج الحربي .

ومهما يكن الانتصار الذي سجله اليابانيون في بيرل هاربر فانه لم يكن انتصاراً كاملاً . ان حاملات الطائرات والسفن الجوالة والغواصات وكل الطرادات الاميركية الا ثلاثة منها ، قد نجت من الهجوم الأول بحكم المصادفة ، بحيث ان القوات البحرية الاميركية قد استطاعت بفضل الوحدات التي ضمت اليها من اسطول المحيط الاطلنطي بعد ستة أشهر وحسب أن تزلزل الاسطول الياباني في بحر المرجان وفي مدواي .

ويضاف الى ذلك أن الغارة لم تنجح في تدمير المؤسسات العسكرية القائمة فوق ارض بيرل هاربر . ولم تصب بالضرر البالغ مستودعات



منظر عام لبيرل هاربر اثر الغارة

الاميركيين ودباباتهم حتى ولا ورشات الاصلاح ، التي لو دمرت لأرغم الاسطول الباسيفيكي على الانسحاب الى الشواطىء الغربية للولايات المتحدة .

نداء روزفلت :

وفي اليوم التالي ، وبعد ان عرف الشعب الاميركي بالغارة التي جرت فوق بيرل هاربر ، وجد الرئيس روزفلت نفسه مضطراً لاعلان الحقيقة أمامه . وقد توجه الى الكونغرس بالرسالة التالية :

أمس ، في ٧ كانون الاول – تاريخ سيبقى مسطوراً بخطوط العار – هوجمت الولايات المتحدة عن سابق اصرار وتصميم وبصورة مفاجئة من قبل القوات البحرية الجوية للأمبراطورية اليابانية .

وأخذ الكونغرس رسمياً علماً بذلك فلم يلبث بعد مناقشة قصيرة حتى اعلن الحرب على قوات المحور الثلاث .

ماليزيا وسنغافورة :

وتابع اليابانيون هجماتهم بالسرعة والفعالية اللتين تميزت بهما هجمات الالمان في اوروبا . لقد نظموا في اليوم نفسه الذي هوجمت فيه بيرل هاربر حملة برمائيـــة على ماليزيا وسيام . ومن سنغافورة بادر اميرال الأسطول الانكليزي توم فيليبس ، الى ارسال سربه البحري نحو الشمال في محاولات لاعتراض ناقلات الجيوش وزوارق الانزال للقوات اليابانية . وقد انطلقت الدارعة الجديدة « برنس اوف ويلز » وحمولتها ٣٥ الف طن وسفينة القتال الجوالة « ريبلس » حمولتها ٣٢ الف طن ومعها اربع طرادات نحو مياه المحيط دون تغطية جوية . وقد اكتشفتها الغواصات وطائرات الاستطلاع اليابانية فلم تلبث ان اصبحت هدفاً للقاذفات وطائرات الطوربيد التي اغرقت السفينتين الكبيرتين .

وقد حدثنا سيسيل براون الذي كان على ظهر الجوالة « ريبلس » عن هذه الكارثة فقال :

الساعة ١١ و١٥ دقيقة . أخذت مدافع « برنس اوف ويلز » تطلق قنابلها فجأة . وفي الوقت الذي كنت أرى فيه قنابلها تنطلق بدأت مدافعنا تعمل عملها ايضاً . كانت الاصداء رهيبة مفزعة .

وهناك خرجت ٩ طائرات يابانية من سماء زرقاء صافية وهي أشبه ما تكون بحبات اللؤلؤ في عقد نضيد . وبقيت فاغر الفم امام هـــذه الطائرات التي استوعبت سفينتنا من المقدمة الى المؤخرة . امـــا دخان

مدافعنا المضادة للطائرات والذي كان يتفخر في الفضاء فقد دنس روعة السماء ، ولكنه لم يزعج التشكيلة الجميلة للطائرات اليابانية .

الطائرات فوق رؤوسنا ، ولأول مرة في حيـــاتي ، شهدت القنابل تتساقط ، تخرج فجأة من العدم وتتوجه نحونا . انها شبيهة بقطرات المطر التي تتضخم عـــلى مرأى من العين . في هذا المشهد شيء مذهل ، مغناطيسي ، بل منوم .

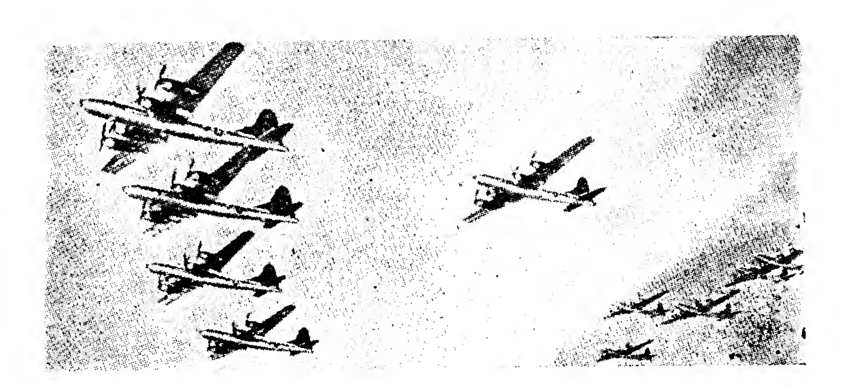
لم تخطر في بالي فكرة خفض الرأس أو البحث عن النجاة . رأيت القنابل تتضخم اكثر فأكثر وأنا مذهول مسمر في مكاني . وفجأة وعلى بعد عشرة أمتار فقط انبثقت كومة هائلة من ماء البحر وارتفعت عن مستوى السفينة ثم غمرتني بالماء كما غمرت عدستي المصورة .

انكمشت كتفاي بدافع الغريزة ، وأخذت هيئة الراكع ، وفي الوقت نفسه حدثت ضجة رهيبة فارتجفت السفينة بكاملها .

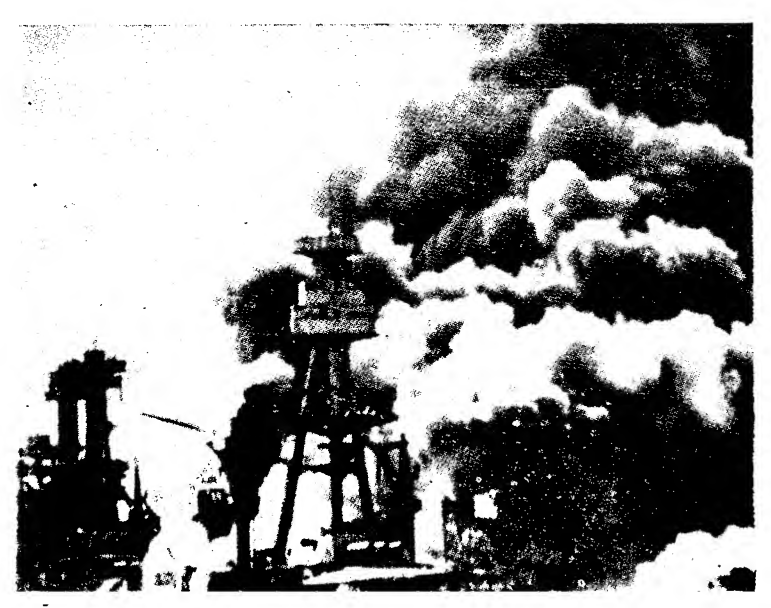
الساعة ١١ و ٥١ دقيقة و ٣٠ ثانية . القائد تينانت يوجه رسالة إلى ويلز : « هل نزلت بكم اضرار ؟ » وأتى الجواب : « نحن في حالة شلل . الدفة محطمة . »

الساعة ١٢ و ٢٠ دقيقة ارتفـع صوت صفارة ينذر ويحذر وانفجر الجحيم مرة أخرى . وعلى علو ٥٠٠ متر كانت احدى الطائرات تنقض على وسط السفينة إلى جهة اليسار . فالطلقات النارية تتجه نحوها . ولكنها تقترب باستمرار : ها هي تبدو وكأنها معلقة على ارتفاع مئة متر فوق الماء . وتركت طوربيدها .

الطوربيد يجري نحونا . نحن في ذهول شديد . بقينا ننتظر . انه الموت . جندي المراقبـــة يصرخ : « انتبهوا إلى الطوربيد ! » وفي الوقت نفسه لمس الطوربيد سفينتنا على بعد عشرين متراً من مكاني الذي أقف فوقه. وشعرت بما يشعر به البحار حين تصطدم سفينته بالرصيف . وقذف بي مرتين إلى الأمام ولكنني استطعت الحفاظ على توازني . وفي الوقت نفسه



الطائرات الاميركية « ب — ٢٥ » تحمل الدمار الى الجزر المحتلة



قنابل الطائرات اليابانية تعطل ٨ مدمرات اميركية وتخرجها من المعركة

تقريباً بدأت السفينة تتجه نحو الاعماق ...
قالت مكبرات الصوت : انفخوا احزمة النجـاة ! السفينة ريبلس تغرق .
وعلى بعد كيلومتر واحد اصيبت ويلز بالطوربيدات مع طراد يقف إلى جانبها ، انها غائصة في الماء واختفى نصفها وراء جدران من الدخان.
القاذفات اليابانية تدور باستمرار وكأنها عقبـان تحوم فوق فريستها وهي تتابع هجومها على ويلز . أما القاذفات التي اصيبت فقد اشبهت بقعاً لامعة من النار البرتقالية على زرقة بحر الصين .
هناك رجال يقذفون إلى الماء أطواقاً ومقاعد وقطعاً ، أي شيء شرط أن يطفو فوق الماء ...
رجال يقفزون إلى البحر من علو شاهق . أحدهم أخذ عـلى غرة فسقط فوق طرف السفينة فإذا به يتحطم ثم يتابع سقوطه إلى البحر وكأنه كيس من السمنت المبتل .
وألقيت بنفسي إلى البحر . وعندما أصبحت عـلى خمسين متراً من ريبلس رأيت مقدمتها ترتفع فجأة نحو السماء كما يرتفع جرس الكنيسة . الصفائح الحديدية الحمراء لحيزوم السفينة ترتفع ، انها تثير الشفقة والأسى تماماً كالدماء على وجوه الرجـال الذين يحيطون بي . ثم شعرت ان فولاذ السفينة الغارق بوزنه الهـائل « ٣٢ الف طن » يمتصني بينما ينزلق نحو الأعماق . شعرت وكأنما قوة خفية لا تقاوم تقريباً تشدني ن قدمي. كأن انساناً يحاول ان ينتزع ساقيّ . ولكني كنت أوفر حظاً من سواي ممن كان أقرب إلى السفينة فنجوت من الموت وغرقوا هم .
ونزلت قوات الجنرال الياباني تومويوكي ياماشيتا في سنغافورة آتيـة من جانبي شبه الجزيرة المـاليزية . والقوات هذه هي التي كانت ويلز وريبلس تريد ان منعها من النزول . واستطاعت هذه القوات المدربة على حرب الغابات أن تطرد الانكليز والاستراليين والماليزيين إلى الوراء تارة



قافلة اميركية تنقل المؤن الى الصين عن طريق بورما

بالتسلل وأخرى بالمكاثرة عند جوانـــح القوات المدافعة وثالثة بالنزول من الخلف .

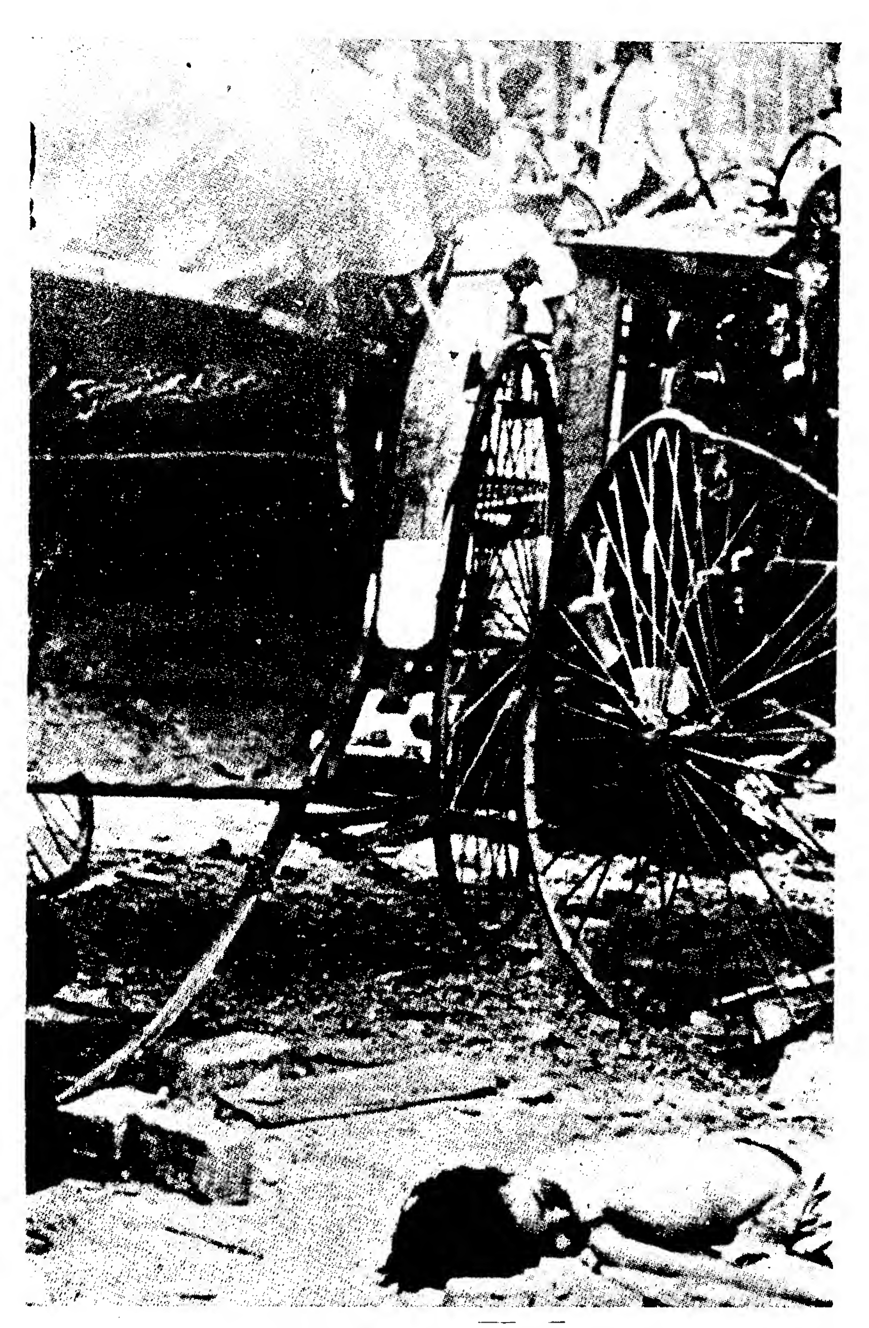
وفي نهاية كانون الثاني ، كانت هذه القوات قد احتلت ماليزيا كلها

واقامت حصاراً محكماً حول قلعة سنغافورة التي اضطر قائدهـــا الجنرال ارثر برسفيال ، في النهاية ان يستسلم في ١٥ شباط مع ستين الف رجل.

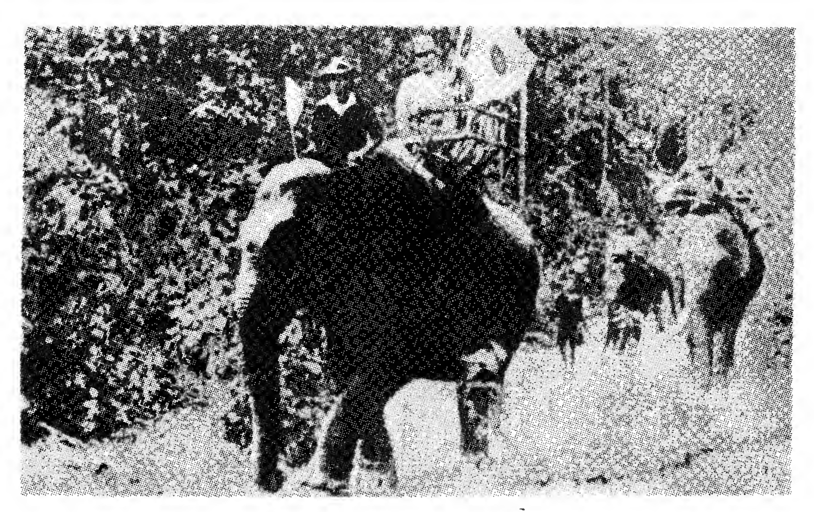


جندي ماليزي وسط الادغال

أما الجنرال هارولد الكسندر ، قائد القوات البريطانية الهندية ، والأميركي « جوفيناغر » ستلول ، رئيس هيئة اركان حرب تشان كاي تشك منذ آذار ١٩٤٢ وقائد الجيوش الصينية في بورما ، فلم يوفقا إلى انقاذ جيوشها في هذه البلاد إلا بترك كل تجهيزاتها الثقيلة . وبعد مسيرة مرهقة وصلا بلاد الآسام ، والبنغال . وقد قال ستلول ما كان يراه في هذه الهزيمة وهو القليل الدبلوماسية : اعلن اننا تلقينا صفعة كبيرة . انه لشيء مذل حقاً ان نطرد من بورما .



القتل والخراب في معركة بورما



جنود يابانيون يتخذون من الفيلة وسيلة نقل

وفي كانون الأول هبط اليابانيون في أرض الهند النيرلانديــة شمالي بورنيو وفي ساراواك .

وفي الشهر التالي ركزوا جهدوهم فوق جزيرة هامة . انها جــاوا . وقد اصيبت احدى قوافلهم وهي تمخر مضيق ماكاسار متجهة إلى الجزيرة، ببعض الخسائر بسبب معركــة خاضتها ضد طرادات اميركية يومي ٢٣ و ٢٥ كانون الثاني . وقد رد اليابانيون بأن اغرقت قاذفاتهم حاملــة الطائرات الاميركية « لانغــلي » التي كانت تنقل طائرات مطاردة إلى الجزيرة . وفي نهاية شباط بلغت المعركة مرحلتها الحرجة في بحر جاوا . وخلال سلسلة من المعارك استمرت ثلاثة أيام أغرقت البحرية اليــابانية ٥ سفن جوالة ، ٦ طرادات من سرب يحتوي على سفن حربية انكليزية أميركية وهولاندية يقوده الاميرال الهولاندي دورمان بينما بلغت خســائر اليابانيين طراداً واحداً . لم يعد شيء قادراً على الوقوف امام العملاق الياباني . وفي ٨ آذار استسلمت جزر الهند النيرلندية .



باخرة حليفة تشتعل فيها النيران
بعد احدى الغارات

واتسعت الممتلكات اليابانية بين كانون الثاني ونيسان باتجاه الشرق حينما استولت قوات اليـــابان على جزائر الاميرالية وجزائر جيلبير ، وحينما

احتلت الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة .

في شهر شباط اغارت القاذفات اليابانية على القاعدة البحرية لمرفأ داروين ، في شمال اوستراليا ، منطلقة من مطاراتها الجديدة في تيمور . ثم قصرت المسافة اكثر فأكثر بين قواعد القاذفات وبين اوستراليا حينما بنى اليابانيون مطاراتهم في غينيا الجديدة .



اليابانيون يقذفون بقواتهم نحو غينيا الجديدة

وفي الوقت نفسه تم اجتياح المراكز الامامية لقوات الحلفاء بالحملات اليابانية المتتابعة . من هذه المراكز هونغ كونغ التي ارغمت حاميتها على الاستسلام حينما منع اليابانيون المياه عنها في حصار استمر ١٧ يوماً . وقد تم هذا الاستسلام في ٢٥ كانون الأول ١٩٤١ . اما غوام ، وهي جزيرة غير محصنة فقد احتلها الغزاة اليابانيون بعد ضرب بيرل هاربر بخمسة

أيام فقط ؛ لكن « ويك » التي كان يدافع عنها أقل من ٤٠٠ بحار صمدت ١٦ يوماً ثم انهارت مقاومتهـــا . والواقع ان هؤلاء البحارة قد استطاعوا ان يردوا محاولتين من محاولات انزال الجنود في هـــذه الجزيرة امام قوات تزيدهم مئة ضعف وطائرات امطرتهم بوابل غير منقطع من القنابل . وفي المحاولة الثالثة انهارت قواهم تحت ضغط الاعداء المتزايدة من الجند والسلاح . وتم استسلام جزيرة « ويك » في ٢٣ كانون الأول . وعلى ذلك لم يكن قد بقي وراء هـــذه الجزيرة بين هاواي والفيليبين غير مدواي .

الفيليبين :

لا شك ان الفيليبين كانت موقعـــاً بالغ الاهمية بالنسبة لليابانيين . واهميتها نابعة من مركزها الاستراتيجي من ناحية ولأن جزرها تصلح لأن تكون قواعد للقوات الاميركية البحرية والجوية تنطلق منها لمقاومة اليابانيين في ماليزيا وجزر الهند .

في ضوء هذا التوضيـح لا نستغرب ان تتم الغارة الجوية اليابانية على جزر الفيليبين فتبيد مجموعة كبيرة من الطائرات الاميركية بعـــد عشر ساعات فقط من حدوث الغارة على بيرل هاربر .

والواقع ان اليابانيين قد أفادوا كثيراً من شيئين هامين :

اولاً : وجود نظام إنذار فاسد .

ثانيـاً : رفض الجنرال دوغلاس ماك ارثر ارسال قلاعـــه الطائرة ب – ١٧ – وهي سيدة الاسلحة الاميركية في الشرق الاقصى – لضرب القواعد اليابانية في هاينان – فورموزا ما دام الكونغرس لم يعلن الحرب بصورة رسمية .

هكذا استطاع اليابانيون بين ٨ كانون الأول ونهاية العام ان يبيدوا

بالفعل الطيران الاميركي في مطاري كلارك ونيفوك في لوسون ، وان يحدثوا تخريبات هائلة في القاعدة البحرية الهامة في « كافيت » ، التي ارغم الاسطول الآسيوي الصغير الذي يقوده الاميرال توماس هارث ،

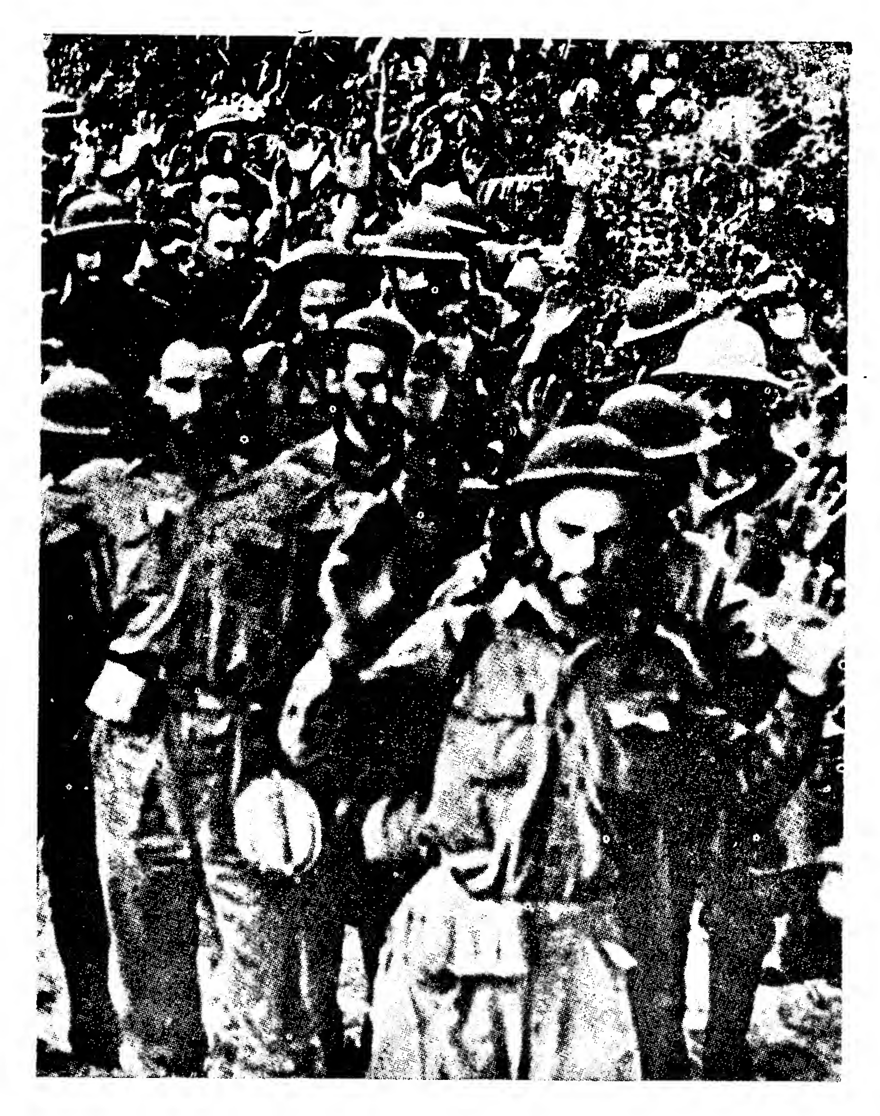


مدافع الهاون الاميركية تشترك في معارك

على الهروب منها . ولجأ الاسطول الى جزر الهند النيرلاندية ليتمزق خلال الاشتباكات التي جرت في بحر جاوا . على ان الاميركيين قد ألقوا في الميزان كل ما تركه اليابانيون لهم في ذلك القطاع ابتداء من الطائرات البحرية الثقيلة « PBY » حتى القلاع الطائرة « ب — ١٧ » ، وابتداءً من الغواصات حتى زوارق الطوربيد : كل هذه القوى لم تستطع ان تحول دون نزول القوات اليابانيــة ، لقد كان نصيبها جميعاً ، التحطيم ، والتخريب او الهرب .

وقد قرر اليابانيون وهم سادة الجو والبحر ، ان يتجهوا نحو مانتلا

في اول كانون الثاني منطلقين من رؤوس الجسر التي اقاموها شمالي العاصمة وجنوبها . ولم تجد القوات الاميركية والفيليبينية أمام هذا الاجتياح



جنود يستسلمون

الهائل مناصاً من التراجع الى الوراء ؛ محاولة تغطية هذا التراجع بمعارك يائسة تخوضها قوى المؤخرة . وبذلك استطاعت ان تبلغ غابة باتان الصخرية . وقد صمدت القوات الاميركية الفيليبينية المتراجعة في باتان وكوريجيدور ، وهما قلعتان مبنيتان خصيصاً لحماية شبه الجزيرة امام غزو يأتي من البحر من اليابانيين . ولم يطل الصمود فالخسائر الكبيرة التي نزلت بهذه القوات ونقصان المؤن ، والمرض ، واستحالة الحصول على النجدات والاسلحة وغيرها ، قد حطمته .

وكم كانت مرارة رجال الحامية شديدة وهم ينشدون قولهم ،

نحن « بنادیق » باتان
ليس لنا أب ، أو أم ، أو عم سام ،
لا اعمام ، ولا عمات ، ولا ابناء اخ او بنات اخ ؛
لا بنادق ، لا طائرات ولا مدافع .
كل الناس بنا يستهترون !

وفي ٩ نيسان تم استسلام اربعين الف جندي هم من بقي من حامية باتان . اما كوريجيدور « الصخرة » التي كان يقودها الجنرال جوناتان وين رايت فقـد صمدت شهراً آخر ثم استسلمت في ٦ أيار مع عشرة آلاف رجل .

أما الجنرال دوغلاس ماك آرثر فانه ، بعد ان ساءت حالة الفيليبين ؛ قد تلقى من الرئيس روزفلت امراً بمغادرة المعسكر المعزول . وتم انتقال القيادة الى « ديبرايت » وهرب ماك آرثر في محاولة جريئة الى اوستراليا حيث صرح قائلاً :

« لقد امرني رئيس الولايات المتحدة بمغادرة كوريجيدور الى اوستراليا مروراً بالخطوط اليابانية . ويبدو لي ان غرضه من ذلك هو ان يكل الي مهمة اعداد هجوم على اليابان يكون الهدف الاساسي له تحرير الفيليبين . وقد نجحت بالمرور وسأعود » .



الجنرال ماك ارثر يلجأ الى اوستراليا بعد خسارته معركة الفيليبين

وقد أعلن المراقبون الحربيون بأن اليابانيين الذين كانوا يرفضون حتى ذلك الوقت التوقيع على اتفاقية جنيف ، قد تميزوا بالبراعة والقسوة . ان التخريب والاعتداءات والقسوة الموجهة الى الاسرى ، لم تكن اهانة للبيض وحسب ولكنها كانت مصدراً لغضبهم الشديد .

والواقع ان هزيمة البيض هناك قد نالت من هيبتهم ومرغتهم بالوحل

وأساءت اليهم اساءة بالغة . يضاف الى ذلك ان البيض لم يسبق لهم ان قدموا لسكان البلاد الأصليين اي مبرر حقيقي لمقاومة المد الياباني الجائح . ولذلك فان شعوب ماليزيا وبورما وسيام وجزر الهند النيرلاندية قد تعاونت مع الغزاة . أما في البلاد الهندية فقد اعتقل الانكليز زعماء الشعب ، المهاتما غاندي وقادة حزب المؤتمر رغم الوعد الذي قطعه الانكليز على انفسهم لمنح البلاد استقلالها التام بعد نهاية الحرب . اما الزعماء المعتقلون فقد دعوا مواطنيهم الى اتخاذ موقف سلبي ورفض مقاتلة اليابانيين . كلهم كانوا كذلك الا الشعب الفيليبيني الذي تعهدت الولايات المتحدة بمنحه الاستقلال عام ١٩٤٦ ؛ فقد قاتل ابناؤه بشجاعة بالغة الى جانب حلفائهم الأميركيين .

في خمسة اشهر فقط غزا اليابانيون الأمبراطورية التي كانوا يحلمون بها منذ عشرات السنين . هذا الغزو كان يعني وضع اليد على ٤٠٠ مليون من البشر وعلى كل موارد المواد الاستراتيجية التي كانوا في حاجة اليها — بترول ، مطاط ، قصدير ، تانغستين ، كروم ، مانغنيز ؛ وأرز — باستثناء الحديد . ان البحرية اليابانية قد اصبحت سيدة بحار الباسيفيك . انها الآن تتجول عبر المساحات الشاسعة بحرية تامة وتمارس سيادة مطلقة ، ابتداء من مدواي حتى شواطىء الصين ، وابتداء من الاليوشين حتى اوستراليا يضاف الى ذلك قسم كبير من مياه المحيط الهندي .

اما فيما يتعلق بالجيش الأمبراطوري فقد اصبح سيداً على المدار المحصن ، والذي كان هذا الجيش واثقاً من عجز الحلفاء عن اختراقه ... كل هذه الأهداف قد تحققت بقوات عدتها ٤٠٠ الف رجل ، أي خمس القوات اليابانية وبخسارة لم تتجاوز ١٥ الف رجل بين قتيل وجريح .

ثلاثون ثانية فوق طوكيو :

مقابل هذا كله ارتكب اليابانيون خطيئة نفسية . لقد اساءوا تقدير

روح القتال عند الأميركيين . لقد ظنوا ان انتصاراتهم هذه ستدخل اليأس الى نفوس الشعب الأميركي . ولكن الحقيقة ان القوات الأميركية قد استردت انفاسها واستعادت وعيها خلال شهرين كاملين بعد الغارة على بيرل هاربر .

وبعد شهرين فقط نظمت البحرية الأميركية عملية ارتداد على اليابانيين . لقد بادرت وحدات مشتركة الى ابادة جزر مارشال وجيلبير . وفي ٢٤ شباط اغارت قاذفات اميركية على جزيرة ويلك وفي ٤ آذار تمت غارة اخرى على جزر ماركوس التي تقوم على بعد ١٥٠٠ كلم من طوكيو . وفي ١٠ آذار اغارت طائرات منطلقة من حاملات طائرات على القواعد اليابانية في لاي وسلامودا في غينيا الجديدة واغرقت سفينة جوالة خفيفة ، وكاسحة الغام ثم سفينة شاحنة . يضاف الى ذلك ان الأميركيين كانوا يعدون مفاجأة اخرى اشد مرارة للعدو . لقد ضربت اليابان نفسها في ١٨ نيسان للمرة الأولى .

هذه الخطة الأخيرة وضعت نهائياً منذ شهر كانون الثاني . وكانت تقضي بتوجيه حاملتي الطائرات « انتربرايز وهورنت » الى منطقة تبعد الف كلم عن طوكيو ، ومنها ترسل القاذفات « ب — ٢٥ » المصنوعة خصيصاً لمثل هذه المهمة الى سماء طوكيو .

وعندما ظنت قيادة حاملتي الطائرات حين لقيت دوريات يابانية أنها قد شوهدت من قبل العدو فقد اطلقت ١٦ قاذفة ميتشل ثم أمرت بالتراجع وانطلقت الطائرات بقيادة الكولونيل جيمس دوليتل نحو طوكيو ، ناغايا ، اوزاكا وكوب .

وقد حدثنا الكابتن « تد لوسون » عن « الثلاثين ثانية التي قضاها فوق طوكيو » قال :

بينما كنا نقفز فوق هضبة يقف فوق قمتها هيكل من الهياكل ، شاهدنا خليج طوكيو أملس كالمرآة ...

مضت علينا دقيقتان ونحن نطير فوق الخليج ، حينما توجهت انظارنا



القلعة الطائرة « ب – ٢٥ » في طريقها للاغارة على طوكيو

فجأة نحو نقطة واحدة ، لقد كانت إلى يميننا عـلى بعد ميلين أكبر حاملة طائرات وقعت عليها عيوننا حتى ذلك اليوم . وشعرت بجـاذب رهيب يدفعني لالقاء قنبلة فوقها ، إلا اننا كنـا في وضع لم يسمح لي بذلك وقد اعدتنا القيادة لضرب أهداف أخرى ، والمدينة قريبة جداً ،

فتابعنا طريقنا ...

لم تقع انظارنا على طائرات للعدو ...

وبعد خمس دقائق ونحن فوق الخليج اكتشفت خلالها فيما وراء النهر حاجزاً من البالونات ممتداً بين يوكوهاما وطوكيو ...

وكدت أصل تقريباً إلى الهدف الأول قبل أن أراه . فبادرت حالاً إلى تزويد المحركات بأقصى قوة ممكنة بينما اشرف دافنبورت على المراوح لكي تكون أكثر سيطرة على الهواء وتسلقنا بأسرع ما في وسعنا إلى ارتفاع ١٥٠٠ قدم ، تماماً كما كنا نتصرف في فترة التدريبات التي استمرت شهراً كاملاً ، وكما كنا نفعل في خيالنا ثلاثة اسابيع اضافية خلال الدروس النظرية التي كنا نتلقاها .

ومضت فترة الوصول إلى هذا الارتفاع ، وفتح مستودع القنابل ، وتحديد خط الرؤية ، فالقينا قنبلتنا الأولى بوزن ٥٠٠ رطل ؛ واضاء مصباح أحمر في اللوحة المقابلة ، لقد انطلقت القنبلة .

وزادت سرعتنا . ضوء أحمر جديد . كان كلافر قد أرسل القنبلة الثانية . في تلك الفترة على التحديد برزت أمامنا فجأة سحابة سوداء وعلى بعد مئة متر فقط ثم ظهرت سحابتان اخريان ، دائماً أمامنا ولامست طرف جناحينا ، ثم انفجرت على ارتفاعنا نفسه ولكن في وقت مبكر قليلاً .

وأضاء المصباح الأحمر مرة ثالثة . كنا نطير فوق حي أقل كثافة في القسم الجنوبي من المدينة حينما أضاء المصباح الأحمر للمرة الرابعة : هذه القنبلة الأخيرة كان يجب أن تتحول إلى ١٢ قنبلة محرقة .

وانقضضت دون ان انتظر . كنت قد غيرت وجهتي وبينما كنت انظر إلى الوراء ، رأيت أثار قنبلتنا المتفجرة الأخيرة فوق المصنع الحديدي الذي كنا نقصد إلى ضربه ؛ وفي أثناء انقضاضي رأيت جدران البناء تتفجر ، ثم تنهار وتختفي في سحابة سوداء ولهب .

وانطلقت فوق صف طويل من الأبنية والبيوت وتابعت طريقي كما لو أنني كنت أرى الجحيم .

والواقع ان عملية القذف الحقيقية التي قمنا بها بين إلقاء أول قنبلة وبين انقضاضي من الأعالي لم تستمر أكثر من ثلاثين ثانية ...

هذه الثواني الثلاثون القصيرة كانت ستكون بالغة الأهمية بعيدة التأثير. لقد استطاعت ان تعيد إلى الاميركيين ثقتهم بأنفسهم وان تحدث الدهشة والخيبة في نفوس اليابانيين .

إن الاضرار التي سببتها هذه الغارة على قلتها في المدن اليابانية قد اقنعت اليابانيين بضرورة المبادرة إلى زيادة التحصينات في ضواحي طوكيو من ناحية وإلى استبقاء عدد من المطاردات كان يمكن أن يستفاد منها في مكان آخر .

لقد اعلن الرئيس روزفلت ان الطائرات « ب ـ ٢٥ » هذه كانت آتية من شانغريلا ، البلد الوهمي لكتاب جيمس هيلتون « آفاق ضائعة » بينما افترض اليابانيون أنها انطلقت من مدواي . ومنذ ذلك الفترة قرروا احتلال هذه الجزيرة ، التي هي المركز الأمامي في الطريق إلى هاواي . على أنهم رغم ذلك بقوا في قلق دائم بسبب هذه الثواني الثلاثين . بل شاهدوا بعين الخيال ما وراء هذه المحاولة من احتمالات الاخطار المقبلة ...

لقد كانت هذه الغارة عملية رمزية دون ريب ولكنها كشفت عن الامكانات الغنية الكامنة في تصميم الاميركيين على متابعة النضال حتى النصر...

الجيش الالماني

أمام القوقاز وستالينجراد

هتلر يجتاح جنرالاته :

أطل عام ١٩٤٢ والرياح الثلجية تعصف بالجيش الالماني بينما القوات الروسية التي تتجدد أطماحهـــا وتنبت فرقها في كل مكان ثم تنقض على العدو تقوم بعمليات واسعة تحاصر بها فرقاً من قوات المحور .

السيبيريون يهاجمون في جبهتي موسكو ولينغراد ... لقد اثبتوا انهم قادرون على خوض غمرات الحرب في صقيع لم يتعود الشعب الالمـــاني رؤيته ولم يتهيأ الجيش النازي لمقاومته ...

وقد سبق ان أشرنا إلى موافقة هتلر على انسحاب الجيش الالماني في جبهة موسكو بعد هجوم الصقيع الرهيب في كانون الاول من عام ١٩٤١. ولكن هذا التراجع لم ينقذ الجيش من الهلاك . ذلك لأن الروس تابعوا هجماتهم المعاكسة كما لو ان برد الشتاء يمنحهم الحرارة والحركة لا الجمود والموت . ان معارك رهيبة قد جرت في درجة برودة بلغت « ٤٠ » . وفي مناسبات عديدة قاربت الكوارث ان تبيد فرقاً من الجيش الالماني .

ولكن جرأة بعض شباب القادة من الالمان حالت دون نزول هذ الكوارث بهم وابادتهم . الجنرال الشاب مودل انقذ الجيش المعسكر في قطـاع



ملازم من سلاح الطيران الالماني وقد ارتسمت على وجهه ملامح الكبرياء الموروثة.

« رجنيف » ومجموعة جيوش الجبهة الوسطى قد نجت من الهلاك والحصار بفضل روح المبادرة عند الجنرال فون درشيغاليري الذي جاء بأفواج من منطقة نورماندیا الدافئة لم تكد تبلغ أرض المعركة حتى خرج جنودهـا وضباطها من حافلات القطارات التي كانت تنقلهم ينقضون على الروس وكأنهم العاصفة . لكن الرياح الثلجية التي واجهتهم هنـاك لم تلبث ان اجتاحت عواصف حماستهم وجرأتهم .



الجثث الالمانية في سهول روسيا عددهم يتجاوز الـ ١٦٠ الفاً

مئات الالوف من الجنود كانوا يعودون عبر مئات الكيلومترات عـلى أقدامهم ... بطونهم من الطعام خاوية ... وأجسامهم محرومة من الثياب الدافئة وسياراتهم خالية من الاجهزة المضادة للتجمد حتى خيولهم كانت غير معدة للسير فوق سهوب الجليد .

القادة كلهم كانوا يريدون التراجـع والعودة إلى الدونا حتى دنيبر ونيمن . مليونان من الرجال كان ينتظر أن يتحول تراجعهم إلى كارثة رهيبة أشبه بكارثة الجيش النابوليوني .

– لكن هتلر قال : لا !



في شتاء ١٩٤١ ، الروس يستعيدون روستوف

لقد أصدر أمراً بعدم التراجع الى الوراء ولو خطوة واحـدة وأصر على بقاء الجيوش حيث كانت حتى لو حوصرت من قبل العدو . ولكي يفرض هذا الأمر لم يتردد في تطبيق عقوبات قاسية تناولت الكبـار والصغار .

القائد الذي اخترق سيدان في معركة فرنسا جرؤ على المثول بين يدي هتلر وطلب بالتراجع فعزله هتلر عن القيادة .

العجوز رانستد بطل معركة فرنسا اخلى مدينة روستوف على الدون فشق هتلر له أذنه .

الجنرال هوبنر الذي لا ينحني في معارك الدبابات إلا أمام غودريان ترك قليلاً من الأرض ليقصر جبهته فطرده هتلر من الجيش بتهمة التمرد على الرؤساء والجبن .

أما الجنرال الكونت سبونيك فقد ظن أن موقعه الدفاعي يكون أحسن حالاً إذا تخلى عن بعض شواطىء القرم فنقل مركز المقاومة إلى برزخ كيرتش ولكن هتلر لم يغفر له هذا التصرف وهو القائد الذي أشرف على غزو جيش المظليين لهولندا ، فحوله إلى المجلس العسكري الذي أدانه وحكم عليه بالموت .

هذه الصلابة القاسية هي التي أنقذت الجيش الالماني من التفتت والتجزؤ آنذاك . ولكن الصمود الذي أمر به هتلر ، وان أنقذ الجيش من الهزيمة إلا أن الالمان دفعوا ثمنه غالياً . كثيرة هي الوحدات التي حوصرت ثم ابيدت عن بكرة أبيها . لكن أكثر أنواع الحصار عنفاً وبطولة هو ذاك الذي جرى في جيب وميانسك في وسط الطريق بين موسكو ولينينغراد.

بعد انقطاع مزدوج في الجبهة احيط بالجيش العاشر وقسم من الجيش الثاني منذ نهاية كانون الأول ١٩٤١ فوق هضبة مغمورة بالثلوج . وقد استطاع سلاح الطيران ان ينقل المؤن إلى القوات المحاصرة فأحيا مئة الف رجل بأن حمل اليهم في كل يوم ما زنته ٢٠٠ طن من المؤن والذخائر . كانت آلام الجند رهيبة قاسية . ولو استمع هتلر إلى نصائح جنرالاته لأصدر أمراً الى هؤلاء الجنود بفتح ممر لهم هو دون ريب مصدر هلاكهم وهم المحرومون من وسائل النقل ومشلولون بسبب الصقيع . ولكن هؤلاء الجنود الذين يبلغون ست فرق كانوا يحتجزون من جنود السوفيات

أربعة اضعافهم . وبذلك حالوا دون ان يضغط هؤلاء الجنود على بقية اجزاء الجبهة الالمانية المتفككة . وخرج هتلر برأي حاسم . هو ان الحصار في مثل هذه الحالة ليس شيئاً مقبولاً وحسب بل هو حسن جداً.

القيادة الالمانية العامة موجودة كلها في روسيا الشرقية حول راستنبرغ المدينة الصغيرة . ومنذ ان عزل هتلر الماريشال فون براوشتس بصورة مفاجئة اصبح هو شخصياً القائد المباشر للجيش البري .لكن نقاط الخلاف بينه وبين طبقة القادة العسكريين بقيت هي هي . وكان يمثل هؤلاء القادة الكولونيل جنرال هالدر رئيس هيئة الاركان العامة .

كان هتلر يحتقر حنبليته وتزمته في التخطيط العسكري وكان يقول لمن حوله : « إن هالدر هو معلم مدرسة » ولكنه كان يجهل بالطبع ان هذا الجنرال يتآمر عليه منذ عام ١٩٣٨ .

والواقع ان هالدر كان شديد الاعجاب بقدرة الروس على اعادة تنظيم قواتهم وملء الفراغ الذي كانت تحدثه المعارك في صفوفهم. وعندما نعلم ان معارك الصيف والخريف لعام ١٩٤١ قد اخرجت من الجيش الروسي ٤ ملايين أسير نستطيع ان ندرك كيف نبتت القوات الروسية كما تنبت اكمام الزهر في الربيع . اما تجهيزات الجيش الروسي فقد كانت تبدو لهالدر اعظم قوة واشد صلابة .

لقد اكتشف الالمان الدبابة الروسية « ت ٣٤ » التي تفوق أقوى دباباتهم . أما قاذفة الصواريخ كاتيوشكا التي كانوا يسمونها « ارغن ستالين » فقد كانت تسحق احسن القوات الالمانية بقذائفها التي تبلغ ٣٢٠ قذيفة في ٢٥ ثانية .

وبينما كانت القوات الروسية تتزايد « كماً ونوعاً » كان الجيش الالماني يتراجع . لقد تحطم اندفاع الانتاج في اسلحته بسبب قرار أصدره هتلر منع بموجبه انتاج الاسلحة الجديدة التي لا يمكن ان يتم صنعها خلال ستة أشهر بعد الانتصار في فرنسا . بين هذه الاسلحة الجديدة

دبابة النمر ، وزنها ٥٥ طناً . وقد كانت جديرة بتجديد شبـــاب الجيش المدرع الالماني ولكن انتاجها قد توقف بسبب هذا القرار . أما الطيران الالماني الذي اجتاح الجبهات الغربية فانه فقد المبادرة ولم يلبث ان اصبح سلاحاً متخلفاً بسبب فقدان روح المبادرة عند قائده غورنغ يضـاف الى ذلك ان عدد طائراته بقي على حاله فلم يسجل أية زيادة .

يبقى العنصر البشري نفسه الذي اخذ يتضاءل . لقد كانت القوات الالمانية في حاجة الى مليون جندي لملء الشواغر . وبما ان عمليات التعبئة لم تكن على مستوى المعركة التي يخوضها الجيش في الشرق فقد كـــان جنود النجدات الذين يرسلون الى هناك اقل كفاءة من الجنود الذين كانوا يتساقطون في الميدان .

في ضوء هذه الاعتبارات رأى هالدر ان الجيش الالمـاني قد ضعف بحيث لم يعد قادراً على اتخاذ المبادرة في الهجوم عام ١٩٤٢. وقد اقترح خطة جديدة تستند الى استراتيجية دفاعية هجومية.وخلاصتها ان تستدرج العدو للقيام بهجمات ثم ترد عليه بضربات معاكسة مخربة . يضـاف الى ذلك ان من نتائج هذه الخطة تقصير الجبهة وتنظيم المؤخرة بحيث تصبح قادرة على القيام بهجمات معاكسة في القطاعات المهدّدة .

أما هتلر فقد كان يرى نقيض ذلك .

شيء واحد كان يعترف به هتلر .. هو ان الجيش الروسي لا يهزم بالسهولة التي كان يقدرها . ولكنه بدلاً من ان يتصرف في ضوء هذا الاعتراف خرج برأي آخر .

لقد رأى ان ستالين قد أعد كثيراً من الرجال والسلاح ولكن الجيش الالماني أباد هذا كله . ولولا ان الشتاء القارس قد حال دون متـــابعة الهجوم لكانت نهاية الجيش الروسي وشيكة قريبة . وبعودة الصيف من عام ١٩٤٢ أيقن هتلر ان جيشه قد خرج من المأزق وان طريق النصر قد فتحت أمامه مرة اخرى .

القوقاز حلم هتلر :

كان واثقاً ان بقايا الجيش الالمـــاني قادرة على سحق فلول الجيش الروسي ولذلك فهو يرفض تقديرات جنرالاته لقوة الروس ويرى في هذه التقديرات علامات خوف وضيق نظر .

الجيش الروسي في نظر هتلر يومذاك يقف عند شفير الهاوية . وان هجوماً شاملاً يجب ان يجند له . ونصيحة هالدر مرفوضة من الاساس . لقد حان الوقت الذي يجب ان يلقي فيه في ميدان المعركة بكل ما يملك للحصول على كل ما يريد .

هذا بالنسبة لجبهة القتال الالمانية الروسية . اما بالنسبة للوضع العالمي. فقد كان هتلر يعتقد بأن دخول الولايات المتحدة في الحرب سيحطم كل امل له في النصر . وعلى ذلك فان مهمته ان يصبح ذا قوة غير قابلة للانكسار . ولا يتم ذلك إلا بوقوف المانيا فوق قاعدة استراتيجية واقتصادية صلبة . وبعد ان كانت المعركة سلسلة من البروق السريعة ستصبح رمزاً لصبر طويل . والاقوياء هم الذين يصبرون .

ينبوع القوة الذي يحلم به هتلر هو في القوقاز . فاذا انتزعها مـــن الروس وحرمهم من بترولها حال دون استمرارهـــم في خوض حرب حديثة . وبالحصول على بترول القوقاز يكون هتلر قـــد ضمن للجيش الالماني الوقود الذي يشكو من قلته . اما الحديد والخبز فهو يرى انه قد وجدهما في اوكرانيا .

الاتصال برومل :

في هذه الحالة كان هتلر يعتقد ان في وسعه متابعة الزحف للقضاء على بريطانيا في الشرق وحرمانها من مواردها البترولية ولاقامة جسر هائل

بين قناة السويس والجنرال رومل الزاحف من ليبيا : وسيكون في وسع المانيا احاطة الشواطىء الاطلنتيكية بجدار قوي جداً من المواقع الدفاعية ثم يبتدىء تسديد الضربات البحرية الجوية ضد الغربيين حتى يداخلهم اليأس من متابعة الحرب ويوافقوا على الدخول في مفاوضات الصلح .

في ٨ نيسان صدرت تعليمات خاصة لتوضيح وجهة النظر هذه وللرد على خطة هالدر التي يعتبرها هتلر صيغة انطواء وعنوان هزيمة ، لانها في رأيه تمنح الروس التسهيلات الكافية لاعادة بناء قواتهم العسكرية بمساعدة الاميركيين .

وقرر هتلر القيام بهجوم واسع لابادة القوات السوفياتية المتجمعة في حوض الدون . انها ستكون بين طرفي كماشة تنغلق عليها وتضغط عند



هتلر يصدر اوامره الى فون باولوس (في الوسط) بوجوب احتلال ستالينغراد قبل حلول الشتاء . ويرى في اقصى اليسار الجنرال هوزينجو وفي اقصى اليمين الجنرال فون بوك

كالاتش اي في المكان الذي يقترب فيه النهر من ستالينغراد. ثم تزحف الجيوش الالمانية حتى هذه المدينة لمساندة جناحه الدفاعي عند نهر الفولغا،

هذا الجناح الذي يجب ان يغطي المرحلة النهـائية للهجوم وهي المسيرة الكبرى الى القوقاز .

الهدف ليس ستالينغراد بل هو باكو . وليست ستالينغراد غير القفل الذي يغلقه هتلر لحماية غزوة يعتقد ان في وسعها جعل الحرب مستمرة الى الابد .

القوات التي اعدها هتلر للقيام بهذا الهجوم تبلغ ستين فرقـة تضاف اليها ٢٨ فرقة من الرومانيين والهنغاريين والايطاليين .

وعند بداية الهجوم سيكون طول الجبهة ٨٠٠ كيلومتر . ثم يتكون خط من القتال يبتدىء من ناغازوف وينتهي الى فورونيج مروراً بباطوم – تفليس – باكو – استراكان – ستالينغراد . اما التسعون فرقة المانية وحليفة فستنشر على امتداد مدار طوله ٤٠٠٠ كلم . وفي قزوين سيكون الجنود الالمان على بعد ٣٠٠٠ كلم من برلين . على ان هذه المسافـة ستكون أطول ثلاث مرات من الناحية العملية بسبب الضعف في السكك الحديدية وانعدام الطرق الصالحة للنقل وكثرة عصابات الانصار . إن انتقال المؤن والذخيرة الى هذه الجبهة سيحتاج الى اسابيع كثيرة .

وعندما كانت تقدم هذه الاعتراضات الى هتلر كان يؤكد لسامعيه بأنها اعتراضات خيالية مصطنعة . كان يقول : حين يتم تنفيذ « العملية الزرقاء » تكون الجيوش الروسية الجنوبية قد أبيدت وستحرر القوقـاز كلها بفضل الشعوب الثائرة المتمردة على الطغيان الاحمر . فـلا يبقى على الجيش الالماني الا ان يحمي خطاً قصيراً نسبياً مبتدئاً من استراكـان ثم منتشراً على امتداد الفولغا والدون ثم يتم الاتصال مـع جيوش الوسط والشمال وراء فورونيج . بعد ذلك يبدأ هجوم آخر على موسكو ولينغراد لتحطيم بقايا جيش مشلول بسبب فقدانه للوقود . ووراء جدار دفـاعي صلب تعود المانيا الى تنظيم المناطق المحتلة وتعيد بنـاء السكك الحديدية والطرق ثم تبيد عصابات الانصار .

معركة سيباستوبول

قبل بداية هذه العملية الزرقاء تقرر القيام باجراءين تمهيديين :

اولاً : إنهاء غزو بلاد القرم .

ثانياً : تصحيح خط الدونيتز الذي ما تزال فيه جيوب روسية تشبث بها العدو بعد هجومه في الشتاء الماضي .

وبدأت عملية تطهير بلاد القرم في ٨ أيار . مانستين هو قائد العملية. قضى على بقايا القوات السوفياتية التي تركها الكونت سبونيك تقيم شرقي شبه الجزيرة ، وتم أسر ١٧٨٠٠٠ جندي سوفياتي مقابل خسارة ٨٠٠٠ جندي الماني بين قتيل وجريح ومفقود . ثم حاصر سيباستيبول ، وهي قلعة قديمة مرممة تتمون من البحر وقد جمع فيها ستالين ما لا يقل عن تسع فرق .

المدفعية الرهيبة التي استعملها مانستين تحتوي على مدفعين عملاقين عيار ٦٠٠ ملم ... « تور واودان » ثم مدفع ثالث اكثر ضخامة منها . انه « دورا » أثقل مدفع عرف في التاريخ . وقد بني سراً من أجل تحطيم المواقع الدفاعية الضخمة لخط ماجينو : عياره ٨٢٠ ملم . طول ماسورته ٣٠ م . وزن قنبلته ٧ طن . وقد استمر قذف المدينة المحصنة دون توقف خمسة ايام متوالية . لكن الروس قاتلوا حتى الموت مستندين الى تنظيم قوي لمواقعهم الدفاعية . لقد ارغم الالمان على تكرار هجماتهم امام كل حصن من الحصون . وفي أول تموز تم الحصار . وسقط برج مالاكوف الذي سبق للماريشال ماكماهون ان قال فيه كلمته المشهورة « انا هنا وانا هنا باق » . ووجه ستالين نداءه الى نساء المدينة واطفالها وطلب اليهم ان يدافعوا عن مدينتهم وان يقاتلوا عند كل منزل ، ولكنه في الوقت نفسه أمر العناصر الهامة في المدينة باخلائها وفي مقدمتهم الجنرال



الجنرال فون بوك يتذوق الفودكا الروسية المكتشفة في
اقبية جزيرة القرم



الحرب في شوارع المدن وفي المنازل

بتروف. وبدأت المذبحة الرهيبة . وكانت جماهير من المدنيين قد لجأت الى مستودعات الشمبانيا في هضبة انكرمان وعندما انفجرت الذخائر الموجودة فيها انقذفت قمة الهضبة الى ارتفـــاع ٣٠٠ م ثم مزقت ودفنت آلاف الضحايا البريئة .

وبعد سقوط سباستوبول ارسل هتلر قـــائده مانستين الى ليننغراد في



الجنرال الروسي تيموشنكو

الشمال التي بقيت صامدة امام قواته طوال عام كامل تقريباً ليذيقها ما أذاق مدينة البحر الاسود . وقد تم نقل القائد مع جيشه الحادي عشر . واحتاج نقل مدفع لعملاق وحده دوراً الى ستين حافلة ! مما احدث ارتباكاً شديداً في شبكة السكك الحديدية الروسية السيئة .

أما في الدونيتز فقد بادر الروس الى الهجوم قبل الوقت المعين لهجوم الالمان عليهم بثمانية ايام . بدأ هجومهم في ٩ ايار. وهدفهم هو استرجاع خاركوف وتحرير اوكرانيا . ووجه القائد الروسي تيموشنكو الى الوطنيين الاوكرانيين المتعاونين مع الالمان إنذاراً قال فيه : العقاب في الطريق اليكم.

ويبدو ان هذا الهجوم كان قبل أوانه . فان جيشين المانيين السابع عشر بقيادة « رووف » والسادس بقيادة «بولوس» قد حاصرا القوات الروسية بعد ان اخترقت الجبهة الالمانية وأسرا ٢٧٠ الف رجل في إيسجن. وتحول التقدم الى كارثة . وتغير الوضع في نهاية أيار لمصلحة الالمان في

الدونيتز . وبسبب الهجوم الروسي تأخرت العملية الزرقاء بضعة اسابيع . ثم لم يتقرر الابتداء بها إلا في ٢٨ حزيران ١٩٤٢ .

وعلم الروس بنبأ العملية الزرقاء واخذوا علماً بتفصيلاتها ومع ذلك فلم يستطيعوا ان يقاوموا القوات الالمانية المهاجمة .

ففي الجناح الايسر لمجموعة جيوش الجنوب انطلقت منها الجيوش التالية : الجيش الثاني – الجيش الرابع المدرع – الجيش الثاني الهنغاري . واجتاحت حوض الدون الكبير واستولت على فورونيج بقيادة « فون ويش » ثم اتجهت نحو الجنوب .

وفي الجناح الايمن وصلت الجيوش التالية الى حوض الدون أيضاً . انها الجيش الاول المدرع ثم السابع عشر والثالث الرومانيان ثم استرجعت روستوف واتجهت نحو الشمال ؛ أما جيش بولوس السادس القوي فقد ربط بين المجموعتين . ولم يصمد الروس في اية جبهة حتى ان هالدر المتشائم نفسه كتب في مذكراته السرية : « تطور مدهش » .

وهنا انتقل هتلر من بروسيا الشرقية الى فينيتزا في اوكرانيا فأخرج فون بوك نهائياً من الجيش وبقي يتحمل هالدر على مضض .

الشيء الواحد الذي يلفت النظر في المعارك هو قلة عدد الأسرى الروس نسبياً فان مجموعة جيوش فون ويش وبولوس لم تأسر اكثر من ٨٨٦٨٩ جندي سوفياتي .

وقد لوحظ ان الجيب الذي حاصره وأغلقه جيش فون كليست المدرع الأول كان خالياً من الجنود السوفيات . ومعنى ذلك احد أمرين : اما انه لم يعد هناك جنود سوفيات . او ان خطة الصمود والثبات قد ابدلت بخطة مطاطية متحركة ، هذه الخطة التي منحت الجيش الالماني حصاده الهائل من الرجال في كييف وفيازما .

وأيقن هتلر ان الروس يتراجعون بحثاً عن ملجأ لهم بانتظار مجيء الشتاء القادم . وزاد من يقينه ان راديو موسكو قد تميز في اذاعته بشيء من القلق وراح يلوم الغربيين على تقاعسهم في ارسال المؤن والذخائر .

وبينما كان جنرالاته ينصحونه بالتصرف وكأنه ما يزال امام عدو قوي اصر هو شخصياً على اعتبار المعركة منتهية واعلن انه قد بدأ مرحلة القطاف .

وفي ٢٣ تموز صدرت تعليمات عدلت بموجبها العملية الزرقاء . فبدلاً من ان ينتظر الجيش الالماني المعد للهجوم على القوقاز حتى يتم احتلال حوض الدون واقامة جبهة دفاعية على نهر الفولغا ، تقرر تقسيم جيوش الجنوب الى مجموعتين : المجموعة « ب » بقيادة الكولونيل جنرال فون ويش تنقض على القوات الروسية غربي كالانش وتنطلق لاحتلال ستالينغراد . والمجموعة « أ » بقيادة الماريشال ليست تتجه نحو القوقاز وتغزوها وتحتلها وتذهب الى باكو .

ولكن هذه المجموعة لم تكن تعتمد الا على ١٥ فرقة المانية . أما الفرق الرومانية والسلوفاكية فقد كانت سيئة التسلح . عدد الدبابات لا يتجاوز ٣٠٠ . المسافة من روستوف الى اوائل منخفضات القوقاز ٦٠٠ كلم . ومن الدون الى باكو اكثر من ١٠٠٠ كلم . الوسائل الآلية محدودة . الخيول لا تستطيع تحمل المشقات بسبب قلة المياه .

وانطلقت الجيوش عبر المفازات المحرقة . وفي نهاية تموز تم اختراق منخفض مانيتش الحد الفاصل بين اوروبا وآسيا . ميزان الحرارة يسجل في الظل ٥٥ درجة . على أنه لا ظل في المفازات الواسعة التي يدرج فوقها بحر من الغبار . النسور تطير فوق الجند . الخيول المتوحشة تهرب من راكبي الدراجات البخارية . الروس يتراجعون في الداخل فلا يتركون وراءهم غير قليل من الغنائم للعدو الزاحف .

وفي مساء ٩ آب شاهد الجيش السابع عشر حرائق في الافق. الروس يحرقون آبار البترول في مايكوب . وفي اليوم التالي لم يجد الالمان غير باقات من اللهب . وبدأت كتيبة الاختصاصيين في البترول تعمل على اطفاء الحريق واخراج اكوام من المعادن المتكلسة منها .

المسيرة تستمر . الجنود يجتازون خمسين كلم في كل يوم . والعطش يهلكهم .

بولوس . اربعة جسور فوق الدون :

وعادت الارض ترتفع . واخذ الجو يبرد . وأطلت قمم جبال تكللها الثلوج . وتغير الرجال . ونذر عدد الروس . وبدأت فئات من الشركس والتشيتسينس والاوسيتس تضع نفسها تحت تصرف الغزاة . ولكن الصعوبات المادية بدأت تتزايد .

واستعانت القيادة بقوافل الجمال . وطالت الجبهة وامتدت ٨٠٠ كلم. وأخذت صرخات القادة تنطلق نحو مكاتب القيادة العليا .

ولكن هتلر أصم اذنيه وأمر بمتابعة الزحف حتى القوقاز . لقد كان على الجيش السابع عشر ان يغزو شرفة البحر الاسود ويتغلب على المقاومة في الشواطىء وان يصل الى باطوم . اما الجيش المدرع الأول فينقض على وسط السلسلة ، ويقتحم منطقة اوردجونيكيتز ، التي كان القياصرة يطلقون عليها اسم « باب القوقاز » ثم يحتل تفليس ومن ثم ينزلق حتى باكو عبر وادي كورا . والواقع ان ما سيواجهه « ليست » ليس المفازات الحارة التي لا ظل فيها بل القمم الهائلة التي تغطيها الثلوج والجبال الوعرة الخالية من الطرق .

وفي ٢١ آب تم رفع العلم الالماني فوق البروس قمة القوقاز على ارتفاع ٥٦٣٢ م . واستمر التقدم . وبعد ان اجتازت الفرقة المدرعة الاولى مفازة نوغاييك دخلت عبر السلسلة الكبيرة واحتلت بياتيفورسك مدينة الجبال الخمسة في وسط ينابيعها الكبريتية وغاباتها . والى الشرق وصلت الى تيريك ، سيل مزبد ، ينطلق من كاسبك ليستدير فجأة نحو الشرق ويصب في بحر قزوين .

غروزني اكبرمورد بترولي قبل القوقاز موجودة وراء النهر الصغير .
وعلى بعد ٨٠٠ كلم الى الشمال كانت معركة الدون اعنف كثيراً من معركة القوقاز . لقد ادخل ستالين تعديلات على خططه . فبدلاً من المقاومة العنيدة أمر بالتراجع . ولكنه لم يلبث بعد ذلك ان أعلن عند نقطة معينة انه لا تراجع بعد الآن . لقد قال : جاء الوقت الذي يجب ان نموت فيه ونحن راسخو الاقدام .

والواقع ان الجيش الالماني السادس بقيادة بولوس قد واجه ظروفاً صعبة في حوض الدون . الفراغ في المؤخرة والارتجال في تكتيك هتلر حرماه من الوقود . وبقي مقسوماً الى قسمين خلال بضعة ايام بينما كانت الهجمات الروسية المعاكسة تزلزله وترهقه . ثم عاد الجيش السادس الى انتزاع المبادرة . وفي ١١ آب استطاعت كماشة ألمانية ان تحاصر قسماً من القوات السوفياتية المتخلفة غربي الدون . ووقع في الأسر ١٠٠ الف جندي روسي . بعد ذلك بثمانية ايام نجح بولوس في اقامة اربعة جسور فوق الدون وانتزع موطىء قدم له في الضفة اليمنى ... في البرزخ دون — فولغا . اقل من خمسين كلم كانت تفصله عن ستالينغراد .

سيول من الفولاذ وطائرات مرعدة :

هنا يبدأ دور الجيش الالماني السادس . وهو من اقوى الجيوش الالمانية كفاءة واوفرها سلاحاً . وكان بقيادة فريدريك بولوس الجنرال المتزمت ، من مواليد عام ١٨٩٠ ومن القادة الشباب الذين وكلت اليهم مهمات قيادية ضخمة .

وقد التحق بالحياة العسكرية عام ١٩١٤ بعد ان فشل في دراسة الحقوق ثم انتهت الحرب العالمية الاولى واستمر هو في صفوف الجيش يتمتع بشهرة الضابط الحيسوب الدقيق مع التفكير الواضح والقدرة على التحليل والعرض حتى انه اعتبر بين زملائه نموذجاً للجندي الحديث .

هذا القائد كان يعمل تحت أمرة الماريشال وولتر فون ريشنو... وهو جندي قاس شديد ورياضي جريء وأحد الهتلريين النادرين بين ضباط القيادة العليا . اصيب في بداية الحرب الروسية بنزيف دماغي قضى عليه. ونقلت قيادة الجيش السادس من فون ريشنو الى فريدريك بولوس الذي كان يعتقد باستمرار انه دون رئيسه في مزاياه العسكرية . وقد قال ذلك على رؤوس الاشهاد في موقف من مواقفه المصيرية .

الجيش السادس اذن هو الذي دخل معركة الدون – ستالينغراد بقيادة بولوس . وقد كانت المعركة عنيفة عند حوض النهر لا سيما وان الروس قد تركوا جيوباً في الضفة الغربية للنهر .

حاول الروس ان يستولوا على الجسور الاربعة التي اقامها الالمـــان . ولكن الفرقتين الثامنة والحادية عشرة تعرضتا لهم وتم ايقـــافهم دون ان ترغماهم على العودة الى الضفة الشرقية . وتشبث الروس بكثير من الجيوب الصغيرة التي يحفل بها مجرى النهر الهادىء الكبير .. وشعر الألمـــان ان عليهم ان يبذلوا مجهوداً كبيراً لاخراج القوات الروسية منها . لكن هتلر غير مستعد للأنتظار . انه يريد ستالينغراد . واكتفى بتوجيه قوات حلفائه من المجر والرومانيين والايطاليين عبر الجسور القائمة ، وهم المحرومون من الآليات والدبابات والأسلحة المضادة لها بالاضـــافة الى عدم استعدادهم للموت في حرب ليست لهم ولا مصلحة لهم فيها .

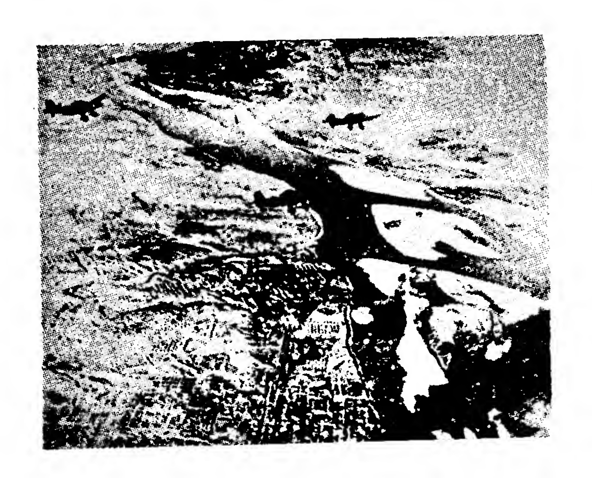
هذه القوات الحليفة امتدت في مواجهة الشمال والجنوب في اجنحـــة دفاعية بينما انطلقت المطرقة الالمانية ، الجيش السادس ، نحو الفولغا .

في ٢ آب تم اختراق الدون من قبل المجموعة المدرعة « ١٤» عبر جسري كالاتش وفيارتاشي . اما «هانس هوب» الجنرال بذراعه اليسرى المقطوعة منذ الحرب العالمية الاولى ، فقد عبأ فرقة الصاعقة « ١٦» على شكل مربع كما لو انها سرب من المدرعات في الحروب القديمة ثم قذف بها عبر السهول كتلة واحدة . والسهول هناك عارية من كل نتوء اللهم

غير منخفضات بسيطة ، لا تحول دون زحف الدبابات .

وهكذا لم تستطع اية قوة ان تصمد امام هذه السيول الفولاذية التي ترافقها رعود الطائرات المنقضة « شتوكا » . وارتفع وراء الزاحفين بحر من الغبار الكثيف اغرق وجه الشمس ونشأ بسببه ضباب كانت تلتمع فيه قذائف المدفعية بألسنة طويلة من اللهب الاحمر. واستطاعت الكتيبة الاولى لفرقة الصاعقة هذه ان تشهد امامها الأبنية العملاقة ترتفع في الافق القريب من مداخن ومستودعات حبوب ، وافران عـــالية . اقـــد استطاعت ان تشاهد مدينة ستالينغراد .

وراحت الطائرات تمطر ستالينغراد بقنابلها بينما كان نهر الفولغا حافلاً بين ضفتيه بالزوارق والمراكب المنهمكة بنقل الرجال والمواد المختلفة . وبدت الضفة الشرقية من النهر مملوءة بالجزر الصغيرة المغطاة بأعواد الخيزران.



ثلاث من طائرات الشتوكا الالمانية فوق نهر الفولغا المتجمد

ولكن جرأة فرقة الصاعقة « ١٦ » قد ادخلت الرعب في قلب قائد الماني كبير هو الجنرال وايترز هايم فأمر هوب بالعودة الى الوراء وباقامة ارتباط بينها وبين فرق الجيش الاخرى . ولكن فات الاوان : لقد ارسل

هوب تقريره المظفر «وصلنا الى الفولغا» وسر هتلر بهذا التقرير واجاب برسالة تهنئة وبأمر آخر بالثبات عند النهر مهما كلف الثمن .

كان ذلك اليوم يوم أمجاد ... رومل في العلمين على خطوات من قناة السويس ... كييست في اورد جونيكيتز على خطوات من تفليس ... بولوس عند ستالينغراد .

ثقة هتلر بالنصر :

وجاءت ذكرى عزيزة على هتلر في ميونخ . جاء اليوم الذي يحتفل فيه الزعيم النازي بالذكرى التاسعة عشرة للانقلاب الأول الذي قام به في ٩ تشرين الثاني عام ١٩٣٣ والذي عرفه فيه العالم كله . وفي طريقه الى ميونيخ للمشاركة في الاحتفالات علم بنزول قوات الحلفاء في شمال افريقيا . وهي عملية بالغة الاهمية لجهة كونها منطلقاً للارتداد الى القارة الاوروبية . وقد تحدث عنها هتلر بازدراء وباختصار شديد أمام الجماهير الحاشدة في الحانة القديمة التي جعل منها نصباً للذكرى . ثم انتقل بعد ذلك الى الحرب في روسيا فقال :

لقد اردت الوصول الى الفولغا في المدينة نفسها التي تحمل اسم ستالين .

هذه المدينة تم الاستيلاء عليها باستثناء بعض جزر صغيرة لا اهمية لها . وقد سئلت : لماذا لا تنتهي منها بهجوم اسرع ؟ قلت : لأنني لا اريد فردان ثانية . انني تركت لعناصر اختصاصية صغيرة مهمة تصفية المعركة في ستالينغراد .

ولكن الواقع غير هذا ...

الواقع ان افواجاً من مهندسي الجيش قد نقلت بالطائرات الى المواقع الحربية في ستالينغراد . هذه الأفواج هي : ٤٥ ، ١٤٠ ، ٢٢٥ ،

٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٥٠١ ، ٦٠٥ ، ٦٥٢ ، ٦٧٢ ، ٦٨٥ ، ٩١٢ ، ٩٢١ و ٩٢٥ . كما نُقلت أيضاً أفواج كثيرة من المدفعية وكتيبتان من القوات الالمانية التي هي على مستوى كتائب المدافع « ارغن ستالين ».

ولم تحل هذه الأفواج دون اشتراك القسم الاكبر من الجيش المدرع



حرب الشوارع

الرابع عشر وجملة الجيش الواحد والخمسين في معركة ستالينغراد .
من الشمال إلى الجنوب كان المشاة ورجال المدرعات يقاتلون زاحفين من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت وسط الخرائب القائمة .



الحرب منزلا منزلا ، وطابقاً طابقاً

أما المشاة فهم الذين كانوا يؤلفون الفرق التالية : ٢٩٧ ، ٣٧١ ، ٧٤ ، ٢٩٥ ، ٣٥ ، ١٠٠ ، ٧٩ ، ٣٨٩ ، ٩١ . تضاف اليها فرقتان من فرق الصاعقة : ٢٤ و ١٤ ...
وقد احتلت المقدمة الالمانية ضاحية رينوك في ٢٣ آب . ومضى شهران وسبعة عشر يوماً وستالينغراد صامدة .

صحيح ان هتلر لم يكذب كثيراً حين تحدث عن جزر صغيرة باقية ولكن ستالينغراد هي رصيف طويل عند ضفة الفولغا . انها لا عمق لها أبداً . وعلى ذلك فهي شديدة الاتصال بالنهر تحيط بها سلسلة من الهضاب تحجز بينها وبين السهول ثم تنتشر خمسين كيلومتراً على امتداد النهر وتتعرج معه بين رينوك وكوباروسنوج . وهناك نهر وعر الجوانب ، احتفظ باسم تساريتسا ، بينما كانت تسارتسين قد فقدت اسمها ، يجتاز المدينة في وسطها .

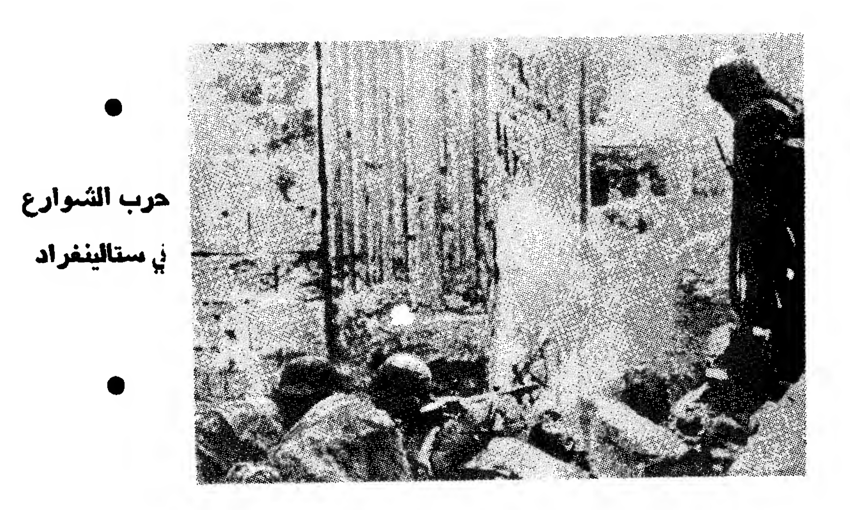
في الجنوب تمتد الاحياء ، وهي اكوام من بيوت خشبية تلتهب وكأنها نبات الصوفان . وفي شمال تساريتسا مباشرة ترتفع هضبة مامي ، يمتد عند سفحها القطاع الاداري عبر مدرجات كبيرة حتى عبّارات النهر . وأبعد شمالاً تتلاصق الحصون الصناعية الضخمة . فالمجموعة الكيميائية « لازور » تشغل مركز حوض من الخطوط الحديدية يرى بسهولة من الجو . ثم تأتي بعدها مصانع الفولاذ « تشرين الأول الاحمر » ، مصنع الخبز رقم ٢ ، مصنع المدافع ، وأخيراً مصنع الجرارات « دجرجينسكي » . أما عرض هذا الشريط من المباني والمصانع فلا يتجاوز ثلاثة الاف خطوة إلا في حالات نادرة .

وفي بداية أيلول ظهر للجميع ان معركة ستالينغراد قد انتهت . ان فرقه الصاعقة « ١٦ » التي بلغت الفولغا كأول قوة المانية استطاعت ان تصمد اسبوعاً كاملاً أمام الهجمات الروسية المعاكسة مما سمح للجيش المدرع الرابع بقيادة الجنرال القصير ذي الشعر الأبيض « هيرمان هوث » بالانقضاض على المدينة من الجنوب .هذا بعد ان سبقته وحدات سريعة من قوات الجيش السادس . وقد تم اللقاء بين الجيشين فوق الهضاب التي تحيط بستالينغراد وتشدها اليها .

هكذا ظهرت المدينة عاجزة عن الدفاع عن نفسها . وهو رأي كان قد ادلى به الجنرال الروسي لوباتين قائد الجيش الثاني والستين السوفياتي.

وقد استأذن بالتراجع ولكن كلمات ستالين المدوية قد حالت دون ذلك. وبادر قائد القوات الروسية إيريمكنو إلى اقالة هذا الجنرال وعين مكانه جنرالاً آخر آتياً من الشرق الاقصى وهو يحمل أمراً واحداً فقط : الاحتفاظ بستالينغراد أو الموت . انه تشويكوف .

وانفجرت معارك عنيفة خلال أيلول وتشرين . واستولى الالمان في البداية على الاحياء الجنوبية ثم انتزعوا مستودع الحبوب الكبير الذي كان يقاتل الروس في قمحه غارقين حتى أوساطهم . وفي الوسط استولوا على هضبة مامي والساحة الحمراء وأرغموا تشويكوف على مغادرة مركز قيادته في باطن الارض عند ضفة تساريتسا إلى القطاع الشمالي . واحتفظ الروس بقطاع وعر عند ضفة للفولغا كان يحميهم من المدفعية الالمانية ويسمح للنجدات بالتسلل ليلاً اليهم . وقد كان عملاً عظيماً حقاً ان تحتفظ



حرب الشوارع في ستالينغراد

القيادة الروسية بسيل المؤن والذخائر والرجال عبر النهر في مثل وضعها البالغ الصعوبة ، وضع الجيش الذي يجب ان يصمد امام ضغط عشر فرق عدوة . على ان الندرة النسبية التي ظهرت في الطيران الالماني والمدافع

والرشاشات والجنود بالاضافة إلى خطوط التموين الطويلة هي التي سمحت للروس في الحقيقة بأن يحتفظوا بسيل المؤن والنجدات .

القتال في المستنقعات والغابات البكر :

في شمالي المدينة اتخذ القتال صفة بالغة العنف . لقد تحول كل مصنع إلى حصن كبير . ولجأ الروس إلى مئات المداخل والمخارج في المصانع الاربعة بالاضافة إلى تحصنهم بالمستودعات . وايقن الالمان ان اي حجر في ستالينغراد لن يصبح في حوزتهم إلا مقابل سيل من الدماء . ومع ذلك فقد استمر الالمـــان في هجومهم رغم ان معركة ستالينغراد قد فقدت معناها وضرورتها لبقية ميادين الحرب .

الحقيقة ان ستالينغراد لم تكن هدفاً من اهداف الهجوم الكبير . لقد كان المطلوب هو تحطيم امكاناتها الصناعية وحسب،حتى احتلالها لم تكن له أية ضرورة . ومما يشهد على ان الغاية قد تحققت هو مجموعة الخرائب التي بقيت من ستالينغراد . كان المقصود من هذه المعركة تغطية غزو القوقاز وبالتالي الاستيلاء على بترول باكو . هذا البترول الذي يضطر هتلر إلى تصفية الحرب فيما إذا لم يحصل عليه . لقد كانت ستالينغراد مجرد ركيزة للجبهة الدفاعية التي تسهل تنفيذ الغزو الكبير للجنوب .

ولكن غزو الجنوب القوقازي قد فشل في دورة عـــام ١٩٤٢ . لقد جاء الشتاء البارد إلى المناطق المتاخمة للقوقاز ... وعصفت الرياح الباردة فوق المفازات التي سبق للالمان ان اجتازوها في الغبـــار والحر والعطش وسراب الصيف . أما في الجبال فقد أغلق الثلج كل الممرات والمداخل. ولكن أهـــداف معركة ١٩٤٢ يجب أن تتحقق . فأين كان الجيش الالماني منها ؟

باطوم عند البحر الاسود يجب ان تؤخذ . ولكن قوات رووف كانت



خرائب ستالينغراد

ما تزال على بعد ٥٠٠ كلم منها . لقد قاتل الالمان في الغابات وحول المستنقعات وفي مناطق ريفية رائعة وعند مداخل الجبال الوعرة حيث تظهر السهول الخضراء ومن ورائها مياه البحر..ولكن كل هذه الجهود لم تفلح من أجل النزول إلى شاطىء البحر الممتد حتى باطوم .

وفي القوقاز الأوسط يجب أن تصبح تفليس المانية . ولكن الممر اليها لم يبلغه الالمان بعد . وحاولت فرقة الصاعقة الاولى ان تستجمع كل طاقاتها واسلحتها ولكن المقاومة الروسية وندرة الوقود وطول المسافة قد حالت دون تحقيق رغبتها في فتح الطريق العسكرية لمنطقة اوساتي . وابعد قليلاً إلى الشرق توجد آبار غروزني البترولية وهي اغنى الموارد بعد باكو . وقد كلفت فرقة فايكنج المؤلفة من المتطوعين الشماليين بالاستيلاء عليها . واقيم رأس جسر فوق « تيريك » بجهود هائلة ولكن الحفاظ على هذه المكاسب الجديدة لم يكن ممكناً لعدم وجود نجدات احتياطية . وفي ١٩ تشرين الثاني اضطر الشماليون إلى التراجع عن النهر أمام عاصفة ثلجية رهيبة . وبقيت هذه البقعة أبعد بقعة وصل اليها الجيش الالماني حتى نهاية الحرب .

وأبعد إلى الشرق كانت الطريق مفتوحة أمام قوة استطلاعية آلية يقودها « غوتليب » واجتازت هذه القوة مفازات الكلموك واحرقت قطاراً ينقل شحنة من البترول عند أبواب استراكان ثم عادت إلى أليستا دون أن ترى جندياً روسياً واحداً .

إن الروس أنفسهم كانوا عاجزين عن استيعاب مثل هذه الابعاد الشاسعة . وقد يكون في وسع قوة مدرعة ان تنطلق فوق أرض تعلوها قشرة ملحية صلبة صلابة الطرق الدولية وان تبلغ باكو ولكن فرقة الصاعقة الأولى لم تكن تملك هذه القوة المدرعة والقوة المساندة لها .

لقد وقع ما لا بد من وقوعه ... لقد افترست المفازات الواسعة كل الجيش الالماني هناك . ذلك ان هذا الجيش قد انتاشته اعداد كثيرة من

الجبهات الهائلة ثم ذاب في الفيافي الشاسعة .

كل هذا كان يحدث في الجبهة باستثناء ستالينغراد عند مرفق نهر الفولغا..

٦٠٠ كيلومتر ثغرة في الجبهة الالمانية :

بفشل غزوة القوقاز كان المفروض، كما يقول العسكريون، ان تترك مدينة ستالينغراد الخربة وان تعود قوات الجيش السادس إلى حوض الدون. لأن عام ١٩٤١ كشف عن فعالية الروس في الشتاء وعن ضرورة تقصير الجبهات وازالة النتوءات والجيوب. وعندما نعلم ان الجناح الشمالي لستاليغنراد يبلغ ١٠٠٠ كلم طولاً. وان ثغرات في الجنوب طولها ٦٠٠ كلم لا تشغلها غير فرقة آلية واحدة نتأكد ان كارثة ستنزل بالالمان فيما إذا لم يغلقوا هذه الثغرة ويحدثوا تعديلات كبيرة في جبهاتهم .

ولكن هتلر قال في ميونخ كلاماً رهيباً وغبياً في الوقت نفسه . لقد قال أمام الجماهير : « ان ما يستولي عليه الالماني لا يمكن ان تنتزعه منه أية قوة في العالم » .

ومن أجل أن ينفذ الجندي الالماني أوامر زعيمه هتلر ثبت في مكانه وبدأت الدائرة تدور عليه بحيث يأتي يوم يتحول فيه النصر إلى أكبر هزيمة عرفها التاريخ في العالم كله ...

ستالينغراد مدينة الموت والانتصار

قلنا في فصول سابقة إن هتلر قد ارسل إلى الجبهة الروسية خيرة قواته والقسم الاكبر من جيوشه . وعندما استطاع الروس ان يوقفوه في شهر كانون الأول ١٩٤١ رفض هتلر التنازل عن أي جزء من الأرض

التي احتلتها قواته ولم يسمح لهذه القوات بالتراجع الى مناطق مناسبة لقضاء فصل الشتاء . وعندما اتسعت الجبهة وامتدت بحيث تعذر على الجيش الألماني ان يحميها ويدافع عنها بخطوط مستمرة من الخنادق سمح هتلر لجيوشه باقامة حاميات في مراكز المواصلات المختلفة وبصورة عامة في المدن التي تمر بها خطوط حديدية مهمة . وقد احاط الألمان هذه الحاميات بجدار من المدافع واستطاعوا في هذه المناطق ان يواجهوا الهجوم الروسي خلال فترة الصقيع بانتظار العودة الى الهجوم . كل ذلك حدث كما اشرنا في الفصول السابقة خلال شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ . وجاء ربيع ١٩٤٢ ثم الصيف وتبعها الخريف ، وفشلت في هذه الفصول غزوة القوقاز وانهارت ستالينغراد وتحولت الى خرائب واحتل الألمان تسعة اعشارها ، ودارت معارك رهيبة في شوارع المدينة وبين البيوت وفي داخل المصانع الممتدة الى شمال المدينة الكبيرة . وفي ١٩ تشرين الثاني بدأ الجيش الروسي بهجوم معاكس عنيف ننقل فيما يلي وصفاً له لهانزر شروتر . قال :

في نصف الليل ، بدأ الثلج يسقط ، ميزان الحرارة سجل ٦ درجات تحت الصفر . الرؤية غير ممكنة اطلاقاً ، الطقس رهيب حقاً ، الجنرال « الشتاء » يقف مرة اخرى الى جانب الجيش الأحمر .

وفجأة يتردد صوت النفير وتبدأ المعركة . كانت الساعة تدق الرابعة عند الصباح . (إلـه الحرب) كما كان يسمي ستالين المدفعية اطلق أصداء طبوله ، ٨٠٠ مدفع خلال ٤ ساعات بقيت تبصق اللهب والحديد فوق المواقع الألمانية والرومانية . وحيث كانت تسقط القنابل ترتفع الرمال والجسور الخشبية وشظايا الصخور الى الفضاء ، حصون صغيرة تتفتت وكأنها قصور من الورق ، ينابيع من التراب تنبثق من الأرض . جدار من اللهيب الأحمر والحديد كان يتنقل فوق المنطقة .

في هذا الريف المقمر كان يلد حصاد غريب من نبات الفطر الملتهب بألوانه الفاقعة . اغصان وأقدام وقطع من الخشب وجثث وبقايا معدنية



الصليب المعقوف فوق خرائب ستالينغراد

وبنادق وقطع من الطين وفصائل من الجنود وسرايا وافواج بل فيالق كانت كلها مدفونة تحت الثلوج وتحت الوحل او مقذوفة الى الفضاء . ان منطقة طولها ٣ كلم قد اصبحت فريسة لجحيم رهيب .

وفي الساعة الثامنة وصلت الدبابات .

الهواء يحفل بضجيج المحركات واصطكاك الفولاذ بالفولاذ . ان الرعب الرهيب الذي كان كامناً حتى ذلك الوقت قد بدأ يصعد بسرعة بالغة .

الدبابات الروسية كانت تتقدم في موجات على صورة الاستعراض الاحتفالي . قنابل يدوية مضادة للدبابات احدثت ثغرات في الجوانح والجوانب . مئات من الدبابات اصبحت بقايا مشلولة يصعد منها الدخان ؛ مئات اخرى منها قد تحولت الى فتات بسبب الألغام او تحت ضرب القنابل . ثغرات واسعة كانت تبدو في صفوف الروس ولكنهم كانوا يتقدمون باستمرار . السوفيات يندفعون نحو الهنغاريين والإيطاليين والرومانيين الذين كانوا يدافعون عن الجناح الشمالي لجيوش هتلر واخترقوا صفوفهم بينما كانت تساندهم قوات مدرعة من سيبيريا ومدفعية مركزة . ثلاثة جيوش روسية تسير عبر جوانح العدو في الشمال وفي الجنوب . وبعد اربعة ايام استطاعت ان تحاصر ٣٠٠,٠٠٠ رجل من الألمان في جيب طوله ٤٠ كلم وعرضه ٢٠ .

بين حوض الدون والفولغا وقعت فرقتان رومانيتان و٢٠ فرقة المانية من الجيش السادس في كمين كبير .

والواقع ان الجنرال فرانز هالدر قد بدأ يزعج هتلر باعتباره رئيساً لأركان الجيش الألماني حين أخذ يلح في التحدث عن ضعف الأجنحة الألمانية .

وقد عزله هتلر وعين مكانه كورت زتلر وكان هالدر قد حذر هتلر قبل ذلك من ضخامة الاحتياطي الروسي الذي يعده ستالين للقيام

بهجوم معاكس . وان عدة هـذا الاحتياطي هي مليون ونصف مليون رجل وان دباباته هي ضعف الدبابات الألمانية . وكان هتلر يصرخ قائلاً : « أرحني من هذه السخافات . لقد انتهى الروس . ان احداً لن يتكلم عنهم بعد ٤ أسابيع . »

وطلب القادة الألمان من زعيمهم هتلر بأن يسمح للجنرال بولوس بالتراجع الى الوراء لكن هتلر اصر على موقفه ورفض فكرة التراجع .

كان هتلر في الحقيقة خاضعاً لضغط الكلمات التي كان يرددها ، كما كان متأثراً بالمكاسب التي حققها النازيون في روسيا خلال سنة ونصف السنة . كان يسيطر على اكثر من ثلث الشعب الروسي ويتصرف بأكثر من نصف موارد الفحم والألمنيوم والمنغنيز وتراب الحديد والطاقة الكهربائية و٤٠٪ من القمح ومصانع الخطوط الحديدية والمحركات وأكثر من ثلث الصناعات الكيماوية .

كل هذا كان جديراً بأن يقنع هتلر بقوته وأن يغذي خياله المتحمس العنيف بالأحلام والرؤى الكبيرة . وعندما طلب القادة من هتلر ان يبدل الجيش بجيش آخر تردد قليلاً ثم سمح لمانانستين عند منتصف كانون الأول بالقيام بعمليـات اختراق خطوط العدو الذي يحاصر الجيش السادس . ولكن فات الأوان . ورواية شاهد عيان كان يقاتل في جيب من الجيوب المحاصرة من قبل العدو تعطي صورة واضحة للموقف . كتب قائلا :

اخذت الحقيقة تتضح شيئاً فشيئاً . ان الفرق المغلوبة على امرها والتي كانت تجرر ما تبقى منها قد اخذت تتهاوى وتتساقط الواحدة وراء الأخرى تحت ضغط العدو ثم راحت تتزاحم في وسط الجحيم المشتعل . شيئاً فشيئاً أغلقت كل الطرق بصفوف من السيارات كانت تأتي من كل مكان ... كميات كبيرة من الأغذية والتجهيزات احرقت حتى لا تسقط في يد العدو . ابنية بنيت بجهد هـائل كبير تم اجتياحها وكنسها مرة واحدة . كانت الطرق على امتـداد آلاف الأمتار مزروعة بفنون من



الجنود الروس يتعقبون فلول الألمان

التجهيزات العسكرية – قبعات اقنعة ضد الغاز ما تزال في غلافاتها ، أواني مطبخ وأدوات لحفر الخنادق ؛ وحتى بنادق ومسدسات اوتوماتيكية وقنابل يدوية . كل هذا ترك في الطرق لأن نقله اصبح مزعجاً او لأن الرجال الذين كانوا ينقلونه قد غطيت اجسادهم بضمادات مدماة وألبسة ممزقة وكانوا في حاجة الى كل ما بقي لهم من القوى ليزحفوا فوق الثلوج في صفوف لا نهاية لها . أو انهم اصبحوا في عداد الأموات الذين تمددت جثثهم جامدة فوق الثلوج ثم يمر بها الجند دون ان يعيروها اي اهتمام او يعيروا مثله للتجهيزات والأسلحة المتروكة في الطريق .

الرجال معزولون عن كل شيء في العالم . لقد كانوا ينتقلون من موطن دفاعي الى آخر وقد اصابهم الرهق وظهرت في وجوههم المرارة وغطيت اجسامهم بالاقذار . الرياح الثلجية الآتية من الشرق كانت تصفع الوجوه التي اكلتها والتهمتها اللحى الطويلة وآلاف من البلورات الصغيرة كانت تمزق هذه الوجوه وكأنها شفرات موسى ، الوجوه التي لم يكن قد بقي منها غير الجلد والعظم . وبقدر ما كان الإنهاك مستولياً على الرجال فقد كان الجوع مستولياً عليهم بالقدر نفسه . هذه الرياح الثلجية كانت تدبغ جلود الرجال وتنتزع دموعاً من عيونهم الغارقة وهي اشبه ما تكون بالكهوف ، كما كانت هذه الرياح تخترق ثياب الجنود المهلهلة حتى تبلغ العظم . وعندما يفقد واحد من هؤلاء الرجال كل قدرة له على الحركة ، بل عندما يفقد الخوف من الموت كل معنى له في نفسه لا يلبث جسده الخاوي ان يتساقط ويتجمد تجمداً تاماً ، تماماً كالآلة التي تتوقف بعد ان تستهلك آخر قطرة من وقودها . ويمتد كفن من الثلج ليغطي هذا الشيء المتجمد باستثناء طرف الحذاء او ذراع تجمدت وهي مرتفعة قليلاً وكأن هذا المشهد شاهد على ان في هذا المكان رجلاً متمدداً جثة هامدة .

على اننا كنا نحس بالدهشة اكثر فأكثر حين نرى بأننا لم نكن الوحيدين الذين لم يلتهمهم الموت . لقد كانت معالم الحياة كثيرة في هذا الجحيم المصم . وكانت هذه الحياة تبرز في الوقت نفسه بألسنة عنيفة من اللهب الأحمر في السماء معلنة عن اقتراب هجمة من الهجمات او مجموعة من الدبابات مما كان يعني بالنسبة الينا دعوة ملحة الى النجدة . وبصورة اوتوماتيكية ، تماماً كما يفعل الانسان الصناعي ، كنا نفتح النار على الجماهير الصارخة من البلاشفة حتى تقترب الدبابات العملاقة منا فتدوسنا بسلاسلها الحديدية مع ضجة ترافقها اشبه بالرعد الرهيب ثم ترغم من بقي منا على التراجع داخل الجيب الذي كانت تضيق ابعاده قليلاً في كل يوم .



جثة بين دواليب احدى المصفحات

وكان غورينغ قد ساند هتلر في قراره الذي اتخذه بارغام بولوس على الثبات والمقاومة متعهداً بارسال المؤن الى الجيش السادس الذي يحاصره الروس . وقد حاولت الطائرات الألمانية ان تنفذ تعهدات غورينغ ولكن

جهودها باءت بالفشل امام الطقس السيء والمدافع المضادة للطائرات والمطاردات السوفياتية . هكذا تسمر الجيش السادس في مكانه دون ان يتزود بما يكفيه من الذخيرة والوقود والطعام .. ومع ذلك فقد قاتل باستبسال شديد . ولكي يتجنب الروس نزيفاً اضافياً من الدماء عرضوا على الجنرال بولوس شروطاً عادية للاستسلام . وعندما استشار الجنرال زعيمه هتلر كان الرفض القاطع هو الجواب النهائي .

واستمر هتلر يشجع جيشه على المقاومة وقد قال للجنرال بولوس في رسالة وجهها اليه بمناسبة عيد رأس السنة : « إنني اتعهد بتوسل كل شيء لإخراجك من هناك . ان على الجيش السادس ان يصمد حتى النهاية » .



المارشال فون بولوس الالماني وقد استسلم مع ٩٠ الف من جنوده

وبعد سبعة اسابيع يائسة اخرى قسم الجيش السادس الى قسمين ثم استسلم في ٢ شباط ١٩٤٣ . ولم يبق من الجيش الذي كانت عدته في البداية ٣٠٠,٠٠٠ رجل غير ٩٠,٠٠٠ منهكين متعبين وقعوا اسرى في



الروس يقضون على آخر جيوب المقاومة في ستالينغراد

يد المهاجمين الروس . هذه الهزيمة كانت أخطر هزيمة سجلها الالمان حتى ذلك الوقت منذ بداية الحرب . والهزيمة امام ستالينغراد كانت تعني تزايد الخطر على القوات الالمانية المتسللة الى القوقاز .

وإذا استرجع الروس مدينة روستوف فان كليست يصبح مهدداً بالعزل. وعلى ذلك فقد ارغم هتلر على ان يسمح لقواته هناك بالتراجع .

قلنا في مناسبة سابقة إن هتلر قد ارتكب اخطاء نفسية خطيرة مع الجماهير السوفياتية . إنه لم يحاول ان يشجع روح التمرد في اوكرانيا كما جهل الاوضاع السياسية عند القوزاق والقوقازيين والمسلمين والتتار في بلاد القرم والكلموك . أما الهاربون من الجيش الاحمر والذين عبئوا في جيش من المتطوعين ضد الشيوعيين بقيادة الجنرال فلاسوف فقد واجهوا اسوأ معاملة ممكنة . يضاف الى ذلك ان القسوة النازية أرغمت اكثرية الروس المعادية للنظام الشيوعي على الوقوف الى جانب النظام السوفياتي .

غرور هتلر واغراقه في الخيال وفلسفته المستمدة من تعصبه الاعمى لنظرية التمايز العنصري – كل هذا قدحال دون تفهمه لخطة دعاوية علمية سليمة كما شجعه على ارتكاب الاخطاء في صلف وعناد شديدين .

أما السوفيات الذين تعلموا الكثير من هذه الحرب في الميدانين العسكري والسياسي فقد بدأوا منذ تشرين الأول عام ١٩٤٢ حملة دعاوية موجهة الى الاقليات المعادية لنظامهم أثاروا بها نخوة الرجال وغذوا روح البطولة في نفوسهم وتحدثوا كثيراً عن المنجزات الرائعة ومواقف الفداء التي قامت بها جماعات من الأقليات الوطنية في الحرب . على ان الروس في الوقت نفسه قد قاموا بعمليات تصفية قاسية في صفوف الجيش الاحمر وحل كثير من الضباط الشبان محل قدماء القادة ثم قضت موسكو على ازدواجية قيادة العمليات العسكرية بإلغاء نظام المفوضين السياسيين .

معركة بحر المرجان

في ربيع عام ١٩٤٢ كانت الانتصارات اليابانية من القوة والامتداد بحيث ان شيئاً لم يعد قادراً على ايقافها أبداً .

ففي شهر نيسان قامت حاملات الطائرات التابعة لأسطول نـاغومو بغارة على جزيرة سيلان واغرقت سفينتين جوالتين وحـاملة طـائرات بريطانية ثم ابادت قافلة هامة في المحيط الهندي . واسطول ناغومو قد سبق له ان أغار على بيرل هاربر وشاعت له هيبة في كل مكان وخيل للجميع ان الاسطول البحري الياباني قـد اصبح قوة لا تغلب . هـذا الاسطول الذي كان يتمتع بمثل هذه القوة ، في الوقت الذي يسيطر فيه على جزائر اندمان في خليج البنغال ، في وسعه ان يسيطر على المحيط الهندي كله فيما لو وافقت حكومة فيشي على التنازل لليابان عن جزيرة مدغشقر .

أدرك الانكليز هذه الحقيقة فبـادروا الى استبـاق الاحداث وانزلوا جنودهم في الجزيرة واحتلوا مرفأ دياغو سواريز يوم الخامس من ايار . وفي الخريف التالي كانوا قد اتموا احتلال الجزيرة كلها .

والحقيقة ان القادة اليابانيين قد استيقظت فيهـم اطماحهم بعد الغـارة

التي شنها دوليتل على العاصمة وبعض المدن اليابانية الاخرى . لقد اكتشفوا ان الحفاظ على مكاسب الامبراطورية في الباسفيك مشروط بتوسيع نطاق نفوذهم . وقد عينوا اهدافهم الجديدة في ضوء ضرورتين اساسيتين : الحفاظ على المكاسب الخارجية التي حققوها بغزواتهم ثم حماية الوطن من غارات الحلفاء الجوية .

هذه الاهداف الجديدة هي : الهند ، استراليا، هاواي ، وهي كلها لم تكن غرضاً من اغراض الغزو السابقة ، وبدلاً من ان يندفع اليابانيون نحو الهند انطلقوا من بورما الى منطقة هونان في الصين الجنوبية . وفي الوقت نفسه دخلت جيوشهم ، آتية من الشمال ، في منطقتي شيكيانغ وفوكيان في جنوب شرقي الصين لغرض حرمان الحلفاء من المطارات الموجودة فيها . ولكن الصينيين استطاعوا ان يوقفوا اليابانيين في هونان



النجدات الاميركية تتجه نحو احدى جزر الباسيفيك

وهم على بعد ٨٠ كلم من نهر سالوان ، كما انزلوا بهم الهزيمة في شيكيانغ وفوكيان .

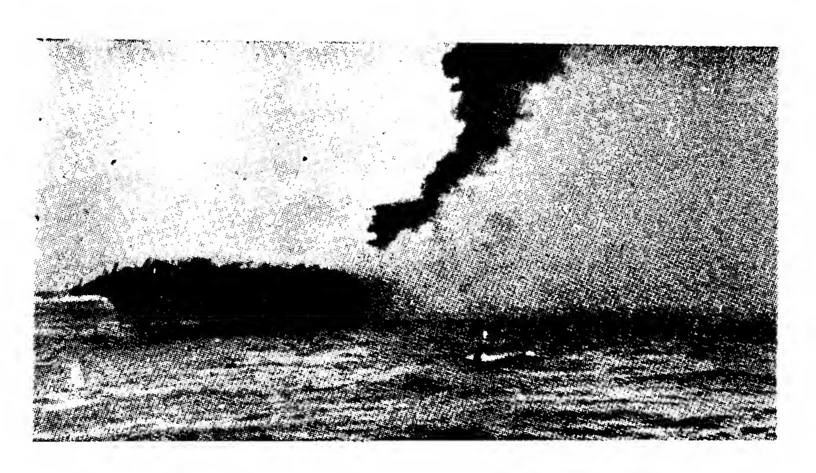
على ان الانطلاقة الرئيسية لجهة توسيع المدار الدفاعي قد حدثت في الباسيفيك . ان ما كانت تهدف اليابان اليه ، هو ان تضع يدها على جزر اليوشن في الشمال ، وعلى مدواي في الوسط ، وعلى فيجي وجزر هيدريد ، وخلقيدونية الجديدة وبابو ، شبه الجزيرة في غينيا الجديدة ، في الجنوب. وبذلك يتسنى لهم تهديد هاواي واستراليا وقطع خطوط التموين الاميركية باتجاه استراليا ثم تقوية قواتها الدفاعية ضد الهجمات الجوية الحليفة . وقد واجه اليابانيون انتكاساتهم الاولى بينما كانوا يحاولون تحقيق هذه الاهداف الجديدة .

فمعركة بحر المرجان ستوقف المد الياباني ، اما معركة مدواي فستقلب الاوضاع وتغير مجرى الحرب في الباسيفيك .

اما معركة بحر المرجان فقد كانت مبارزة بين حاملات الطائرات استمرت خمسة ايام من ٤ الى ٨ ايار ١٩٤٢ . لقد كان اكبر اشتباك في تاريخ الحرب البحرية لم تتبادل فيه سفن البر العائمة طلقة نارية واحدة. وكان من حسن حظ الاميركيين ان دوائر استعلاماتهم « ماجيك » قد زودت الاميرال فرنك فليتشر بمعلومات دقيقة عن المخططات اليابانية . هذه المخططات كانت تستهدف احتلال تولاجي جنوبي جزر سالومون ثم احاطة الجهة الشرقية من غينيا الجديدة بواسطة سرب بحري لاحتلال مرفأ مورسبي . وقد تم النزول في تولاجي في ٣ أيار دون ظهور أية مقاومة . ولم تصل طائرات « يورك تاون » الا في اليوم التالي لضرب السرب الياباني المرافق ، ففاتها السرب ، ولكنها وصلت في الوقت المناسب لضرب السفن الراسية .

وفي ٧ ايار شوهدت قوة الغزو آتية من رابول بينما كانت متوجهة نحو مرفأ مورسبي . وهنا اغارت الطائرات الاميركية مباشرة عليها فأغرقت



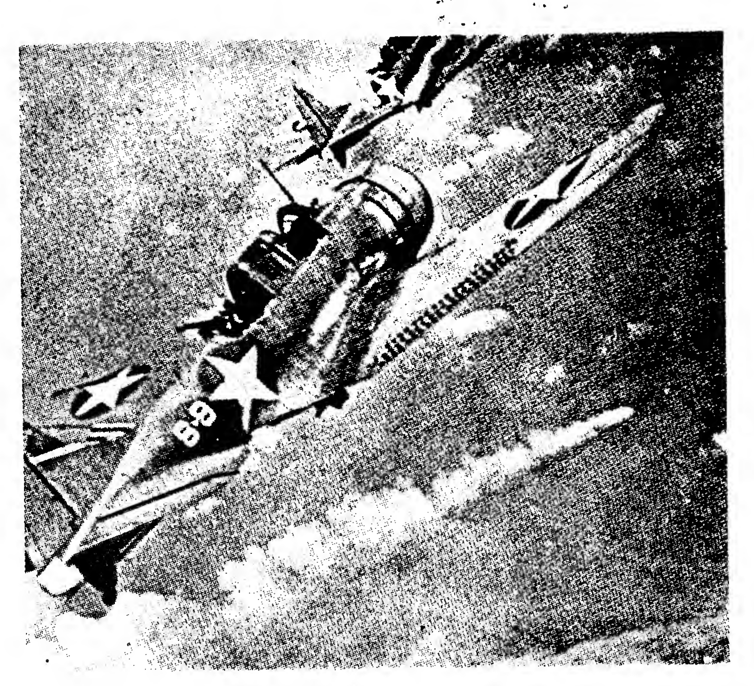


حاملات الطائرات الاميركية في معركة الباسيفيك تشتعل فيها النيران

حاملة الطائرات الحقيقية « شوهو » بينما كانت الطائرات اليابانية تبحث عن حاملات الطائرات الاميركية فوقعت على الطراد « سيمز » وحاملة البترول « نيوشو » فاغرقتها .

ولكن الفريقين اي الطيران الاميركي والياباني لم يكتشفا ذلك اليوم

سرب العدو الرئيسي . وفي اليوم التالي شاهدت احدى الطائرات الاميركية سفن السرب الياباني فأصيبت حاملة الطائرات شوكاكو بأضرار بالغــة . اما زميلتها « زويكاكو » فقد خرجت سالمة ولكنها خسرت عدداً كبيراً من الطائرات ، مما حرمها من اية فعــالية . وفي الوقت نفسه اكتشفت الطائرات اليابانية مواقع الوحدات الاميركية . فضربت الحاملتان « لكسينغتون ويورك تاون » بالقنابل والطوربيدات .



الطائرات قاذفات الطوربيد الاميركية

واعتبر اليابانيون النتائج مرضية لهــم رغم أنهم لم يحققوا اهدافهــم الاساسية . وعادت القافلة المتوجهة الى مورسبي والغيت عملية انزال الجنود . اما الخسائر الاميركية فقد كانت خطيرة . من بينها الحــاملة لكسينغتون

التي اصيبت اصابات بالغة دفعت احد الطرادات الى اغراقهــا . لكـن هذه الخسائر لم تكن بالقدر الذي تخيله اليابانيون وبقيت خسارة لكسينغتون سراً لم يعلن عنه .

مدواي

أما معركة مدواي التي كرست هزيمة اليابانيين فقد سجلت تحولافي مجرى حرب الباسفيك . ففي نهاية ايار اقلع اسطول ياباني كبير مـــن اليابان وجزائر الماريان باتجاه مدواي . وكانت بين سفنه : ١١ دارعة، ٨ حاملات طائرات ، ٢٢ سفينة جوالة ، و ٦٥ طراداً بالاضـــافة الى ٧٠٠ طائرة .

وقد وزعت قوات هذا الاسطول كما يلي :

– قوة مقاتلة مؤلفة من حاملات الطائرات بقيادة ناغومو .
– قوة احتلال بقيادة نائب الاميرال نوبوتاك كوندو .
– قوة منطقة اليوشين بقيادة الاميرال بوشيرو هوزوغايا .
– القوة الرئيسية بقيادة قائد البحرية الامبراطورية الاميرال ايزوروكو ياما موتو .

كانت خطة ياماموتو بسيطة جداً. في ٣ حزيران كان على هوزوغايا ان يتجه منفصلاً عن الباقين عند اليوشين ، بينما يتابع الاسطول الكبير سيره نحو مدواي .

في ٤ حزيران تجتاح طائرات ناغومو ارض الجزيرة . وفي ٥ منه ينطلق كوندو لاحتلالها. وعندما يقوم الاسطول الاميركي بهجومه المعاكس تتصدى له دوارع ياماموتو السريعة والقوية،وهي التي بقيت بعيـدة عـن

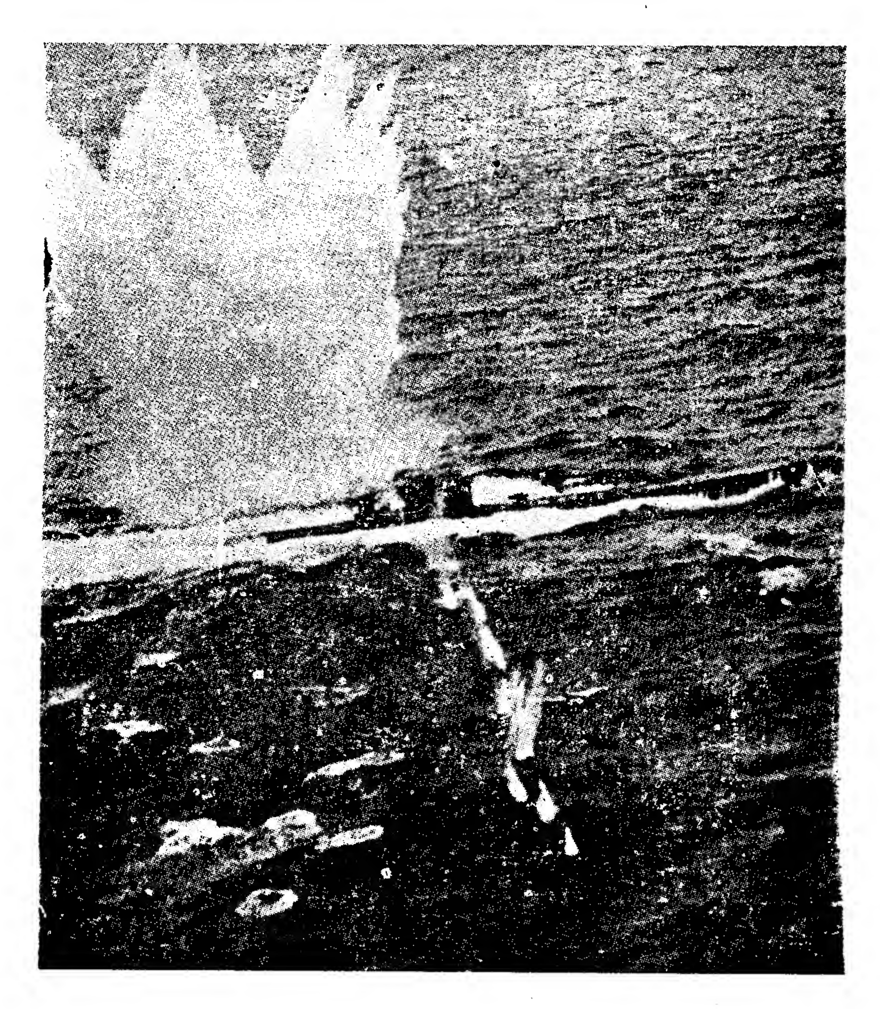
متناول الطائرات الاميركية وتوجه اليه طلق الرحمة بعد ان تكون الطائرات اليابانية قد امطرته بقنابلها واصابته اصابات بالغة . فاذا اصبحت جزيرة مدواي قاعدة جوية لليابانيين سهل على هؤلاء ان يحطموا غارات البحرية الاميركية في الباسيفيك الاوسط الجنوبي . وفيما بعد يكون في وسع اليابانيين استخدام مدواي منطلقاً لغزو هاواي .

خطة ياماموتو تجعل النجاح مرتبطاً بالمفاجأة . ومرة اخرى توفق دوائر الاستعلامات الاميركية « ماجيك » لنقل الخطوط العامة لمخطط العدو إلى الاميرال نيميتز مما اتاح لهذا الاخير فرصة الانقضاض على المهاجمين.

فبعد ان أرسل نيميتز إلى جزيرة مدواي ما تستطيع استيعابه من الطائرات والمدافع والرجال احاط حاملات الطائرات الثلاث التي يملكها بسربين من السفن المقاتلة . السرب رقم « ١٦ » بقيادة الاميرال سبروانس وهو يحتوي على الحاملتين « انتربرايز وهورنت » و٦ سفن جوالة و ٩ طرادات ثم السرب رقم « ١٧ » الذي وكلت قيادته مع القيادة العامة إلى الاميرال فليتشر وهو يحتوي على الحاملة « يورك تاون » وقد اصلحت في ورشات بيرل هاربر خلال ٤٨ ساعة ثم سفينتين جوالتين و٧ طرادات . ووزع نيميتز سفن سربيه البحريين شمال مدواي حيث كان ينتظر ظهور ناغومو .

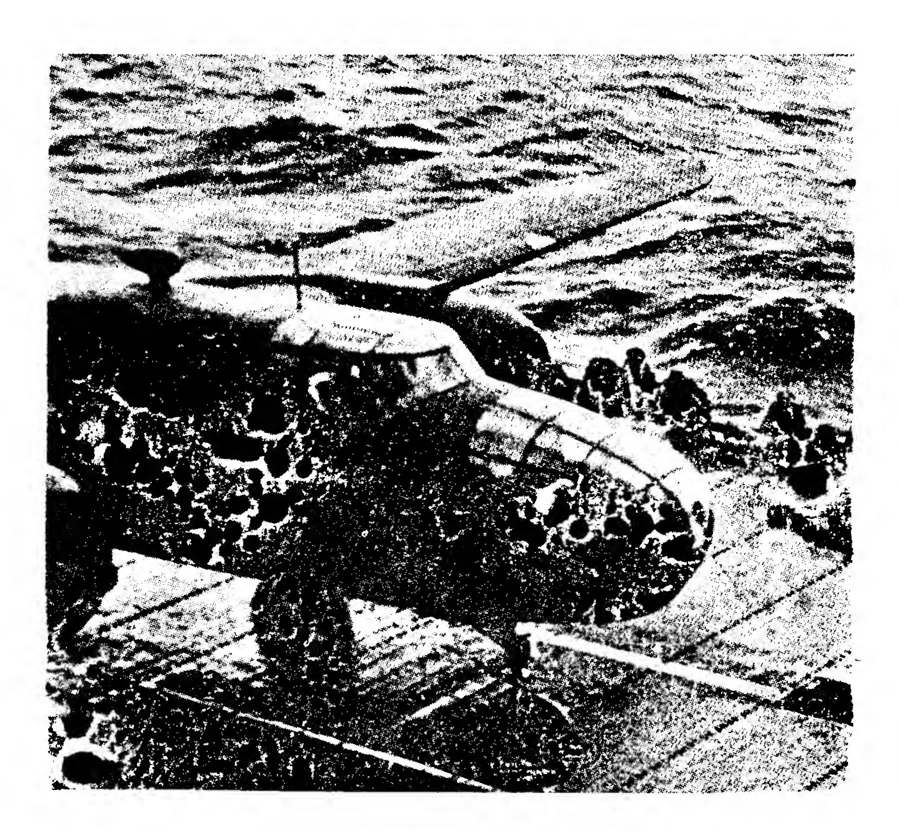
في ٧ حزيران قذف هوزوغايا دوتش هاربر في اليوشين بقنابل سفنه وفي اليوم التالي شوهدت حاملات ناغومو على بعد ٢٠٠ ميل شمال غربي مداوي . وكانت طائراتها قد انفصلت عنها واخذت تقترب من الجزيرة . وهنا اقلعت الطائرات الاميركية . قاذفات قنابل وطوربيد لضرب السفن ، بينما تهيأت المطاردات لمقاومة الطائرات اليابانية المغيرة . وقد تبين ان المطاردات الاميركية اعجز من ان تواجه طائرات « زيرو » اليابانية . وبلغت قاذفات اليابانيين سماء الجزيرة فأحدثت فيها تخريباً شديداً.

وقد نجت المواقع الهامة من المغيرين بمعجزة خـــارقة من مدارج وراديو ورادار . وفي الوقت نفسه اسقطت المطاردات اليابانية « زيرو » اكثر القاذفات الاميركية قبل ان تطلق طلقة واحدة على سفن العدو .



قنابل الطائرات الاميركية تشترك في القضاء على الغواصات اليابانية

في صباح ٤ حزيران تلاقت الاسراب المتعادية واطلقت طائراتها . أما الاميركيون فقد ارسلوا ٤١ طائرة من قاذفات الطوربيد ولكن ٣٥ منها سقطت دون ان يبلـغ اي طوربيد من طوربيداتها اي هدف له .



احدى القلاع الطائرة الاميركية من طراز « ب – ٢٥ »
على ظهر احدى حاملات الطائرات

وقد حدث ان هذه الطائرات قد اجتذبت المطاردات العدوة « زيرو » بحيث خلا الجو لقاذفات حاملة الطائرات « انتربرايز » فطارت فوق

سفن العدو واغرقت منها حاملتي الطائرات : « كاغا » و « سوريو » في الوقت الذي اشعلت فيه طائرات « يورك تاون » النيران في حـــاملة الاميرال ناغومو « أكاغي » . وهنا يحدثنا الكابتن ميتسوو فوشيدا قائد



المدافع المضادة للطائرات الاميركية عيار ٤٠ تشترك في حرب الطائرات اليابانية

الحملة الجوية على بيرل هاربر وكان على ظهر « أكاغي » ؛ عن القنابل الاميركية التي اصابت السفينة ؛ قال :

كانت الطائرات تخرج من الحظيرة ، الواحدة وراء الاخرى ، وتتخذ لنفسها مكاناً فوق مدرج السفينة . لم يكن هناك وقت للضياع . وفي الساعة العاشرة وعشرين دقيقة أصدر الاميرال ناغومو امره بابتداء الهجوم حين يصبح كل شيء جاهزاً . كانت الطائرات فوق « أكاغي » منهمكة بتحسين محركاتها . ان في وسع الطائرات كلها ان تنطلق خلال خمس دقائق .

خمس دقائق ! من كان يظن ان الوضع سينقلب رأساً على عقب في هذه الفترة القصيرة !؟

الرؤية حسنة جداً . غيوم تتراكم على علو ٣٠٠٠ متر ؛ انها ستوفر الحماية اللازمة للطائرات . وفي الساعة العاشرة واربع وعشرين دقيقة اعطيت الاوامر للاقلاع عبر مكبر الصوت .

ضابط الجو يلوح براية بيضاء ؛ المطاردة الاولى « زيرو » تنطلق . في تلك الفترة صرخ احد المراقبين « جحيم ينقض » ورفعت ناظري : ثلاث قاذفات اميركية تنقض على سفينتنا . بعض رشاشاتنا يطلق سيلاً من رصاصه ولكن بعد فوات الاوان . الاشباح الثقيلة كانت تتضخم أمامي بينما تسبح في الجو اشياء سوداء تحت جوانحها . قنابل ! انها تسقط باتجاهي ! وألقيت بنفسي ارضاً وزحفت وراء مركز صغير للقيادة .

وصدمني في البداية صوت الطائرات المنقضة الرهيب ثم تبعه انفجار عظيم . ثم انتشر نور شديد وتبعه انفجار اقوى كثيراً من الانفجار الأول . واحسست بعاصف من الهواء الحار يهزني هزاً شديداً . ثم كانت صدمة ثالثة اقل ضجيجاً . ويبدو انها قنبلة طائشة . وكان بعد ذلك صمت ، صمت مخيف : وتوقفت الطائرات فجأة عن الصراخ . فنهضت ونظرت الى السماء فوجدت ان الطائرات العدوة قد اختفت .

كان المهاجمون قد وفقوا إلى اصابتنـــا دون ان يلاقوا أية مقاومة ، ذلك لأن مطارداتنا التي انطلقت قبل دقائق قليلة لمهاجمة موجهة من قاذفات الطوربيد لم تبلغ الارتفاع اللازم في الوقت المناسب . وفي وسعنا القول ان نجاح القاذفات الاميركية كان بسبب التضحية بالطائرات حامـــلات الطوربيد . أما حاملات طائراتنا فلم يكن لديها الوقت الكافي للهرب ، لأن غيوماً كانت تخفي قاذفات العدو حتى الفترة التي انقضت فيها علينا. لقد أخذنا بصورة مفاجئة بينما كان مدرج السفينة مغطى بطائرات مزودة بالسلاح ومعدة للهجوم .

ونظرت حولي وشاع رعب شديد في اطرافي حين وقع نظري على التخريب الذي احدثته طائرات العـــدو في ثوان قليلة . كان هناك ثقل كبير فوق المدرج تماماً وراء احدى الروافع في وسط السفينة . الرافعـــة نفسها كانت محطمة كأنها قطعة من الزجاج الذائب وانتصبت صفائح الحديد على صورة بشعة غليظة . الطائرات في أوضاع غريبة ، ترسل لهباً باهتاً ودخاناً اسود اللون كأنه الحبر . وسالت من عيني دموع الغضب وأنا اشهد الحريق ينتشر . وكنت أشعر برعب شديد حينما تصورت احتمال استمرار الانفجارات التي ستنتهي إلى اغراق السفينة .

واستطعت ان اشهد في الوقت نفسه الحاملتين « كاغا » و « سوريو » وقد اصيبتا بالقنابل وارسلتا دخاناً كثيفاً إلى السماء . لقد كان مشهداً رهيباً حقاً !

وهنا اطلقت آخر حـــاملة طائرات في سرب ناغومو طائراتها ضد (يورك – تاون) فأصيبت هذه الاخيرة بالقنابل والطوربيد . إسم الحاملة (هيريو) . لكن طائرات (انتربرايز) لم تلبث ان انقضت عـــلى الحاملة (هيريو) ثم تركتها في حالة تدعو إلى الرثاء والشفقة حتى ان طرادات يابانية قد اغرقتها .

وبعد ذلك بيومين اغرقت احدى الغواصات اليابانية حاملة الطائرات

(يورك – تاون) بينما كان يرافقها الطرد (همان).

وبعد معركة استمرت ثلاثة أيام وثلاث ليال متوالية خسر فيها (ياماموتو) حاملات طائراته انسحب من المعركة . أما القوة البحرية التي كانت قد انفصلت عنه فقد استولت على أتو ، كسكا ، وأداك من جزر اليوشن ومع ذلك فقد نزلت به أكبر هزيمة بحرية في التـــاريخ الياباني .

كان (ياماموتو) قد خسر أحسن اربع حاملات طائرات ، والنخبة من طياريه ثم مدمرة ثقيلة يضاف اليها ٢٧٥ طائرة واكثر من ٤٨٠٠ رجل . ولكن ما هو أشد من ذلك ان الذي انزل به الهزيمـــة هو أسطول أقل من أسطوله عدد سفن وحاملات طائرات .



الغواصات الحليفة تتصدى لقوافل التموين المتجهة نحو اليابان

أما الولايات المتحدة فقد خسرت (يورك – تاون) و (همان) و ١٥٠ طائرة و ٣٠٧ رجال ثم احتفظت بعد ذلك بجزيرة (مدواي)

وابتعد الخطر الياباني ثم اتيح للأميركيين ان ينزعوا المبادرة في خوض العمليات الحربية .

وعندما دخل عام ١٩٤٣ انقلبت الاوضاع رأساً على عقب وارغمت اليابان نهائياً على اتخـــاذ موقف دفاعي . والموقف الدفاعي في مثل هذه الحالة وأمام قوة اقتصادية هائلة وقدرات صناعية ضخمة لا يعني في نهاية المطاف غير الهزيمة .

عودة الى الحرب في الصحراء

لاحظنا في فصول سابقة ان تكتيك الحرب في الصحراء يختلف عنه في الجبال والوديان والسهول المتاخمة لها . إنه اشبه ما يكون بتكتيك الحرب في البحر ذلك لأن الانتصار في حرب الصحراء أول ما يعتمد على قدرة الجيش في التزود بما يحتـــاج اليه من المؤونة والذخيرة وعلى الاستعانة بالنجدات وسرعته في نقل مهماته وجنوده .

أما طريق التموين البريطانية فقد كانت تمتد ٢٠,٠٠٠ كلم ابتداءً من رأس الرجـــاء الصالح حتى السويس ، أي أن المؤن تبقى في الطريق ثلاثة أشهر . وأما الجيش الالماني فقد كان طريق تموينه يمتد ٥٠٠ كلم ابتداءً من ايطاليا،أي أنه المسافة التي تقطعها القافلة في ثلاثة أيام .

وفي نهاية ١٩٤١ كان رومل وأوكنلك يستعدان للقيام بهجوم واسع . وكان وضع الألمان حرجاً في ميدان التموين . لقد كانت جزيرة مالطا والطـــائرات والسفن الانكليزية تعترض قوافل المحور المتجهة نحو رومل وتزعجها بحيث ان سفينة واحدة من كل ٤ سفن كانت تنجو من الغرق وتصل إلى ميناء طرابلس .

لذلك شعر اوكنلك آنذاك أن في وسعه المبادرة إلى ضرب الالمان .

وبعد شهرين اثنين وصل إلى العجيلة في ليبيا الغربية واحتل طبرق وطرد روميل ولكن دون ان يوفق إلى محاصرة قواته المتحركة .

وقرر الالمان في شهر تشرين الثاني من العام نفسه ان ينقلوا إلى مياه البحر الأبيض المتوسط ٢٥ غواصة من غواصات المحيط الاطلنطي مساندة منهم لجيش روميل .

وفي الشهر الذي يليه نقلوا من الجبهة الروسية جيشاً جوياً كاملاً إلى صقلية وافريقيا الشمالية .

وعندما انتزعوا سيادة الجو والبحر من البريطانيين راحوا يغيرون على مالطا فعزلوها وارغموها على اتخاذ موقف الدفاع—تنفست قوافلهم الصعداء ونجت من خطر الغرق . وعجز الانكليز بعد ذلك عن ايقاف اية قافلة من القوافل الالمانية طوال شهر كانون الثاني ١٩٤٢ . بل حدث العكس تماماً فقد اصيبوا بخسائر فادحة حين حاولوا ان يرسلوا مؤناً ووقوداً وطائرات الى الجزيرة . لقد غرقت اعداد من سفنهم في مقدمتها حاملة الطائرات (آراك — رويال)، الدارعة (بارهام)، المدمرتان (نبتون وغلطا). أما في ١٨ كانون الأول فقد اصيبت المدرعتان (كوين اليزابيث، وفاليانت) باصابات فادحة وهما في مرفأ الاسكندرية بواسطة طوربيدات بشرية ايطالية. ثم لم يبق من الاسطول البريطاني في المتوسط غير ثلاث مدمرات وستة طرادات .

وهنا قام روميل بهجوم معاكس في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٢ بعد ان ضمن خطوط تموينه . وهو وإن كان يقود جيشاً أقل عددا من الجيش الانكليزي ودون مساندة جوية كافية فقد استطاع ان يطرد الانكليز ٤٨٠ كلم إلى الوراء حتى الغزالة خلال ١٧ يوماً . وطالت خطوط تموينه عند ذاك واصبحت اكثر تعرضاً لضربات الطيران الانكليزي ولذلك أرغم روميل على التوقف لإعادة تنظيم قواته . في هذه الاثناء حاول الانكليز إرسال النجدات إلى جزيرة مالطا لتصبح مرة اخرى، مصدر

تهديد لقوافل المحور ، ولكن الطيران الالماني والغواصات كانت تراقب الجزيرة مراقبة بالغة الدقة لتحول دون وصول أية نجـدة اليها . هذه المحاولات التي قـام بها الانكليز افقدتهم مدمرتين (نایاد وهرميون) واربعة طرادات . تضاف إلى ذلك خسائر شديدة انزلها الطيران الالماني بجزيرة مالطا حتى ان الغواصات الإنكليزية ارغمت عـلى ترك قاعدتها البحرية في الجزيرة في أول نيسان .

وتم تنظيم القوات التابعة لرومل فبدأ الهجوم في ٢٦ أيار ونجح نجاحاً باهراً فاجتاح بير حكيم وهي القاعدة الجنوبية لخط اوكنلك الدفاعي في



جثة جندي الماني في الصحراء الغربية

قطاع الغزالة ثم تابعت قوات رومل تقدمها باتجاه طبرق مهددة بتقسيم الجيش الثامن إلى قسمين بينما كان الفرنسيون الاحرار يقاومون هجمات الدبابات والطائرات الايطالية الالمانية في بير حكيم .

وبعد اسبوعين من مقاومة عنيفة مستمرة وجد الجنرال كونيغ نفسه مرغماً على مغادرة الحصن في ١٠ حزيران . وبعد ذلك بثلاثة أيام حطم



القوات الهندية في المعركة

فيها رومل ٢٣٠ دبابة من جملة الدبابات الثلاثمئة الانكليزية التي قامت بهجوم معاكس جانبي ؛ فأصبحت كارثة الجيش الانكليزي نتيجة حتمية . وتراجـع الانكليز إلى مرسى مطروح ليتجنبوا الحصار ثم لم يتركوا في طبرق غير حـامية مهمتها توجيه الضربات إلى القوافل الالمانية . وانقض رومل على طبرق بقاذفاته الجوية ومدافعه وقواته المدرعة . واستمرت الحرب يومين استسلمت طـبرق في نهايتها وكان ذلك في ٢١ حزيران وأسر



القوات الهندية في البردية

بين يديه فتراجع أوكنلك ١٢٠ كلم ووقف عند مواقع العلمين على بعد ١٠٠ كلم من الاسكندرية . في هذه المنطقة لم يكن خط الدفاع يمتد اكثر من ٧٠ كلم بين البحر وصحراء القطّارة بحيث ان أي جيش من الجيوش لا يجرؤ على اجتياح المدافعين في غير هذه المنطقة الضيّقة . وتشبث الجيش الثامن بعد ان وصلته نجدات واسلحة بمواقعه الدفاعية الجديدة . وكان قد فقد نصف رجاله في الكارثة التي نزلت به والقسم الاكبر من مهماته وتجهيزاته .

هنا اصبحت خطوط التموين الالمانية طويلة جداً ولذلك توقف رومل في شهر تموز لاعادة تنظيم قواته المرهقة . ومر تموز ثم شهر آب الذي لم ينته حتى حاول (ثعلب الصحراء) ان يخترق جبهة العلمين ويتغلغل نحو دلتا النيل . وتوصلت عناصر من جيش رومل الى اختراق بعض



تشرشل في العلمين

مواقعْ العلمين والتغلغل على بعد ٤٠ كلم إلى ما وراء الخطوط الانكليزية قبل ان توقفها الطائرات .

هذه الهزيمة كانت من الضخامة بحيث انها اصبحت مصدر تهديـد كبير للسويس ، وأن تشرشل نفسه قد طار في شهر تموز من لندن إلى القاهرة ليهز القيادة الانكليزية في الشرق الاوسط . وعزل اوكنلك وأحل مكانه الجنرال السير هارولد الكسندر ، كما وكل القيادة التكتيكية للجيش الثامن إلى الجنرال مونتغمري . وكان هذا الاختيار اختياراً حاسماً وتجمعت إرادة الامبراطورية الانكليزية كلها وهي تشهد اقتراب نهايتها لرد جيش رومل . وشعر رومل ان المعركة الحاسمة آتية غير بعيدة .

حكاية المقاومة السرية

بعد المعارك التي تحدثنا عنها والاشتباكات التي حاولنا ان نعطي عنها صورة تقريبية ؛ نشعر أننا قد اهملنا جانباً خطيراً من جوانب تلك الحرب الرهيبة . انه جانب الحرب السرية التي قام بها مواطنون مدنيون يساعدهم عسكريون هاربون او متمردون على قوات الاحتلال وقد انتشرت هذه الحرب السرية بواسطة قوات اطلق عليها اسم الأنصار .

وكانت الأساليب التي استعملها النازيون المتعصبون ابتداءً من قتل الرهائن بالجملة والاعتقال والاعدام في أفران الغاز وغيرها هي من بعض العوامل التي دفعت الجماهير الناقمة في أوروبا والبلاد الروسية على إشهار السلاح .

إن موجة هائلة من الحقد أخذت تنتشر عبر المدن والجبال والسهول تستثير الرجل والمرأة وابن المدينة وابن القرية . وأخذ الناس يتنادون إلى مقاومة الغزاة الالمـــان بعد ان ذهب الروع عنهم وخفت الدهشة التي احدثتها حروب الصاعقة .

وطبيعي ان الناس لم يكونوا كلهم من الانصار ، فقد خانت الجرأة كثيراً منهم ،ولكن فئات غير قليلة لم تتردد أمام الخطر ولم تأل وسعاً في



حرب الانصار في فرنسا

الانقضاض على قوات الاحتلال . وكما كان هناك الوطنيون الانصار الحاقدون على النازيين كان هناك أيضاً المتعاونون مع هؤلاء النازيين وفي مقدمتهم كويسلنغ ، لافال ، دوغريل ، ساس ، انكوارث ، وآخرون غيرهم .

وقد اختلفت اعمال الانصار وتنوعت . منهم من انصرف الى التجسس على النازيين ومنهم من تولى القيام بعمليات التخريب ومنهم الذين اشتبكوا



رجال المقاومة الفرنسية السرية يتشاورون
لنسف احد القطارات

مع العدو في معارك حربية . أما العدو فقد كان يرد على هذه المحاولات بإقامة معسكرات الاعتقال وتسليط الجلادين على الابرياء وتنفيذ أحكام الاعدام بالجملة .

وبينما كان هتلر يصادر خمسة ملايين من العمال ، ويستهلك الثروات الاوروبية ويحتكر انتاجها المادي ويبيد الملايين من الناس ، كانت هجمات الانصار والثوار من المدنيين وغيرهم تتضاعف وتنتشر عبر الجبال

والــوديان والسهول . لقد كانت الطرق تنسف ، والقطر الحديديــة تحطم ، والمستودعات تحرق ، والجسور تهدم ، والخطوط التليفونيــة تقطع ، والآلات تخرب .

الصحف السرية تحرض الجماهير على الثورة ، والحلفــاء يستقبلون المعلومات الهامة عما كان يجري في اوروبا ، والاسلحة تصل تباعاً الى اصحابها ، واعداد متزايدة من المتعاونين مع النازيين تلقى حتوفهــا ؛ ودوريات ألمانية تجد الموت في الكمائن وعند سفوح الجبال وفي الوديان .

وقد بلغت المقاومة السرية ذروتها في كل من بولونيا ويوغوسلافيــا وبلاد اليونان .

على ان هذا كله لا يستطيع ان ينسينا شيئاً آخر كان يجري في تلك الايام .

لقد كان الصراع بين الاحزاب المختلفة ، وكانت المنــازعات بين العصبيات المتعددة ، والخصومات الموروثة عن الماضي — كل هذه كانت تبرز في صميم حركات الأنصار وفي تضاعيف الحرب السرية التي تشنهـا الشعوب على الغزاة النازيين . ولا شك ان الالمان كانوا وراء كثير من هذه المنازعات التقليدية او التناقضات الحزبية . الا ان هذه الظاهرة لم تحل دون ترديد شعارات النصر على افواه الملايين من ابناء الشعوب الاوروبية بعد.

وفيما يلي يحدثنا الكولونيل ريمي عن بعض بطولات هذه المقاومة التي كانت تتزايد عنفاً بتزايد قوى الحلفاء قال :

في تشرين الثاني من عام ١٩٤١ حمل الي « اسبادون » في مدينة باريس قطعة رقيقة من المعدن لاتتجاوز مساحة طابعين من الطوابع البريدية.

— احمل هذه الى لندن . هذا ما قاله لي . انها النموذج الذي طلب منا عن طريق رسالة لاسلكيه .

واخذت اقلب بين اصابعي هذه القطعة ذات اللون الرمادي المائل الى الزرقة . وبدا لي المعدن الذي صنعت منه خفيف الوزن شديد الصلابة .

انه لم يكـــن من الالومنيوم .

– قال لي : لقد اعلمت لندن ان الشركة الوطنية للانتاج الجوي في الجنوب الغربـي في بوردو تصنع هذا المعـــدن لحساب اللفتواف في سرية تامة .

– نعم لقد قرأت تقريرك . كنت تقول فيه بأن الالمـــان يتخذون الاحتياطات الشديدة ضد أية محاولة قد يقوم بها العمال لتهريب هـــذا المعدن ، وبأن العمال كانوا مرغمين عند الدخول عـلى تعريـة أجسامهـم ولبس ثياب خاصة للعمل ، بطانتها غير مخيطة ، وبأن تفتيشاً دقيقـــاً يجري معهم عند خروجهم من المصنع كما يرغمون على غسل ايديهـــم وتنظيف اظافرهم بالفرشاة حتى لا تبقى اية جزيئة مـن جزيئات هـــذا المعدن فيها .

– هذا صحيح .

– فكيف صنعت حتى حصلت على هذا النموذج وأخرجته ؟

– إنك تذكر ان العمال قد امتنعوا عن العمل خمس دقائق في ١١ تشرين الثاني على اثر نداء وجهه اليهم الجنرال ديغول بالراديو . في هذا المصنع توقف كل العمال إلا أحدهم فقد تابع عمله كما لو انه لم يحدث شيء ابداً . وعند نهاية الدقائق الخمس ، انقض عليه زملاؤه وأوسعوه ضرباً ولكماً . وتدخل الالمان فأنقذوه بعد ان اغمي عليـــه . وفي اليوم التالي كانت القطعة المعدنية في حوزتي .

أهو ذاك الذي ...

– هذا العامل كان واحداً منا . وهو الذي كلفتـه باخراج القطعـــة المعدنية . وعندما سمع بنداء الجنرال ديغول قال في نفسه : سيكون الالمان منشغلين بالعمال المضربين . وكان يحمل حذاء نعله من المطاط المقتطع من عجلات السيارات كما يفعل الكثيرون . وفي صباح الحـــادي عشر مـن تشرين الثاني اعد القطعة المعدنية **بالحجم المطلوب** . وتابع العمل عندمـا

بدأ الاضراب ، ثم ترك القطعة تسقط دون ان ينتبه الحراس الالمانيون . وبتحريك قدمه استطاع ان يدخل القطعة تحت المطاط المسمر في حذائه .

ـ هذا شيء رائع !

ـ انتظر قليلاً ... لقد زرته وأبلغته أن جهل الالمان بتسرب القطعة المعدنية الى الخارج ضروري جداً . وعاد الى عمله في المصنع ولم ينبيء أحداً من زملائه بما فعل . وامتنع رفاقه عن توجيه أية كلمة اليـــه . لقد اصبح ناشزاً في نظرهم « انه خائن في رأي العمال . »

هذا الحادث لم يكن فريداً من نوعه . وعن طريق مثل هذا العامل استطاع الحلفاء الحصول على كثير من أسرار الصناعة الالمانية والمنجزات التكنيكية التي كانوا يطورون بها اسلحتهم الحربية .

وبفضل هؤلاء الجنود المجهولين قدمت الى الحلفاء خدمات كثيرة ساعدتهم على كسب الحرب الضارية التي خاضوها ضد النازيين .

الهجوم الجوي الكبير

كان الاتحاد السوفياتي يطالب الغربيين بفتح جبهة جديدة تنشغل بردها اجزاء من القوات الالمانية التي تغزو بلاده . وسنرى فيما بعد ان الخلاف الاكبر الذي سببته العمليات الحربية بين الانكليز والاميركيين كان يدور حول موضوع فتح جبهة سريعة في اوروبا الغربيــة . الانكليز كــانوا يعارضون اعتقاداً منهم بـأن ظروف الحرب لا تساعـد على فتـح هــذه الجبهة بينما يصر الاميركيون على فتحها بأسرع ما يمكن من الوقت .

وبقـي الانكليز يعارضون فتح هذه الجبهة الغربية حتى عندمـا تقرر تنفيذ خطة « اوفر لورد » بغزو نورمانديا . لقد كانوا يصرون حتى الدقيقة الاخيرة على ان تكون هذه الجبهة فيما يسمونه « بطـن اوروبــا الرخوة » اي جنوب شرقي اوروبا .

وكان الانكليز بالاضافة الى خوفهم من فشل الغزو يستهدفون بالنزول في جنوب شرقي اوروبا ابعاد النفوذ السوفياتي عن تلك المنطقة الاوروبية .

وقد ثارت ثائرة الروس وراحوا يهددون تارة ويلحفون في الطلب تارة اخرى حين تأجلت عمليات الغزو الكبير لاوروبا الغربية .

ومن اجل ان يعوض الحلفاء عن الفراغ الذي سببه تأجيـل الغزو أخذوا يغيرون على الصناعات والمواقع الالمانية الحساسة باعداد كبيرة من قاذفات القنابل .

وقد لوحظ ان الغارات التي تمت عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ كـانت غارات متباعدة وغير ذات فعالية . لكنها لم تلبث حتى قويت عـام ١٩٤٢ . فقد اخذت طائرات هاليفكس ولانكستر الثقيلة تقوم بغارات ضخمة فتلقي قنابلها المحرقة اثناء الليل فوق مدن الريـخ الرئيسية : برلين ، روستوك ، لوبك ، كييل ، كارلزروه ، ستوتغـارت ، إمدن ، بريمن ، دويسبورغ ، همبورغ ، ماينس ، دوسلدورف .

في ٣٠ ايار من عام ١٩٤٢ قامت الف طائرة حربية بأول غـارة واسعة النطاق وكانت مدينة كولونيا هدف هذه الغـارة . وفي حزيران تجددت الغارة على منطقة الرور وبريمن . وهكذا بدأت عمليات الانتقام لمدينة كوفنتري الانكليزية .

وفي ربيع ٤٢ تم تشكيل الجيش الجوي الاميركي الثامن في الجزيرة البريطانية . وفي ١٨ آب انطلقت قلاعه الطـائرة « ب ١٧ » في أول غارة لها نحو مدينة روان . وفي ٨ تشرين الاول جرت غارة ثانية على مدينة ليل . كان الطرفان متفقين على الاهداف الاستراتيجية : مصانع الطائرات ، المصافي البترولية ، شبكات المواصلات الـخ ... ولكنهما لم يكونا متفقين على الاساليب التكتيكية .

الانكليز يفضلون الغارات الليلية الكثيفة . اما الاميركيون فيفضلون الغارات النهارية لأنها اقدر على تحديد الأهداف . وبما ان اكثر الغارات في تلك الايام كانت بطائرات انكليزية فقد كانت الغارات الليلية اكثر حدوثاً بالطبع . أما الغارات النهارية فقد كبـدت الاميركيين خسائر كبيرة لعدم وجود مطاردات بعيدة المدى قادرة على مرافقة القـاذفات المغيرة .

هكذا واجه غورنغ بنفسه تكذيباً قاطعاً لما سبق ان اعلنه من استحالة الغارة على برلين من الجو . على ان سرب الألف طـائرة لم يكن في الحقيقة غير تمهيد لمجيء أسراب اخرى مؤلفة مـن عدة آلاف مـن الطائرات الجبارة .

غارات الفدائيين

للفدائيين الانكليز حكاية طويلة .

وقد استطـــاع هؤلاء الجنود ان يلعبوا دوراً كبيراً في الحرب وان ينزلوا بالألمان خسائر كبيرة . ولكن خسائرهم هم ايضاً كانت عبئاً ثقيلاً على آلة الحرب البريطانية .

ففي آذار ١٩٤١ تم غزو جزر لوفوتن في الشمال الغربي للشاطىء النروجي ، وفي كانون الأول من العام نفسه نزل الفدائيون في فاكسو من النرويج ايضاً بقصد تطهير طريق القوافل المتجهة الى الاتحاد السوفياتي . وفي فاكسو هدم الغزاة المؤسسات القائمة واغرقوا سفناً وحملوا معهم عدداً من الأسرى وكميات من المعلومات العسكرية .

اما في الجبهة الغربيـــة فقد نظمت غزوات عديدة للفدائيين وغايتها بالاضافة الى التخفيف عن كاهل السوفيات معرفة القدرة الدفاعيـــة في حصون هتلر الأوروبية واكتشاف قيمة التكتيك الذي كانت تضعه القيادة لفتح جبهة ثانية في اوروبا .

في شهر شباط استولى عدد من المظليين والفدائيين الانكليز على محطة رادار المانيـــة في برونيفال « فرنسا » ثم عادوا الى بلادهم وقد حملوا

معهم عناصر هامة حوّلت الى الخبراء لدراستها .

وفي شهر آذار قاد الفدائيون الانكليز تساعدهم سفن حربية ، الطراد « كامبل تاون » حتى مرفأ سان نازير ، وهو المرفأ الوحيـد الذي يمكن فيه اصلاح الدارعة العملاقة « تيربيتز » وبفضل هذا الطراد نسفوا الحوض الجاف وحطموه الى اجزاء صغيرة .

وفي ذلك يقول احد الفدائيين :

غرقت القـافلة كلها في النور تقريباً قبل ان نهبط الى البر بدقائق قليلة . وقد بدأت مدفعية الشاطىء تحيط بنا . القنابل تصفر فوق رؤوسنا وتسقط في الماء . على ان هناك قنابل كثيرة اخترقت السفن من جانب الى آخر ، وقتلت رجالاً كانوا على ظهر هذه السفن . واستطعنا أخيراً ان نرى الأرصفة ، وجهتنـا الهامة ، والمستودعات التي عرضت علينا مواقعها في الخرائط وصورها الملتقطة من الجو خلال الأيام الماضية . كل منا كان يعرف المكان عن ظهر قلب . أما « كامبل تاون » فقد غير اتجاهه وشاهدته لآخر مرة متجهاً نحو الحوض الجاف .

كان هذا هو الوقت العظيم . الطراد كامبل تاون يخترق المسافة الباقية . راية الحرب البيضاء ترتفع . انه يفتح لنفسه طريقـاً امامه بسرعة ١٨ عقدة متوجهاً نحو ابواب السد الكبيرة ، بينما كانت بطارية المانية تكتسح اعلاه . الجنود كانوا منبطحين ويردون على البطـارية ببنادقهم الرشاشة ؛ ظهر السفينة اكتسح اكتساحاً تاماً ولم يكن عليه شيء يحتمي به . النيران ، والدخان وأزيز الطلقات النارية ودوي القنابل تحيط به من كل جانب . الطراد يتابـع طريقه نحو ابواب السد ثم يخترقها ليجد نفسه في وسط الحوض . وقد كان دخول الطراد من القوة بحيث انه لم يتوقف حتى اصبح نصفه في وسط الحوض مع العلم ان سمك الأبواب الحديدية يبلغ عشرة امتار او اكثر قليلاً . أما الآن فقد اصبح حتماً على تيربيتز ان تفكر مرتين قبل ان تهاجم قوافلنا في الاطلنطيك . والواقع ان وضع الحلفاء

لم يكن حسناً في معركة الاطلنطيك آنذاك . وقد قيل لنا ان الهجوم على سان نازير ليس غارة بسيطة فهو يلعب دوراً في استراتيجية الحلفاء .

اكمل الطراد مهمته . لقد دخل الحوض في تمام الساعة الواحدة و٣٣ دقيقة من الصباح أي بعد ثلاث دقائق عن الوقت المقدر في الأوامر . في الساعة الثانية الا الربع كانت الجنود قد هبطت الى البر . وبعد خمس دقائق بدأت عمليات التخريب . في الساعة الثانية ترك الطراد وهو يغرق وفيه خمسة اطنان من المتفجرات ينتظر ان تنفجر بعد بضع ساعات . الجنود فرحون في كل مكان . جماعة منهم نسفت بطارية الشاطىء التي كانت قائمة فوق الأرصفة . جماعة اخرى نسفت محطة الضخ ومقصورة ادارة السدود . كان هناك عدد كبير من الجرحى فوق الطراد اخرجناهم جميعاً الى البر . اكثر الذين نزلوا الى البر أخذوا اسرى في الصباح بينما كنا نحن مختبئين في اقبية بانتظار الليل أملاً في الهروب . حول الساعة العاشرة والنصف سمعنا صوت انفجار رهيب . اصبح الألمان في حالة جنون ؛ النوافذ في كل المدينة قد تحطمت وارتفع عامود هائل من اللهب من الحوض الجاف . لقد انفجر الديناميت في كامبل تاون ؛ أبواب الحوض مع سفينتين تجاريتين موجودتين في الداخل اصبحت كلها في الفضاء . هكذا جرى الحادث العظيم . المؤسسات اصبحت غير ذات فائدة لمدة عام على الأقل . بعض الألمان الذين كانوا يفحصون الطراد نسفوا معه . وقد قيل لنا ان بعضنا قد اجتذبهم اليه ، ولكننا لم نعرف هذا البعض . وافترض اننا لن نعرفهم ابداً .

الطريق الى مورمانسك

في الوقت الذي كانت فيه القوات النازية تنطلق بعيداً في الاتحاد السوفياتي كان الحلفاء الغربيون يبذلون اقصى جهودهم لارسال اسلحة حربية الى السوفيات . ولم تكن لديهم غير احدى ثلاث طرق وكلها طرق ، بحرية . اقصر هذه الطرق تلك التي كانت تجتاز الاطلنطي الشمالي نحو اركانجلسك ومورمانسك . على ان هذه الطريق كانت اكثر الطرق خطراً . اما الطريق الآمنة فهي التي كانت تمر عبر رأس الرجاء الصالح باتجاه ايران ثم تستمر نحو روسيا الجنوبية عبر الخطوط الحديدية الايرانية . واما الطريق الثالثة فهي تلك التي كانت تقـع في قسم كبير منها تحت اشراف البحرية اليابانية وكانت تجتاز المحيط الباسيفيكي في الشاطىء الغربي للولايات المتحدة الى سيبريا ، ولكنها لا تنتهي الا عند نقطة تبعد آلاف الكيلومترات عن الجبهة الاوروبية . ومعنى ذلك ان الأسلحة والمهمات الحربية كان يجب ان تبلغ الجبهة الأوروبية بواسطة الخطوط الحديدية السيبرية ، وهي خطوط غير صالحة لمثل هذا العمل الكبير .

كانت الانتصارات النازية سبباً لالحاح روسي شديد على الغربيين لجهة فتح جبهة ثانية وارسال المزيد من القوافل عبر اقصر الطرق ، اما القوافل

الصغيرة الأولى فقد كانت تغادر الجزيرة البريطانية باتجاه مورمانسك بعد شهر واحد من بداية غزو روسيا .

وعندما جاء شباط سنة ١٩٤٢ اصبحت هذه القوافل ذات أهمية خاصة .

وقد رأى هتلر أن ايقاف هذه القوافل لن يتحقق الا بتركيز قواته البحرية في النروج ولا سيما الوحدات الكبيرة .

القوافل الحليفة والانكليزية منها بصورة خاصة اصيبت بخسائر ثقيلة جداً في المحيط المتجمد الشمالي حيث كانت هذه القوافل عاجزة حتى عن الاستفادة من ظلمة الليل بالاضافة الى اخطار السفر في هذه المنطقة من البحر . وقد حاول « روبرت كارس » ان يقدم صورة عن الأحداث التي كانت تواجهها كل قافلة متوجهة نحو مورمانسك ، وفيما يلي صورة عما جرى لاحدى هذه القوافل التي كان يرافقها شخصياً :

وجاءت طائرات العدو مبكرة في ذلك اليوم : طائرات هنكل وشتوكا ، ومسرشميت وجانكرز ٨٩ . كلنا كنا متفقين على ان عدد الطائرات التي تحوم فوقنا تبلغ ١٠٥ في معركة استمرت على لأقل عشرين ساعة . لقد استعملت الطائرات كل نوع من انواع الأسلحة : قنابل زنة الف ومئة من الأرطال وخمسمائة وخمسين و٢٥٠ ؛ طوربيدات جوية ، الغام ، مدافع سريعة الطلقات ورشاشات .

في تلك الأثنـــاء كانت تتوجه نحونا غواصات العدو وبصورة خاصة نحو السفن الحربية المرافقة لنا .

لقد كنا في صميم الجحيم . اذ ليس في اللغة كلمة اصلح للتعبير عما كان يجري آنذاك . كان في وسع المرء ان ينظر الى كل مكان .. وكان يجدهم امامه يلقون قنابلهم السمراء اللامعـــة في الفضاء والصارخة والتي كانت تصطدم بماء البحر فترسل من حولها موجات قاسية من الماء يعلوها زبد ابيض . كل شيء حولنا . انفجاراتهم ترتسم امامنا على صورة بقع

شحمية فوق زرقة البحر الصافية . وقد نجت سفينتنا في محاولات كثيرة بأعجوبة . وكنـــا نمسك انفاسنا من الخوف حتى كدنـــا نشعر بانقطاع الهواء عنا .

وانفصلت آخر طائرة من تشكيلة الطائرات المعادية واتجهت نحو مؤخرة سفينتنا تماماً في صميم خط طلقاتنا النارية ودار الحظ دورته لمصلحتنا في هذه المرة .

لقد اطلقت الطائرة قنبلة زنتها ٥٥٠ رطلاً ثم انطلقت بعيداً عنا . اما نحن وكنا مشدودين الى مدافعنا ، فقد كنا نحس بقدرتنا على فعل شيء واحد هو النظر الى القنبلة النازلة وحسب . وسقطت القنبلة تبعاً لخطة سيرها التي حددتها لها سرعة الطائرة . وأخذت تدور حول نفسها وتصفر في الهواء وهي تمر تماماً فوق رؤوسنا . لقد كان في وسعنا ان نميز بوضوح اسطوانتها السمراء وأجنحتها الصغيرة بالاضافة الى خطوط بيضاء مرتسمة في احد جوانبها الذي يسجل عليه في العادة رقم القنبلة . وفكرنا قائلين في انفسنا : هذه القنبلة هي لنا ، انها النهاية . وحتى لو لم تصب هدفها فان الصدمة التي سيحدثها انفجار المادة المتفجرة ستهزنا هزاً عنيفاً .

ولم يعد امامنا غير شيء واحد هو ان نتعلق بمدافعنا تعلقاً شديداً . وودع بعضنا البعض الآخر بينما طغى صفير القنبلة على كل شيء آخر . ان الضجة التي كانت تحدثها مسيرة القنبلة كانت اعنف من أية ضجة اخرى .

وفجأة عصفت بنا عاصفة من الهواء ولكنها لم تكن بالغة القوة . هذه العاصفة ابعدت القنبلة وانحرفت بها قليـــلاً عن مسيرتها الأولى . واصطدمت بماء البحر على بعد ٧ او ٨ امتار منا . وقد شعرنا بالصدمة الرهيبة وانتشر زلزال عنيف ثم كان الانفجار . ووقفت جامداً لا اتحرك بينما كانت تتراءى امام عيني صورة زوجتي منتظراً مجيء الانفجار . وغمرني الماء حتى عميت وشعرت بثقل شديد . اما السفينة فقد ارتفعت قليلاً ثم

سقطت وهي ترسل صوتاً غريباً مزعجاً وكأنه صوت تكسر وانقصاف . وبسبب من عنف الاصطدام تدحرجت اعداد من قنابلنا الى البحر . وبينما كانت سفينتنا ترتجف شعرت بأن جسرها يكاد ينقسم الى قسمين .

وتابعت السفينة طريقها رغم الصرير الذي نسمعه من جهة المروحة اسفل منا . كنا نعرف ان وضعنا سيء جداً : لقد اصيبت السفينة في اعماقها .

اما رئيس الميكانيكيين فقد حافظ على هدوئه وهو يتوجه الى مؤخرة السفينة لتفحص الأضرار بينما كانت نظارتاه على انفه .

وانبأنا بعد ذلك ان تسعة اجزاء من جذع المروحة قد حطمت . وأن التواء شديداً قد حدث في الجذع نفسه وان صفائح معدنية متصلة بالاسطوانة قد تمعجت . وتغلغل بعض الماء الى السفينة في هذا المكان بالذات . وكان في وسع المضخات ان تتغلب على الماء وتابعنا طريقنا نحو بلاد « الروسيا » .

الحقيقة ان التضحيات التي قدمها الحلفاء الغربيون في طريق مورمانسك لم تكن عبثاً من العبث . بل ساعدت الجيش الأحمر على مواجهة الأحداث والانتقال من الدفاع الى الهجوم .

وفي ربيع ١٩٤٢ تم ارسال ثلاثة ارباع الانتاج الانكليزي من الذخيرة الى روسيا وكان مجموع ما نقل الى السوفيات قد سجل رقماً لا سابقة له مع العلم ان لا شيء يمكنه ان يعوض عن الخسائر الروسية في الأرواح البشرية . والحقيقة ان الحلفاء لم يوفروا اي جهد من أجل انجاد السوفيات في معاركهم الحاسمة ضد الغزاة النازيين .

ممر القنال

كان هتلر خاضعاً لكابوس قوي يضغط عليه باستمرار . لقد كان

يؤمن بأن الحلفاء سينزلون قواتهم في النرويج اولاً . وهذا ما دعاه الى تجميع قسم كبير من وحداته البحرية في المياه النروجية . يضاف الى ذلك ان وجود هذه الوحدات يحول دون وصول القوافل سالمة الى الروس ، ويجمد الاسطول البحري الانكليزي في الوقت نفسه .

ولكن ثلاثاً من وحداته البحرية الضخمة كانت دائماً في برست حيث تتعرض لغارات القاذفات الانكليزية . وفي ليل ١١ شباط ١٩٤٢ غادرت السفن شارنهورست ، وغنيزناو ، وبرنس أوجين ، قاعدتها في برست متجهة نحو قواعدها في المانيا . وقد استفادت السفن الألمانية من الضباب والتشويش على اجهزة الرادار الانكليزية كما احتمت بعدد من الطرادات والطائرات فاجتازت بحر المانش . وبالرغم من ان الانكليز قد اكتشفوا مواقع السفن في المرة الأولى عند توكيه فقد استطاعت الوحدات الألمانية هذه ان تمر دون انزعاج امام بطاريات دوفر وان تبلغ الشاطىء البلجيكي دون ان تلاقي اي انزعاج . ثم لم يجر الهجوم عليها الا ابتداء من الساعة الواحدة الا الربع من قبل الطائرات حاملات الطوربيد ومن ثم من قبل زوارق الطوربيد والطرادات . وعجزت القوات الانكليزية عن ايقافها بسبب النار الكثيفة التي واجهتها بها . ووصلت السفن الألمانية الى قواعدها بعد ان اصيبت كل من شارنهورست وغنيزناو بأضرار سببتها لها الغام بحرية .

لكن الانكليز لم يكفوا عن الغارة . فقد انطلقت القاذفات الانكليزية تمطر الأولى بقنابلها في مرفأ ولهلمشهافن والثانية ، في مرفأ كييل . على ان الثانية لم تستطع ابداً ان تعود الى البحر . أما برنس أوجين فقد اغارت عليها غواصة انكليزية « تريدانت » وجمدتها في تروندهايم . وفي الشهر التالي اغارت الدارعة الثقيلة تيربتز ٤٢ الف طن زميلة « بسمارك » على قافلة في طريق مورمانسك لكنها لم تلبث ان عادت الى قاعدتها في « فجورد الغربي » بعد ان طاردتها كل من الدارعة جورج الخامس

وحاملة الطائرات فيكتورياس .

وفي أيلول ١٩٤٣ حدثت غارة المانية جديدة على قاعدة الحلفاء في سبتسبرغ ، قامت بها الدارعتـــان تيربتز وشارنهورست ترافقهـــا عشرة طرادات وسببت اضراراً في القاعدة . وفي يوم الميلاد كررت شارنهورست الغارة على قافلة اخرى في طريق مورمانسك فاعترضتها ثلاث مدمرات كانت ترافق القافلة.وهنا اصيبت المدمرة نورفولك كما اصيبت شارنهورست اصابة خفيفة . لكن الدارعة الانكليزيـــة « ديوك اوف يورك » التي يقودها الاميرال سير بروس فريزر قائد الاسطول اشتركت في المعركة وجمدت شارنهورست بمدافعها عيار « ٣٨٠ » . وجاءت بعدها المدمرة جامايكا فأرسلتها الى الاعماق بواسطة الطوربيد . أما فيما يتعلق بتربتز التي اصيبت اكثر من مرة فقد انهارت أمـــام ضربات الطـــائرة الانكليزية لانكستر في خليج ترومو . وبذلك جمدت البحرية الالمانية بصورة عملية.

عودة الى هجمات الحلفاء

غوادالقنال وغينيا الجديدة

علمنا ان معركة مدواي قد اوقفت التوسع الياباني في الباسيفيك الاوسط . كما فشل الهجوم الياباني على مورسبي في غينيا الجديدة في بحر المرجان .

على ان اليابانيين لم يتوقفوا عن القيام بمحاولات توسعية جديدة خلال الصيف ، تارة باتجاه بحر المرجان واخرى باتجاه جزائر سالومون. وبما انهم قد استولوا من قبل على مرفأ تولاجي فقد بادروا الى بناء مطار في غوادالقنال من الجانب الآخر للمضيق . ولو نجح اليابانيون في تحقيق اغراضهم فان في وسعهم ان يسيطروا على بحر المرجان سيطرة تامة ، ويقطعوا خطوط التموين الاميركية الى استراليا كما يشكلون تهديداً مباشراً لاستراليا نفسها وللقواعد الاميركية في خلقدونية وهبريد الجديدة .

اما اذا وفق الحلفاء الى طرد اليابانيين نحو الشمال فانهم ينتزعون السيطرة على غينيا الجديدة وسالومون مما يساعدهم على اجتياح رابول وكافيانغ وعزلهما ، وهما قاعدتان يابانيتان رئيسيتان في ارخبيل بسمارك عند الجنوب

الغربي من الباسيفيك .

وبالرغم من ان معارك غينيا الجديدة كانت بقيادة ماك آرثر المنفصلة عن قيادة الاميرال نيميتز في معارك غوادالقنال فانها كانت نابعـــة من تخطيط واحد عند طرفي بحر المرجان . وقد نجح القائـدان في تنفيـــد اغراضهما العسكرية



مارك آرثر يقود حملة للدفاع عن غينيا الجديدة

خلاصة هذه المعارك ان اليابانين حاولوا اجتياز قمم جبـال ستانلي في جزر غينيا الجديدة للاستيلاء على مرفأ مورسبي الذي يقوم وراءهـــا في الشاطىء الجنوبي . وقد اتاحت لهم سلسلة من الاشتباكات البرمائية ان يستولوا في بداية تموز على بونا وكوما في وسط الطريق بين لاي وميلن باي عند نقطة تقع جنوب شرقي الجزيرة . ومن هناك انطلق فوج ياباني كبير نحو مرفأ مورسبي سائراً على طريق كوكودا الضيقة والممتدة على ارتفاع الفي متر في اعـــالي الجبال . ومن ناحية ميلن باي اقدم الرماة البحارة اليابانيون على الهبوط الى البر . ولو قـدر لهؤلاء ان يحتلوا هـذا الموقع ثم استولوا على المطارات الثلاثة التي بناها ماك أرثر من قبل ـ لكان في وسعهم اجتياز قمم ستانلي وانتزاع مرفأ مورسبي . هذه المطـــارات

بالاضافة الى قاعدة غوادالقنال ستجعل اليـابانيين سادة الجو فوق بحر المرجان .

ووصل اليابانيون الى قرية كوكودا في ٣ آب واحتلوها رغم المقاومة العنيدة التي ابدتها قوات المؤخرة الاسترالية ثم لم يبق بينهم وبين مورسبي في نهاية ايلول غير ٥٠ كلم . ولكنهم لم يلبثوا ان فشلوا امام قريـة ايوريبادا بعد ان فرقتهم المعارك والاوبئة والغارات الجوية الاميركية . وهنا بدأ الاستراليون بشن الهجمات المعاكسة .

وفي الوقت نفسه تم تمزيق الرماة اليابانيين في ميلـن بـاي من قبـل الاستراليين انفسهم وارغموا على مغادرة رأم الجسر بعد اشتباكات عنيفة استمرت عشرة ايام . وعادوا الى البحر وقد تركوا وراءهم كل تجهيزاتهم واسلحتهم الثقيلة وعدداً كبيراً من القتلى .

أما الهجمات الاسترالية المعاكسة في طريق كوكودا فـلم تنجح إلا بتضحيات كبيرة وبجهد عظيم . لقد كانت الآلام التي سببتها معارك تلك المنطقة للرجال من الشدة والقسوة بحيث ان القلم يعجز عن رسم صورة صحيحة لها : البرغش والوحل والاوبئة والملاريا والضجر بالاضـافة الى اسلحة العدو كانت كلها متحالفة على تحطيم أعصاب الجنود وادخـال اليأس الى نفوسهم .

ان جورج جونستون الذي كان يرافق تلك الحملة قد حـاول ان يعطي القارىء صورة تقريبية لمـآسيها . وكان مما قاله : «كان الاسترالي الذي يسير في الطريق الجبلية الرهيبة يواجـه جثة زميل له فيهز يدهـا المعروقة البشعة ويقول لصاحبها : كم انت سعيد يا صديقي . »

وفي ٢ تشرين الثاني دخل الاستراليون قريـة كوكودا وانتقلوا الى الجانب الآخر من قمم ستانلي وطاردوا اليابانيين في المستنقعات والغابات التي تحيط بغونا وبونا .



المظليون الاميركيون يعززون مركز القوات الاميركية
في جنوب بونا

وفي مناورة جريئة أرسل ماك آرثر بعد ذلك باسبوعين ١٥ الف مظلي على بعد ١٠ كلم جنوب بونا ثم انطلقوا في هجوم واحد مع الاستراليين . وسقطت غونا في ١٠ كانون أول ،وبونا في ٣ كانون الثاني . أما في ٢٣ من الشهر نفسه فقد انتهت المعركة بابادة بقايا الجيش الياباني في نقطة سانا ناندا .

واختار اليابانيون الدفاع عن قواعدهم في غينيا الجديدة بعد أن اجبروا على الاختيار بينها وبين غوادالقنال ودعموا قواتهم بنجدات كبيرة في لاي وسالاموا . وفي ٣ و ٤ آذار اغارت طائرات الجنرال جورج كيني

القائد الجوي في جنوب غربي الباسيفيك على قافلة يابانية هامة تنقل جيوشاً من رابول الى لاي .

ومهما تكن نتائج تلك الغارة فان الثابت ان خطط اليابان قد اصيبت بالاختلال . لقد فقدوا ١٢ سفينة و ٣٠ طائرة و ٣٠٠٠ جندي . اما الاميركيون فيزعمون أنهم فقدوا اربع طائرات وحسب .

وانتهت المعركة في بابوازي ، غينيا الجديدة الاسترالية . وقد دفع الاستراليون والاميركيون ١٦ الف رجل ثمناً للنصر .

عملية كاكتوس

كانت طائرات الاستكشاف الاميركية وفئة من الحراس الأستراليين قد اكدوا ان المطار الياباني في غوادالقنال سينتهي العمل فيه قبل نهاية آب . حدث ذلك في تموز أي في الوقت الذي حمل فيه اليابانيون على غينيا الجديدة تقريباً .

وهناك غادرت الفرقة الاولى للرماة الاميركين التي كان يقودها الجنرال الكسندر فاند غريفت زيلاندا الجديدة على طائرات نائب الاميرال روبيرت غوريل . وفي ٧ آب هبطت في غوادالقنال وفي الجزر المجاورة، تولاجي ، غافوتو وتانامبوغو . وفي يومين اثنين أتم ١٨ ألف من الرماة احتلال ثلاث من الجزر . أما الرابعة فقد جرت من أجلها حرب استمرت ستة أشهر وكانت من أشد حروب الباسيفيك واكثرها غموضاً .

وقد سميت عملية غوادالقنال باسم « كاكتوس » . وكان على الاميركين ان يقاتلوا فيها اليابانين واخطار الطبيعة ايضاً .

والحقيقة ان جزائر سالومون هي ارخبيل بركاني مؤلف من سبع



جنود اميركيون يثبتون اقدامهم في احدى الجزر الثلاث

جزر كبيرة وعشر جزر صغيرة تمتـــد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على مسافة الف كلم في سلسلتين متوازيتين ، بين بوكـــا وسان

كرستوبال . وتقوم غوادالقنال بالقرب من الجزيرة الاخيرة .

وغوادالقنال جزيرة جبلية مليئة بالوديان الوعرة ومغطاة بغابات استوائية وسهول ذات نباتات عالية . مناخها ثقيل وحار . وهي ميدان تعشش فيه الملاريا والتيفوس والزحار وأوبئة استوائية اخرى .

وقد استفاد اليابانيون من الاوضاع الجغرافية هناك . ان قواعدهم القريبة من رابول وكافين في أرخبيل بسمارك ومؤسساتهم البحرية في تروك في جزر كارولين قد دعمت بقواعد بحرية وجوية متقدمة في شمالي سالومون – عند بوان وفي جزر شورتلاندس وريكاتاباي – هذه القواعد كانت مركزاً هاماً من اجل المعارك الجوية والبحرية التي تجري حول غوادالقنال .

وعلى ذلك فان هدف المعركة الرئيسي سيكون مطار غوادالقنال الذي أطلق عليه الاميركيون اسم الميجر هندرسن وهو طيار في وحدة بحرية قتل في الهجوم على حاملات الطائرات اليابانية عند مدواي . وفي اليوم التالي لنزول الاميركيين استولى الرماة البحريون على هذا المطار الذي لم يكن العمل قد تم فيه . وكان البقاء في هذا المطار هو مسألة حيوية بالنسبة اليهم لأنه هو الوسيلة الوحيدة لضمان حماية جوية فوق الجزيرة . وعلى ذلك فان اليابانيين الذين لم يظهروا في البداية غير مقاومة ضعيفة لم يلبثوا حتى ضاعفوا مقاومتهم فأصبحت عنيفة شديدة .

وفي صباح ٩ آب كان الأميرال الياباني غونوشي ميكاوا يقود سرباً مؤلفاً من خمس مدمرات ثقيلة ومدمرتين خفيفتين وطراداً واحداً في المضيق الذي كان يفصل بين سلسلتي الجزر من اجل القضاء على عمليات النزول الاميركية . وبينما كان يدور اشتباك ليلي عند بحر جزيرة سافو استطاع اليابانيون ان يغرقوا ثلاث مدمرات اميركية ومدمرة أسترالية كانت تقوم بتغطية عمليات النزول ، كما أحدثوا أضراراً في مدمرة رابعة . وفجأة وعلى غير انتظار عاد ميكاوا من حيث اتى عند الساعات الاولى من الصباح

دون أن يهاجم سفن النقل والشواطىء التي كانت في كل حال تحت رحمته . وفي اليوم التالي انسحبت الناقلات التي أفرغ بعض حمولتها وحاملات الطائرات التي كانت تغطي الغزو وتركت الرماة البحارة لمصيرهم .

وهنا وجد الرماة البحارة انفسهم أمام مهمة على مستواهم . لقد أقاموا رأس جسر طوله ١١ كلم وعمقه ٦ كلم في جزيرة طولها ١٤٠ كلم وعرضها ٤٠ كلم . وخلال أيام انتهى العمل في القطعة الثمينة من الأرض التي اطلق عليها اسم هندرسن وأصبحت صالحة للعمليات الحربية . يبقى الآن ان نرى أياً من العسكرين يستطيع أن يأتي بكمية اكبر من النجدات والمؤن لغوادالقنال . أما اليابانيون فقد كانوا يسيطرون في البداية في البحر والجو . ولكن منذ أن أصبح مطار هندرسن صالحاً للعمل تغير الموقف . إن القاذفات المنقضة والمطاردات التابعة للبحرية والقلاع الطائرة التابعة للجيش كانت سيدة الموقف حول غوادالقنال اثناء النهار . أما الليل فكان لمصلحة اليابانيين . وأصبح في وسع الاميركين ان ينزلوا اسلحة ورجالاً دون ان يتكبدوا خسائر كبيرة خلال النهار كله بينما كان اليابانيون يدعمون مواقعهم اثناء الليل . وأطلق الأميرال ريزوتناكا اسطوله الكبير من الطرادات وناقلات الجند في المضيق بين كل من جزيرة سانتا إيزابيل وجزيرة نيوجورجيا لغرض ارهاق الاميركين وتموين الجيش الياباني البري وتدعيمه . وعند الفجر قامت القاذفات الاميركية بمهاجمة سفن تناكا في طريق العودة فأمطرتها بالقنابل وحطمت القوات الهابطة إلى البر .

إن ارض هندرسن كانت دائماً موضع اهتمام الجميع . أما اليابانيون فقد كانوا يعتقدون ان في وسعهم القاء الرماة الاميركين إلى البحر فيما إذا استولوا على هذه الأرض .

ولذلك فقد تشبث الرماة البحريون بها رغم المدفعية التي كانت

تصليهم ناراً حامية ابتداءً من الدوارع حتى الغواصات ومروراً بالطائرات .
وكاد اليابانيون عدة مرات ان يستولوا على المطار وان يحطموا طائراته ومستودعات الوقود فيه ومدرجاته وورشات الاصلاح ولكنهم مع ذلك لم يبلغوا هذا الهدف ابداً .

كان اليابانيون يبذلون جهودهم في البر والبحر والجو . ان المعركة الطويلة التي استمرت من آب ١٩٤٢ إلى كانون الثاني ١٩٤٣ قد تخللها اشتباكات بحرية كبيرة . وقد كان عدد السفن المغرقة كبيراً بحيث ان



كان اليابانيون مهرة جداً في اصابة الهدف

الرماة أطلقوا على المياه المجاورة لجزيرة سافو اسم « الخليج ذو الاعماق الفولاذية » . الواقع ان المعسكرين قد اصيبا بخسائر كبيرة في هذه المعارك التي اتخذت لنفسها مكاناً في التاريخ البحري للولايات البحرية : معارك جزيرة سافو وسالومون ، ورأس الرجاء الصالح وجزيرة سانتا كروز

وغوادالقنال وتاسافارونغا .

كل هذه المعارك كانت قد جرت من اجل اعتراض النجدات والمؤن أو لتأمين وصولها . خسرت الولايات المتحدة (٢٤) سفينة في هـــذه الاشتباكات : (٢) حاملات طائرات (واسب وهورنت) (٦) مدمرات ثقيلة (٢) خفيفة و (١٤) طراداً . وخسر اليابانيون مثل هذا العدد : (٢) دوارع (١) حاملة طائرات خفيفة (٣) مدمرات ثقيلة (١) خفيفة ، (١١) طرادات و (٦) غواصات . وهناك عدد من السفن بين دوارع وحاملات طائرات ومدمرات أصيبت بأضرار فادحة فخرجت من المعركة لأشهر طويلة .

أما السيادة في الجو فوق الجزيرة فقد كانت هدف معارك جويـــة رهيبة . وقد لوحظ ان مطار بوان وبوغانفيل ومدرج موندو بوينت في جزيرة جورجيا الجديدة لم تكن قادرة على تأمين الحماية الكافية للقوات البحرية اليابانية . لقد أمطرت القوافل اليـــابانية بالقنابل . أما مطاردات هذه القوافل فقد طردت من السماء واختفت أمام طيران البحرية الاميريكية المكلف بحماية مطار هندرسن .

وأما في البر فقد احدث الرماة البحريون لليابانيين خسائر دامية خلال معارك قاسية سجلت أسماؤها في تاريخ البحرية الاميريكية : معارك نهر تينارو ، والقمة الدانية ، ونهر ماتانيكو ، ومطار هندرسن ، وبوينت كروز ، وغيفو ، والحصان السابح .

وقد تنافس المراسلون الحربيون في وصف هذه المعـــارك الرهيبة . فتحدثوا طويـــلاً عن كثافة النيران والأوبئة وامراض المناخ الاستوائي والتذابح العجيب بين الجنود الاميركيين واليابانيين واشباكات الدبابات وفنون من البطولة والشجاعة والخوف والضجر والوحدة في الغابات الاستوائية الرهيبة حيث تشيع ظلمة دائمة .

ويؤكد احد المراسلين ، روبرت ليكي ، وهو يتحدث عن تلك الأيام



احد البحارة الاميركيين وقد قضى ١٩ يوماً في الغابات

القاسية ، ان المتعادين من الجنود كانوا في بعض الأوقات يتواجهون عن قرب في الليل والنهار . أما في الليل فإن احد الفريقين يسمع همسات

الفريق الآخر ووشوشاته وأما في النهار فإن مظاهر القسوة الرهيبة تحول الجنود إلى مجـانين أو انصاف مجانين . يضاف إلى ذلك البرد والحرارة والوحل والقذر والبرغش وانواع مختلفة من الحشرات والألوف من الجثث التي تخشبت عبر الوديان والجبال والسهول . وقد يصاب الاحياء من الجند بحالة من الاعياء والرهق بحيث انهم كانوا يتمنون ان يكونوا بين الاموات. وليس بعيداً عن المنطق والواقع ان نفسر البطولات الخارقة التي كانت تحدث في بعض الاوقات على أنها الوسيلة الوحيدة التي كان يتخلص بها الجندي الخائف المتعب من حياته البائسة آنذاك .

واستمر هذا الوضع حتى نهاية العام حينما نقلت إلى الرماة البحريين نجدات جديدة من المشاة كان على رأسها ألكسندر باتش الذي وكلت اليه قيادة كل القوات البرية بينما اقيل الاميرال غورملي ليأتي مكانه على رأس القوات البحرية الاميرال وليم « بول » هالسي . وهنا قام الرماة البحريون والمشاة بهجوم انتهى بإلقاء اليابانيين في البحر .

وقد كان ضغط الحلفاء في غينيا الجديدة اثناء تلك الفترة من القوة بحيث ان اليابانيين قد حولوا إليها الفيلق المؤلف من خمسين الف رجل بينما كان مقرراً إرساله إلى رابول لغرض الهجوم على غوادالقنال .

هكذا لم يبق أمام اليابانيين إلا احد مصيرين اثنين الموت او الاستسلام . واختار بعضهم الكفاح حتى الموت . واختار آخرون القيام بحملات انتحارية وهم ينشدون النشيد الامبراطوري دون ان يطمحوا إلى أي غرض غير الموت بنار الاميركيين . ومع ذلك فإن كثيرين منهم قد نجوا من الهلاك.

ومرة اخرى حاول الاميرال تناكا ان يقتحم الحصـــار الذي ضربه الاميركيون من حوله واستمرت المحاولة ثلاث ليال من ٧ إلى ٩ شباط ١٩٤٣ فنجح نجاحاً باهراً في نقل (١٦٠٠٠ جندي) إلى رأس الرجاء . وانتهت المعركة وسقطت غوادالقنال بأيدي الاميركيين .

لقد ضحى اليابانيون في دفاعهم عن الجزيرة بخمسين ألف رجل بين



جندي ياباني يحرق نفسه حياً ، أنفة من الاستسلام

قتيل وجريح وغريق خــلال الطريق أو ضحية للجوع والامراض .
ويزعم الاميركيون أنهم لم يخسروا أكثر من (٤٠٠٠) بين قتيل وجريح.
ويؤكد روبرت ليكي ان الآلام التي تكبدها الاميركيون والمتاعب التي

واجهوها هي أشد كثيراً من الخسائر في الارواح .

ونقل روبرت نصاً لشاهد فوق أحد القبور جاء فيه :

وعندما يصل إلى السماء ،

سيقول للقديس بطرس :

إنني جندي جديد في خدمتك ياسيدي ،

لقد سبق لي ان خدمت في الجحيم .

العلمين

والآن جاء الوقت الذي يجب ان نعود فيه إلى المعركة الافريقية . إلى المعركة التي كاد رومل ان يسجل نهايتها في قنـــاة السويس ولكن تغير الاوضاع الجغرافية عند العلمين قد حال دون ذلك .

والواقع ان « العلمين » اسم لمنطقة قائمة على بعد (٩٠) كلم من الاسكندرية . وقد سبق ان تركنا رومل وهو في قمة انتصاراته وفي بداية السباق الدموي مع قوات الحلفـــاء إلى تدعيم القوى والاتيان بالنجدات وتنظيم خطوط التموين . كان ذلك في بداية الخريف من عام ١٩٤٢ وكان رومل يؤكد لمن حوله خلال تشرين الأول قائلاً :

نحن عند أبواب مصر ونحن مصممون على العمل . ولسنا هنا اليوم ليلقى بنا غداً إلى البحر . إن في وسعكم التأكد من أننا سنحافظ بقوة على كل ما كسبناه .

على أن المتاعب التي لقيها الالمان في الجبهة الروسية جعلت التسابق على التموين لمصلحة بحرية الحلفاء . وقد وعد الجنرال مونتغمري جنوده وهو قائد الجيش الثامن قائلاً :

« أعطوني خمسة عشر يوماً وسيكون في وسعي مقاومة الهجمات الالمانية .

أعطوني ثلاثة اسابيع وسأهزم الألمان . أعطوني شهراً وسأطردهم من افريقيا » وحافظ على وعده .

والواقع ان الحلفاء قد استطاعوا ان يمنحوا مونتغمري تفوقاً ساحقاً في الطائرات والدبابات والمدافع . لقد أصبح في حوزته (١٠٠٠) دبابة مقابل (٦٠٠) للعدو وكان عدد طائراته ضعف عدد الطائرات العدوة



مونتغمري في مواجهة رومل

أما مدفعيته فقد كانت متفوقة الى حد بعيد . ولأول مرة كانت نوعية السلاح الخفيف أحسن وأعلى مرتبة من نوعية الاسلحة عند رومل . يضاف الى ما سبق ان الجيش الثامن كان يناور بالقرب من مستودعاته وهو مستند الى دلتا النيل بينما كانت الطائرات الانكليزية تحطم قوافل

التموين الالمانية التي لم تستطع البحرية الانكليزية ان تقضي عليها . اكثر من (٢٠٠) الف طن من حمولات السفن الايطالية قد استقرت في البحر . والخلاصة ان رومل الذي كان يحتاج شهرياً إلى (٣٠) الف طن من المؤن لم يعد يستقبل غير خُمس هذه الكمية أي (٦) آلاف طن . ولذلك كان ينقصه الوقود والذخيرة والماء .

وفي ٢٣ تشرين الاول وبعد ان بدأت نيران المدفعية الحليفة تقترب من خطوط رومل منطلقة من (٨٠٠) قطعة ثقيلة وخفيفة انتقل مونتغمري الى الهجوم . كانت خطوط رومل محمية بما كان يسميه هو نفسه « حدائق الجحيم » وهي حقول من الالغام ومجموعة من الاسلاك الشائكة سلطت عليها نيران كثيفة رهيبة . ولم يكن في « العلمين » أي مجال للقيام بمناورات جانبية . لقد كان على الجيش ان يهاجم المواقع الدفاعية من الامام . وبعد (١٢) يوماً مرت من اشتباكات عنيفة تكبد فيها مونتغمري خسارة (١٣) الف رجل استطاع ان يخترق خطوط العدو وان يطلق بعد ذلك دباباته في الثغرة التي احدثها . وقد يكون من المناسب ان ننقل هنا ما كتبه الملازم الأول سمول عن الطريقة التي كانت تهاجم بها قطعة من قطعات الجيش :

إنه شيء غريب حقاً فأنا لم أعد أتذكر كيف بدأ هذا الامر . في فترة من الفترات وجدت نفسي منبطحاً على بطني في وسط الصحراء . وفي فترة أخرى كنت أتنزه بكل هدوء وإلى يميني صف طويل من الرجال الذين يتقدمون متفرقين كما لو كنا في حفلة راقصة ...

وأدركت فجأة انني كنت احمل عصاي تحت ذراعي . وكان في نيتي ان اتركها في مركز القيادة وان استبدل بها بندقية . وضحكت في نفسي وانا افكر بأنني امشي نحو العدو وليس معي غير مسدس « عيار ٣٨ » وتسع طلقات . ولكن فات الاوان إذ لم يعد في وسعي ان افعل شيئاً . فإذا حدث أن أحد الجنود قد أصبح خارج المعركة فسأستعمل

بندقيته . وسألت نفسي : ألا يمكن إن أكون هذا الجندي ! وفي هذه الحالة لن تكون لي حاجة بأية بندقية . رفي هذه الفترة سمعت ضجة جديدة كانت تطغى على ضجيج المدافع وانفجارات القنابل .. لقد كان رصاص الرشاشات من طراز بريدا وسباندو يبدو امامي وكأنه بساقات وردٍ رهيبة على بعد عشرين متراً منا . كان علينا ان نصل الى مواقع العدو الاولى . وسألت مرافقي كم اجتزنا من الارض فكشر عن اسنانه وقال لي لقد فقدت كل قدرة على العد . وسمع صوت جديد غليظ تبعه صوت دقيق « لقد كنا نحن هدف هذين الصوتين : إنها قنابل مدافع الهاون التي كانت تسقط فوقنا . وسمعت رجلاً يقف إلى يميني وهو يقول « أوه ! ، يا رب يا إلهي ! » ورأيته يتعثر ثم يسقط . وصرخ الميجر مرة أخرى . ولم يكن في وسعي ان اسمع ما يقوله ولكن سريته كانت مشتبكة مع العدو . سياج من الاسلاك الحديدية كان ينتصب في طريقي ويرتفع هذا السياج حتى صدري . وقفزت فوق السياج بينما كان الرقيب الذي يتبعني يقفز هو أيضاً . وانبثق نور قوي اعماني تبعه عصف هوائي شديد أصابني في مؤخرة رأسي . واختفى الرقيب .

وما زلت اذكر انني قد سألت نفسي بعد ذلك عما دفعني الى القفز فوق السياج . والواقع ان وجود فكرة لغم لم تخطر في بالي ابداً. ورحنا نركض دون ان يصدر الينا أمر بالركض . وكان الى يساري عريف يطلق نار رشاشه من طراز برن وقد اسنده الى خاصرته .. وسألت نفسي هل كان يطلق ناره حقاً على شيء امامه . وفجأة رأيت رأساً وكتفين ترتفع فوق الارض . وبما انني كنت قد تجاوزت هذا المشهد عدت إلى الوراء ثم اطلقت ثلاث طلقات من مسدسي وعدت اركض للحاق بالآخرين .

وتفرق صف الجنود الى فئات صغيرة كل واحدة منها تقاتل على حدة بينما بقي مرافقي الى جانبي .. وسألت نفسي عما إذا كان معي حين

اطلقت النار . ثم رأيت رجالاً في أحد الخنادق . كانوا وقوفاً وايديهم فوق رؤوسهم ويرددون صوتاً لم أفهم منه شيئاً ولفتت نظري ثيابهم القذرة التي لم تكن على مقاسهم . وابتسمت كيف انني توقفت عند مثل هذه الجزئية في مثل هذا الوقت الرهيب . الى يساري وخلفي كان بعض الرتباء من الجنود يحاصرون بعض الأسرى ويدفعونهم الى التجمع. وأشهرت مسدسي باتجاه الرجال الذين كانوا يقفون أمامي وطلبت اليهم الالتحاق بالآخرين . وكان هناك جندي ايطالي كاد الرعب يقتله يدور حول نفسه ويداه فوق رأسه ثم يصرخ بكل قوته . وكان الرجال الذين أشرت عليهم باللّحاق برفاقهم قد بدأوا يخرجون من الخندق حينما سمعت صوتاً يقول « انتبه».. شيء قاس شديد أصاب طرف حذائي ثم قفز بعيداً عني . وحدث انفجار كاد يعميني .. وتراجعت إلى الوراء وانا اتعثر وأحمي عيني بعضدي . هل كنت جريحاً ! وخفضت بصري ، وانا انتظر ان ارى الدم يسيل ولكنني لحسن الحظ لم أرَ شيئاً .

وأحسست براحة عظيمة، لقد نجوت من الاذى . وبحثت عن الرقيب الذي كان يرافقني فعرفت أنه قتل . لقد رأيته متمدداً على جانبه متقوقعاً على نفسه وهو يزمجر من الألم . لقد أصبحت ساقه مزيجاً من العظم واللحم . وأدركت ما حدث فإن جندياً عدواً كان يخرج من الخندق ويداه مرتفعتان انتهز الفرصة ورمانا بقنبلة يدوية.واصطدمت القنبلة بطرف حذائي بينما كان الرقيب ينبهني ثم انفجرت القنبلة بالقرب منه . وشاع في نفسي غضب شديد ورحت أسب وأشتم اولئك القذرين الذين يجلسون عند زاوية من الخندق ! ورحت أطلق النار عليهم اولاً وثانياً وثالثاً ثم فرغ المشط ونسيت تعبئته مرة اخرى . فألقيت مسدسي بعيداً وبعنف شديد وانتزعت بندقية الرقيب واتجهت الى الأمام . إنني ما أزال اذكر أن جنديين عدوين كانا منكمشين على نفسيهما في قاع الخندق . وقتلت اثنين آخرين بحربة البندقية وعدت من حيث اتيت . كان هدوئي قد عاد

الى نفسي وبدأت أبحث عن مسدسي وانــا اقول في نفسي ان المشادّة ستكون عنيفة مع خازن الاسلحة إذا لم أبرر له ضياع سلاحي . وتوقفت النيران وتبينت أمامي بغموض بعض التجمعات من حولي ، وفي هــذه الفترة تماماً ارتفعت صرخة وتردد صدى طلق ناري . وقيل لي بعد ذلك إن رجلاً كان قد خرج من الخندق العدو وكان على أهبــة ان يطلق النار علي فأدركه احد جنودي بطلق ناري .

وفي ٤ تشرين الثاني بدأت قوات المحور تتراجع الى الوراء في فوضى شديدة . وبدأت مرحلة جديدة من السباق بين الطرفين ، أمــا مونتغمري فكان يحاول إبادة قوات رومل بعد محاصرتها . وأما رومل نفسه (ثعلب الصحراء) الذي خرج من المستشفى بعد بداية الهجوم بيومين فقد كان يحاول القضاء على خطة القائد الانكليزي . وكان رومل قد جمع كــل ما بقي عنده من الوقود لينقذ جيشه وأحسن اسلحته بأن يضحي بالاسلحة الثانوية الصغيرة بما في ذلك المشاة الطليان . وتوصــل اخيراً الى تجنب الاسر وحال دون ان يتحول التراجع الى هزيمة ساحقة .

كان المحور قد فقد قريباً من (٨٥) الف رجل والف مدفع و(٥٠٠) دبابة ولذلك فانه لم يعد يطمح في تنظيم اية مقاومة طويلــة عن طريق التراجع . واستطاع مونتغمري بواسطة تنظيم غير عادي في ميدان التموين ان يلاحق رومل مسافة (١٣٠٠) كلم وهو كل ما كان بقي مــن الأمبراطورية الايطالية في افريقيا . أي انه لاحقه حتى تونس .

وخلال الاشهر الثلاثة التي تخللتها المعارك وانتهت بتراجع قوات المحور نهائياً ، كان للأحوال الجوية ولحيل ثعلب الصحراء دور خاص تجنب به رومل كارثة الابادة لقوات المحور . ولكن هذا النصر السلبي لم يفعل شيئاً إلا أنه قد أخر الكارثة . ففي (٨ تشرين الثاني) كانت القوات الانكليزية والاميركية قد هبطت في الجانب الآخر من افريقيا فوجــد رومل نفسه بين المطرقة والسندان .



الاميركيون ينزلون في افريقيا الشمالية

معركة تورتش :

وفي ليل الثامن من تشرين الثاني وبينما كانت معركة « العلمين » على أشدها كان اسطول انكليزي اميركي هائل مؤلف من (٨٥٠) سفينة يغادر بريطانيا وشواطىء الولايات المتحدة الاميركية ليقوم بعدة عمليات إنزال منسقة على شواطىء الاطلنطي والبحر المتوسط في افريقيا الشمالية الفرنسية . الأهداف الأولى لهذه العمليات كانت مرافىء وهران والجزائر والدار البيضاء في مراكش . هذه العمليات كانت قد اعدت منذ ستة أشهر في الميدانين العسكري والسياسي تحت اسم « تورتش » . والواقع ان خطة تنفيذ هذه العملية قد تناقضت فيها وجهتا النظر السياسية والعسكرية وبرزت معها او رافقتها او نتجت عنها مسائل كثيرة معقدة .

إن غزو افريقيا الشمالية كان في الحقيقة البديل الاول لعمليات انزال الجنود في فرنسا ؛ هذه العمليات التي كان السوفيات يطالبون بها بحماسة

ولكن الحلفاء لم يكونوا يملكون الوسيلة إلي ذلك . وفي الوقت الذي كان يكافح فيه الروس من اجل حياتهم في ستالينغراد كانت عمليات «تورتش» تفتح جبهة ثانية في افريقيا . وهي بالطبع جبهة محدودة ولكنها في كل حال قادرة على إلهاء جزء من القوات الالمانية .

هذا في الدرجة الأولى . وأما في الدرجة الثانية فقد اعتقد الحلفاء بأن وضع رومل بين الجيش الثامن في الشرق والقوات الانكليزية الاميركية في الغرب يوجه إلى القوات الالمانية وحالة المحور المعنوية ضربة عنيفة رهيبة .

وأما في الدرجة الثالثة فان الحلفاء كانوا يستهدفون مراقبة شواطىء المتوسط من اجل ان يضمنوا منطلقاً صالحاً لغزو أوروبا من خلال «بطنها الرخوة» وان يرغموا الايطاليين على طلب الصلح .

يضاف إلى ذلك ان إنزال قوات الحلفاء وانتصاراتها ستدفع تركيا واسبانيا والبلدان القائمة عند طرفي المتوسط الى ابداء عواطف اكثر ملاءمة . وأخيراً تستطيع السيطرة على البحر الابيض المتوسط ان توفر على قوافل الحلفاء المتوجهة الى كل من الشرق الاوسط والشرق الاقصى شهوراً وآلاف الكيلومترات من الطريق .

فإذا وافقت القوات والسلطات المدنية الفرنسية على التعاون في إفريقيا الشمالية فسيكون في وسع الحلفاء اجتياز المغرب الى الجزائر بسرعة ؛ ثم ينتقلون الى تونس بعد ان يضمنوا مؤخرتهم وطرق المواصلات وراءهم . وهناك يحولون دون تراجع الماني بوضع رومل بين جيوشهم وجيوش مونتغمري . وبتعاون الفرنسيين مع الحلفاء ستكون الخسائر قليلة جداً او لن تكون هناك خسائر قط . ولكن الذي حدث هو غير ذلك . فالجيش، والإدارة الفرنسية كانا من خصوم الإنكليز بالاضافة الى ضعف ايمانهم بالديمقراطية وولائهم للمارشال بيتان . ففي فرنسا كان رجال الاعمال الفيشيون يعقدون صفقات هامة مع المانيا وايطاليا . اما الفرنسيون العاديون

فقد كانوا في كثرتهم الساحقة الى جانب الحلفاء ولكنهم لم يكونوا قادرين على فعل شيء ابداً . واما البحرية الفرنسية فقد. كـــانت ذكرى المرسى الكبير لعام ١٩٤٠ قريبة جداً . يضاف الى ذلك ان القوات البرية كانت ما تزال تحس في اعماقها بمرارة الفشل في سورية . عـــلى ان الانكليز انفسهم لم ينسوا مقاومة الفيشيين في سورية ومقاومتهم لهم في مدغشقر . ولم ينس الانكليز ان الفيشيين قد سلموا الهند الصينية لليابانيين ورفضوا في وهران والاسكندرية وطولون نقل اسطولهم الى القوات الحليفة .

ولكي يكسب الحلفاء عطف الفرنسيين اعطوا عمليات « تورتش » لوناً اميركياً في الاساس . فأعطيت القيادة العامة للجنرال أيزنهاور. ولكن الاميركيين لم يكونوا خبراء في السياسة الفرنسية شأن الانكليز . يضـاف الى ذلك انهم كانوا في مركز حرج وهم يجدون انفسهم مرغمين عـــلى مهاجمة بلد محايد دون ان يكون بيدهم أي مبرر للقيام بهذا الهجوم .

وزاد تعقيد الوضع بسبب الموقف الذي اتخذه الاميركيون والفيشيون بالنسبة لديغول والفرنسيين الاحرار . اما الفيشيون فقد كـــانوا يعتبرون الديغوليين خونة للوطن لأنهم تابعوا المعركة ضد الالمان بدلاً مـــن ان يوافقوا على الاستسلام . وأما الديغوليون فقد كانوا يرون الفيشيين خونة وأعواناً للعدو . وبما ان اكثر القادة في افريقيا الشمالية قد عينوا من قبل فيشي فقد كانوا بالطبع من اعداء ديغول والفرنسيين الاحرار .

وزاد تعقيد الوضع بالنسبة للأميركيين أكثر فاكثر .ذلك لأن الأميركيين لم يكونوا يثقون بالجنرال ديغول بسبب فشله في داكار . وقد فسر هذا الفشل بتسلّل معلومات وخطط من قيادة ديغول العامة في كل من واشنطن ولندن ايضاً . يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة كانت تعتقد بـــأن الفيشيين سيضاعفون مقاومتهم لكل عملية إنزال عسكرية يشارك فيها رجال ديغول وتكون النتيجة زيادة خسائر الحلفاء . واخيراً فإن الاميركيين والانكليز كانوا يجدون صعوبة بالغة في التعاون مـــع ديغول المتعجرف . وتقرر

منع الفرنسيين الاحرار من الإسهام في تنفيذ عمليات الانزال والسعي الى كسب مساعدة القادة الفيشيين في افريقيا الشمالية . واختطف الاميركيون في احدى الغواصات الجنرال جيرو الذي كانت له آراء يمينيـــة معروفة لكن هذه الآراء كانت ترافقها مواقف كفاحية ضد الألمان خلال الحربين العالميتين . وكانوا يأملون ان يصبح جيرو الزعيم الذي تلتف حوله افريقيا الشمالية .

وكافحت الدبلوماسية الاميركية من اجل الحصول على صداقات في تلك المنطقة . لقد حاول المستشار السياسي الاميريكي روبرت مورفي يساعده اميرال الاسطول د. ليهي ، السفير القديم للولايات المتحدة في فيشي ان يوحد وينظم العناصر الموالية للحلفاء في افريقيا الشمالية.. ومن ناحية اخرى ، وقبل تنفيذ عمليات الانزال بثلاثة اسابيع قام الجنرال مارك كلارك بسفرة طويلة خطرة في غواصة ليتأكد من انه لن تصدر أية مقاومة من جانب الفرنسيين واذا صدرت هذه المقاومة فلإنقاذ المظاهر وحسب .

ولكن كل هذه الجهود ذهبت ادراج الرياح . لقد قاوم بعض الفرنسيين القوات الحليفة وجرت اشتباكات في وهران ومرفأ ليوتي ، بينما فتحت السفن الحربية الراسية في الدار البيضاء ، ومن بينها جان بار التي لم تنته الاعمال فيها بعد ، نيرانها على قوات الحملة الاميركية مما ارغم المدفعية البحرية والقاذفات المنقضة على التدخل . اما الجنرال جيرو الذي كان قد طالب بقيادة البعثة العسكرية الحليفة التي لم يشترك فيها جندي فرنسي واحد ، فقد استقبل استقبالاً حسناً من قبل القادة العسكريين والحكام المدنيين الفرنسيين . وكان من قبيل المصادفة ، ان الاميرال دارلان ، المتعاون مع المحور وخليفة الماريشال بيتان ، كان موجوداً في تلك الفترة في الجزائر بحجة زيارة ولده الذي يعالج هناك بعد اصابته بشلل الاطفال . وظن الجنرال ايزنهاور ان دارلان هو الرجل الوحيد الذي يستطيع ايقاف

المعركة والحفاظ على النظام في المؤخرة بينما يكون الحلفاء في طريقهم الى تونس ، بالاضافة الى قدرته على ضم اسطول طولون البحري ومحمية تونس الى القوات الحليفة .

لكن دارلان راح يلف ويدور ، فيقبل اقتراحات الحلفاء تارة ويرفضها تارة اخرى ، وأخيراً اختبأ وراء سلطة الماريشال بيتان – الذي تنكر له علناً عبر راديو فيشي – ثم طلب الهدنة .

وفي كل حال بادرت الوحدات الفرنسية الى المطالبة بايقاف اطلاق النار من نفسها دون ان تعود الى دارلان . يضاف الى ذلك ان افريقيا الغربية الفرنسية ، بما فيها داكار ، قد دخلت الى سلطة الحلفاء . واختار الحاكم العام « بواسون » دارلان ، مفضلاً اياه على ديغول ، اعتقاداً منه ان دارلان احسن تفهماً للوضع وايسر معاملة من الجنرال الثائر .

وانتهت الاشتباكات بعد ثلاثة ايام من نزول القوات الحليفة . وانتهز الجيش البريطاني الأول فرصة حدوث انقلاب ديغولي في الجزائر فتابع طريقه الى تونس بقيادة الجنرال كنيث اندرسن على امتداد الشاطىء . كما انزلت قوات من الفدائيين والمظليين عند شاطىء بون قرب تبيسا وسوق العربة واحتلوا مواقع متقدمة من الجزائر الشرقية . وفي ٢٥ تشرين الثاني وبينما كانت دوريات انكليزية تجتاز المفرق الاستراتيجي لمجاز الباب على بعد ٤٥ كلم من جنوب شرقي تونس اصبح احتلال تونس أشبه بلعب الأطفال .

وهنا ايضاً ، بدا تعاون دارلان غير ذي فعالية . لقد ظن الحلفاء ان في وسعه اصدار الاوامر الى الزعماء الفيشيين ، الاميرال جوان ايستيفا المقيم العام ، والأميرال ادمون داريان ، قائد قاعدة بيزرت بالانضمام الى الحلفاء ، ولكن دارلان لم يفعل شيئاً . وعندما قرر ان يفعل ذلك تحت التهديد ، كان الألمان قد نقلوا قوات الى تونس ومنعت فيشي ممثليها هناك من مقاومتهم .

والواقع ان الالمان قد ردوا على عملية « تورتش » بسرعـة البرق الخاطف . فاستولوا على المنطقة غير المحتلة . ومرة أخرى خيب دارلان ظن الحلفـاء . وكان في ود هؤلاء أن يصدر هذا الاخير أوامره الى اسطول طولون البحري بالانضمام اليهم ولكنه رفض ذلك ايضاً . وعندما حاول الالمان الاستيلاء على وحدات هذا الاسطول في ٢٧ تشرين الثاني اغرقت هذه الوحدات نفسها . فأرسلت بهذه الطريقة الى الاعماق ٧٣ وحدة في مرفأ طولون من بينها دارعة واحدة ومدمرتا قتال وسبع مدمرات خفيفة وتسعة وعشرون طراداً . ثم لم يلتحق اي من الاسطولين الفرنسيين الراسيين في داكار والاسكندرية بالحلفاء الا بعد تردد ، بينما بقيت الوحدات الراسية في بيزرت موالية لفيشي .

في هذه الغمرة من الفوضى الفكرية ، وبينما كان الفيشيون يفكرون ويستعدون لمقاومة القوات الحليفة بادر الالمان الى الاستيلاء على الجزء غير المحتل من فرنسا وتونس دون طلق ناري واحد . وتم استيلاؤهم على المطارين الوحيدين الصالحين للعمليات في كل وقت . وهما مطار تونس وبيزرت ، وتمت لهم السيادة في الجو التونسي . وهو امتياز كبير استفادت منه القوات الالمانية بينما كان فصل الامطار قد بدأ لتتحول الطرق والمطارات التي اصبحت في حوزة الحلفاء الى انهار وبحار من الوحل . واغارت اللفتواف على مواقع الجيش البريطاني الأول الذي ارغم على التوقف عند جديدة على بعد ٢٠ كلم من مدينة تونس .
ثم تراجع الجيش الأول حتى مجاز الباب وثبت هناك رغم الهجمات الالمانية المعاكسة .

وهوجم الاتفاق المنعقـد مع دارلان هجوماً عنيفاً في كل البلدان الحليفة . واضطر الرئيس روزفلت الى اتخاذ موقف علني في ١٧ تشرين الثاني مؤكداً ان هذا الاتفـاق هو اجراء وقتي بسبب ظروف الحرب الاستثنائية . ومع ذلك فان النقد الموجه اليه لم تخف شدته كما لم تدفع

دارلان الى التعاون بصورة اكثر جدية . وحدث العكس فقد استطاع دارلان الحفاظ على القادة الفيشيين وان يقيد الديغوليين والديمقراطيين ، وان يتابع تنفيذ القوانين غير الديمقراطية التي كانت تمليها فيشي عليه .

في تلك الفترة اقدم شاب فرنسي مجهول في العشرين من عمره ، فرنان بونيه من شابل على الدخول الى مكتب دارلان والقضاء عليه بطلقين ناريين من مسدسه . وحوكم الشاب بعد ٢٤ ساعة من قبل محكمة عسكرية فيشية وأدين وحكم بالاعدام ونفذ فيه الحكم بصورة مباشرة .

اما الاميركيون فلم يحركوا ساكناً . ولم يحاولوا انتهاز هذه الفرصة للخروج من طريقهم غير النافذة التي وضعوا انفسهم فيها وللتخلص من انصار بيتان القدماء . وعين جيرو مكان دارلان . اما الانكليز الذين كانوا يساندون ديغول فقد وقفوا ، في شيء من التردد ، الى جانب حليفهم القوي رغم تخبطه في ارتكاب الاخطاء .

مؤتمر الدار البيضاء

وفي كانون الثاني ١٩٤٣ تم لقاء روزفلت وتشرشل في الدار البيضاء لتنظيم خطة العمليات الحربية ضد المحور . وكانت الدعوة قد وجهت الى ستالين ، ولكنه رفضها بسبب انشغاله بهجوم جيشه المعاكس في فصل الشتاء ، وكان هـذا الرفض آية اخرى على ضعف التعاون بين الروس والانكلوساكسون . وهناك ، في الدار البيضاء ، ناقش الغربيون خطط النزول في البر الفرنسي وعين موعده في عـام ١٩٤٤ ، وتم الاتفاق على ان يكون البر الايطالي هو الهدف التالي ، كما اتفق الغربيون على التشدد في مقاومة الغواصات الالمانية وعلى مضاعفة الغارات الجوية



في مؤتمر الدار البيضاء : تشرشل – ديغول – روزفلت – جيرو

على المانيـــا . ومن ناحية اخرى حاولوا توفيق بين جيرو وديغول . ورفض جيرو التخلص من اعوانه القدماء كما رفض الغاء التشريعات الفيشية .

أما أهم النتائج التي نجمت عن هذا المؤتمر فهو الاعلان عن فرض « الاستسلام دون قيد او شرط » على قوات المحور . وعندما هوجم هذا الاعلان هجوماً شديداً بدعوى انه سيدفع المحور الى الاستماتة في القتال عاد روزفلت يعتذر عنه بلباقة خـــلال مؤتمر صحفي مؤكداً ان صدوره قد جرى بطريقة عرضية . على ان الزعيمين الانكليزي والاميركي قد حاولا في مناسبات عديدة عام ١٩٤٣ ان يبررا ما اتفقا عليه وان يبرهنا على ان هذا الاعلان لن يكون بمثـــابة الكارثة بالنسبة لألمانيا . وكان مما قاله تشرشل في معرض الحديث عن الاستسلام غير المشروط

في ٣٠ حزيران ١٩٤٣ :

« نحن ، الامم المتحدة ، نطالب باستسلام النازين والفاشين واليابانيين دون شرط . ونقصد بذلك تحطيم كل امكانياتهم في المقاومة وان يضعوا انفسهم تحت تصرف عدالتنا وتحت رحمتنا ... وهذا لا يعني كما لن يعني ابداً اننا سنلطخ اسلحتنا المظفرة بتصرف غـــير انساني او بشهوة الى الانتقام ، او اننا لا نهدف الى بناء عالم تكون فيه كل البلدان قادرة على الطموح الى ما يسميه الاعلان الاميركي للاستقلال : « الحياة والحرية والسعي الى السعادة » .

واضاف الرئيس روزفلت موضحاً في ٢٤ كانون الأول عام ١٩٤٣ قائلاً .

« لا تنوي الامم المتحدة استعباد الشعب الألماني . نحن نتمنى له نصيباً سوياً في انماء نفسه في السلام ، باعتباره عضواً نافعاً ومحترماً من العائلة الأوروبية . ولكننا نريد التشديد على كلمة « محترمة » لاننا نريد ان نحرره مرة والى الأبد من النازية والروح العسكرية البروسية ومن فكرة ان الالمان يؤلفون « عنصر السادة » .

وبالرغم من كل ذلك ومهما تكن تصريحات الحلفاء التي أ مرت على المطالبة بالاستسلام دون قيد او شرط ، اكانت هذه المطالبة مقصودة أو غير مقصودة ، ومهما تكن الخطب والاحداث التي ادخلت عليها التعديلات المعروفة ؛ فان هذه التصريحات بالذات كان لها وزنها الكبير في الميزان حتى نهاية الحرب في كل المفاوضات العسكرية والسياسية مع قوات المحور .

الانتصار في الصحراء

وفي نهاية كانون الثاني ١٩٤٣ كان جيش رومل « افريقا كوربس » قد اختار خط ماريت موقعاً له . وهو سلسلة الحصون التي كان الفرنسيون

قد بنوها على بعد ثلاثين كيلومتراً من الحدود التونسية لحماية انفسهم ضد الإيطاليين . وفي هذه الحالة كان رومل قد أضاف جيشاً عدته (٨٥) ألف رجل الى رجال جورجن فون أرنيم وكان هتلر قد رفع عددهم الى مئة الف خلال عمليات الانزال في افريقيا الشمالية « تورتش » . وفي كل حال كانت كل هذه القوى البشرية تقيم داخل رأس جسر وكانت تتوجه نحو الجنوب لتقاوم الاخطار الناجمة عنه أي لتقاوم الجيش الفرنسي التاسع عشر والجيش الاميركي الثاني . اما الجهتان الأخريان لرأس الجسر فقد كانت من ورائها مياه البحر .



ايزنهاور يصافح مونتغمري في تونس

ومنذ وصل رومل الى ميدان المعركة اتخذ المبادرة . وفي نهاية كانون الثاني كان يهاجم الفرنسيين عند ممر فايد ، وفي ١٤ شباط اطلق دباباته « النمر » ضد الاميريكيين الذين تكبدوا خسائر هـامة لحداثة عهدهم

في حروب الصحراء . ثم اخترق رومل خطوط الحلفاء عند ممر قاصرين . وبعد ان تراجع هؤلاء الأخيرون (٩٠) كلم عادوا فتصلبوا واستعادوا تنظيمهم ثم انقضوا علي الالمان واعادوهم الى حيث كانوا من قبل . وفي ٦ آذار انقض رومل على الجيش الثامن ودفع فرقه المدرعة ضد مدينين وهي ميناء رئيسي لتموين قوات مونتغمري . لكن المدافـع الانكليزية المضادة للدبابات قد اوقفته وحطمت اكثر من خمسين مدرعة دون ان تتكبد اية خسارة .

وكان الحلفاء قد وجدوا من الوقت مـا دعموا به انفسهم بالذخيرة والمؤن المختلفة كما نظموا به مواصلاتهم . وكانت جيوش افريقيا تحت قيادة وحيدة هي قيادة الجنرال ايزنهاور يساعده ثلاثة من القادة البريطانيين : الكساندر للجيوش البرية ، كننغهام للقوات البحرية ، وتدر للجو . وقد تعاون الطيران الحليف مع الغواصات والسفن الحربية الخفيفة على تحطيم خطوط المواصلات العدوة . وفي ٢٠ آذار عاد مونتغمري الى الهجوم : بدأ أولاً بحملة أمامية مترددة خجول ضد خط ماريت ثم تحولت الحملة الى مناورة لاجتياح الخط والجناح الايمن لجيش رومل . وبعد اسبوع واحد جرت فيه اشتباكات متوحشة اضطر رومل للتراجع تجنباً للوقوع في اي كمين . وبعد ذلك بقليل استدعي الى المانيا .

وفي ٧ نيسان حققت القوات الحليفة اتصالها بعضها بالبعض الآخر . ثم قامت بهجوم مشترك على جيب العدو . ولم تلبث وهي التي كانت تملك عدداً هائلاً من الدبابات والطائرات والمدافع ان اقتحمت أبواب الكمين الذي كانت قد حوصرت فيه قوات المحور . وفي ٥ أيار انتزع الجيش الفرنسي التـاسع عشر جسر « باه » وبعد ذلك بيومين دخل الجيش الثامن الى تونس . وفي ٩ منه نجح الاميركيون في اقتحام الطريق الى « بيزرت » .

وتعاقبت الاحداث بسرعة هائلة ولكن مع كثير من الدماء بحيث ان



الجيش الثامن في تونس

كــلا الفريقين المتقاتلين قد اصيبا بدوار شديد وهذا ما كان قد سجله « أ. مورهيد » وهو يدخل إلى تونس قال :

ظهرت الحياة والحركة فجأة في جادة باردو . جماعة من الفرنسيين كانت قد اجتاحت هذا الشريان وهي تهذي من الفرح . بعضهم ركض نحونا وأخذ يقفز على جوانب السيارات . احــدى الفتيات ضمت أحد السائقين في ذراعه . أحد الشيوخ أخرج علبة سجاير من جيبه ودفعها إلينا . مجهول آخر مد إلينا قنينة نبيذ . كل النساء كن قد أتين ومعهن

زهور قد قطفنها بسرعة بالغة من حدائقهن . باقــة كبيرة من الورد أصابتني في وجهي ثم تفرقت الزهور وتوزعت في السيارة . كل الناس كانوا يصرخون ويصفقون ، بعضهم كان يلقي بنفسه عــلى السيارات وهو يخاطر بحياته فلا يبالي ان تسحقه السيارة ولكن هذا لم يحدث بحمد الله . المكان كان مليئاً بالالمان الذين ينظرون إلينا بعيون دائرية . كانوا يحملون بندقيتهم . وتجاوزتنا سيارة تسير بالسلاسل وهي محملة بالالمان . وظن الشعب ان هؤلاء الالمان الذين كانوا في هذه السيارة البريطانية هم جماعة من الانكليز فأمطروهم بالزهور . وأمسك بها الالمان ثم حاول كل منهم محتفظاً بصلابته وضع الباقة التي التقطها في ثقوب السلسلة .

وفجأة فتح باب كبير في بناء أحمر قائم إلى يمين الطريق . ولم أفهم في البداية ما كان يجري هناك .الرجال كانوا يخرجون بالمئات من الباب، لقد كانوا جنوداً بريطانيين بخوذاتهم المفلطحة وبثوبهم العسكري « باتل درس » . وأدركت حين ذاك انهم جماعة من الاسرى الذين حررناهم من معتقلات الالمان . وتجمعوا في البداية ولفترة قصيرة فوق الرصيف والمطر ينهمر فوقهم ويكادون يلتهموننا بعيونهم . ثم اخذوا يهتفون لنا . كان بعضهم لا يملك الجرأة على الكلام ولذلك فقد كان يكتفي بالنظر . أحد هؤلاء الرجال كان يبكي بهدوء وقد ظهرت لحيته وقد أكلت وجهه كله حتى عينيه . وتدحرج آخرون فوق الارض لشدة صراخهم .

وفجأة بدت لنا هذه المجموعة من الرجال وكأن سيلاً من السعادة والفرح المتوحش قد هزهم هزاً عنيفاً . لقد صرخوا وصرخوا حتى لم تعد لهم قوة على متابعة الصراخ ...

وفي تلك الاثناء كانت دورية من السيارات المدرعة قد اجتازت مفرق شارع إلى اليمين ، انه شارع لندن .. ثم نزلت الدورية في وسط المدينة. وقد اخذت هذه الدورية على حين غرة. مئات من الالمان كانوا يتنزهون في الشوارع وكانت ترافق بعضهم صديقاتهم الصغيرات. ومئات آخرون

يتناولون في مقهى كبير بعض الاشربة . لم يحذرهم أحد من اقتراب الانكليز . لقد جرى الهجوم بسرعة هائلة حتى انه لم يبدُ شيء في المدينة يدفع إلى التفكير بأن خطوط المحور قد اخترقت وها ان ثلاث سيارات تصبح بينهم وكأنها سقطت فجأة من السماء . وقفز الالمان من مقاعدهم وحملقوا بعيونٍ زائغة إلى جماعة « التوميز » الانكليز الذين زاغت ابصارهم أيضاً عندما وجدوا أنفسهم في وسط هذا الحشد الهائل من الجنود الالمان وهم قلة مع سياراتهم الثلاث المدرعة . وفي صالون أحد الحلاقين نهض المان آخرون بجهد كبير من مقاعدهم وكانت ما تزال مناشف الحلاق البيضاء حول أعناقهم وزبد الصابون على وجوههم وراحوا يلصقون على زجاج الواجهة وجوههم الخائفة . وعادت السيارات الثلاث للحصول على نجدات . وهكذا سقطت مدينة تونس في تلك الليلة وبمثل تلك الطريقة البلهاء .

وقامت السيارات المدرعة الحليفة بمناورة باهزة استطاعت بها ان تحول دون أية مقاومة في رأس بون ، بينما كان الحصار الجوي يحول دون هروب الالمان من البحر . وفي ١٢ أيار استسلم كل من الجنرال فون أرنيم والمارشال الايطالي مسامع جيوشهم كلها . وانتهت الحرب الافريقية. وكانت حصيلة هذه الحرب بعد كل المعارك التي تحدثنا عنها بسرعة واختصار مليون رجل من رجال المحور بين قتيل وجريح وأسير وثمانية آلاف طائرة وستة آلاف ومئتي مدفع وألفين وخمسمئة دبابة وسبعين الف شاحنة وما يقرب من مليونين وخمس مئة الف طن من المراكب التجارية . وكان الثمن الذي دفعه المحور ثمناً لمعركة تونس فقط اكثر من (٣٠٠) الف رجل بينما يؤكد الحلفاء من جانبهم بأنهم لم يخسروا أكثر من (٥٠) الف رجل .

الهجوم السوفياتي المعاكس

علمنا في فصول سابقة ان الجيش الاحمر قد انتزع من الالمان آخر أمل لهم في التغلب على الاتحاد السوفياتي . ان الاهداف الرئيسية التي كان هتلر يحاول الوصول اليها عام ١٩٤٨ هي القوقاز وستالينغراد ولينينغراد . ولكن هذه المناطق والمدن بقيت في ايدي الروس بينما ابيدت



تشرشل يجتمع بستالين في موسكو عام ١٩٤٢

عشرون فرقة من احسن فرق الجيش الالماني دون أمل في التعويض عنها وهي التي كان يقودها « فون بولوس » تحت اسم الجيش السادس .

وفي أثناء العام الأول للحرب في الشرق كان الجيش الاحمر قد كبد الالمان خسائر رهيبة لم يسبق لهم ان تكبدوا مثلها من قبل : (١٢٥٠٠٠٠)



مصفحات روسية والوف من الاسرى الالمان

بين قتيل وجريح وأسير . أما السوفيات فقد كانوا يفتخرون بأنهم قد خسروا في الوقت نفسه (٤٥٠٠٠٠٠) مقاتل على أنهم كانوا قادرين على ملء الفراغ الذي أحدثته هذه الحرب في الرجال . وبينما كان الروس يدعمون جيوشهم مستعينين بمصانعهم الخاصة التي نقلوها إلى سفوح جبال الاورال وبالمساعدات التي كان يقدمها الاميركيون والانكليز اليهم كان الألمان في الوقت نفسه يتعرضون للغارات الجوية العنيفة ويضعفون شيئاً فشيئاً . كان الوضع كذلك بالنسبة للقوات البشرية والأيدي العاملة حتى ان الالمان قد أرغموا على مصادرة العمال وتسخيرهم للعمل في مصانعهم تعويضاً عن الفراغ الذي كانت تسببه خطط التعبئة . وبلغ الأمر انهم جندوا الشيوخ والمراهقين . ومع ذلك فإن كل هذه المحاولات لم تحل مشاكلهم الاساسية .



تشرشل يخرج سيكاراً
وستالين يبتسم

إن الجيش الاحمر لم ينتظر استسلام الجيش الالماني السادس في شباط ١٩٤٣ للانقضاض على القوات الالمانية المرهقة وضربها دون رحمة . لقد استولى الجيش الاحمر على كورسك وبيلغورود بعد معارك عنيفة. وفي

منتصف شباط طرد القوات النازية من خاركوف . وعندما جاء أول آذار أرغم القائد الالماني مانستين على إخلاء رزيف وفيازما في الجبهة الوسطى. وبعد تقدم استمر ثلاثة أشهر ومسافة طولها (٦٥٠) كلم اجتازها الجيش الاحمر في تلك الفترة من الزمن أصبحت خطوط التموين الروسية طويلة جداً بحيث ان القائد الالماني مانستين قد استطاع بالقوات الالمانية الجديدة التي ضمت اليه ان يوقف الزحف الروسي أولاً ، ثم يعيد القوات الروسية إلى الوراء . وفي ١٤ آذار استعاد الالمان مدينة خاركوف .

وجاء الربيع وهدأت المعارك العسكرية حتى اليوم الخامس من شهر تموز حين بدأ هتلر بحملته الصيفية . ولم تكن هذه الحملة بالطبع على



فرقة من سلاح الهندسة الروسي يفجر الالغام
ويمهد الطريق

مستوى الحملتين السابقتين . لقد كانت القوات التي استعملها في هذه الحملة الهجومية في حدود ثلاثين فرقة عدد جنودها نصف مليون رجل.

وقد بدأ الهجوم بالانقضاض على نتوء روسي عمقه تسعون كيلو متراً يمتد داخل الخطوط الالمانية غربي كورسك . وقد تم الهجوم من الشمال والجنوب . قام به كل من كلوج ومانستين على أمل إبادة المليون روسي المعسكرين في ذلك الجيب .

ولكن الجيش الاحمر كان على أهبة تامة وقد حطمت مدفعيته نصف الدبابات الالمانية تقريباً في معركة اطلق عليها الجنرال ايفان كونيف إسم « اغنية الاوز للفرق الالمانية المدرعة » . أما الالمان فقد ارغموا على الوقوف بعد ان استولوا على مساحات قليلة من الارض . والواقع ان



احدى سيارات سلاح الطيران الالماني وقد اصابتها قنبلة احدى الطائرات الروسية

هذه الحملة كانت كارثة بالنسبة للالمان . لقد ذاب سلاحهم واحتياطي الرجال منهم كما يذوب الثلج في عين الشمس . لقد بلغت خسائر الالمان (٧٠٠٠٠) الف رجل و (١٠٠٠) طائرة . يضاف إلى ذلك ان الحالة المعنوية في الجيش الالماني كانت في وضع سيء جداً . ولم تنته هذه الحملة حتى شعر الالمان ان الروس يستعدون للقيام بهجوم معاكس.

وانتقل الروس بالفعل الى الهجوم على امتداد جبهة الجنوب وجبهة الوسط . إن مجموعات من الجيوش السوفياتية يقودها جنرالات من ابناء الجيل الجديد : سوكولوفسكي ؛ بوبوف ، فاتوتان ، روكوسوفسكي ، كونيف ، مالينوفسكي ، وطولبوخين قد اندفعت نحو الغرب واخرجت الالمان من مواقعهم الهامة التي كانوا يحتفظون بها منذ عام ونصف . وفي كل من شهري آب وايلول استطاع الروس ان يستولوا على اوريل ، بللغورود ، تاغانروغ ، ستالينو ، ماريوبول ، بريانسك وبولتافا ، طبعاً في ١٩٤٣ . وتراجع الالمان الى خط جديد من التحصينات المبنية في المنحنى الكبير لنهر الدينيبر بين غومل وبحر آزوف . وكانوا لا يتراجعون



جندي روسي يقود اسيراً المانياً

الا بعد ان يتركوا الخرائب وراءهم . وفي نهاية أيلول كان الروس قد استعادوا المركز الحديدي الاستراتيجي في سمولنسك ، وهو مفتاح الجهاز الالماني في الجبهة الوسطى . كما أنهم وصلوا الى الدينيبر على امتداد جبهة

عرضها (١٢٠) كلم بين كرمنشغ ودنيبروبتروفسك . والى الجنوب أكثر فأكثر أرغم الجيش الاحمر قوة ألمانية مؤلفة من (١٤) فرقة يقودها فون كليست ، على إخلاء رأس الجسر في كوبان ثم ألقى بها الى ما وراء مضيق كيرتش في بلاد القرم .

وفي شهر تشرين الاول ١٩٤٣ اخترقت القوات الروسية خط الدفاع الالماني في دينبر في ثلاثة مواضع .

اما التقدم في الشمال فقد انتهى بسقوط كييف في ايدي الروس في



فرق « الانصار » الروسية في المعركة

٦ تشرين الثاني ثم غومل وجيتومير في ١٢ من الشهر نفسه . وفي الجبهة الوسطى استولى السوفيات على مدينة دينبر وبتروفسك في ٥ تشرين الاول .

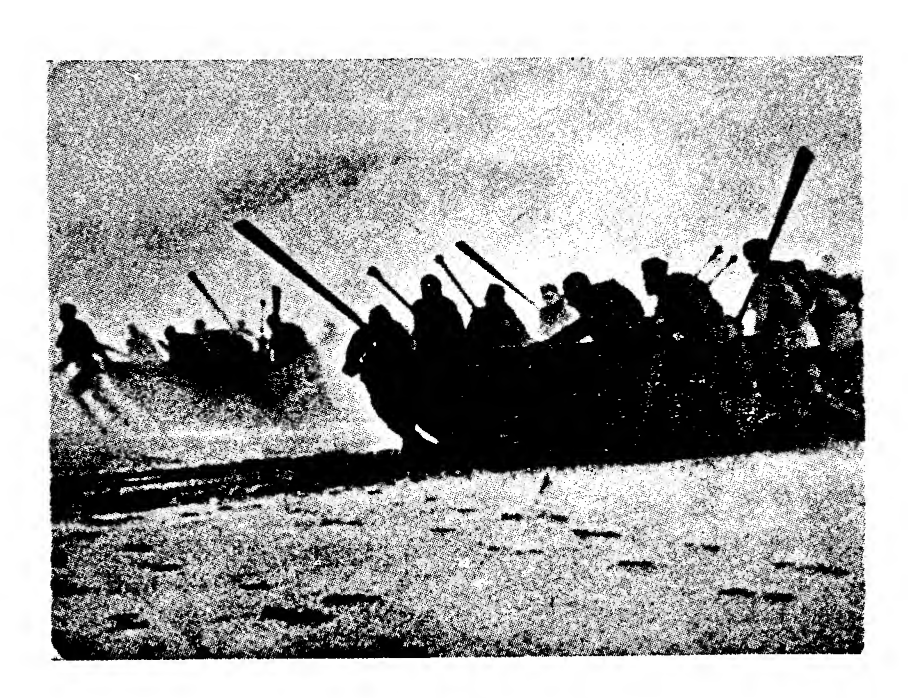
ثم تابعوا طريقهم الى كريفوي روغ . واما في الجنوب فقد استعادوا مليتوبول واستولوا على برزخ بيريكوب في أول تشرين الثاني بعد معارك ضارية ، وبذلك يكونون قد احكموا الحصار حول الجيش السابع عشر في بلاد القرم . وقد تحدث القائد الالماني للجنرال مليتتن عما سماه الاسطوانة الروسية الضاغطة :

وكانت غارة المدفعية بالغة القوة والعنف . ولم يكن في وسعنا القيام بأية حركة : (٢٩٠) قطعة من كل العيارات كانت تمطر جبهة طولها كيلومتر واحد . وخلال الساعتين اللتين انطلقت فيهما نيران هذه المدفعية استهلك الروس احتياطيهم من الذخيرة ليوم ونصف يوم . والواقع ان



الجنود الروس يغنون ويرقصون احتفالا بالنصر

القنابل قد امتدت وانتشرت حتى مواقع قيادات فرق القتال . ان الفرقتين اللتين كانتا تعملان في جبهة الجيش الامامية قد استقبلتا من القنابل والمتفجرات ما عجزتا معه عن تعيين المكان الاقوى تسلحاً من جبهة العدو . بعض المدافع الروسية كانت تطلق نيرانها دون تعيين نقطة خاصة . وبعد ساعتين اثنتين اصبحت شبكة خنادقنا اشبه بحقل محروث ، وعلى ذلك فان كثيراً من اسلحتنا الثقيلة قد اصبحت خارج المعركة . وفجأة انتقل المشاة الروس إلى العمل . لقد تعرضت جبهتنا بعد ان ضربتها المدفعية



الجيش الاحمر يخترق نهر الدنيبر

لسلسلة من الموجات الهجومية . كان المشاة يسيرون في صفوف متراصة تساندهم الدبابات . بينما كانت سحب من الطـائرات الروسيـة تطير عـلى ارتفاع منخفض جداً لتسكت حصوننا التي كانت ما تزال تطلق نيرانهـا على المهاجمين . والواقـع ان هجوم المشاة الروس شيء مخيف رهيب ؛ ان موجات طويلة رماديـة مـن الرجـال تتـدفق بينما تتردد في الفضـاء صرخات وحشية لا يحتملها من المدافعين غير اصحاب الاعصاب الفولاذية...

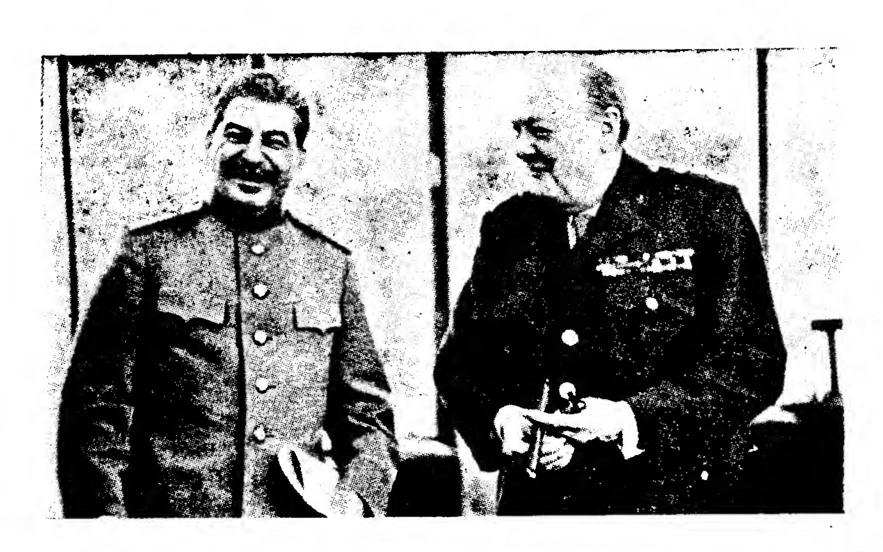
وفي مساء ذلك اليوم حدثني الجنرال ديترش فرن شولتتز عـن الطـريقة التي تطورت بها الاحداث وأشركني في أفكاره بالنسبة لهـذا الضغط المستمر الذي يقوم به العدو على جبهتنا . ثم جاءه إلهام غريب .لقد رأى الجيوش السوفياتية تجتاحنا تماماً كما تكون موجات المحيط العملاقة. إن كل السدود

التي بنيت لاستيعاب هذا المد الرهيب قد انهارت . وانطلق الروس عبر هذه السدود المنهارة للانقصاص على الالمان . كان يريد ان يلاقي هتلر بنفسه وان يعرض عليه الوقائع ...

حاولت جهدي ان اعيد الهدوء الى الجنرال مستعيناً بأرقام قادرة بموضوعيتها الباردة على إثبات ان الفيض البشري الروسي يجب ان يجف



الروس يستقبلون استسلام الالمان بكل سرور



تشرشل وستالين يبتسمان ، لقد سرهما قرب انهيار المانيا

بصورة حتمية . وأشرت في نوع من التشدد الى الخسائر الهائلة التي تكبدها الروس حينما اصطدموا بجيشه وهو الجيش الذي كان يقاتل بشجاعة نادرة . قلت له إن الهجمات الروسية نفسها ستنتهي يوماً الى التفتت والضياع. ولكن حججي وبراهيني لم تتوصل إلى إقناعه وأصر على رأيه . إنه لم يكن يعتقد بأن في وسع جبهتنا الصمود يوماً آخر . كان يريد ان يجنب قواته هذا الامتحان الرهيب ، لا سيما وأنها كانت تضعف يوماً بعد يوم دون ان يكون لها أي امل في الحصول على النجدات . وفي اليوم التالي غادر القيادة العامة متوجهاً إلى هتلر ليرفع إليه وجهة نظره .

والواقع ان البرد والثلج لم يهادنا الالمان ابداً. وفي الشمال حدث هجوم روسي تحررت على أثره لينينغراد وتراجع النازيون حتى بحيرة بينوس عند الحدود الاستونية . وفي شباط استطاع الجيش الاحمر ان يبيد الجيش الالماني الثامن في « تشركاسي » ثم اتخذ لنفسه مواقع عديدة في الدينيبر

عند نيكوبوك وكريفوي روغ . وفي آذار أطلق كل من المـــارشال جوكوف وفاسيلفسكي قائدي جيوش الجنوب هجوماً ربيعياً انتهى في أواخر الشهر الى دفع الالمان وطردهم حتّى بولونيا وبعد قليل الى رومانيا . وفي ١٠ نيسان وجد الالمان انفسهم مرغمين عـلى إخلاء أوديسا عنـــد البحر الاسود . وكان الروس قد قـاموا بهجومهم في بـلاد القرم قبـل ذلك بيومين ولم يمر شهر على هذا الهجوم حتّى تمت تصفية الحاميات النازية .

كانت الارض السوفياتية لعام ١٩٤٣ قد حررت تقريباً في تلك الفترة من الحرب . ولكن الالمان كانوا ما يزالون يسيطرون على روسيا البيضاء على امتداد نهر الدينيبر الاعلى . وكانوا يعتقدون في كل حال ان حملة باتجاه بلاد البلقان شيء يدعو الى الخوف لأسباب سياسيـة . والواقـع ان الروس قد هاجموا بعد ذلك في الشمال ، في كاريليـــا وفي الوقت نفسه تقريباً في روسيا البيضاء . وقد تم توقيت هذا الهجوم مع عمليـات نزول القوات الحليفة في نورمانديا .

عملية هاسكي

في العاشر من تموز سنة ١٩٤٣ وبعد شهرين من استسلام القوات الجرمانية الايطالية في افريقيا انزل الحلفاء قواتهم في جزيرة صقلية بقيادة هؤلاء الرجال انفسهم الذين صنعوا الانتصار في تونس : أيزنهاور ، ألكسندر ، تدر ، وكننغهام . ولكن المؤسف ان هؤلاء القادة كانوا يختلفون في خططهم التكتيكية لتنفيذ العمليات الحربية . اما الاميركيون فقد كانوا يريدون الاقتصاد في استعمال القوى وتعيين الاهداف والاحتفاظ بالقوات الرئيسية من أجل عمليات النزول في فرنسا، تلك العمليات التي تم الاتفاق على تنفيذها في ربيع ١٩٤٤ . أما البريطانيون الذين ما يزالون يذكرون التجارب الدامية في مناطق السوم ، بسشندال ، ودانكيرك فقد كانوا يميلون الى غزو أوروبا عبر « بطنها الرخوة » . وبعبارة اخرى كانوا يريدون غزو ايطاليا ثم التغلغل بعد ذلك اذا امكن في بلاد البلقان التي سيقترب منها الجيش الاحمر بين وقت وآخر . هذا الاختلاف في الرأي الذي بقي قائماً رغم كل الجهود المبذولة من كلا الطرفين سيكون سبباً لضحايا بشرية كثيرة .

وبادرت القوات الجوية والبحرية الى قصف الجزر الصغيرة بين افريقيا



القوات الانكليزية تتصدى للالمان في صقلية

الشمالية وصقلية : بانتيلاريا ، لامبيدوزا ولينوزا . ثم انزلت عشية بداية الهجوم البري البحري قوات من المظليين ومن المشاة فوق المطارات ووراء رقبات الجسور العدوة التي اخذت من الخلف . وقد كانت حداثة عهد بعض المهاجمين بهذا النوع من المعارك قد سببت نزول بعض الطائرات الشراعية فوق مياه البحر وغرق من كانت تحملهم من الجنود . ومهما يكن الأمر فقد اشاعت هذه المحاولة كثيراً من الفوضى وراء خطوط العدو وساعدت على إنجاح عمليات النزول .

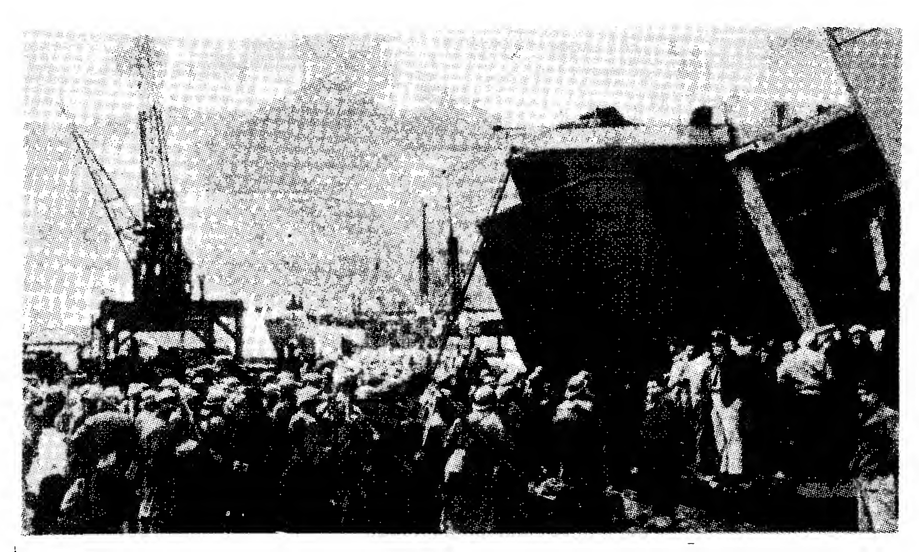
هذه العمليات اطلق عليها اسم « هاسكي » وقد كانت اول عمليات



مظلي حليف يستعد للهبوط فوق جزيرة صقلية

من نوعها تحدث فوق البر الاوروبي على نطاق واسع . وقد استخدمت لها اكثر من (٣٢٠٠) سفينة تحمل (١٦٠٠٠٠) جندي حتى جزيرة صقلية عبر القنال التي تحمل اسم الجزيرة .

اما الجيش الامركي السابع الذي يقوده الجنرال باتون فقد هبط الى البر بين ليكاتا وسكوغليتي ، أما النقطة الوسطى لعمل هذا الجيش فهي جيلا . وأما الجيش البريطاني الثامن الذي كان يسانده جيش كندي فقد نزل عند جانبين من نقطة تقع جنوبي الجزيرة بين بوزالوا وسيراكوزا .

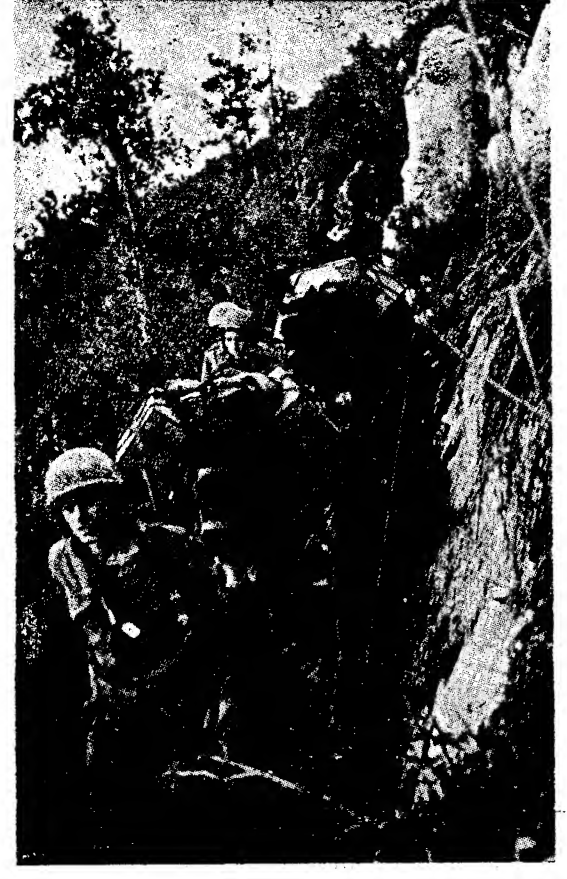


فرقة مشاة حليفة في طريقها الى ايطاليا

وكانت تواجه هذه القوات من جانب العـدو عشر فرق إيطالية وثلاث فرق ألمـانية ونصف جملتها (٤٠٠٠٠) رجـل يقودهم المارشال كيسرلنغ .

العمليات تمت بسرعة ودون أية صعوبة في قطاع جيلا فقط حيث رد الاميركيون هجوماً ألمانياً معاكساً عنيفـاً بمساعدة مدافع البحرية الانكليزية . والواقع ان اكثر الايطاليين كانوا ناقمين في الوقت نفسه على الحرب والفاشية . كانوا يقاتلون ببرود شديد ولإنقاذ المظاهر وحسب . بينما كان هناك ثلاث فرق مشهورة : فرقـة هيرمان غورنغ ، الفرقة المدرعة الخامسة عشرة والفرقة الآلية التاسعة والعشرون ، تساندها قوات من المظليين وقد بلغ مجموع الرجال فيهـا (٩٠٠٠٠) وانطلق باتون الى الشمال والغرب واحتل كل النصف الغربي للجزيره في ثلاثة أسابيع . وأما جيوش مونتغمري فقد واجهت مقاومة ضعيفة عند رقاب الجسور

واحتلت مرفأ سيراكوزا بالسرعة المطلوبة . ومن هنا بدأت متاعبهم حقاً .
كان الهدف الرئيسي للحلفاء هو ميناء مسينا . هذه الميناء تقوم على المضيق الذي ينتهي مباشرة الى ايطاليا وهي طريق التموين الوحيد او طريق أي تراجع محتمل . وهناك أربع طرق تقود الى هذه الميناء ، واحدة من بالبرم على امتداد الشاطىء الشمالي ، ثانية من سيراكوزا على امتداد الشاطىء الشرقي والطريقان الاخريان تلتقيان عند راندازو مروراً بترروانو وأدرانو . واتخذ الجيش البريطاني الثامن طريق سيراكوزا . وبما ان هذه الطريق كانت الخطر الاكبر على مسينا فقد وضع فيها الالمان اكثر قواتهم . يضاف الى ذلك ان طبيعة الارض كانت لمصلحة المدافعين . وقد توصل النازيون الى تجميد قوات مونتغمري خلال ثلاثة اسابيع بعد ان ثبتوا حول جوانب « إتنا » الذي كان يسيطر على سهل كاتان بقمته



الجنود الحلفاء ينقلون الذخيرة عبر الجبال

التي ترتفع (٣٧٠٠ م) . وجاءت الى مونتغمري نجدات من قوات الجبال التي سبق لها ان قاتلت في تونس . وهنا أطلق قوات من جناحه الايسر على السفوح الغربية لإتنا . واتخذت هذه القوات طريق أدرانو بينما كان جناحه الايمن ينطلق على امتداد الشاطىء الشرقي للجبل البركاني .

والواقع ان الالمان قد استطاعوا الصمود بقسوة وقوة رغم قلتهم العددية مدافعين عن كل شبرٍ من الارض ومصممين على انقاذ اكبر عدد من قواتهم في صقلية . وقد كانت مقاومتهم من الشدة والعناد بحيث ان باتون قد حاول عدة مرات ان ينقض على الالمان من الوراء بعمليات انزال صغيرة لغرض اجتياحهم ومكاثرتهم . وقد حدثنا جاك بلدن عن واحدة من تلك العمليات التي تمت في برولو في ٩ آب . كتب يقول :

زحفنا نحو سياراتنا البرمائية وتعلقنا بها كما يتعلق الاطفائيون بسلمهم . وانتظرنا ان تحملنا سفينتنا الى اقرب مكان ممكن من الشاطىء . كان الهواء خانقاً . وكان رجل يقيء . وقال صوت من الاصوات : « هذا المشهد يذكرني الفترة التي كنت اشرب فيها الفرنيش » ولكن احداً لم يضحك ابداً . كان من المستحيل ان نرى شيئاً خلال المشاهد الرمادية الكثيفة التي كانت تبدو لنـــا باستثناء لهب دقيق معلق في الظلام فوق رؤوسنا . في تلك الفترة سمعنا صوتاً مختنقاً لآلة تدور وانفتح باب السيارة البرمائية امامنا بهدوء . بقعة من النور الرمادي تجتاح السفينة . كنا على الجسور ننظر الى الثغرة التي تتسع امامنا .

العيون ترف . ونظرنا الى السماء فشاهدنا السفوح الوعوة لقمة برولو . ثم رأينا بعد ذلك هضبات ذات سفوح اكثر سهولة وليونة ومن وراء ذلك رأينا مياه البحر وكأنها مرآة مظلمة .

سيارتنا البرمائية تنزلق فوق الماء وتتوجه نحو الشاطىء دون اي جهد . أما صوت المحرك فلم يكن يحدث كثيراً من الضجيج . ومررنا بالقرب من طراد ، كانت مدافعه صامتة ولكنها على اهبة العمل ونظرنا اليه

نظرة عرفان للجميل . ومن الشاطىء ظهر لهبان اصفران اضاءا مياه البحر وهما شبيهان بكوكبين هابطين من السماء . رجال الهندسة عندنا قد عينوا الهدف بدقة وانطلقنا نحوه واثقين مطمئنين . وهنا وفي مكان ما من البر انبثقت حزمة من الشرارات في الظلام ، انها كرات حمراء وبرتقالية . كان انفجاراً لا ندري من أحدثه ، نحن أم الاعداء ؟ هذا لا يهم ! لقد مضى أثر المفاجأة .

أما الغواصات فقد توقفت وبدأت محركاتها تدور بحرية .. اي دون ان تدور معها المراوح . وانقضت سياراتنا البرمائية نحو الشاطىء تاركة وراءها خطوطاً طويلة من الزبد ثم اصطدمت بالبر بشدة حتى انها خرجت من الماء . وكانت الساعة الثالثة و (١٥) دقيقة ...

كان الميجر فارغو يصرخ قائلاً : « اخرجوا من هناك ! اخرجوا من هناك ! » وكان الميجر قائد الفوج المساعد .

وقفزنا الى البر وتبعنا فارغو دون ان نرى شيئاً بينما كانت اقدامنا تحرث الرمال . وكنا نتعثر بالاسلاك الشائكة لكن مقصاتنا المعدنية كانت تحررنا منها فنتابع الطريق .

أما ما كان يفرض علينا آنذاك فهو ان ننحني الى نصفين شرط الا يغيب نظرنا عن الافق . وأن نجتاز الخط الحديدي وان نزحف نحو حديقة من الحدائق وان نتقدم في حفرة ضيقة للري وان نسعى الى الحفاظ على توازننا . هذا ما كان علينا ان نفعله ! وقاومت رغبة قوية في الضحك فلعلي آنذاك كنت قد بدأت أتذوق طعم المعركة .

وبلغنا أخيراً بستاناً من أشجار الليمون الحامض . فإذا أشباح تخرج من الظلال . وأصوات تردد قائلة : « أين سرية جيم ؟ أين سرية سين ؟ أين الطريق ؟ » .

« تقدموا ! » واستدرنا نحو اليمين . « قفوا !... » . واستدرنا فجأة الى اليسار حيث كنا نسمع همسات الظلال فوقعنا مرة أخرى على

كومة من الاسلاك الشائكة . وبينما كنا نتوقف انطلق طلق ناري فوق رؤوسنا . وترددت الطلقات حالاً في كل مكان . أهي نيراننا أم نيران العدو ؟ هذا لا يهم ! ان رصاصات هؤلاء تقتلنا نحن أيضاً . وانبطحنا فوق التراب . واقدم الرقيب دبلي على قطع الاسلاك الشائكة بعد ان انضم الينا فاجتزنا المكان زاحفين على بطوننا . ثم اختبأنا وراء جدار . وفارقتني الرغبة في الضحك .

كانت ضجة أحد المحركات تقترب عند أسفل الطريق . انها عجلة بخارية . وفي الوقت نفسه انفجر طلق بندقية من هذه الجهة . عجلات المطاط تشبثت في الارض ومحرك بدأ يدور بسرعة هائلة ثم مات .

بدأنا نسمع من هنا صوت كثير من المحركات. كنا ننتظر في صمت وراء الجدار متحصنين به . بنادق ورشاشات كانت تمزق برصاصاتها هدوء الليل . ورأينا على نور الطلقات النارية عجلة تخترقها هذه الرصاصات .

وارتفع صوت انفجار قوي زلزل الجدار الذي كنا نتكوم وراءه . أما الملازم الاول توماس رودجرز فقد اطلق النار من سلاحه المضاد للدبابات . لهب يرتفع في الظلمة واستطعنا ان نشاهد شاحنة تتساقط بينما كان وجه سائقها باهت اللون .

وابتلع الليل كل هذا اللهب بينما كانت تتردد اصداء ضجة ضخمة ، ضجة زجاج مكسور ومعها صرخة : انها صرخة رجل .

كان الليل مضطرباً جداً بسبب هذه الصرخات والرصاصات والظلال المتحركة . كان من المستحيل ان نعرف ماذا كان يجري هناك . احد الجنود ربت على كتف جندي آخر يسأله : « من اية وحدة انت يا ابي الصغير ؟ » واجابه صوت برطانة المانية وانطلقت رصاصة مسدس وصرخ احدهم كالحيوان ثم تردد صدى ضجة ثقيلة .

قلنا ان الالمان قد بذلوا جهود الجبابرة لانقاذ جنودهم ونقلهم الى البر الايطالي من جزيرة صقلية . والواقع ان الظلمة الشديدة وان ستاراً



احد المواقع الايطالية يسقط في ايدي الحلفاء

كثيفاً من المدافع المضادة للطائرات قد ساعدا الالمان على انقاذ (٦٠٠٠٠) من جنودهم الذين كانوا يعدون (٩٠٠٠٠) وتم عبور كل هؤلاء الجنود الى الشاطىء الايطالي عبر مضيق مسينا .

وفي ١٧ آب اي بعد معركة استمرت (٣٩) يوماً استطاعت قوات باتون ومونتغمري الدخول الى مسينا . وتم احتلال صقلية وخسر الحلفاء (٣١٠٠٠) رجـل بين قتيل وجريح ومفقود اما الالمان فقد خسروا (٣٧٠٠٠) بينما خسر الإيطاليون (١٣٠٠٠٠) .

هكذا بلغ الحلفاء اغراضهم في صقلية بعد حرب قصيرة ولكنها عنيفة : وتم استيلاء الحلفاء على المتوسط كممرٍ لخطوط التموين عبر قناة صقلية .

وقناة صقلية كما نعـلم هي المنطلق الذي تغزو منه القوات الحليفة البر الايطالي. وكان كل شيء آنذاك يدل على قرب استسلام ايطاليا وركوعها أمام الغزاة الغربيين .

إيطاليا تستسلم

بعد اسبوعين من نزول القوات الحليفة في صقلية وبينما كانت المعارك الحربيةعلى اشدها حدث انقلاب في إيطاليا اطاح بزعيمها بينتو موسوليني.

لقد اجتمع المجلس الفاشستي الأعـلى في الرابع والعشرين من تموز لأول مرة بعد عشرين سنة من آخر اجتماع عقده،ولأول مرة في تاريخ إيطاليا الفاشستية خسر موسوليني اكثرية الأصوات فحصل على (٧) مقابل (١٩) . وهنا بادر الملك إلى تكليف المارشال بادوليو لتأليف حكومة جديدة،وقد حاول بادوليو توقيف موسوليني ونجحت محاولته كما أرسل رسلاً إلى قيادة الحلفاء لدراسة شروط الهدنة . وقد استمرت المفاوضات بين شهر تموز واوائل أيلول وسجلت المفاوضات خطوة إلى الأمام . وقد حاول الايطاليون الحصول على شروط ملائمة للصلح خير من الاستسلام دون قيد أو شرط .

في هذه الاثناء حاول ايزنهاور الضغط على بادوليو فأرسل سرباً من الطائرات القـاذفة للإغارة للمرة الأولى على روما وقد كان ذلك أيضاً بسبب الخطة الموضوعة التي تقرر بها النزول في سالرن في ٩ أيلول . وفي ٣ أيلول تم التوقيع على هدنة سرية في مدينة سيراكوزا في جزيرة صقلية.

والواقع ان بطء الاتصالات والمفاوضات منح الالمـان فرصة انتزاع المبادرة . بحيث ان الالمان استطاعوا بعد إعلان الهدنة ان يستولوا عـلى كل النقاط الاستراتيجية في إيطاليا كما احتلوا روما ووادي «بو» الصناعي .

ولم يتردد الجيش الالماني في نزع اسلحة ثلاثين فرقة إيطالية كانت موجودة في شبه الجزيرة كما استحضر (٢٥) فرقة المانية مكان الفرق



فتاة ايطالية تبكي بحرقة : لقد فقدت امها

الايطالية الخمس والعشرين التي كانت تحرس بلاد البلقان . وبذلك كان الجيش الالماني يلقي على قواته غير الكافية بالطبع اعباءً إضافية .

وفي ١٢ ايلول وبعد مغامرة جريئة ، استطاع « أوتو سكورزيني » بواسطة طائرات شراعية ان يهبط إلى مكان اعتقال موسوليني فأخرجه من الفندق الذي وضع فيه تحت الحراسة « آبروز » وهنا ألح هتلر على شريكه ان يؤسس جمهورية فاشستية في الجزء الايطالي المحتل من قبل الالمان . وعلى ذلك فقد شعر الحلفاء ان احتلال ايطاليا بسرعة وهدوء أمر غير ممكن ولا محتمل فيما بعد . ومع ذلك فقد كانت لمعاهدة الهدنة الايطالية نتائج هامة . ليس فقط لأن القوات الايطالية المسلحة قد وضعت اسلحتها بل لأن الطيران والبحرية التجارية ثم بحرية الحرب قد انتقلت كلها إلى معسكر الحلفاء .

وفي ليل ٨ ايلول غادرت الاسراب الايطالية قواعدها في جنوة ، وسبيزيا وتارانت متوجهة إلى مالطة . وقد اغرقت القاذفات الالمانية طراداً ايطاليـــاً وانزلت اضراراً بطراد آخر ولكن القسم الاكبر من الاسطول البحري انضم الى الحلفاء وكانَ يضم هذا الاسطول (٥) دوارع و (٧) مدمرات و (٦) طرادات .

تبقى جزيرتا كورسيكا وسردينيا وقد تم احتلالهما بسرعة . ومن كورسيكا بدأ الفرنسيون يستعدون : لقد أنزلت بحريتهم قوات مسلحة في اجاكسيو حيث كانت المقاومة قد بدأت تعمل وتكافح . وقد طرد الالمان من الجزيرة بعد (١٥) يوماً جرت فيها معارك عنيفة .

أما في إيطاليا فإن الألمان لم يجدوا أي ضرر في الحفاظ على مواقعهم لا سيما وانهم قد انتزعوا كل ما كانوا في حاجة اليه لمتابعة قتالهم ضد الحلفاء .

ووقف الحلفاء إلى جانب الملك فيكتور عمانوئيل وحكومة بادوليو على أمل أن يكون على مستوى المسؤولية وان يتغلبا على الفاشستية والشيوعية

والفوضى . وكتب تشرشل إلى روزفلت يقول، « ليس هناك أي قاسم مشترك بين الملك والإيطاليين المنضمين إلى التاج والمسيطرين على الاوضاع من ناحية وبين الشيوعية التي ينتصر لها بعضهم من الناحية الاخرى » . ونستطيع ان نضيف إلى قول تشرشل مؤكدين أنه لم يكن أي قاسم مشترك بين الملك وبادوليو من ناحية وبين الاوساط المتحررة المقاومة للفاشستية من ناحية اخرى . وقد كانت هذه الاوساط متمثلة في شخص الكونت سفورزا وبنديتو كروتسي . وهذا الاخير هو الكاتب المجهول لهذا الاعلان الموجه إلى الحلفاء . وقد جاء فيه ما يلي :

بعد تسعة وثلاثين شهراً من الحرب والألم والتعب ، بعد عشرين عاماً من الطغيان والسلوك غير الانساني ، وبعد ان كنا الضحايا البريئة لأسوأ حكومة يمكن ان نتخيلها ، اليوم ٨ أيلول ١٩٤٣ ، نصرخ بكل قوتنا ، معلنين عن فرحتنا وحماستنا لقدومكم .

اننا لا نجد الكلمات التي نعبر بها عن سعادتنا ، ولكننا نركع لنشكر الله الذي اتاح لنا ان نرى هذا اليوم .

لقد شاركناكم في تحمل أهوال الحرب ؛ ونحن راغبون في مشاركتكم في الاساس بفرحة الانتصار الكبير .

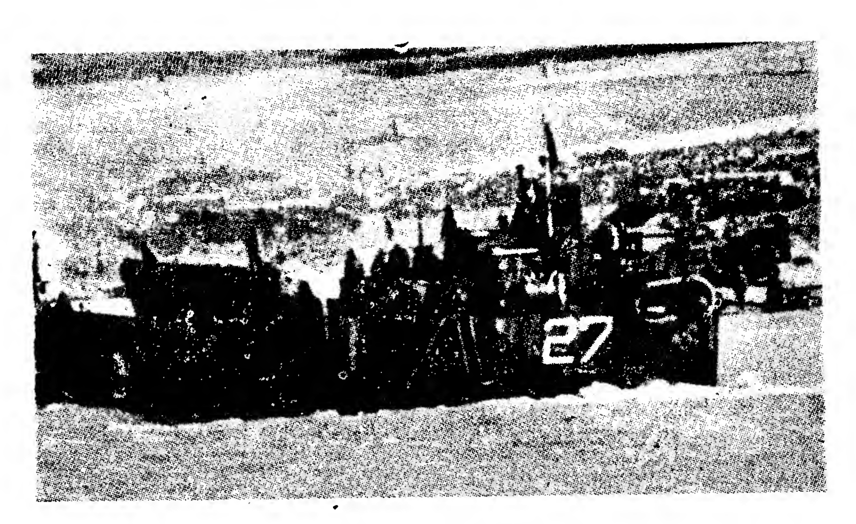
نريد ان نقاتل إلى جانبكم ، كلنا حتى آخر واحد منا ؛ ضد العدو رقم (١) . سنكون على المستوى الذي تنتظرونه منا ، سنكون الحلفاء انفسهم الذين كانوا منذ عشرين عاماً .

عاش الحلفاء !
عاشت إيطاليا الحرة !

لجنة المقاتلين القدماء المقاومين
للفاشستية وللحرب الكبرى

وإذا كان تشرشل لا يرى أمـــامه غير الخطر الشيوعي فان كثيرين غيره كانوا يتخوفون من أن يعود الحلفاء إلى ارتكاب اخطائهم في افريقيا الشمالية بمساندتهم لعناصر مؤيدة للفاشستية وللاوضاع التشريعية السابقة . وفي كل حال قبل الحلفاء ان يعود الايطاليون إلى المعركة ولمصلحتهم في هذه المرة . وفي ١٣ تشرين الأول ١٩٤٣ اعلنت حكومة بادوليو الحرب على المانيا حليفتها السابقة .

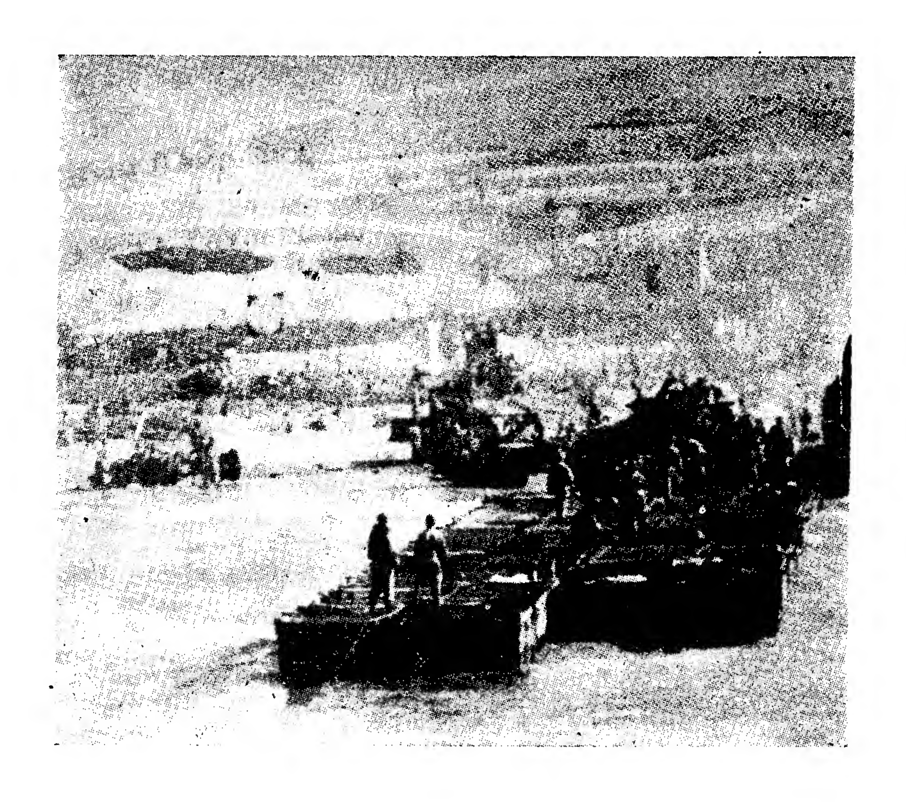
غزو ايطاليا



قوات الانزال على شواطيء ايطاليا

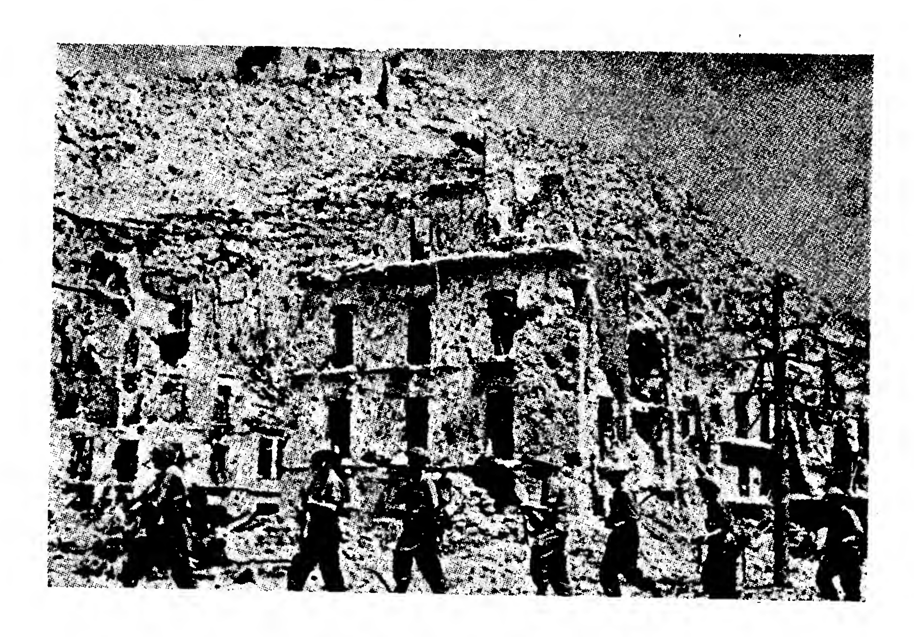
من الطبيعي ان يجري الحلفاء تعديلات كثيرة على مخططهم الاستراتيجي بعد ظهور ردود الفعل الالمانية في ايطاليا . كان هذا المخطط في شكله الاساسي يستهدف القيام بثلاث عمليات حربية . كان يريد انزال فرقة كاملة من المظليين فوق روما . وقد تركت هذه الفكرة بعد ان احتل

الالمان العاصمة . أما العمليتان الاخريان فان تنفيذهما ممكن: أولاهما عملية انزال الجنود قرب نابولي بحيث تنتهي بسقوط هذا المرفأ الهام ، وعملية اخرى في كالابريا عند أبعد نقطة من الحذاء الايطالي وهي مفصولة عن صقلية بمضيق مسينا . والواقع ان الحلفاء لم يحاولوا استرداد انفاسهم بعد غزوهم لجزيرة صقلية . ان الطيران الذي أعد الميدان خلال (١٦) يوماً اتاح لفرقتين من الجيش الثامن فرصة اجتياز المضيق في ٣ ايلول. وقد استطاعت هاتان الفرقتان بمعاونة مدافع البحرية ان تقيما سريعاً رأس جسر طوله (١٦ كلم) حول رغيو في كالابريا .



سفن الانزال على شاطىء ايطاليا

وفي ٩ ايلول غامرت البحرية الانكليزية بنقل الفرقة الأولى إلى مرفأ تارانت وهوقاعدة بحرية هامة تم الاستيلاء عليها دون قتال، وبقيت مؤسساتها سالمة لم تصب بسوء . وفي ١٢ ايلول استولى الجيش الثامن ايضاً على مرفأين هامين آخرين في بحر الادرياتيك هما باري وبرنديزي كما احتل (١٠) مطارات .



الطيران الحليف يدك معاقل الالمان

وفي هذا اليوم بالذات نزل الجيش الانكليزي الاميريكي الخامس بقيادة الجنرال الاميركي مارك كلارك في خليج ساليرن ، جنوب نابولي . ولكن الالمان كانوا ينتظرون هناك وقد اختاروا المرتفعات المسيطرة على الشواطىء واقاموا فيها بانتظار وصول العدو . وقد اوقفوا الحلفاء وجمّدوهم عند رقبة الجسر التي استولوا عليها . والواقع ان المارشال ألبرت كسلرنغ

قائد القوات الالمانية في إيطاليا الجنوبية قد اعد خمس فرق مدرعة ضد قوات كلارك . وابتداء من ١١ ايلول بدأت مدفعيته الثقيلة وقاذفاته



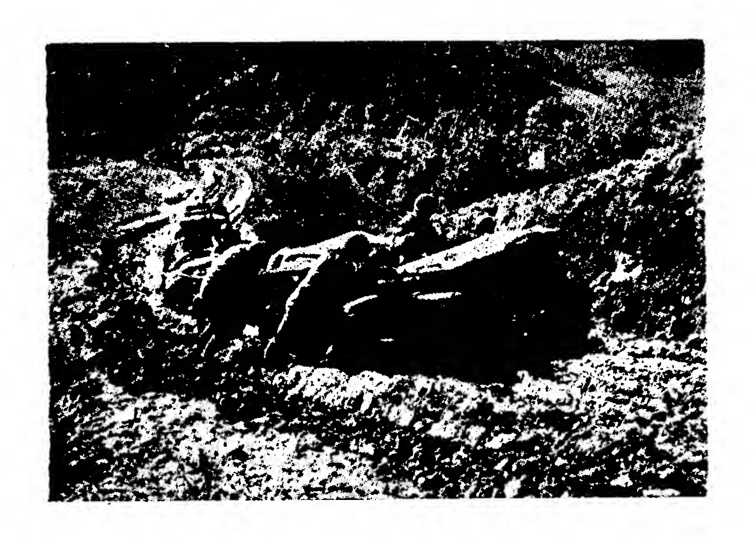
جنود يدفعون احدى سيارات الجيب بعد نزولها الى البر

المنقضة بقنابلها الجديدة الموجهة لاسلكياً تهاجم العدو .

ووصل الالمان الى مكان يبعد (٥ كلم) عن الشواطىء ولكن القوات الجوية والبحرية الحليفة عدلت الموقف . لقد اتى كننغهام بدوارعه ذات المدفعية الثقيلة وساند بها الجيش الخامس بينما كانت القوات الجوية تهاجم بعنف شديد وقد خرجت في يوم واحد ألفي مرة . وقد اصيبت الدارعة الانكليزية « وورسبايت » والطراادان الاميريكيان «فيلادلفيا» و « سافانا » بالاضرار عن طريق القنابل الموجهة باللاسلكي ولكن تم إنقاذ رقبة الجسر.

في تلك الاثناء كان الجيش الثامن يتنزه عبر كلابريا مطارداً القطعات الالمانية الخفيفة التي كان يلتقيها . وفي ١٦ ايلول استطاعت

الفئات المتقدمة من هذا الجيش ان تتصل بالجناح الايمن للجيش الخامس ثم تعاون الفريقان على رد فرق كسلرنغ وطردها سريعاً الى الوراء . وفي ٢٩ ايلول استولى الجيش الثامن على فوجيـا ، وفي اول تشرين الاول دخل الجيش الثامن الى خرائب نابولي . هكذا كانت حرب إيطاليا في قسمها الاول حرباً ناجحة : الهدفان الاولان تم الوصول اليهما وسجل الحلفاء تقدماً يبلغ (٣٠٠) كلم في شبه الجزيرة خلال ثلاثة أسابيع . اما الهدفان فهما أهم مرفأ من المرافىء الايطالية وإن أنزل به الالمان اضراراً كبيرة ، ثم اهم مطار من المطارات.



الامير كان والانكليز يحاربون جنباً الى جنب في ايطاليا

هنا بدأ يدخل في حساب الحلفاء عاملان رئيسيان بالنسبة لمراحل الحرب الايطالية القادمة . اولاً — طوبوغرافية ايطاليا ، ثانياً — اختلاف وجهات النظر بين الحلفاء فيما يتعلق بخطة العمل الحربي في المتوسط . ان مرتفعات « الابينان » تشكل السلسلة الفقارية لشبه الجزيرة . كل

غازٍ يأتي من الجنوب يجب ان يمتح لنفسه طريما عبر (٩٠٠) كلم من الهضبات والقمم . وعلى امتداد الطريق تقوم انهار ومنخفضات ووديان هي بدورها حواجز وعراقيل يصعب اجتيازها . يضـــاف الى ذلك وفي هذه الحالة بـــالذات ان الالمان قـــد عرفوا كيف يستفيدون من تلك الحواجز والعراقيل وذلك بتقويتها بمهارة وبتحويلها الى حاجز يتعذر اجتيازه بصورةٍ عملية . ان كل قلعة طبيعية كان يجب ان تهاجم من الامام مما يؤذن بطول الحرب وتكاليفها الكبيرة .

الوسيلة الوحيدة للتقدم السريع في ايطاليا هي اجتياح هذه المواقـــع بالدوران حولها بواسطة عمليات برمائية . ولكن الحلفاء لم يكونوا يملكون العدد الكافي من الجيوش كما كانت السفن الموضوعة تحت تصرفهم أقل وأضعف . وكان الاميركيون يزعمون انهم قد وجهوا قواتهم والمراكب البحرية إلى بريطانيا بسبب الحاجة اليها عند اقتراب التاريخ المحدد لانزال قوات الحلفاء في نورماندیا من أوروبة الغربية اي في ربيع عام ١٩٤٤ . كانوا يريدون ان يمارسوا ضغطاً مستمراً على ايطاليا كما كـــان يتمنى الانكليز ولكن شرط الا يستعملوا فيها غير القوات التي كانت موجودة بالفعل في البلاد .

وبدخول فصل الشتاء زادت المتاعب امام الحلفاء . فان الامطـــار الخريفية قد ضخمت السيول وحولت الطرق الى مستنقعات وجاء بعدها البرد والثلج والجليد لمضاعفة آلام القوات المسلحة .

وقد حاول كثيرون من المراسلين الحربيين ان يعطوا صورة دقيقة للموقف الحربي في ايطاليا آنذاك . لقد تحدثوا عن قسوة المعارك وتواطؤ المناخ والبلاد على القوات الحليفة ومصاعب السير في الطرقات التي تحولت الى مستنقعات واكوامٍ من الوحول ، يضاف الى هذا كله عدد متزايد من الهضاب والمرتفعات الصخرية التي يعجز الجنود عن اجتيـــازها الا بشق النفس بينما يكون الالمان منتظرين فوق القمم لسحق كل محاولة تسلل

تقوم بها الجيوش الحليفة .

ويقول بعض المراسلين الحربيين : « لذلك كنا مرغمين على الزحف والزحف ايضاً . ان فصيلاً صغيراً من الجنود الالمان كان يستطيع ان يرد لمدة طويلة اقوى الحملات واعنفها » .

يضاف الى ذلك ايضاً ان الامطار الغزيرة جعلت الرجال خلال اسابيع طويلة في بلل دائم . كما كان هناك ألوف من الرجال يعسكرون ليلاً فوق القمم المرشوشة بالثلج وفي برودة تبلغ درجة دون الصفر . وأن ألوفاً اخرى من هؤلاء الرجال كان افرادها يختبئون او يتقوقعون وراء الصخور وفي داخل الكهوف .

ولكن نار الحلفاء كانت من القوة والكثافة بحيث أنها استطاعت ان تعوض في المدى الطويل عن المتاعب والآلام التي كانت تسببها تضاريس



الحلفاء في كهوف ايطاليا

تلك الارض الإيطالية ، وكانت مدينة روما هي الهدف التالي . ولكن كسلرنغ عاد بجيشه الى جنوب المدينة وراء التحصينات القوية لخط غوستاف. هذا الخط كان ينتشر على امتداد نهر غاريغليانو وأحد روافده نهر ربيدو

عبر الابينان حتى قمة كاسّان وعلى امتداد نهر سانغرو حتى بحر الادرياتيك.
المركز الرئيسي لهذا الخط الدفاعي هو قمة كاسّان « ٣٧٠٠ م » حيث كان الالمان يقودون قواتهم الموجودة في وادي لبري وروما . وفي أعلى القمة ينتصب دير سان بونوا الذي كان يمكن ان يكون مرقباً مثالياً لتوجيه نيران المدفعية على القوات الحليفة المتحركة في الوادي دون إضافة أية تحصينات اليه .

وبينما كان العام يقترب من نهايته استدعي ايزنهاور الى الجزيرة البريطانية ليستلم فيها وظيفته الجديدة كقائد أعلى للقوات الحليفة في عملية « السيد الأكبر» وعين مكانه في المتوسط الجنرال الانكليزي ميتلاند ولسن . اما مارشال الجو تيدر والجنرالات باتون ، برادلي ، ومونتغمري فقد عينوا ايضاً في مركز قيادة عملية «السيد الأكبر» . وانيطت قيادة الجيش البريطاني الثامن بالجنرال ليز كما وكلت قيادة الطيران في المتوسط الى الجنرال بيكر . كما عين الجنرال ديفرز قائداً عاماً للقوات الامريكية في بريطانيا بينما بقي الجنرال مارك كلارك على رأس الجيش الامريكي الخامس . يبقى الاميرال آندرو كننغهام الذي قام بأعمال مجيدة في الاشتباكات الحربية في المتوسط منذ بداية الحرب . فقد استدعي الى لندن ليصبح فيها لورد الاميرالية الاول . وقد خلفه في قيادة المتوسط البحرية الاميرال جون كننغهام . وكذلك الالمان فإنهم أجروا تعديلات في قيادتهم. فرومل الذي كان في شمال إيطاليا استدعي الى فرنسا لمهمة خطيرة هي جعل جدار الاطلنتيكي غير قابل للاختراق ، وذلك لأن القيادة الالمانية كانت تنتظر أن يجري إنزال قوات حليفة في الغرب . وهكذا اصبحت القيادة العليا في إيطاليا كلها موكولة الى الجنرال الالماني كسلرنغ .

وقبل ان تنقل السفن البحرية إلى بريطانيا للاسهام في عملية «السيد الأكبر» قرر الجنرال الكسندر اجتياح الجناح الايمن لخط غوستاف بإنزال جنوده

وراء هذا الخط في الوقت نفسه الذي يتعرض فيه هذا الخط لحملة من الامام .



دير كاسينو في بداية المعركة

وفي ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ هاجم الجيش الخامس خط غوستاف من الامام . وبعد ذلك بعشرة ايام وفي تمام الساعة الثانية من الصباح نزلت قوات انكليزية اميركية فوق شواطىء انزيو ونتونو على بعد (٩٠ كلم) وراء خط غوستاف وعلى بعد (٥٠ كلم) من روما .

ويؤكد الخبراء ان هذه الحملة قد كانت من الناحية التكتيكية مفاجأة كاملة . لقد فتحت الطريق الى روما واسعة حتى النهاية – وقد ذكر الجنرال الالماني وستفال بأنه لم يكن بين آنزيو والعاصمة الايطالية غير فوجين من الجنود – ولكن القائد الاميركي الجنرال جون لوكس قد تردد امام المهمة بدلاً من ان يتجه الى الامام ، وكان يقصد من ذلك تدعيم



الممر حول دير كاسينو

رقبة الجسر التي احتلها . كما انه لم يفكر في التقدم لاحتلال المرتفعات التي كانت تشرف على رقبة الجسر هذه . ومضى اسبوع بقي خلاله لوكس في نفس المكان حتى فات الاوان . ذلك لأن كسلرنغ لم يقف مكتوف اليدين . بل على العكس من ذلك فقد تصرف بالسرعة المعروفة عن الجيش الالماني . لقد نقل خلال (٤٨ ساعة) رجال فرقتين المانيتين الى التلال القائمة حول آنزيو ، اي الى الامكنة التي كان في وسعه ان يحطم بها قوات لوكس .

وفي أول شباط نجح كسلرنغ في رفع عدد الفرق المنقولة الى (٩) بذلك اصبح في وسعه ان يلقي بفرق الحلفاء الاربع الى البحر بعد ان

تكبدت المتاعب والمشقات للنزول الى الشواطىء .

والواقع ان القوات الانكليزية الاميركية قد قاتلت بحماسة اليائس تساندها غارات جوية رهيبة بينما كانت مدافع البحرية الثقيلة تقيم حاجزاً نارياً لا ينقطع . وقد فقدت مدمرتين وطرادين أمام آنزيو . واخيراً رد الحلفاء



الالمان يقاومون حول دير [illegible] سينو

الحملة الالمانية المعاكسة ، لكن الموقف قد تغير فقد نجح كسلرنغ في إبعاد الخطر الذي كان يضغط على روما وفي مؤخرتها وحجز الحلفاء في داخل جيب صغير .

أما الآن فقد أصبح حتماً على الحلفاء تحطيم خط غوستاف الذي كانت

قمة كاسا نقطة ارتكاز له وكانت هذه القمة تدعى هضبة الداير وبتعبير آخر « هضبة ٥١٦ » وهو التعبير الذي كان يستعمل في خرائط المدفعية. وقد قام الحلفاء بحملتين عنيفتين خـــلال كانون الثاني وشباط دون ان يتوصلوا الى تحطيم المقاومة التي كانت تبديها الفرقة الاولى للمظليين الالمان هذا مع العلم ان الدير القائم في اعلى القمة قد اغارت عليه (٥٠٠) قاذفة حليفة ، ومع ذلك فان هذا القصف المريع لم يحل دون صمود الجبهة



الصليب الاحمر ينقل الجرحى الى المستشفى

الالمانية خلال فصل الشتاء كله . ثم تأتي بعد ذلك المحاولة النيوزيلاندية التي جرت في شهر آذار ، ومع ذلك فانها لم تنجح . وأخيراً حدث هجوم عام في ١١ أيار .

وفي ١٣ من هـــذا الشهر نفسه استطاع الجيش الفرنسي ان يحطم الحاجز الالماني عند قمم اورانشي . وفي ١٨ منه رفعت كتيبة بولونية علمها



اسرى ألمان يمرون بقرب القوات الاميركية

فوق خرائب الدير في قمة كاسا . وفي ٢٣ اجتاز الحلفاء خط غوستاف. وبعد ذلك بيومين اتصل الجيش الاميريكي الثامن بالجيش السادس وكان قد نجح في الخروج من رقبة الجسر في آنزيو . ان القوات الامامية الحليفة قد استطاعت ان تخرق خط هتلر القائم على بعد (٢٠ كلم)



سكان بالرمو يستقبلون الدبابات الحليفة

وراء خط غوستاف ثم تساقطت آخر المواقع الدفاعية قبل روما بعد ان جرت اشتباكات شديدة في جسترنا وفيليتري وفالموتون . وهنا توجهت القوات الحليفة نحو العاصمة التي اعلنها الالمان مدينة مفتوحة وغادروها دون ان تصاب بسوء . ودخلها الحلفاء في ٤ حزيران اي قبل بداية عملية « السيد الاكبر » في فرنسا بيومين وحسب .

هكذا لم تمض سنة واحدة تقريباً بعد نزول القوات الحليفة في جزيرة

صقلية حتى كانت احدى عواصم قوات المحور الثلاث قد سقطت تحت وطأة الضربات الموجهة من قبـــل قوة دولية هي الاميركيون والانكليز والفرنسيون والنيوزيلانديون والبولونيون والهنود والبلجيكيون ، وكانت في الوقت نفسه صرخة انتصار ونبوءة تاريخيـــة تلك التي أطلقها الرئيس روزفلت حين قال : « واحدة سقطت وستتبعها الاثنتان الباقيتان » .

الطريق الطويل الى طوكيو

عندما اقـــدم اليابانيون على مهاجمة بيرل هاربر كانوا في الحقيقة يخطئون في تقدير رد الفعل الاميريكي بالاضافة الى انهم لم يستطيعوا اجراء دراسة علمية موضوعية لامكانات الولايات المتحدة في خلق صناعات حربية سريعة وعملاقة .

كما انهم في الوقت نفسه لم يقدروا حق التقدير قوة بلادهم واقتصادها وامكاناته في مواجهة الاقتصاد الاميركي . والواقع ان الاميركين كانوا قادرين على تحطيم قوات الضرب اليابانية بأسرع مما فعلوا لولا انهم كانوا يعطون الجبهة الاوروبية الاولوية في التعبئة الحربية . على ان تفكيرهم هذا لم يحل دون انصرافهم الى خوض معركة الباسيفيك على مستوى كاف من الاهتمام وبقدر كاف من الصلابة والقوة . لقد كان الاميركيون في بداية سنة ١٩٤٣ في جزيرة غوادالقنال وغينيا الجديدة . وكانت قوتهم قد بدأت تفرض نفسها شيئاً فشيئاً .

اما المدار الدفاعي الياباني في الباسيفيك والذي تحدثنا عنه غير مرة فقد بدأ يتفتت ثم يتساقط شيئاً فشيئاً من كل ناحية وفي كل مكان . لقد كانت خطة الحلفاء تستهدف وضع الحلقة الخارجية لا مسلسلة المواقع

الدفاعية اليابانية تحت سلسلة من الضغوط في النقاط الاربع التالية : جزائر الاليوشن في الباسيفيك الشمالي ؛ الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة في الباسيفيك الجنوبي الغربي ، وهي الجزيرة الثانية في العالم وطولها ألفا كيلومتر ، وجزائر الفيليبين – في متناول يد القوات التي تحتلها ؛ جزائر سالومون في الباسيفيك الجنوبي ؛ جزائر جلبير ومارشل في الباسيفيك الاوسط .

أما الاهداف المباشرة ، رابول في بريطانيا الجديدة ، وتراك في جزائر الكالورين فقد كانا من اهم الحصون اليابانية في الباسيفيك الاوسط والجنوب الغربي . وكان على الجنرال ماك آرثر في غينيا الجديدة وهالسي في جزائر سالومون ان يعملا لوضع رابول بين طرفي كماشة ثم يعزلانها ويطهرانها من المدافعين عنها . وبعد ذلك ينقض ماك آرثر على جزائر الفيليبين بينما هالسي ونيميتز يتوجهان الى جزائر الماريان الحلقة الدفاعية الداخلية لليابان ، والمعروف ان نيميتز قد سحق جزائر جلبير ومارشل .

ونفذت حملة برمائية تنفيذاً رائعاً ودقيقاً . لقد تجاوز الحلفاء المواقع القوية لليابانيين وأنزلوا جنودهم في مواقع لا تتمتع نسبياً بالحماية الكافية . وقد اقاموا في هذه المواقع مطاراً وقاعدة بحرية متحركة . ولما كانوا سادة في الجو والبحر فقد قطعوا خطوط المواصلات بين الحصون المحاصرة حتى انهم قد جعلوا هذه الحصون امام خطر الاختناق . وللقيام بمثل هذه السلسلة من « قفزات الخروف » البرمائية تبدو الاستعانة بأسطول من زوارق الانزال الصغيرة وزوارق الهجوم وسفن التموين والنقل ضرورية جداً ، على ان تتقدم هذا الاسطول دوارع وحاملات طائرات ومدمرات وطرادات تفتح له الطريق الى الامام . ولأول مرة كانت الولايات المتحدة تملك مثل هذه القوة الجوية والبحرية في كل من الاطلنطيك والباسيفيك .

وبعد المعارك التي جرت في غوادالقنال وبوناغونا مرت فترة استراحة حتى ربيع ١٩٤٣ . وفي شهر أيار احاطت القوات الاميركية بحصن

كسكا الياباني في جزر اليوشن الغربية ثم انقضوا على أتوا حيث اخرجوا من المعركة حامية مؤلفة من (٢٣٥٠) رجل . وعندما حوصر اليابانيون بين اتوا والقاعدة الجوية في امشتكا على بعد (١١٠ كلم) شرقي كسكا وهي القاعدة التي بناها الاميركيون في كانون الثاني – وجدوا انفسهم مرغمين على اخلاء كسكا . وفي شهر تموز قام اسطولهم بهذه المناورة بنجاح كبير دون ان تقع عليه انظار العدو . وفي شهر آب احتل الاميركيون الجزيرة التي غادرها اليابانيون من قبل . وتمت استعادة جزر الاليوشن بعد عام كامل من احتلال اليابانيين لها . ولكن هذه الجزر قد بدت قواعد متقدمة تافهة بسبب البرد واحوالها الجوية السيئة . كل ما تصلح له ان تكون منطلقاً لغارات متباعدة على جزائر كوريل .

وفي شباط ، وضمن اغراض المعركة في غوادالقنال كان الاميرال هالسي قد بدأ يتسلق درجات السلم لجزائر سالمون بالانقضاض على جزيرة راسل على بعد (٩٠ كلم) في الشمال الغربي من غوادالقنال . وفي نهاية حزيران نزلت قواته في راندوفالكي تسلط نيرانها على المطار الياباني في ماندا من جورجيا الجديدة . وبعد سلسلة من حواجز المدفعية والغارات العنيفة دخل الاميركيون الى جورجيا الجديدة لغرض الاستيلاء على مطار ماندا نفسه . وقد اصطدم الاميركيون والاوستراليون مع عدو شجاع وبارع ومقاتل حتى الموت كما كان الشأن في المعارك التي خاضوها في الغابات الرطبة لغينيا الجديدة وسالمون .

وقد كتب الصحفي الاوسترالي اوسكار وايت يتحدث عن اشتباك ليلي وقع في جورجيا الجديدة اثناء المعركة من اجل ماندا قال :

إن قمر جورجيا الجديدة قمر رائع . لقد كانت الغـابة تحت ضوئه أشبه ما تكون بصورة فيها سواد وبياض . جوقة الحشرات لم تعد تردد أصواتها تقريباً ولكن صرخات الطيور في مطاردتها لسواهـا تبدو اكثر حدة وقوة .

وهنا ارتفعت ضجة جديدة ، جليدية ، في ضوء قمر باهت : اصوات يابانية دقيقة ومرنة . وكانت طلقات رشاشاتنا الاولى قد حددت مواقعنا بوضوح ولكن اليابانيين لم يكونوا يعرفون مع ذلك أهميـــة قواتنا كما لا يعرفون شيئاً عن اهدافنا ونوايانا ولذلك فقد أرسلوا مراقبين مهمتهم الاقتراب من خطوطنا ما امكنهم ذلك :

احد اليابانيين كان قد انبطح على منخفض صغير على بعد ثلاثين متراً من مواقعنا وراح يردد بطريقة سمجة « النجدة ! النجدة ! دكتور ، النجدة ، أنا جريح » وكان يردد هذه الكلمات التي علموه اياها على طريقة الببغاء . والحقيقـــة ان هذا الصوت كان يجمد الدم في الشرايين تماماً كصرخات « المصروع » . ولو جرى هذا الحادث قبل ذلك اليوم ببعض الليالي فإن الجنود كانوا جديرون بإطلاق النار عليه وبذلك تخوننا طلقاتنا النارية وتكشف عن مواقعنا . أما الآن فلا ؟

وباستثناء هذه الضجة التي يحدثها هذا الياباني المنبطح في منخفض من الارض كان صمت الغابة قد اصبح ثقيلاً . الطيور كانت قد سكتت حتى الضفادع قد اوقفت نقيقها . ورفعت رأسي مليمتراً بعد مليمتر . ذلك لأن اقل ضجة تصدر عني يمكن ان تواجهها قنبلة يدوية آتية من مكان ما ولكنني لم استطع ان اتحمل المزيد من الوقت وانا محروم من رؤية أي شيء حولي . ونظرت فوق الحاجز .

في مساحة صغيرة يضيئها نور القمر وعلى بعد (١٥ متراً) من مكاني رأيت يابانياً يقف جامداً كالتمثال . كان في وسعي ان اتبين الاطراف الغامضة لبزته العسكرية ولبندقيته التي كان يحملها ولانعكاسات الضوء على حربته وخوذته . لقد رأيته ورآه معي عشرون واحداً من رفاقي على الأقل ولكن الجميع امتنعوا عن اطلاق النار عليه . كنا نعرف انه ما كان ليتخذ هذا الموقف ويتعرض للموت الا لسبب محدد .

كان يجب ان يكون وراءه اثنان او ثلاثة من رفاقه يحملون قنابلهم

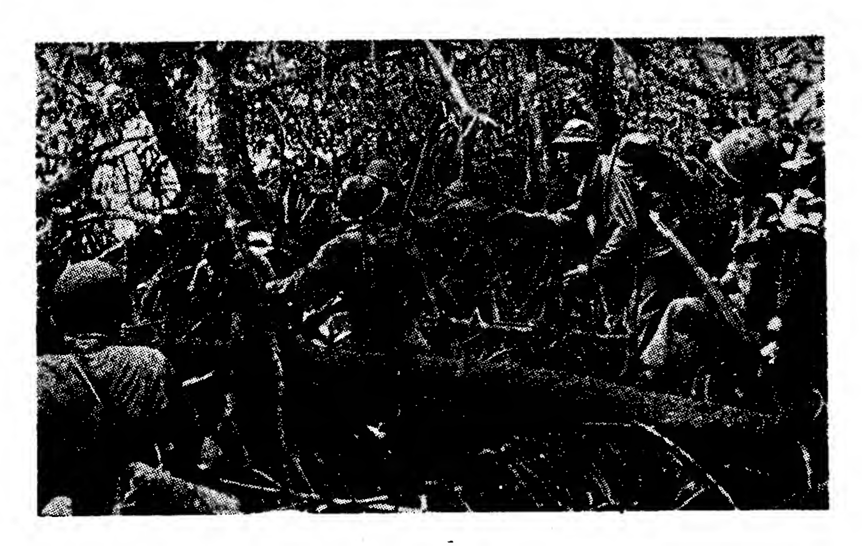
اليدوية معدة للرمي . فاذا اطلق احدنا النار فان القنابل تنطلق في اتجاهه.
وهكذا يموت اربعة او خمسة من الاميركيين مقابل موت ياباني واحد .

كنت اتمنى ان تكون لي شجاعة الاستمرار في مراقبة هذا الطعم البشري الذي كان ينتظر موتاً مشرفاً ومجيداً ، ولكنني لم افعل.وخفضت رأسي شيئاً فشيئاً وتردد صوت معدني مختنق، إن الرجل الذي كان نائماً عند ركبتي يحشو مسدسه . وألصقت فمي على اذنه وهمست قائلاً له :
« لا تطلق النار ! قنبلة ! » .

ورد هامساً : « سأطلق النار إذا انقضوا علينا فقد سبق لهم ان فعلوا . »

ولكن الياباني لم ينقض علينا . اما المراكز التي كانت موجودة على الطريق فقد فتحت نارها لمدة ثلاثين ثانية . هذه المرة كانت الصرخات التي سمعت صرخات صادقة ! وبعد ذلك انسحب الرجل الذي كان صوته أشبه بنعيب البوم قليلاً الى الوراء وراح يقلد صرخات رجل يطعن بالخنجر ويردد قائلاً : « أيها المسيح لقد اصابني في خاصرتي ! لقد طعنت لقد طعنت لقد طعنت ! ماء ، ماء ! » وتابع مهزلته الصغيرة خلال نصف ساعة تقريباً وهو يردد هذه العبارة في مدد تتراوح بين (٣٠) و (٤٠) ثانية ثم زحف الى مكان أقرب الينا وهو ينادي قائلاً :
« إيه ! أيها الصديق ، هل انت هنا ؟ بربك اجبني ! » .

كان القسم الاكبر من رجال العدو على بعد مئة متر .. وعدنا نسمع من جديد اصواتهم وهم يتحدثون . وكان اليابانيون قد اصيبوا بخسائر جدية . فتركوا الحملات التي تكون جسماً الى جسم واقاموا رماة مختارين فوق الاشجار . وبين فترة وفترة كنا نسمع صفيراً حاداً : إنها رصاصة تنطلق من إحدى هذه الاشجار . ياباني واحد او اثنان ألقيا قنابلهما دون هدف معين . وانفجرت قنبلتان فارتفعت منهما كومة من التراب عند طرف الخنادق التي كان فيها بعض رماتنا . ولكن أحداً منهم لم يصب



جنود يابانيون يتربصون لاحدى الفرق الاميركية في ادغال الباسيفيك

حتى بخدش بسيط .

وفي الاسبوع الاول من شهر آب سقطت ماندا ، وعند نهاية الشهر انقطعت كل مقاومة منظمة . وفي المدة نفسها جرت اشتباكات بحرية وجوية حول جزائر سالومون الوسطى . لقد جرى اشتباكان بحريان في خليج كولا وفي مياه كولمبنغارا . وكانت الخسائر في السفن هي نفسها تقريباً في المعسكرين لكن الاميركيين اسقطوا من الطائرات اليابانية ثلاثة اضعاف ما خسروه.وفي ١٥ آب هاجمت قوات هالسي فيلا لافيلا وهي تدور حول كولمبنغارا وقاعدتها الجوية في فيلا . وخسر اليابانيون ثلاثة طرادات في معركة خليج فيلا ، وفي بداية تشرين الاول اخرجوا من كولمبنغارا حاميتهم المؤلفة من عشرة آلاف رجل.كما انسحبوا في الوقت نفسه من سانتا ايزابل ومن شوازول . وفي ٩ تشرين الاول استولى الحلفاء على مطار باروكوما في فيلالا فيلا على بعد (٤٥٠ كلم) من

رابول ، لكن انتصاراً بحرياً سجله اليابانيون في فيلالا فيلا سمح لحاميتهم الصغيرة ان تنجو بنفسها .

كان الحلفاء يسيطرون على كل جزائر سالمون الوسطى بعد اربعة اشهر من حرب كلفت البحرية الاميركية (٦) سفن حربية مقابل (١٧) سفينة يابانية .. مدمرتان خفيفتان ؛ (١٠) طرادات و (٥) غواصات .

وهنا قام هالسي وحده بالحملة على جزر سالمون الشمالية . مهملاً شورتلاند . وقد انزل قوات نيوزيلاندية في جزائر تريزور في ٢٦ تشرين الاول . وبعد معركة جانبية في شوازول بقصد الالهاء نزلت الفرقة الثالثة للرماة البحريين بدورها في الشاطىء الغربي لجزيرة بوغانفيل وذلك في اول تشرين الثاني .

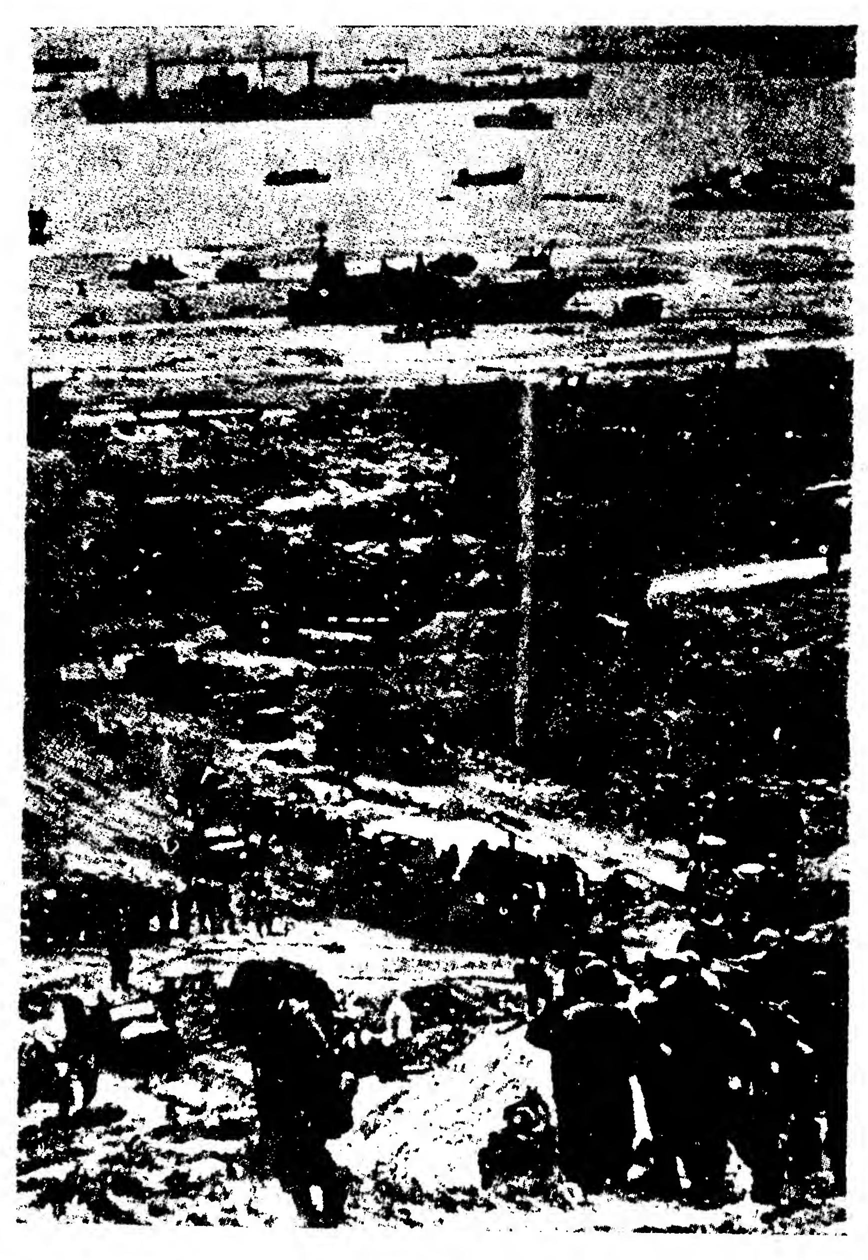
وكان يحتل هذه الجزيرة والجزر المجاورة لها ما يقرب من (٦٠٠٠٠) جندي وبحار ياباني ، ولكن الرماة البحريين الأميركيين هبطوا فوق شواطىء لا تتمتع نسبياً بالحماية الكافية . انها شواطىء خليج الامبراطورة أوغوستا . وقد كان لهذا الخليج رصيف يسهل النزول فيه بالاضافة الى ان في البر أرضاً تصلح لنزول الطائرات في بيفاوتور وكينا . فإذا بنيت المدرجات من قبل الحلفاء فإنها ستسمح لهم بعزل ثلاثة مطارات كان يملكها اليابانيون في بوغانفيل ويستعملونها لمهاجمة رابول التي هي على بعد (٣٢٠ كلم) . لم يبذل أي جهد لتجاوز المدار الدفاعي القائم حول قواعد جوية وبحرية ، اما الباقي من الجزيرة فقد ترك لليابانيين الذين سجلوا خسائر فادحة خلال معركتين بحريتين عنيفتين جرتا في خليج الامبراطورة أوغوستا وعند رأس القديس جورج في تشرين الثاني دون ان يتوصلوا الى إزعاج عمليات الانزال الحليفة او القيام بهجمات معاكسة فعالة .

وفي ١٤ شباط ١٩٤٤ حقق هالسي قفزة خروف جديدة استولى بها على الجزيرة الخضراء شمالي بوغانفيل مما سمح له بعزل كل القواعد اليابانية

القائمة شمالي هذه الجزيرة الاخيرة وبعزل قاعدة كل من بوا وبوكا .
في الجزيرة الخضراء تكون المطاردات الحليفة على بعد (٢٠٠) كلم من رابول اما طريق التموين الرئيسية نحو تراك فتكون قد نقلت الى (١١٠٠ كلم) نحو الشمال . هكذا كان طرف الكماشة الايمن ينغلق على رابول .
اما الطرف الايسر فكان في الوقت نفسه يتقدم على الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة .

وفي سلسلة من العمليات البرمائية الناجحة بالاضافة الى عمليات نقل جوي اطلق ماك آرثر جيوشه على الجناحين كليهما لنتوء لاي – سالاموا عازلاً حاميتيهما . وقد حاصرت فرقتان اوستراليتان هاتين الجزيرتين الاخيرتين ثم دخل جنود الفرقتين الى لاي في ١١ ايلول بعد معارك عنيفة واحتلوا سالاموا بعد ذلك بخمسة ايام . كما استولوا بعدهما على فنش هافن في ٢ تشرين الاول . وفي منتصف تشرين الثاني كانت شبه جزيرة هوون محتلة من قبل الحلفاء . وقد تمت كل هذه العمليات بنجاح بفضل المساندة الجدية التي كانت تقدمها القوات الجوية .

وفكر مارك آرثر قبل ان يتقدم بعيداً على شاطىء غينيا الجديدة بتأمين جناحه الايمن ومراقبة المخرج الشمالي لبحر المرجان والاقتراب من رابول . والملاحظ أن جزيرة بريطانيا الجديدة وطولها (٣٨٠ كلم) والقائمة مقابل شبه جزيرة هوون في غينيا الجديدة التي يفصلها عنها مضيق فيتياز ، الملاحظ ان رابول موجودة قريباً في الطرف الشمالي الشرقي لبريطانيا الجديدة . وفي كل كانون الاول ارسل مارك آرثر قوات من الجيش الاميركي السادس الذي يقوده الجنرال ولتر كروجو للاستيلاء على آراو عند الشاطىء الجنوبي من بريطانيا الجديدة بينما تكون الفرقة الاولى للرماة البحريين بقيادة الجنرال وليم روبرتوس منهمكة بالنزول في الطرف الغربي للجزيرة من اجل الاستيلاء على مطارات رأس غلوسستر التي كانت تشرف على مضيق فيتياز .



التعزيزات الحليفة تصل : رجال ومعدات

ونجح الرماة البحريون في الاستيلاء على رأس غلوسستر خلال منتصف آذار . وقد تم هذا الاستيلاء بعد معارك رهيبة جرت في بحر من الوحل وتحت أمطار غزيرة وفي غابات لا تقل كثافة عن غابات غوادالقنال . وتقدموا على امتداد الشاطىء الشمالي حتى شبه جزيرة ويلوميز حيث احتلوا مطار تالاسيا . وهكذا لم يعد يفصل بينهم وبين رابول غير (٢٩٠ كلم) وكان غربي بريطانيا الجديدة في أيدي الحلفاء .

حملتان جديدتان اخريان برمائيتان ستغلقان اغلاقاً تاماً حلقة القواعد الجوية والبحرية التي تضغط على رابول . ففي اوائل آذار احتل الحلفاء جزائر مانوس ولوسنيغرس في مجموعة جزر الآميروتي على بعد (٣٨٠ كلم) من الشمال لغينيا الجديدة . وبعد ذلك بقليل تم احتلال اميروتي في الشمال الشرقي من ايرلندا الجديدة . هكذا يكون الحلفاء مسيطرين على قواعد جوية بحرية من كل جانب لخطوط التموين العدوة من تراك الى رابول ومن تراك إلى كافينغ .

وبدأ الطيران الحليف من قواعده في سالومون وغينيا الجديدة بالإغارة على المطارات والموانىء في رابول . يوماً بعد يوم كانت تتكرر الاشتباكات الجوية والغارات التي كانت تشنها حاملات الطائرات التابعة لسرب هالسي رقم (٣٨) . وتم عزل كل هذه الموانىء والمطارات في ربيع ١٩٤٤.

وهنا عاد مارك آرثر إلى غينيا الجديدة . وتقدم على امتداد الشاطىء في سلسلة من قفزات خرفان طويلة . وتم انتقال ثلاث فرق اميركية الى الغرب على امتداد (٩٠٠) كلم ؛ فاحتلت هولونديا وآيتاب في نهاية نيسان بعد ان احاطت بالحاميات اليابانية القوية في ويويك وخليج الهانز.

وفي (٢٧ ايار) انقض مارك آرثر على مسافة (٥٠٠ كلم) إلى الغرب لغرض الاستيلاء على جزيرة بياك في مياه الشاطىء الشمالي الغربي لغينيا الجديدة . وفي نهاية تموز قـام بقفزة اخيرة حتى الطرف الغربي من غينيا الجديدة للاستيلاء على سانسابور . وبعد ذلك لم يعـد بين قواته

وبين جزائر الفيليبين غير (٩٠٠) كلم .

بعد كل الذي عرضناه وتحدثنا عنه من الاشتباكات الجوية والبحرية والبرية وبعد معاناة المتاعب والحرارة الخانقة والمطر الغزير والسير في الوحول واجتياز الجبال الوعرة ومقابلة الاوبئة والوقوف امام الغابات الكثيفة المظلمة مع ما يرافق اجتياحها من آلام ؛ بعد كل هذا استطاع الحلفاء خلال عامين اثنين ان يجتازوا ألفي كيلومتر بين ميلن بـاي وسانسابور وعزلوا بسبب هذه المسيرة الهائلة (١٣٥٠٠٠) جندي ياباني . وانتهت المعركة في ذلك القطاع من الباسيفيك .

تاراوا : دماء وضحايا على المرجان

علمنا في فصول سابقة ان الاميرال نيمتز قد انصرف الى عزل القواعد الجوية البحرية اليابانية في تراك ضمن جزر كارولين بعد ان استولى الاميرال توماس كنكاد على جزر الأليوشن وفي الوقت الذي كان فيه كل من ماك آرثر وهالسي يفتح طريقاً لنفسه عبر غينيا الجديدة وسالومون .

والواقع ان الاميركيين قد كسبوا خبرة واسعة في الحملات البرمائية على الغابات . ولكنهم لم يلبثوا حتى اكتشفوا بأن غزو بعض الجزر في الباسيفيك الأوسط هو شيء جديد بالنسبة إليهم . هذه الجزر هي حلقة من المرجان وصخور الشاطىء الوعرة . كان من المنتظر ان يدفعوا غالياً ثمن التجربة الجديدة التي سيقومون بها فوق شواطىء تاراوا المميتة من جزائر جيلبير .

وجزائر جيلبير موجودة على بعد (١٨٠٠ كلم) إلى الشمال الشرقي

من غوادالقنال وعلى بعد (٣٨٠٠ كلم) إلى الجنوب الشرقي من هاواي . وهي مستعمرة تابعة للتاج البريطاني ، تم احتلالها من قبل اليابانيين خلال أيام قليلة بعد الغارة على بيرل هاربر . وقد اقام فيها اليابانيون قاعدة طائرات بحرية ومطاراً فوق جزيرة صغيرة من جزرها ، بتيو في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة تاراوا . هاتان القاعدتان أصبحتا الهدفين الرئيسين لجيش نيمتز الخامس المعد لعمليات الانزال في تلك المنطقة والذي كان يقوده الاميرال ريتشمرند تيرنر . اما القوات البرية التي يقودها الجنرال هولند سمث من جيش الرماة البحريين فقد قسمت إلى قسمين في قوتين هجوميتين : فرقة المشاة السابعة والعشرون وكانت تنقصها التجربة ويقودها رالف سمث وقد كلفت بغزو ماركن أي الجزيرة التي بنيت فيها قاعدة الطائرات البحرية ثم المقاتلون القدامى في غوادالقنال وفولاغي من عناصر فرقة الرماة الثانية التي يقودها الجنرال ميجر جوليان سمث وكان على هؤلاء المقاتلين ان يحتلوا تاراوا .

الملاحظ ان اليابانيين قد حصنوا خلال الخمسة عشر شهراً التي مضت على بيرل هاربر كل كيلومتر مربع في بيتيو. الصخور الوعرة، الشواطىء والجزيرة الصغيرة نفسها قد زرعت كلها بالحواجز والعراقيل والصعوبات: ألغام ، أسلاك شائكة ، وأعشاش رشاشات ذات نيران موجهة كثيفة . أما الشواطىء فقد كانت تحميها كل الاسلحة التي يمكن ان يحصل عليها اليابانيون : بنادق ، رشاشات ، مدافع هاون ومدافع شواطىء كبيرة . يضاف إلى ذلك ان اليابانيين قد برعوا في استعمال جذوع شجر جوز الهند ، وصفائح الحديد المتموجة ، وجسور الفولاذ ، وصفائح التدريع ، والباتون ، وصخور المرجان والرمال ، كل ذلك من اجل ان يبنوا مواقع مدفعيتهم وملاجىء مدرعاتهم وحصونهم الصغيرة حتى انهم لم يكونوا خائفين ابداً من الغارات الجوية ومدفعية القوات البحرية الغازية . وعلى ذلك فلا يدهشنا ان يعلن القائد الياباني في بيتيو وهو

الاميرال كيجي شيبازاكي عجز الاميركين عن احتلال تاراوا واضاف قائلاً : « وحتى لو استعانوا بمليون رجل واستمروا يهاجمون مائة عام » إن التيارات وصخور المرجان الوعرة وحامية مؤلفة من (٤٠٠٠) من خيرة الجنود كانت كافية لجعل بيتيو ممتنعة على كل غازٍ من الخارج .



مدافع الهاون في حرب الادغال

على ان بيتيو قد بدأ إمطارها بقنابل الطائرات ومدافع البحرية ثم استمر هذا الامطار الجهنمي ثلاثة أيام . وعندما حاولت فرقة الرماة الثانية ان تقترب من الشواطيء في ٢١ تشرين الثاني استقبلتها نيران قوية ومركزة . واصطدمت الناقلات البحرية بصخور مرجانية مغمورة بالماء وارغم الرماة على اجتياز المياه سباحة وتحت نار قاتلة،وكانت المسافة التي تفصل بين ناقلاتهم الممزقة وبين الشواطيء (٦٠٠ م) . والحديث عن هذه الغارة حديث مثير وغريب . هذه الغارة كانت من أشد المذابح

هولاءً وأبعدها تأثيراً في نفوس رجال المعسكرين المتقاتلين . ان كارل جوناس أحد من كتبت لهم الحياة بعد هذه الغارة كتب يحدثنا عن اليوم الأول لعمليات إنزال الجنود :

كان الشاطىء يبدو لي على شكل عضد ينتهي بكف . وفي نهاية هذا العضد كان رشاش ياباني يمطر خطوطنا الأولى برصاصه ، وهناك رشاش آخر كان في وسعه أيضاً ان يمطرنا برصاصه بصورة مباشرة بحيث اصبحنا أمام نارين كثيفتين . ومن ناحية ثالثة كان مدفـع هاون يبصق نيرانه إلا ان قنابله كانت تسقط كثيراً إلى الامام أو منحرفة قليلاً إلى يميننا . كنت لا ارى رماة على الشاطىء . لم يكن أمامي غـير مراكب محطمة منتثرة هنا وهناك .

مركبان منها يحترقان . وأبعد منهما قليلاً بدا لي حاجز مؤثر غريب هو عبارة عن جذوع من شجر جوز الهند تمتد على موازاة الشاطىء من طرف إلى طرف . وغطست تحت الماء ولم تبدُ مني غير خوذتي . ورحت أتقدم في مياه الشاطىء على طريقة الثعلب مع العـلم ان العمق في تلك المنطقة لا يزيد على متر واحد رغم اننا كنا على مسافة (٨٠٠ م) من الشاطىء . وانحرفت نحو اليمين . لماذا ؟ لا أستطيع الاجابة أنا نفسي عن ذلك ...

تجاوزت جنديين أو ثلاثة جنود جندلهم رصاص العدو . كانت ساقاي رخوتين وكنت أجد صعوبة في حمل بندقيتي فوق المـاء . وأخيراً قررت ان احولها إلى عكاز ولم أبال بابتلالها بالماء . رأيت مركباً يتجه نحوي من بعيد فابتعدت عنه حتى اقتربت من اعشاش الرشاشات ولكنني كنت أعلم في الوقت نفسه بأن هذا المركب سيجتذب نحوه النيران اليابانية. ورحت أتخفى قدر المستطاع مع متابعة التقدم لا بسرعة شديدة طبعاً بل بسرعة منتظمة . وأخيراً وصلت إلى ما ظننته شاطئاً وعندما وقفت فوقه تبين لي أنه مجرد ركام من الرمل بينما يبتعد الشاطىء خمسين متراً اخرى.

فوق هذا الركام كان(١٥) أو (٢٠) من الرماة البحريين بين قتيل وجريح. أحد الرجال ممن كانوا معي على المركب نفسه انزلق إلى جانبي فسألته: «أين الفتيان الآخرون ؟» فأجابني قائلاً : «لست أدري وعندما أعرف أين سيكونون سألتحق بهم .»

لم تكن عندي أية رغبة في تجاوز هذا الركام من الرمل . ونظرت إلى اليسار حيث كانت نيران العدو أقرب إلي لكن الماء فيه يصلح ملجأ لكل واحد منا . وسألت نفسي ما إذا كنت أفعل خيراً إن اتجهت إلى اليسار . وقررت ان الوقوف والتأمل أشد خطراً علي من اليسار والتقدم. وبينما كنت أشهد أمامي بعض الرماة منبطحين بين ركام الرمل والشاطىء



احد الجنود الرماة يختبىء وراء اجمة عند احتدام المعركة



باصقات اللهب في حرب الغابات

انتزعني تيار من الماء وشدني اليه ففقدت موطىء قدمي . سبحت قليلاً وعدت إلى الوقوف فوق الرمل . أما الكيس الذي كنت أحمله فوق ظهري فقد زاد ثقله بسبب المـاء . فرفعته وأخذت أجره ورائي حتى وصلت إلىالشاطىء. وقد بدا لي انه الجنة... وتمنيت لو كان في وسعي ان أنام هناك دائماً دون ان تتحرك لي عضلة من العضلات .

وفي نهـاية اليوم الاول لهذه الغزوة الفريدة من نوعها لم يبق من الخمسة آلاف رجل وهم عدة الموجة الاولى من القوات النازلة إلى البر غير (٣٥٠٠) . وهؤلاء سمرتهم نيران اليابانيين فوق ألسنة من الشاطىء لا توفر الراحة لمن يبقى فيها .

أما غارات الطائرات الاميركية ومدافـع بحريتها فإنها لم تستطع ان تحطم مواقع اليـابانيين الدفاعية وإن قتلت فيما يقول الاميركيون نصف المدافعين وحطمت طرق المواصلات . وليس أدل على ذلك من ان اليابانيين لم يستطيعوا في تلك الليلة الرهيبـة ان يقوموا بأي هجوم جدي لقذف الرماة إلى البحر .



الكنديون ينقلون جرحاهم



يابانيون يخرجون من مخابئهم ويستسلمون

وفي اليوم التالي بدأ الرماة عملهم الدموي الرهيب حقاً. لقد كان عليهم ان ينتزعوا كل مخبأ ياباني على حدة بالقنابل اليدوية أو المتفجرات أو قاذفات

اللهب . واحتـــاج الجنود إلى (٧٦) ساعة من معارك مستمرة يائسة لغزو هذه الجنة الغريبة .

وفي ٢٣ تشرين الثاني قتل ألف جندي من الرماة والبحارة الأميركين وسقط (٢١٠٠) جريح . ومع ذلك ففي ذلك اليوم تم الاستيلاء على مسافة (٤ كلم) التي هي جزيرة بيتيو الصغيرة .

والواقع ان اليابانيين قد قتلوا عملياً حتى آخر رجل منهم فلم يستسلم غير (١١) من اليابانيين و (١٢٩) من الكوريين من رجال حامية بلغ عددهم (٤٦٠٠) .

أما في ماكن على بعد (١٥٠ كلم) إلى الشمال من بيتيو فان فرقة الجيش السابعة والعشرين لم تلق مثل هذه المتاعب . وبالرغم من ان عدد جنود هذه الفرقة هو عشرة اضعاف عدد رجال الحامية اليـــابانية فان فقدان التجربة عند جنود هذه الفرقـــة قد جعلهم يرهبون الموقف في البداية . وبعد ثلاثة أيام من بداية عمليات النزول ابرق قائد الفرقة يقول: « استولينا على ماكن ولم نفقد غير مائتي رجل » .

جزر مارشال ، كوجالين ، وانوتيوك

وجاء اليوم الذي قرر فيه الاميرال نيمتز ان يحتل جزر مارشال بجيشه الخامس الغني بتجاربه السابقة ولا سيما تجربته ني تاراوا . وجزر مارشل تقع على بعد (٨٠٠ كلم) إلى الشمال الشرقي من جزر جلبـــار . وقد كان اليابانيون يشرفون عليها منتدبين من قبل عصبة الامم ومنذ عـــام ١٩٢٠ . وبدأت طائرات الحاملات البحرية والقاذفات المنطلقة من قواعدها في جزر جلبار تغير على السفن والمواقع الدفاعية والطائرات والمطارات في

مارشال قبل بداية عمليات النزول بشهرين . واستمرت هذه الغارات ستين يوماً متتابعة . وشعرت القيادة اليابانية العليا ان عليها الاستعانة بكل شيء للدفاع عن مارشال أمـــام ضربات هالسي وماك آرثر . وقد استطاع الاميركيون أن يحتلوا المرفأ الهام لجزيرة ماجورو دون مقاومة تذكر وأن ينقضوا بعد ذلك على الموقع الاستراتيجي لجزيرة كواجالين بعد ان تجاوزوا المواقع اليابانية المحصنة تحصيناً شديداً . أما فرقة الرماة الرابعة فقد اتجهت في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ نحو جزيرتي روا ونامور وهما قاعدتان يابانيتان هامتان في القسم الشمالي من موقع كواجالين وتم احتلال هذين الموقعين في يومين وحسب .

أما فرقة المشاة السابعة فقد واجهت المزيد من الصعوبات في جزيرة كواجالين بالذات وهي قاعدة بحرية رئيسية لجزائر مارشال . وفي ٦ شباط وبعد اسبوع من معارك لا تقل قسوة عن معارك تاراو تم تطهير الجزيرة. ثم حقق الاميركيون قفزة خروف جديدة حتى تحصينات انوتيوك على بعد (٦٤٠ كلم) إلى الشمال الشرقي من روا وعلى بعد (١٠٠٠) كلم تقريباً من تراك ، هذا بعد ان تجاوزوا مواقع ميل ، ووتجى ، ومالولاب ، وجالويت في المارشال وتركوها تتعفن في مكانها .

وتعاون الرماة البحارة والجنود مرة اخرى على القيام بعملية مشتركة ضد انوتيوك ، انجيبي ، وباري واحتلوا هذه الجزر بعد معارك شديدة ابتدأت في ١٧ شباط وانتهت في ٢٣ منه .

الاميركيون يقولون ان خسائرهم في جزر مارشال قليلة بفضل التجربة التي حصلوا عليها في تاراوا . يضاف إلى ذلك ان الغارات البحرية والجوية التي تمهد للمعركة قد عنفت حتى الذروة . والتعاون بين الطيران والبحرية كان تاماً ومفيداً جداً للقوات المغيرة . أما السفن الناقلة والتي كانت مهمتها إنزال الجنود إلى البر فقد بنيت في ضوء المسائل التي طرحتها صخور المرجان . وجاءت الصواريخ لتكمل تسليح السفن والطائرات .

اما الاسلحة والاساليب التكتيكية التي استعملت لإخراج اليابانيين من مخابئهم فقد طورت ايضاً . الاميركيون يقولون ان الرماة الذين ماتوا في تاراوا لم يكن موتهم عبثاً .

الآن اصبح في وسع الاميرال نيمتز ان يوجه جهوده كلها لتحطيم تراك . والواقع ان طائراته القاذفة قد أصبحت قريبة جداً من هذه الجزيرة بعد ان استولت القوات الاميركية على المطارات في الاميروتي من جزائر مارشال . كما أرغم الاميرال الياباني ميناشي كوغا على اخراج اسطوله المختلط من مراسيه البحرية التي كان يملكها وارساله الى جزر بالوس . وقد جرت غارة جوية بحرية كبيرة قام بها اسطول الاميرال الاميركي سبروونس في منتصف شباط سحقت تراك وأغرقت مدمرتين خفيفتين وأربعة طرادات وثلاث مدمرات مساعدة وكثيراً من سفن الحرب الاخرى في الميناء كما أغرقت أيضاً (٢٤) سفينة تجارية . يضاف الى ذلك أن عدداً من الطائرات اليابانية يتراوح بين (٢٥٠ و ٢٧٥) قد حطم مقابل (١٧ طائرة) خسرها الاميركيون ، هذا على الاقل ما يؤكده الحلفاء في تقاريرهم .

ولم يأت ربيع ١٩٤٤ ، حتى عزلت جزيرة تراك وأصابها الشلل وتم اختراق المدار الخارجي المواقع الدفاعية اليابانية .

عودة الاميركيين الى الفيليبين

سأعود ...

هذه هي الكلمة التي رددها الجنرال ماك آرثر الاميركي حين غادر جزر الفيليبين امام اليابانيين المنتصرين . وقد ترددت أصداء هذه الكلمة وتكررت في كل مكان من الولايات المتحدة وكانت النتيجة ان ماك آرثر قد عاد فعلاً لينتزع النصر انتزاعاً من ايدي اليابانيين وليقفز بعد ذلك الى الجزر اليابانية بعد سلسلة من المعـــارك الطاحنة وعلى أثر الانفجار الذري في مدينتين يابانيتين .

ولكن شيئاً مثل هذه الكلمـــة لم يتردد على لسان واحد من القادة العسكريين الانكليز حين ارغم هؤلاء على مغادرة البر الاوروبي عبر مدينة « دنكرك » التي كانت النيران تلتهمها من كل جانب .

وقد وقعت كارثة دنكرك دون ان يقول اللودر غورث او السير جون ديل عبارة تشير الى تصميمها على انتزاع المبادرة من الغزاة الالمان .

كل النـــاس كانوا يعتقدون بعد وقوع كارثة سيدان ان خروج الانكليز من البر الاوروبي كان خروجاً لا عودة بعده . وهتلر والملايين من ابناء اوروبا كانوا في مقدمة هؤلاء الناس .



الجنرال ماك آرثر يعود الى الفيليبين بعد استرجاعها

ويبدو ان لكل قاعدة استثنـــاءات معينة وقليلة . وقد كان تشرشل السياسي البريطـــاني واحداً من هذه الاستثناءات . فقد وجه الى رئيس أركان حربه في الرابع من حزيران عام ١٩٤٠ ، اي في يوم الكارثة

التي نزلت بالقوات البريطانيــة ، وفي الوقت الذي كانت فيه السفن البريطانية تلملم عند سواحل دنكرك الجنود الناجين ؛ رسالة حافلة بروح هجومية عدوانية عنيفة . لقد قال فيها للجنرال « إسماي » « يجب ألا تسمح للروح الدفاعيــة التي ضيعت الفرنسيين ان تهدم في نفوسنا معنى المبادرة . » وانطلق تشرشل منذ ذلك اليوم يطالب قادته العسكريين بتأليف فرق عسكرية مائيــة برية للقيام بغزوات مستمرة على طول السواحل الاوروبية للاحتفاظ بالروح الهجومية من ناحية ولجمع المعلومات التكتيكية من ناحية أخرى استعداداً للغزو الكبير المنتظر الذي يجب ان يجتاح البر الاوروبي في يوم من الايام .

وقد تألفت بالفعل بعد استسلام فرنسا اي في اول تموز من عام ١٩٤٠ « قيادة العمليات العسكرية المختلطة » . ولم تمض اربعة ايام على هذا الاستسلام حتّى ظن اكبر الرجال العسكريين وألمعهم ذكاء ان بريطانيا ستركع امام الغزو الالماني خلال شهرين اثنين على الاكثر .

وترددت عبارات هتلر الساخرة عبر موجات الاثير . لقد كان يقول : « انني اقترح على الانكليز اخلاء المنطقة الاوروبية التي سيسرهم اختيارها لكي ينزلوا فيهــا جنودهم فيما بعد بأكبر عدد ممكن . » كما ترددت عبارات هتلرية موجهة الى الواقعية البريطانية : « لا تركبوا رؤوسكم . افهموا انني لا اريد ان اهــدم بلدكم ولا امبراطوريتكم . الشيء الوحيد الذي يجب ان تنحنوا أمامه هو ان القارة الاوروبية قد اغلقت امامــكم الى الابد . »

واعتصمت بريطانيا بالصمت . لقد كانت الصدمة عنيفــة قاسية . واكتفت باجترار الهزيمة والاستعداد المستمر ليوم الثأر . واصبحت بريطانيا خلال شهر تشرين الاول من العام نفسه هدفاً لغارات جوية ليلية مستمرة دون استثناء . كما ان هذا الشهر نفسه هو الذي قدمت فيه الحاملة الاولى للجنود ذات القاعدة المسطحة الى تشرشل والتي كانت ستستعمل باعداد

هائلة جداً يوم الغزو الكبير .

كان تشرشل قد تعلم منذ غزوة الدردنيل الفاشلة عام ١٩١٥ كم هو عسير على الجند ان ينزلوا على السواحل أمام عدو متربص .

لقد كان يعلم ان بلده في حاجة الى تجهيزات عسكرية ضخمة قادرة على تسهيل مهمة الاقتحام .

لقد راحت المصانع البريطانية تعمل ليل نهار في اعداد هذه التجهيزات في حدود امكاناتها بينما كان الشعب البريطاني يعيش فترته العصيبة الرهيبة أمام قوى التدمير الجوي الالماني .

وخطرت لتشرشل فكرة أخرى او هي عادت اليه في الحقيقة . لقد اقترح على قيادة الجيش عام ١٩١٧ ايجاد ميناء اصطناعية للنزول في جزر فريزون . ولكن اقتراحه نام في الادراج آنذاك ثم استيقظ بعد ربع قرن ليتحول الى عدد كبير من المكعبات الحجرية الضخمة والتي اعدت ليلقى بها قرب سواحل الغزو لتكون ردءاً للسفن من الرياح العـاصفة والمياه البحرية الهائجة ومكاناً لهبوط الجنود .

والواقع ان الالمان لم يعرفوا الغاية من هذه المكعبات الموزعة على امتداد السواحل البريطانية إلا في السادس من حزيران عام ١٩٤٤ .

ووضعت خطة العودة . وقد تقرر اعداد ١٥ فرقة ، ٩ منها مدرعة لانزالها في اليوم الموعود بين مدينة دياب ودوفيـل . ثم يعقب ذلك الاستيلاء على الهافر وروان ثم ينطلق الجند بعد ذلك نحو الشمال لاحتلال انفرس والهجوم على منطقة الرور الالمانية .

المشروع كان يدعو الى السخرية :

ان بريطانيا آنذاك لم تكن تملك فرقة واحدة من هذه الفرق . واقوى الدبابات الانكليزية كانت تحمل مدفعاً من عيار ٣٧ ملم . بينما كان في

حوزة الالمان ٢٠٠ فرقة ، كلها مستعدة لخوض اية معركة من المعارك بالاضافة الى ان الجبهة الروسية لم تكن قد افتتحت بعد .

وبقيت هذه المشروعات حلماً من الاحلام حتى حدث شيئان عام ١٩٤١ .

الاول هو الحرب الالمانية الروسية .

والثاني هو دخول الولايات المتحدة الى الحرب في جانب البريطانيين .

بعد بيرل هاربر

كان دخان الحرائق يملأ جو بيرل هاربر حين طار تشرشل الى واشنطن ليضع مع الرئيس روزفلت الخطوط العامة لاستراتيجية مشتركة .

والواقع ان روزفلت قد رفض الدعوة التي ترددت في الولايات المتحدة لضرب اليابانيين الذين هدموا ميناء بيرل هاربر وحطموا عدداً كبيراً من السفن الحربية الاميركية هناك .

وتقرر بعد مؤتمر اركاديا الطويل ان تكون المانيا الهتلرية الهدف الاول لحرب الافناء التي ارادها الاميركيون ..

في ذلك الوقت ، ورغم فشل الجيش الالماني في احتلال موسكو ؛ كان زعماء لندن وواشنطن يعتقدون بأن الجيش الروسي سينهار ما في ذلك ريب . وأن مهمة القضاء على القوى الالمانية منوطة بهم وحسب . وقررت الولايات المتحدة ان تبني جيشاً برياً عدته ٢١٥ فرقة ومزوداً بأحدث الاسلحة الفتاكة يعاونه سلاح جوي ساحق . لقد كان المتطوعون من الجنود الاميركيين يستعملون في تدريباتهم بنادق من الخشب . اما المدفعية الاميركية فقد كانت مؤلفة من مدافع عيار ٧٥ الفرنسية ومن طراز عام ١٨٩٦ . ولكن هذا لم يحل دون بروز ٥ ملايين من الرجال المدربين

الذين غادروا الشواطىء الاميركية لغزو أوروبا . وكانت الجزيرة البريطانية هي مكان تجمعات هؤلاء الجنود وغيرهم من جنود الدول الحليفة .

وبسحر ساحر تغير الاقتصاد الاميركي فأصبح اقتصاداً حربياً بعد أن كان اقتصاداً سلمياً وحسب . وكان على الحلفاء ان يسيطروا سيطرة تامة على البحار لابادة الغواصات الالمانية . اما القـــادة البريطانيون كرئيس الاركان ، آلان بروك ، فلم يكونوا يعتقدون بأن الحملة على البر الاوروبي ممكنة قبل عام ١٩٤٦ او ١٩٤٧ .

على ان الحلفاء لم يتخذوا موقفاً عسكرياً سلبياً . لقد كانت هناك حاجة الى القيام بعمليات عسكرية تمهيدية استعداداً لمواجهة اليوم العصيب . وقد تقرر في مؤتمر اركاديا تنظيم حملة عسكرية على شمال افريقيا عام ١٩٤٢ . أما اجتياز بحر المانش فقد بقي العمل الاخطر والأهم .. ولكن الطريق من دوفر الى كاليه كان يجب ان يمر عبر تونس .

وفجأة أعيـــد النظر في كل شيء . لقد وجه روزفلت الى تشرشل رسالة خاصة ينبئه فيها بوصول رئيس الاركان الاميركي جورج كاتلث مارشال الى لندن يرافقه الأب جوزف من البيت الأبيض ، وهاري هوبكنز. وجاء في هذه الرسالة قوله : « انهما سيضعان بين يديك خطة أرجو أن تستقبلها روسيا بحماسة بالغة . »

وانتظر تشرشل ثم استمع لاقوال الرسولين . لقد تبين له ان الاميركيين يريدون ان يمزقوا الاتفاقات التي وقعوا عليها في مؤتمر أركاديا ، وان يهملوا خطـــة انزال الجيوش في شمال افريقيا بقصد فتح جبهة ثانية في فرنسا . وهم يرون اقامة رأس جسر في منطقـــة بريتانيا أو كوتانتان في خريف عام ١٩٤٢ ثم ينطلقون في ربيع عام ١٩٤٣ عبر المانش بقوات عدتها ٤٨ فرقة .

الواقع ان هذا القرار الجريء هو من وحي السياسة . ان الاميركيين في الولايات المتحدة كانوا يعتبرون ان الحرب كانت تسير في طريق غير

كريمة . وقد ضغط المتطرفون من المثقفين اليساريين الذين ادخلتهم السيدة روزفلت الى البيت الابيض ، ضغطاً متلاحقاً لكي لا تترك روسيا وحيدة في حمام الدم . وترددت صرخة في كل النوادي والصالونات عبر اسابيع متتابعـــة : « الآن جبهة ثانية . » هذا الرأي هو الذي حمله كل من مارشال وهوبكنز الى تشرشل .

كانت مقاومة الرسولين الاميركيين مقـــاومة يائسة انه ليس من عسكري بريطاني لا يعيش على امل العودة الى دانكرك . ولكنه ليس من عسكري انكليزي لا يرى في المحاولة الاميركية المزمعة انتحاراً قبل ان يتم توازن القوى بين الفريقين . قال بروك معلقاً على موقف مارشال : « انه رجل خطر وشديد الاعتزاز بنفسه . مخططـه لا يتجاوز مرحلة الانزال . انه لم يفكر حتى الآن فيما يجب ان نصنعه بعد ذلك . هـــل نتوجه الى توكيه لنلعب الروليت او البكارا ؟. »

ولكن مارشال رجل عنيد . اما ان الانكليز يرفضون مخططه ؛ واما انهم يصرون على الابتداء بمعركة المتوسط ، واذاً فاننا يجب ان نتركهم . وفي ٧ تموز وجه مارشال مذكرة الى الرئيس بالاتفاق مع زميله البحري الاميرال كينغ : « ان رأينا النهائي هو ان علينا الالتفات الى الباسيفيك وتوجيـــه ضربة قاضية الى اليابان » . وبدأ الحلف يتفتت . ان المبدأ الاستراتيجي الذي يجعل من اوروبا ميداناً رئيسياً للمعركة مهدد بالنكوص الاميركي .

٢٣٧ سفينة تبحر نحو دياب

وعاد روزفلت الى الحملة . وسافر هوبكنز ومارشال يرافقهما في هذه المرة الاميرال كينغ الى لندن . وكان في جعبتهم بين الوثائق رأي لعقيد

عسكري جعلته ظروف الحرب لواءً ورئيساً لقطاع التخطيط . إنه دوايت آيزنهاور . وأعلن ايزنهاور في هذه الوثيقة بأن نزول الجند في شمال افريقيا لن يفيد روسيا مع العلم ان ايزنهاور نفسه كان سيقود بعد أسابيع قليلة بنجاح كبير عمليات الانزال في الشمال الافريقي . وتكررت المناقشات عنيفة حادة حتى أن هوبكنز تصرف تصرفاً وقحاً مع تشرشل الذي هدد بطرده من بريطانيا رغم كونه ممثلاً لرئيس الولايات المتحدة . كتب هوبكنز الى روزفلت : « لقد قذفني بدستور المملكة ولكن الدستور بحمد الله وثيقة غير مكتوبة ولذلك لم تكن الخسائر خطيرة.وبقي كل في موقعه، الانكليز يؤكدون ان اجتياز بحر المانش عام ١٩٤٢ يساوي انتحاراً والاميركيون يهددون بالتوجه إلى الباسيفيك بدعوى أن حلفاءهم لا يريدون محاربة هتلر.

وكان روزفلت هو المرجع الاخير . وقد تردد ثمانية أيام . وفي ٢٥ تموز أحضر وزير حربيته وممثلي أركان الحرب بكل فروعهم . ولم تجر مناقشة . كل ما في الامر ان الرئيس قد أعلن بكل بساطة قراره بإنزال الجنود في افريقيا الشمالية عملاً بالاتفاق الموقع عليه في مؤتمر أركاديا .

وهكذا تأجلت الجبهة الاوروبية الى إشعار آخر .

ولم تمض أيام قليلة بعد القرار الذي اتخذه روزفلت حتى اثبتت إحدى المعارك سلامة موقف البريطانيين . لقد اثبتت هذه المعركة بأن وقت مواجهة القوات الهتلرية فوق البر الأوروبي لم يأتِ بعد .

كانت مدينة دياب تنام كالعادة تحت الاضواء الخافتة مساء ١٩ آب. وكانت مياه البحر تغسل الاسلاك الشائكة القائمة عند الشواطىء بزبدها. وكانت القلاع المسلحة المنتشرة على امتداد السواحل تبدو وكأنها صورة الافق . اما الصخور التي كانت تطل على الشاطىء فقد كانت تضع كل شيء فيه تحت رحمة الرشاشات . ويضاف الى ذلك ان قطعاً من الباطون وعقبات مختلفة ضد الدبابات كانت تسد ساحات المدينة وشوارعها .

الجيوش كانت في حالة استعداد دائم لا لأنها قد عرفت بمجيء الغزاة

عن طريق همسة خائنة ، بل لأن هتلر من قاعدته المركزية في اوكرانيا كان يشم شيئاً غريباً في الجبهة الغربية فوجـه تعليماته المشددة بضرورة اليقظة والحذر .

الحامية الالمانية في دياب كانت مؤلفة من فوجين مـن الجنود غير المدربين تدريباً حسناً ومن بولونيين جندوا بالقوة ومن متطوعين لم يمض على انخراطهم في الجيش غير بضعة اسابيع . فالحرب الروسية كانت آنذاك تمتص الجيش الالماني فلا تترك للجبهة للغربية غير الشيوخ والاطفال والمشوهين .

٢٣٧ سفينة كانت تحمل ١٠٠٠٠ جندي فوق بحر وتحت سماء لا قمر فيها كما كانت تحمل ٥٨ دبابة . وهي تتجه نحو دياب النائمة . هذه البعثة العسكرية كانت لها سابقة غير بعيدة ولكنها ناجحة؛ ففي ليل ٢٦ — ٢٧ من اذار استطاع مركب فدائي ان يعطل رصيفاً في مينـاء (سان نازير) . وقد دفع هذا النجاح الجانب البريطاني الى وضع خطط اوسع للقيام بغزوات تخترق البر الاوزوبي بقوات مدرعة حتى مدينة باريس بحيث يختطف فيها اعضاء رئاسة الاركان في فندق كريون وتوضع النار تحت قوس النصر . كانت الجيوش الالمانية سيدة اوروبا . هذا صحيح. ولكن عدواً بحرياً يستطيع ان يختار الزمان والمكان في وسعه ان يسجل ضدها إصابة عنيفة . وكانت بعثة دياب العسكرية غزوة بل اكثر من غزوة . لقد كان من المنتظر بعد انزال الجنود عند الفجر ان تعاد الى السفن في الليلة التالية . وكانت اهمية الاسلحة بالاضافة الى اتساع جبهة الهجوم بمثابة تجربة تمهيدية لعملية الانزال المنتظرة الكبرى . طول الجبهة التي طلب الى الجنود ان ينزلوا فيها ٣٠ كلم وكانت دياب القطاع المركزي والرئيسي لهذه الجبهة الطويلة . وقد تردد المهاجمون في مواجهة المدينة وقرروا الاستيلاء عليها بحركة كماشة واسعة ولكن الرغبة في التجربـة دفعت المهاجمين اخيراً الى مواجهة المدينة بهجوم مباشر . وقـد امتنعت

القيادة البريطانية عن ضرب المدينة بقنابل الطائرات حقناً لدماء المدنيين الفرنسيين . وكانت المساندة البحرية الوحيدة التي قدمت الى رجال البعثة العسكرية هي قنابل ٨ ومدافع عيار ٤ بوصات منطلقة من ٤ طرادات صغيرة .

اما العمل العنيف حقاً فقد جرى فوق شاطىء دياب بالذات . لقد تم انزال الجنود الانكليز تحت حماية موجة من الطائرات المطاردة القاذفة . كما انزلت الى البر ٢٧ دبابة تشرشل بواسطة المراكب حاملات الجنود المسطحة والتي كانت تجرب آنذاك لأول مرة . وقد لوحظ ان الجنود المكلفين بإزالة الحواجز قد فشلوا في مهمتهم وان اكثر المهاجمين نجاحاً لم يتجاوزوا المئة متر . وفشلت الحملة وعاد الجنود الى السفن تحت وابل من الرصاص وقد فقدوا عدداً كبيراً منهم بين اسير وقتيل وجريح .

١٥ ألف قلعة مسلحة

منذ الساعة التاسعة ادرك قائد البعثة فشل مهمته وقد اصيب رجاله بهبوط معنوي شديد فاستسلموا لأسلحة الالمان وجرت المعركة في حالة رهيبة من الفوضى . ولم يعد من الجنود الذين نزلوا إلى البر وهم ٦٠٨٦ غير ٢٤٦٣ أي أن ٤٠ في المئة عادوا الى بريطانيا فقط .

وفي الساعة ١٢ كانت آخر سفينة تبتعد عن الشاطىء تلاحقها موجة من القنابل.وفي الساعة الرابعة بعد الظهرأعلن المارشال فون رانستد أن الهدوء عاد الى مدينة دياب وفتحت كل المخازن. وبدا مشهد الشاطىء أشبه ما يكون بشاطىء دانكرك عام ١٩٤٠ بجداول الدماء التي تغسلها مياه البحر والدبابات الممزقة وحاملات الجنود المحترقة واكوام السلاح والتجهيزات.ومرة أخرى

راح هتلر يسخر بالغزاة : « إنها المرة الاولى التي سعد فيها العـدو باستقبال نماذج كاملة لاسلحة عدوه الجديدة وتجهيزاته . »

ولكن هتلر في الوقت نفسه امتنع عن الزعم بأن خطر غزو اوروبا شيء غير قائم.لقد انطلق من هذه الحوادث ليعلن ضرورة تسليح أوروبا. وعقد في مستشارية الريخ مؤتمراً أمر فيه ببناء ١٥ ألف قلعة صغيرة من الباطون المسلح بين هولندا واسبانيا . هكذا برز جدار الاطلانطيك .

وأخذ الأفق يضيء خلال الاشهر التالية . وعندما تـلاقى روزفلت وتشرشل في الدار البيضاء في كانون الثاني من عام ١٩٤٣ كانت شمس الانتصار قد بدأت تشرق . ففي ستالينغراد أحيطت ٢٨ فرقة المانية بقيادة الجنرال بولوس بقوات روسية ساحقة ودخلت في النزاع الاخير . أما في الباسيفيك فإن معركة غوادالقنال وهي اول هجوم أميركي معاكس قد انتهت بهزيمة يابانية . الألمان والإيطاليون ما زالوا متشبثين بتونس . أما بقية افريقيا الشمالية الفرنسية فقد أصبحت تحت سلطة الحلفـاء . وهزم رومل بصورة حاسمة في العلمين . وشعرت بريطانيـا واميركا أن في وسعها السير إلى الامام .

اختلاف جديد

ومرة أخرى ذر الخلاف قرنه بين الحليفين الكبيرين . الانكليز كانوا ملتفين حول تشرشل ولهم افكارهم وخططهم الواضحة. لقد كان تشرشل يعتقد بأن معركة المتوسط يجب ان تستمر وأن الهجوم يجب ان يوجه إلى ايطاليا المتداعية وان الوقت الذي تواجه فيه أوروبا الالمانية من الاطلانطي لم يأتِ بعد .

أما الاميركيون فقد كان في خططهم شيء من الغموض والاضطراب فروزفلت يفقد النظرة الاستراتيجية التي تساعد على تحقيق رؤية سليمة للاحداث العسكرية . شيء واحد كان يضغط عليه هو الرغبة في مساعدة الروس بأسرع ما يمكن . ولرئاسة الاركان الاميركيـــة ٣ رؤوس : البحري كينغ الذي لا يمكنه الاقتناع بأن جبهة الباسيفيك جبهة ثانوية ، والطيار ارنولد الذي يعتقد ان في وسعه اخضاع المانيا بالغارات الجوية وحسب ، والجندي مارشال صاحب الآراء المتصلبة . انه يقول بأن البحر الابيض المتوسط هو طريق غير نافذ وان على الحلفاء ان ينسحبوا منه بأسرع ما يمكن . وكان يتهم تشرشل بسياسة ذات أغراض امبريالية استعمارية وبأنه يريد ان تطول الحرب خدمة للمصالح البريطانية . ولكن تشرشل لم يلبث ان انتصر لسببين ، أولاً : فشل غزو دياب وهو برهان ساطع على ان شروط انزال الجند في الغرب لم تتحقق بعد . ثانياً : الحرب البحرية . فقد تزايد عدد الغواصات الالمانية التي كانت تشيع الخراب في المحيط الاطلانطي وكان عدد السفن المغرقة من قبل هذه الغواصات اكثر من السفن التي كانت تخرجها مصانع الحلفاء البحرية . هكذا تقرر الاقتصار على غزو افريقيا الشمالية ثم غزو جزيرة ايطالية . الاميركيون يريدون جزيرة سردينيا . ولكن تشرشل يريد صقلية وانتصرت وجهة نظر تشرشل لأن صقلية قائمة في الطريق الى روما واحتلالها هو تمهيد لانهيار الفاشستية .

هكذا لم يشهد عام ١٩٤٣ غير نهـــاية أحد أضعف فرقاء المحور : وتأجلت غزوة اوروبا الكبرى مرة اخرى .

والواقع ان المعركة التي بدأت في ٦ حزيران ١٩٤٤ والتي اجتاحت البر الاوروبـي كانت في حاجة الى تمهيد طويل دقيق وضخم جداً . وقد أشرف على اعداد مخطط المعركة بكل تفاصيله قائد عسكري لا يعرفـه الناس انه فريدريك مورغن . وايزنهاور نفسه لم يشر اليه الا اشارة سريعة

في كتابه « صليبية في اوروبا . » واقتصر تشرشل على تسميته في ترجمته التاريخية للحرب . وقد وضع فريدريك مورغن كتاباً عن هذه الغزوة بعد انتهائها بوقت قصير . ولكن ما كتبه لم يحدث غير تموج ضعيف في بحر الأدب المكتوب الذي صنعته الحرب العالمية الثانية . وراح يقضي شيخوخته بسلام في ضاحية من ضواحي لندن يقرأ الأدب الرفيع ويهتم بالفنون مؤكداً ان التناقض بين الاميركي والانكليزي تناقض تام بحيث ان احدهما لا يكاد يفهم الآخر .

وقد عين الجنرال البريطاني مورغن لوضع خطط الانزال من قبل رئيس الاركان الامبراطوري آلان بروك . وقبل روزفلت خلال مناقشات الدار البيضاء بأن تكون قيادة الحملة لجنرال انكليزي . واحيط بروك علماً بذلك . واصبح مورغن رئيساً لأركان بروك . وقد اطلق تشرشل على حملة اوروبا اسم « السيد الأكبر » خلافاً للتسمية التي اطلقها الاميركيون عليها وهي « راوند آب » وراح مورغن ومساعدوه يعملون ليلاً نهاراً لتكون المعركة على مستوى الاغراض المطلوبة منها .

المهمة كانت مليئة بالصعوبات . ثلاثة جيوش : انكليزي ، كندي ، اميركي ، كل منها يتميز بعقلية خاصة شديدة الفردية . ثلاثة ميادين : البر ، البحر ، الجو ، وبذلك لا يمكن ان تعتبر معركة بحرية برية وحسب . المانش بحر في الشمال وهو اكثر البحار اضطراباً في العالم . حرب ذات وجوه متعددة وقيادات وميادين متباعدة متباينة . عدو يحتفظ بهيبة شديدة رغم هزائمه في الشرق . سلسلة من القلاع المسلحة على امتداد شواطىء الاطلانطي يعتبرها الكثيرون مستعصية على كل حملة عسكرية . عامل جديد احدث بين العسكريين المحترفين قلقاً وخيبة شديدة : انه المقاومة الفرنسية التي كانت الاستعانة بها ضرورية والتي كان تقدير امكاناتها ودرجة الثقة بها شيئين صعبين جداً . بمثل هذه الأعمال وامام مثل هذه المسؤوليات كان على مورغن ان يبني آلة ثقيلة انها وزارة الغزو . وقد خرج من

هذه الوزارة مصنع عملاق هو القيادة العليا لقوات الحلفاء والتي كانت ستكون هيئة اركان الجنرال ايزنهاور .

مباراة الجنرال مورغن

الواقع ان سرية اعداد الغزوة الكبرى لم تكن ممكنة ابداً . ان اعداد جيش يتجاوز مئات الالوف إلى آحاد الملايين لا يمكن ان يتم دون ان يعرف العدو شيئاً عنه ، واذا بقي شيء يجهله فهو تاريخ الانزال ومكانه على الشاطىء الاوروبي .

والحقيقة ان اختيار المكان أمر بالغ الصعوبة . فليس هنــاك قطاع في الشاطىء يمكن ان يفرض نفسه على قيادة الحلفاء ففيه السيئات والحسنات. ان هولندا مثلاً تقوم في مكان جيد جداً بالنسبة للقواعد العسكرية في بريطانيا ولكن ارضها المنخفضة بسدودها الكثيرة يمكن ان تكون عقبة خطيرة أمام الغزاة . وأما بريتانيا ففيها تسهيلات طيبة لعملية الانزال ولكنها تقوم بعيداً عن الجزيرة البريطانية وطرق المواصلات فيها مع بقية الارض الفرنسية طرق غير صالحة . وفكر القادة بشواطىء بلجيكا ثم لم يلبثوا ان اقلعوا عن تفكيرهم .

بقي قطاعان وحسب وكان لكل منهما انصاره وخصومه — الصراع الخالد لتوكي ودوفيل . اما البادوكاليه فقد كانت قريبة من بريطانيا ولكن صخورها الساحلية الوعرة وتحصيناتها الشديدة ضد كل دعوة الى النزول فيها،واما النورماندیا فهي اكثر بعداً عن بريطانيا وأقل تحصيناً ولها شواطئها الواسعة نسبياً كما انها اكثر انفتاحاً على الداخل . وأعد مورغن فريقين متنافسين يتولى كل منهما ابرز المزايا التي يتمتع بها احد القطاعين.

واخيراً اعترف فريق البادوكاليه بالهزيمة . وفي هذه الاثناء كانت غلبة الحلفاء على الغواصات الالمانية في مياه المحيط الاطلنطي قد تمت فكان ذلك ايداناً ببداية معركة (السيد الاكبر) وشرطاً اساسياً لها .

كانت هذه المعركة اعنف ما عرف في الحرب العـالمية الثانية من معارك . كان كل شيء يشير الى اقتراب الغواصة الالمانية من النصر . ان تكتيك الذئاب او ما يسمى بعمليـات الهجوم الجماعي قد حقق من المنجزات ما دفع لندن وواشنطن الى التساؤل عمـا اذا كان المحيط الاطلانطي سيكون قبراً لاستراتيجيتها . ولكن الوضع لم يلبث ان تغير رأساً على عقب خلال بضعة اسابيع . لقد اصبح الاطلانطي بالنسبة للحلفاء طريق النصر اما بالنسبة للالمان فقد اصبح مقبرة لآمالهم .

كان كانون الثاني من ١٩٤٣ شهر العواصف الرهيبة . اما شباط فلم تقل عواصفه كثيراً عن سابقه . قوافل بحريـة متعددة تفرقت في البحر . عدد كبير من الاحمال البحرية غرق في الماء ثم ضاعت أعداد من سفن الحفر في متاهات المحيط الواسعة . ورغم ان الغواصات قد اصيبت بالخسائر بسبب هذه العواصف فقد استطاعت ان تغرق مئة سفينة حليفة حمولتها نصف مليون طن . وعندما هدأت مياه المحيط في آذار واصبحت آفاق السماء اكثر وضوحاً تضاعفت نسبة الخسائر ٣ مرات . وطبيعي ان أحداً لا يستطيع ان يفكر بغزو اوروبا بينما هو يدفع مثل هذه الضريبة البحرية الكبيرة .

وفجأة تغيرت اللوحة . لقد اعاد الحلفاء تنظيم قواتهم المضادة للغواصات وترك الأميركيون للإنكليز مهمة حراسة القواقل، فعين الانكليز لها الاميرال ماكس هورتن . كما تضاعفت وسائل اكتشاف الغواصات واسلحة التدمير . هناك سفن تجارية اصبحت حاملات للطائرات ترافق القوافل . وفي وسط المحيط وبينما تخرج الغواصة الالمانية الى سطح الماء مرغمة للتزود بأوكسجين الهواء اثناء الليل لا تلبث هذه الغواصة حتى تجد نفسها في وسط الانوار

التي ترسلها السفن الحليفة ثم هدفاً لقنابل هذه السفن بالذات والطائرات المرافقة . وكان الرادار الجديد (١٠ سنتم) الذي اخترعه الانكليز هو الذي يوجه الطائرات نحو ضحاياها . إن الليل الذي كان صديق الغواصات وملجأها لم يلبث حتى خانها .

هتلر يصر على الهجوم

وثارت ثائرة الاميرال دونتز والتمس من الفوهرر ان يستقبله في برغوف . وتمت المقابلة . قال الأميرال : خسرنا في أيار ٣٨ غواصة وفقدنا ألفين من أحسن ضباطنا وبحارتنا وبمعنى آخر خسرنا ثلث قواتنا البحرية في المحيط الاطنلطي . أما خسارة الحلفاء وهي التي بلغت ما حمولته ٢٥٠ الف طن من السفن فهي شيء تافه بالنسبة للخسارة الالمانية . وقد قرر القادة البحريون الالمان رغم تطوعهم للخدمة في المحيط الانطلانطي؛ استحالة استمرار الصراع على هذه الصورة هنا اي بغواصات تسير تحت الماء بسرعة ٨ عقد وترغم على الصعود إلى سطح الماء مرة كل ساعة للتنفس . لقد قرروا أيضاً انهم في حاجة إلى الغواصة التوربينية التي اقترح الاستاذ ولتر بنـاءها منذ سنوات ولكن المسؤولين لم يبنوها بدعوة ان الحرب ستكون قصيرة . وميزة هذه الغواصة انها تتزود بالهواء دون ان تخرج إلى سطح الماء . وبانتظار هذه الغواصات قرر دونتز سحب غواصاته من الاطلانطيك الشمالي .

وكان رد فعل عند الفوهرر ذا حيوية وحشية . انه يروح ويجيء في صالونه الكبير وهو يصرخ : ان الاطلانطي هو حفرتي الدفاعية وان خسارة الاطلانطي تعني غزو اوروبا عاجلاً أو آجلاً وان معركة الاطلانطي يجب ان تستمر مهما يكن الثمن . وطارت الاوامر واضطربت الاوضاع

القائمة واعطي دونتز كل ما يريده وارغم غورنغ المغرور والفخور بنفسه على وضع قواته الجوية تحت تصرف الاميرال الذي يكرهه ومـــع ذلك فقد سبق السيف العذل لأن هذه التدابير لم تأتِ في اللحظة المناسبة .

في حزيران من العام نفسه هبط عدد من السفن الحليفة المغرقة إلى ١٩. وفي آب هبط اكثر فأكثر إلى ٣ . أما في أيلول فقد اختفت الغواصات نهائيـــاً من طريق القوافل . وقد حاولت العودة اليها في تشرين الأول ولكن مطاردة الحلفاء لها جعلها في حالة انهيار تام . لنتصور مثلاً ان اغراق ١٢ سفينة صغيرة حمولتها ٥٠ الف طن من سفن الحلفاء قد جرت إلى القبر ٢٤ غواصة . وقد بلغ عدد الغواصات المغرقة عام ١٩٤٢ (٨٥) غواصة وارتفع العدد إلى ٢٣٧ في عام ١٩٤٣ .

هكذا تزايد عدد سفن الحلفاء بنسبة هندسية تقريبـــاً . فقد كانت المصانع الاميركية تخرج سفينة من سفن ليبرتي المعروفة مرة في كل ٤ أيام وحمولتها ١١ ألف طن . لقد بنت بريطانيا وأميركا عام ١٩٤٢ اسطولاً من السفن حمولته ٧ ملايين طن وخسرتا في العام نفسه سفناً حمولتها ٥ ملايين طن . وفي عام ١٩٤٣ خسرتا ٣ ملايين وصنعتا ١٤ مليون طن. هكذا بنيت طريق الحملة على أوروبا . لقد تم بناؤها فوق أمواج المحيط قبل ان يتم فوق شواطىء نورمانديا في ٦ حزيران .

تشرشل يحتج

الطريق بنيت ولكن العراقيل لم تذهب كلها . الشكوك بين الاميركيين والانكليز اخذت تتزايد . الاولون مقتنعون بأن الانكليز لا يريدون النزول في فرنسا وان استعداداتهم الظاهرة هي مجرد خداع للنظر . أما الانكليز

فيتهمون الاميركيين بالخفة وعدم الوعي . الانكليز كانوا يخافون من ان تتحول عملية الانزال إلى ظهور رأس جسر تتجمد به المعركة على صورتها عام ١٩١٤ — ١٩١٨ . وخلال المناقشات كانت تمر الاطياف الدامية في خيال الانكليز بينما كان الاميركيون لا يقيمون لها وزناً لأنهم لم يصطلوا بنـــارها . إن ذكريات المذبحة في بشندال وقمة فيني والسوم حيث فقد الجيش البريطاني ٦٠ ألفاً بين قتيل وجريح في المعركة الاخيرة فقط . وإن صوراً أحدث عهداً لمعارك عام ١٩٤٠ كانت تملأ نفوس القـــادة الانكليز . إنهم يرون في الجيش الالماني قوة زاجرة هائلة رغم ما نزل به من الضعف وأصابه من التفكك . قال مارشال يوماً لبروك : « ان النزول إلى فرنسا هو الطريقة الوحيدة لإنهاء الحرب بسرعة » . فأجابه بروك : نعم الطريقة التي تتمناها .

كان الزعماء العسكريون يطيرون باستمرار سعيـــاً إلى تجميع القوى البحرية والجوية المطلوبة . ففي أيار اجتاز تشرشل المحيط الاطلانطيكي على ظهر سفينة من طراز كوين ماري . وعاد عن طريق الجزائر على أمل أن يقوم روزفلت في المرة القادمة بزيارة لندن . ولكن روزفلت لم يلبث ان غير رأيه فاجتمع الرجلان في كويبك المركز الجديد لمجلس الحرب الانكليزي الاميركي . ثم حاول روزفلت بعد ذلك ان يلقى ستالين وحده. فاحتج تشرشل بغضب شديد فتقرر أن يكون ثالثهما ولكن العم ستالين الذي رفض ان يغادر بلاده قد وافق على الانتقال إلى طهران .

لقد كان مؤتمر كويبك خطوة هامة في تاريخ معركة (السيد الاكبر). وقد عين تاريخ الحملة في واشنطن قبل ذلك بـ ٣ أشهر ولكن هـــذا التاريخ لم يلبث ان تغير ونجح الانكليز في متابعة الحرب ضد إيطاليا . وبقي الاميركيون يعتقدون ان متابعة الحرب في ايطاليا هي مضيعة للوقت. وثارت ثائرتهم حتى ان الوزير الاميركي هنري ستمسون وجه مذكرة إلى روزفلت تبتدىء بالعبارة التالية : (نحن لا نستطيع التأمل في اجتياز بحر

المانش والتغلب على الالمان تحت قيادة بريطانية). الهدف الاميركي اصبح واضحاً.. إنه انتزاع القيادة لمعركة (السيد الاكبر) من الانكليز وتهدئة الصراع في المتوسط ونقل كل القوى الصالحة للعمل إلى نورماندیا ، وفي حالة إصرار الانكليز على موقفهم تنقل الحرب إلى الباسفيك .

على أن الاميركيين ربحوا أهم ما في الجولة قبل افتتاح المؤتمر . لقد أعلن تشرشل لزميله الرئيس روزفلت وهو يزوره في هايد بارك تنازل بريطانيا عن قيادة العمليات لمعركة (السيد الاكبر) . هكذا ستكون مهمة الثأر لهزيمة دانكرك منوطة برجل اميركي .

أسباب هذا التنازل ليست واضحة . تشرشل يزعم انه قدم هذه القيادة لروزفلت بصورة عفوية . ومهما يكن الامر فان تشرشل قد وجد من اللياقة ان يتنازل عن القيادة بعد تزايد القوى الاميركية تزايداً هائلاً في الجبهة . على ان تشرشل الذي بلغ السبعين من عمره آنذاك والذي كان مصاباً قبل قليل بالتهاب رئوي قد أصبح في حالة تهيج دائم حتى انه كان يزعج قادته العسكريين . وفي المؤتمر الرباعي كان ينادي بغزو سومطرة ويعتبر تعيين الاميرال لورد لويس مونتباتن قائداً عاماً لجنوب شرقي آسيا ضرورة أساسية . ووافق الاميركيون على تبادل القيادة فتنازلوا عنها في برمانيا ليحصلوا عليها في نورماندیا . قال آلان بروك : ان ونستون قد اخبرني بانتقال القيادة الى الاميركيين كما لو ان الامر شيء عادي جداً ودون ان يعرب عن اسفه ويعتذر عن الضربة التي وجهها إليّ .

ان الشعور بالرضاء الذي اجتاح نفوس الاميركيين يوم اصبحت قيادة اكبر عملية عسكرية لهم لم يدخل الانفراج الى نفوسهم . فقضية المتوسط بقيت القضية الشائكة في كل مناقشة . وفي جلسة ١٨ آب احتدمت هذه المناقشة وتميزت بعنف بالغ دفع رؤساء الاركان الى اخراج معاونيهم لكي لا يكونوا شهوداً على فلتات اللسان التي يمكن ان تردد على افواه رؤسائهم .

اقتحام الأبواب

من الغرفة المجاورة سمع المعاونون طلقاً خافتاً ثم صرخة ألم فصدى انفجار .

واقتحموا البـــاب معتقدين أن القادة الاميركين والانكليز يقتتلون . والواقع ان هؤلاء القادة كانوا يقومون بتجربة اختراع جديد. انه عبارة عن زجاج خاص فائق الصلابة مستعصٍ على الذوبان يطالب البعض ببناء جزيرة صناعية منه وزنها مليون طن لتكون قاعدة جوية . وقد حاول القائد الاميركي الجوي أرنولد أن يحطم هذا الزجاج بضربة فأس شديدة ولكنه فشل ومزق كتفه . فكانت الصدمة التي تبعتها صرخة الالم ونهض اللورد مونتباتن فأطلق النار على قطعة الزجاج ففشل ايضاً .

في ايطاليا قتل موسوليني وانتهى غزو صقلية . اقترح الاميركيون تخفيض الحاميات في المتوسط ونقل القوات الاضافية الى بريطانيا. الانكليز يصرون على ضرورة استغلال هذا الانتصار والقفز الى البر الاوروبـي ثم الاستيلاء على روما والتوجه شمالاً حتى جبال الالب ثم تقديم العون الى اليوغسلافيين الثوار ثم السير نحو فيانا . وأردف الاميركيون ان هـــذا المخطط سينتهي مرة اخرى الى اهمـــال معركة (السيد الاكبر) والى السير في طريق بعيدة متعرجة غير مريحة . واحتج الانكليز قائلين انهم لم يفتأوا منذ عام ١٩٤٠ يستعدون لاجتيـــاز المانش ولكنهم غير مستعدين للمخاطرة بالمعركة ما لم يتأكدوا من النصر،ويجيب الاميركيون بان هذه حجة لهم تدفعهم جميعاً الى تركيز قواهم كلها من اجل الاعداد لمعركة نورماندیا . وتستمر المناقشة دون ان يتفق الطرفان .

أما الرجل الذي وضع الحل فهو المارشال بادوليو . لقد اعلن بعد إنهيار موسوليني استمرار العمل بالمحافظة الايطالية الالمانية.وفي الوقت نفسه

أرسل يقول للحلفاء استعداده لانقلاب بلاده على الريخ . وأدرك الاميركيون استحالة السكوت عن هذه الدعوة . فبدأت معركة ايطاليا القاسية .

هل كانت معركة مفيدة ؟

الخبراء يقولون إنها اضعفت المانيا وطرحت الصعوبات أمامها ثم منعت موسوليني الذي أنقذه المظليون الالمان من فرض نظامه على ايطالية.ولكن الحرب لم تلبث هناك حتى تخبطت في معارك استحكامات حتى ان روما لم يتم الاستيلاء عليها إلا قبل الإستيـــلاء على باريس بأسابيع قليلة وإلا بعد أن زودت الدعاية الالمـــانية بالصورة الحلزونية للتقدم الانكليزي الاميركي في الجبهة الإيطالية . وعندما اقتربت مرحلة النجاح وتهيـــأت أسباب الوصول إلى مناطق الالب توقفت الحرب الايطالية فجأة لتتحول الانظـــار إلى معركة إنزال الجنود في بروفانس التي فقدت كثيراً من معناها لأنها لم تخطط بصورة متناسقة مع معركة نورمانديا .

وشهد مؤتمر طهران آخر التناقضات الاميركية الانكليزية بشأن العمليات الحربية . وقد حاول تشرشل تأجيل موعد (السيد الأكبر) مرة أخرى من أجل متابعة الحرب في إيطاليـــا ، ولكن وقوف ستالين الى جانب روزفلت قد حال دون نجاح تشرشل . هكذا دخلت الاستعدادات لمعركة (السيد الاكبر) مرحلتها النهائية وتم اختيـــار الجنرال دوايت ايزنهاور لقيادة هذه المغامرة الكبرى . ووصل الجنرال الى لندن في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٤ لتسجيل فصل جديد من فصول الحرب العالمية الثانية .

ايزنهاور يحكي حكاية المعركة

ومن هو أجدر من دوايت ايزنهاور بحكاية معركة (السيد الاكبر)



الجنرال ايزنهاور ، قائد قوات الغزو الحليفة

إنها كانت بالنسبة اليه اشبه بالابنـــة التي يرافقها بكل عاطفته وعقله وإرادته . ذلك لإنها ينتظر ان تكون مجده وتاريخه الحقيقي .

قال دوايت ايزنهاور ما ملخصه : « لقد اخترنا ٥ حزيران للابتداء بالمعركة . وطبيعي ان احوال الجو يجب ان تكون حسنة جداً للقيـــام بعملية الانزال : القمر ، المد البحري ، ساعات الظلمة والنور التي يجب ان

تكون متفقة مع امانينا . إن العملية العسكرية هذه لا يمكن ان تنجح إلا شرط الاستفادة من كل هذه العوامل : المد المرتفــع عند الفجر ليسمح لنا بهدم الحواجز . والمد العـــالي بعد ذلك بقليل ليسمح لسفن الانزل بالوصول الى الشواطىء ؛ قمر مضيء يسهل على المظليين امكانية النزول الى الارض واخيراً عـــلى الاقل ساعة رؤية قبيل الانزال تعطي الاسطول البحري فرصة مناسبة لضرب اهدافه في البر الاوروبي . وإذاً فقد كنا نعرف اليوم الذي سنهاجم فيه والساعة الملائمة من هذا اليوم ولكن تبقى علامة استفهام رهيبة لم تجد جواباً بعد . إنها حول الجو لقد كان علماء الرصد الجوي يعملون على دراسة التغيرات الجوية خلال اسابيع طويلة ويضعون نبوءاتهم لـ ٤٨ ساعة . وقد كان الزعيم ستاغ من قوات الطيران الانكليزي رئيساً للجنة الرصد الجوي الحليفة وكان يضع في كل صباح خارطة للجو يتنبأ فيها بأحواله ليومين أو ثلاثة أيام . وقد كانت تنبؤاته صحيحة حتى اننا وثقنا ثقة تامة بكل قراراته .

ومع ذلك فقد كان من المستحيل التأكد من الشروط الجوية بصورة مسبقة ولذلك فقد قدرنا ان المعركة ستكون لصالحنا عندما تبدأ في أي وقت بين ٥ و ٨ حزيران . واخترنا ٥ حزيران مع الاستعداد الكامل لتأجيل هذا التاريخ ٢٤ ساعة إذا اقتضت الضرورة ذلك .

سنهاجم غداً :

ويضيف دوايت ايزنهاور ان صورة الجلسة التي اعلنت فيها بداية المعركـــة ما تزال مرتسمة في ذاكرتي . لقد أجلت المعركة ٢٤ ساعة والجو صاف عملاً بنصيحة الزعيم ستاغ وها انا اليوم اعلن بدايتها عند فجر اليوم التالي والجو مدلهم بالغيوم وممطر .

طبعاً لم يكن أحد منا يؤمل في ان تنفذ الخطط تنفيذاً دقيقاً واميناً على

مستوى كل سفينة بل كل جزئيـة من الجزئيات . ان احداثاً كثيرة يحتمل ان تبرز ولكن الظروف والملابسات التي كانت تحيط بنا قد هيأت لهذه المعركة العدد الأكبر من اسباب النجاح .

وقلت لجموع القادة من حولي أيها السادة غداً سنهاجم . وغداً يعني صباح ٦ حزيران .

الملك يمنع تشرشل من مرافقة العسكريين

يقول دوايت ايزنهاور : لقد تقرر النزول في خمسة أماكن من شاطىء نورماندیا . والواقع ان ضخامة الاستعدادات هي التي دفعتنا الى تأجيل موعد النزول من اول ايار الى ٦ حزيران .

المكان الوحيد الذي قاومنا فيه العدو مقاومة فعالة هو الذي اطلقنا عليه اسم (اوماها بيتش) . لقد كانت المعركة هناك فوق الشاطىء الرملي معركة دامية قاسية . وبسبب من ضحالة الماء عند ذلك الشاطىء كان رجالنا يتخبطون تحت نار قاسية ترسلها رشاشات العدو عنيفة قاسية . وقد تسمر جنودنا عدة ساعات عند الشاطىء . وبفضل مدافع السفن الحربية التي كانت الطائرات تعين اهدافها لها استطاع جنودنا ان يتقدموا .

كان البحر هائجاً باستمرار . وقد غرق عدد كبير من رجالنا كما فقدنا كثيراً من الدبابات . ومع ذلك فان خسارتنا كانت اقل مما كنا نقدر ، في نظري على الأقل .

اذكر بهذه المناسبة ان ونستون تشرشل جاءني قبيل عملية الانزال في مركز القيادة العامة ليقول لي انه قد قرر مرافقة الجيش الغازي فوق سفينة من سفن الاسطول . وحاولت اقناعه بالعدول عن رأيه ففشلت

ولكن الملك لم يلبث ان تدخل وحال دون ذلك .

كما انني قابلت الجنرال ديغول الذي كان قد وصل من افريقيا وشرحت له تفصيلات المعركة القادمة ووضعت بين يديه نص النداء الذي كنت انوي اذاعته على الفرنسيين واطلب اليهم فيه التمسك بالهدوء وعدم القيام بأي عمل قبل اوانه . وقد بدا الجنرال غاضباً امام بعض التفاصيل ولكن الحقيقة انه قد فات الوقت فلم يعد يسمح لنا بإجراء تغييرات هامة . وكنت اجهل طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين الرئيسين روزفلت وتشرشل . على انهما امراني بالتعاون معه لضمان مساعدة فرنسا الحرة .

والواقع ان المساعدة التي قدمتها المقاومة الفرنسية لنا كانت هامة جداً . لقد زودتنا بالمعلومات وانهكت العدو وزرعت الفوضى في صفوف النازيين بصورة عامة . وكان نشاطهـــا مفيداً جداً حول منطقة الانزال . وفي نورماندیا وبريتـــانيا بقي العدو متشبثاً بكثير من الجيوب المعزولة رغم مرور قواتنا الى الداخل . وقد ساعدنا المقاومون على تحطيم هذه الجيوب وقطع مواصلات العدو وتحطيم الجسور ونسف التمديدات ذات الطابــع العسكري . وبتعبير آخر كان سلوك المقاومة التي تعمل بقيادة الجنرال كونينغ جديراً بالتنويه والتقدير .

في ليــــل ٥ و ٦ حزيران حاول المظليون الذين انزلناهم ان يقطعوا خطوط مواصلات العدو . وفعلت المقـــاومة مثل ذلك . ووجد الالمان انفسهم في حالة عجز تام عن القيام بهجوم مضاد فعال وهم الذين كانوا يجهلون ما يدور حولهم . وقد قيل لي ان فوجاً المانياً قد تلقى ٣ اوامر متناقضة فضيّع ١٥ ساعة وهو يتجه في كل اتجاه .

في المخطط الاساسي لم يكن هناك محل لاية وحدة من القوات الفرنسية النظامية في عمليات النزول يوم ٦ حزيران على انني اذكر في الوقت نفسه ان بين سفن الاسطول البحري طراداً وعدداً من السفن الصغيرة التي ترفع العلم المثلث الالوان . اما الفرقة (لوكلير) فقد وصلت الى نورماندیا حول

اول آب لتشارك في ملاحقة قوات العدو والانقضاض عليها . قليلاً قبل الظهر علمت ان جملة موجات الهجوم الاولى قد بلغت الشاطىء ولكن الحالة في (اوماهابيتش) بقيت خطيرة . وقد اضطرت الوحدتان الممتازتان المكلفتان باحتلال هذا القطاع الى خوض معركة عنيفة . على انني ادركت عند الظهر بأنه ليس ما يدعو الى الخوف لأن عدة الرجال والسلاح في تلك المنطقة كافية للتغلب على المصاعب . وبصورة عامة كنت واثقاً من سير الأمور سيراً حسناً .

وفي ٧ حزيران عند الساعة السادسة صباحاً غـــادرت (بورتسماوث) على ظهر طراد انكليزي . وكنت في عجلة من امري فطلبت الى قائد السفينة ان يسرع في سيره ونبهته في الوقت نفسه الى ضرورة الحذر . ولكن نصيحتي لم تنفع فقد كان هذا القائد البحري واثقاً من دقة خرائطه ورغم هذه الدقة فقد اصطدمت طرادتنا بنتوء رملي . الوضع كان صعباً والامواج كانت تزلزل السفينة بعنف شديد حتى كنت اظن ان هيكلها سيتفكك وانتقلت الى طرادة اخرى لمتابعة الطريق .

الحقيقة ان القيام بعملي اليومي مشروط بوجود قيادة اجتمعت فيها كل وسائل الاتصال وكانت هذه القيادة في (سوثمبتون) ولذلك كان من البلاهة ان انقل مركز القيادة الى شاطىء من تلك الشواطىء التي تعج بالجنود . ولذلك فقد كنت ازور منطقة القتال تارة على متن طائرة واخرى فوق سفينة بحرية .

كانت هضبة هوك وهي عبارة عن مرتفع عمودي صخري مركزاً رئيسياً للمعركة اقام فيها الالمان عدداً كبيراً من المدافع بطريقة تستطيع ان تغطي هذه المدافع معاً بقنابلها منطقتي (أوماها وأوتاه) . وقـــد اهتممت اهتماماً خاصاً بتصفية هذه البطارية . وكان على كتيبة من الفدائيين الاميركيين ان تهاجم هذه الهضبة عند الفجر ولكن المد البحري ابتعد بمراكبهم نحو الشرق . ولم يكتشف جنودنا هذا الأمر فراحوا يهاجمون

مرتفعاً آخر عندما اكتشف قائد الكتيبة الخطأ الذي وقع . وعادوا الى المنطقة المعينة . ارتفاع الهضبة العمودي يبلغ ٣٥ م . تسلق هذا المرتفع عمل عظيم ولكن جنودنا قاموا بنجاح باهر . واكتشفوا ان العدو قـد رجع بمدافعه لأسباب خفية الى الوراء على مسافة ١١٠٠ متر من الشاطىء وتقدم رجالنا فاكتشفوا المدافع وقضوا عليها . وقام الالمان بهجوم معاكس كلف رجالنا خسائر فادحة وعاد الاحياء منهم بعد ذلك بيومين فأنقذهم جنود لنا آخرون من (أوماها بيتش) . وينهي الجنرال دوايت ايزنهاور جانباً من رسالته التي وجهها الى مجلة باري ماتش الاسبوعية الفرنسية بقوله :

لو سئلت اليـوم ما هو اعظم نهار في حياتك ؟ لأجبت قائلاً : انه يوم ٦ حزيران . ولكن الحقيقة انه لم يكن اهم يوم في حياتي ولا اكثر يوم اثارة للحماسة ولكن اليوم الكبير هو الذي عشته بعد ذلك بأحد عشر شهراً تقريباً ، اليوم الذي وصل فيه جودل يرافقه أركان حربه الى مدينة ريمس لتوقيع وثيقة استسلام القوات الالمانية . هذا اليوم كان نهاية سعيدة للمعركة العملاقة الرائعة ، اليوم الذي سجلت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والبلدان الحليفة الاخرى انتصارها النهائي الذي كافحنا جميعاً من اجله جنباً الى جنب . ان مبررات هذا الجهد المشترك ، هي اليوم كما كانت في غيره راسخة في اعمـاقنا . لقد دعمت هذه المبررات وحدتنا حتى الآن فلتكن كذلك أبداً .

معركة السيد الاكبر

غزو فرنسا :

سنتان انقضتا على الامير كيين والانكليز وهم يستعدون فيهما للانقضاض على قلعة هتلر الاوروبيـــة . وقد وضعت خطة المعركة بكل تفصيلاتها الصغيرة والكبيرة . وقد تجمع فوق الجزيرة البريطانية التي تحولت الى ورشة هائلة ومعسكر كبير مليونان من الجند ينتظرون اشارة الهجوم .

وبانتظـــار ساعة الصفر كانت القوات الجوية البعيدة المدى وذات الأغراض الاستراتيجية تقذف بقنابلها الخطوط الحديدية والطرق في فرنسا وبلجيكا كما كانت تضرب المصانع الالمانية وتحاول اضعاف الامكانات الالمانية في البلدان المحتلة .

وفي ٦ حزيران عام ١٩٤٤ اعطيت الاشارة كما ذكرنا في فصل سابق . وانطلقت مجموعة من الاساطيـــل تعداد سفنها خمسة آلاف تحمل مئات الالوف من الجنود مع كل ما يحتاجون اليه من الاسلحة الثقيلة والخفيفة والدبابات لتنزلهم جميعاً فوق شاطىء نورمانديا على امتداد تسعين كلم .

اختيار هذا المكان بالذات بقي سراً حتى الدقيقـــة الاخيرة واختياره بالذات كان لاسباب أشرنا اليها ايضاً في فصل سابق .

ومع ذلك فإن الالمان استطاعوا ان يكتشفوا مكان النزول وموعده . وهناك اكثر من ذلك . لقد كانت الجاسوسية الالمانية تعرف منذ كانون الثاني ١٩٤٤ بأن المقاومة الفرنسية ستتلقى اشارة الغزو بقراءة بيتين من قصيدة الشاعر الفرنسي بول فرلين عبر اذاعة ب . ب . س. البريطانية عنوان القصيدة هو : (أغنية الخريف) .

التنهدات الطويلة لكمان الخريف
تجرح قلـــبي بفتور رتيب

على ان الالمان رغم معرفتهم بهذه الحقيقة لم تكن لهم ثقة تامة بعملاء استعلاماتهم رغم ان احدهم كان وصيفاً في السفارة البريطانية في تركيا . لكن همسات وفلتات لسان تسللت الى الالمان عندما لم يستطع ضابط اميركي كبير ان يمسك لسانه . وفي مرة اخرى عرف الالمـــان بمكان الانزال وموعده حينما اذيع بيان ببداية الغزو قبل اليوم المعين ببضعة ايام .



روميل يتفقد قاعدة سان نازير

الالمان لم يقفوا مكتفي الايدي . لقد كان المارشال جارد فون رانستد يتصرف بستين فرقة بينها عشر من فرق الهجوم . وهي معدة للدفاع عن الساحل الاوروبي الممتد بين هولندا والحدود الاسبانيـــة اي على امتداد

٩٠٠ كلم . وقد وزعت هذه الفرق الى مجموعتين من الجيوش . مجموعة (ب) التي يقودها روميل والتي كانت تشتمل على الجيش الثامن والثمانين في هولندا والخامس عشر في البادوكاليه والسابع في نورمانديا . ومجموعة (ج) التي يقودها الجنرال يعقوب فون بلاسكوويتس جنوبي فرنسا. وكان الخلاف بين فون رانستد وروميل قد اتاح للحلفاء ان يلعبوا لعبتهم . ان رانستد كان يقـدر بأن جيوشه غير كافيـة للدفاع عن الشواطىء الاوروبية ؛ وكان يعلم ان الكثير من فرقه قد جند رجالها من البلدان المحتلة كما كان يرى بأن جدار الاطلانطيك قليل العمق والمساحة وانه بالتالي مزحة كبيرة . كانت خطتـه قائمة على فكرة الاحتفاظ بقوى



روميل واركان حربه يدرسون الجبهة الجديدة الممتدة ١٥٠٠ كلم

احتياطية متحركة بعيداً عن الشاطىء . وقد اختار من هذه القوى خير فرقه المدرعة واعدها للقيام بهجوم معاكس بعد نزول قوات الحلفاء .

اما روميل فقد كان يرى ان الهجوم المعاكس يجب ان يتم قبل ان ترسخ اقدام القوات الحليفة . كان يقول دائماً اننا سنربح المعركة او نخسرها



التحصينات الالمانية على الشاطىء الفرنسي

عند الشاطىء ، والساعات الاربع والعشرين الاولى للغزو ستكون ساعات حاسمة . ورومل كان مقتنعاً بأن تفوق الحلفاء في الجو سيمنع القوات الالمانية والمدرعات الاحتياطية من الوصول الى الشاطىء ولذلك فقد نصح بوضع المشاة والفرق المدرعة الى جانب جدار الاطلانطيك .

وتبنى هتلر وجهة نظر رومل في نشرته الدورية رقم ٥١ والتي يأمر بها بإلقاء الحلفاء الى البحر بصورة مباشرة .

والملاحظ أن رومل قد بادر الى تقوية جدار الاطلانطي منذ تم نقله الى الجبهة الغربية في تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ . وقد تمت التقوية ببناء اعشاش الرشاشات ورفع الاسلاك الشائكة وإقامة حقول ألغام والاستكثار من المدافع الكبيرة والصغيرة . بل فعل اكثر من ذلك فقد لغم جانباً من البحر وزرع الجهات القريبة من الشواطىء بعقبات من كل نوع . أما فيما وراء الجدار فقد غمر الحقول بالماء ومد فوقها الاسلاك الشائكة لمنع المظليين من الهبوط فوقها .

والواقع ان هتلر كان يحس احساساً عميقاً بأن عمليات الانزال ستتم في نورماندیا بينما يؤكد قادته العسكريون بأنها ستتم في البادوكاليه .

ولم يتردد الحلفاء في تقوية أوهام القادة وتغذيتها بمسرحيات عسكرية وهمية من ناحية وبتوجيه الطائرات أو بعضها الى سماء البادوكاليه لقذف مواقعها العسكرية بالقنابل .

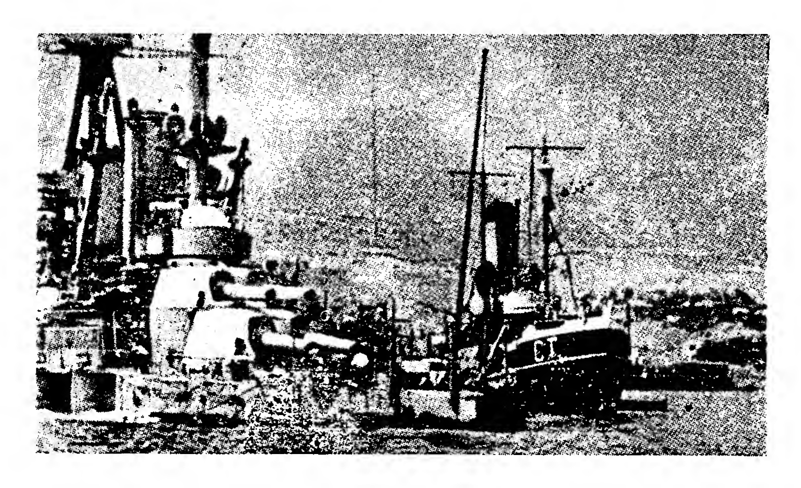
وقد تابع الحلفاء عمليات التضليل حتى بعد بداية عمليات النزول في نورماندیا . ولم يكتشف القادة الالمان هذه اللعبة إلا في ٢٤ تموز أي بُعد بداية العمليات بستة أسابيع . وفي ذلك الوقت فقط قرروا نقل قسم من الجيش الخامس عشر الذي كان مجمداً في منطقة البادوكاليه . وتم النقل بعد فوات الأوان .

في ٦ حزيران قليــلاً بعد منتصف الليل بدأ المظليون يهبطون فوق الاراضي الفرنسية الداخلية . وقد كان على الفرقة المظلية البريطانية ان



غزو البر الاوروبي

تحمي الجناح الأيسر من رقبة الجسر التي سيحتلها الحلفاء شرقي منطقة الأورن . اما الفرقتان المظليتان الاميركيتان ٨٢ و١٠١ فقد كان عليهما ان تحميا الجناح الأيمن في مناطق سنت ميراكليز وكارنتان وايريني . كما كانت مهمة هذه الفرق زرع الفوضى وتخريب طرق مواصلات العدو وضرب المواقع المحصنة التي تحمي الشواطىء .



بوارج بانتظار المعركة

كثيرة هي الوحدات التي هبطت بعيداً عن المواطن التي خصصت لها . أما الطائرات الشراعية فقد اصيبت بقنابل المدافع المضادة للطائرات فسقط منها عدد كبير وهلك الجنود الذين كانوا فيها . كما ان جنوداً آخرين من جنود الحلفاء قد قتلوا بسبب اصطدامات جوية او غرقوا في مستنقعات بعد ان اثقل الماء تجهيزاتهم التي كانوا يحملونها . يضاف الى ذلك ان مظليين آخرين علقوا بأغصان الشجر فاصطادهم الالمـــان وهم معلقون في الهواء عاجزين عن الدفاع عن انفسهم . ومع ذلك فقد استطاع

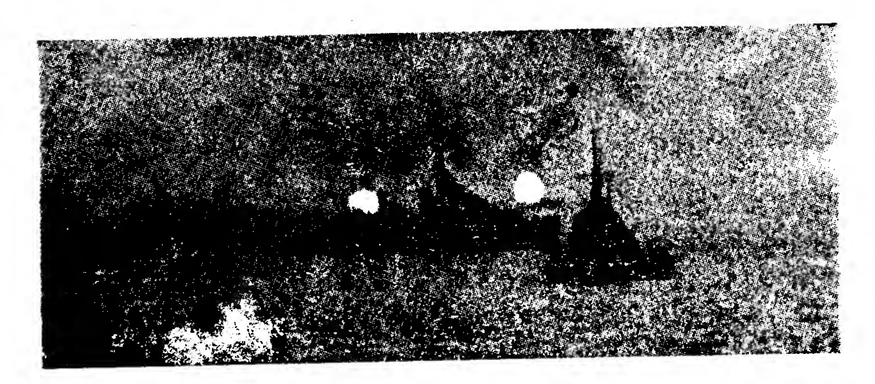


جنود الغزو
يترقبون
ساعة الصفر

هؤلاء المظليون ان يؤدوا مهمتهم بنجاح لا بأس به .

ضرب المواقع الالمانية

وخلال هذا الليل نفسه كانت ألفا طائرة حليفة تضرب بقنابلها المواقع



الساعة الخامسة والنصف صباحاً والشاطىء الفرنسي على بعد
٢٠ كلم من قوات الغزو

الالمانية وطرق المواصلات ولم تكد تأتي ساعة الفجر حتى كانت السفن الحربية تزرع بالقنابل والصواريخ مواقع الجيوش الالمانية التي كانت تحمي الشواطىء . لم تستطع طائرة المانية واحدة او غواصة من الغواصات ان تخترق الستار الحديدي الذي ضربته سفن الحلفاء الحربية وطائراتهم لحماية قوافل الجنود ولكن هذه القوافل دفعت ثمناً كبيراً بسبب ألغام رومل .

نزول الجند :

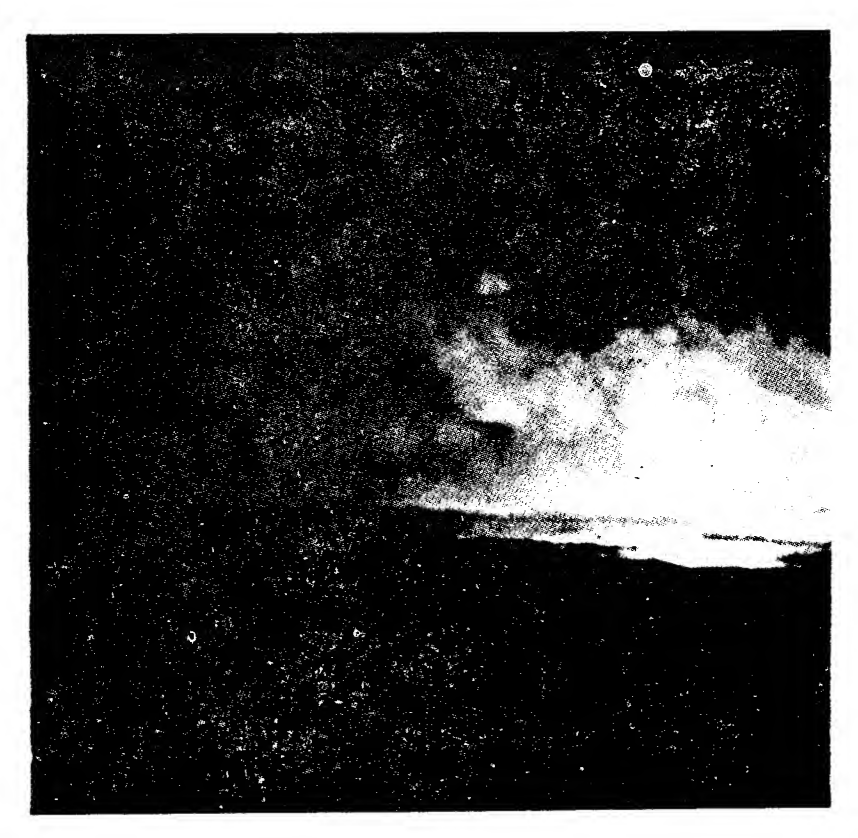
وفي تمام ساعة الصفر أي الساعة السادسة والنصف أخذت افواج الحلفاء تهبط الى الشاطىء في مناطق خمس أطلقت عليها أسماء (أوتاه) (اوماها) (غولد) (جونو) و (سورد) . الاميركيون في المنطقتين الاولى والثانية ، اما الانكليز والكنديون ففي المناطق الاخرى . في بعض المناطق كان الهبوط سهلاً الى درجة تستعصي على التفسير . ولكن معارك عنيفة دامية جرت في منطقتي اوماها وجونو . وفي وسعنا أن نستعير فقرات



الساعة الخامسة صباحاً ، قوات الغزو تقترب من الشاطىء الفرنسي ، ولا يزال الالمان نياماً

مما كتبه كورنيليوس ريان عن هذه الحرب :

على بعد ميلين في داخل البحر كان الواصلون من الجنود يشاهدون فوق الماء الاحياء والاموات وكان الاموات يتحركون بفعل حركة الامواج يحملهم المد الى الشاطىء كما لو انهم في صميم الموت يسعون الى رفاقهم. أما الاحياء الذين كانوا يرتفعون فوق الموج ويهبطون فقد كانوا يصرخون ضارعين الى رفاقهم ان يبادروا الى مساعدتهم . وكان الرقيب ريجي ماك كلوسكي وقد نجا مركبه الذي يحمل الذخيرة من الخطر ، قد شاهد رجالاً في الماء يصرخون ويطلبون المعونة ويمدون ايديهم الينا . ولكننا لم نكن قادرين على مساعدتهم . أما ماك لوسكي فقد صرَّ بأسنانه وأدار رأسه الى الخلف في الوقت الذي كان فيه مركبه يمر أمام هؤلاء البائسين



النار تشتعل في احدى البوارج

ثم لم تمضِ ثوان قليلة حتى غلبه القيء . أما النقيب روبرت كانينغهام ورجاله فقد شاهدوا هؤلاء الغرقى يتخبطون . فتوجه بحارة المركب بدافع غريزي نحوهم . ولكن سفينة حراسة حربية سريعة قطعت الطريق عليهم. وتردد صوت يأمرهم بواسطة مكبر للصوت قائلاً :

– انتم لستم مركب انقاذ ! تقدموا ! انزلوا الى البر !

كانت هذه هي ساعة الصفر :

ووضع هؤلاء الرجال المتعبون الذين لا يحسدهم أحد على موقفهم ، وضعوا اقدامهم فوق شاطىء أوماها . لهؤلاء للرجال لم يكن غير التاريخ ... في شاطىء اوماها كان نزول حواجز المراكب الحاملة للجند اشارة بداية لنار العدو البالغة العنف ... ونزلت الحواجز وقفز الرجال فوق مياه عميقة



على اهبة الهجوم

بمتر أو مترين ولم تكن في رؤوسهم غير فكرة واحـــدة : الصعود إلى اليابسة والوصول الى الملجأ الوحيد الذي هو سفح الهضبة الصخرية الوعرة.

ولكنهم بسبب تجهيزاتهم التي يحملونهـــا فوق ظهورهم والتي زاد ثقلها بسبب الماء وبالتالي عجزوا عن الانتقال السريع ، وجدوا انفسهم اهدافاً سهلة للرشاشات والاسلحة الخفيفة ...

كان الرجال يتساقطون او يتدحرجون على امتداد الشاطىء . بعضهم قتل مباشرة والبعض الآخر كان ينادي على الاطباء بصوت يمزق نياط القلوب بينما كان مد البحر يرتفع ليغرقهم دون رحمة او شفقة .



الساعة السادسة صباحاً ، قوات الغزو تدخل المعركة مع القوات الالمانية

اكثر من نصف الجنود نجوا من الموت حتى البر . أما الضباط فقد قتل بعضهم واصيب البعض الآخر بجراح خطيرة او اختفى ، أما الجنود فقد التصقوا بسفح الهضبة الصخرية طول النهار .

كانت الآلام والكوارث تتراكم فوق رؤوس الرجال في منطقة أوماها واكتشف جنود آخرون انهم قد نزلوا في غير المواضع التي حددت لهم.

كما اكتشف جنود آخرون أيضاً انهم قد بعدوا عن مراكزهم ثـلاثة كيلومترات ... هناك سرايا أعدت لمهاجمة بعض المواقع المحددة ولكنها لم تراها ابداً . كما ان جماعات أخرى بقيت مسمرة معزولة فوق أرض لم تتعرف اليها وقد عزلت في الغالب عن ضباطها وعن وسائل المواصلات .

تجمعات صغيرة من الجرحى كانت تملأ الشاطىء . وقد لاحظ الجنود وهم يمرون في المنطقة ان بين الجرحى من يجلس مستقيم الظهر كما لو انه في حمى من نيران العدو . وكان هؤلاء الجرحى يبـــدون هادئين وغائبين تماماً عن كل ما يدور حولهم .

ويتابع ريان كلامه فيقول :

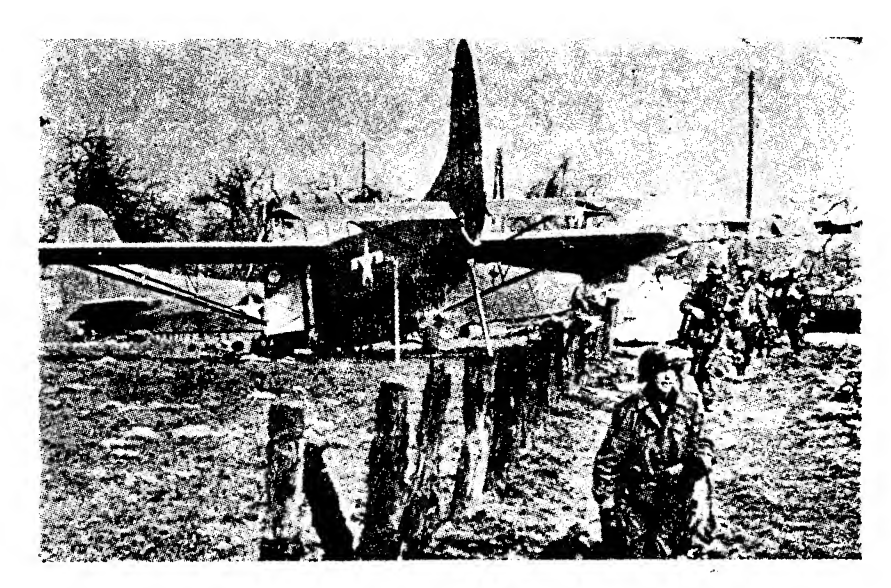
وعندما لاحظ الرجال ان في وسعهم التقدم ذهب عنهم الخوف والعجز وحل محلها غضب عجيب . وقد شاهد الفدائي كارل ويست والنقيب جورج ويتنغتون قائد سريته عش رشاش فيه ثلاثة جنود من الالمان . وبينما كان ويست والنقيب يدوران بحذر نظر أحد الالمان الثلاثة فجأة إلى الوراء فشاهد الجنديين الاميركيين وصرخ ولكن ويتنغتون بادر الثلاثة برصاصه فقتلوا .

أنزل الحلفاء خمس فرق هجومية بالاضافة إلى ثلاث فرق من المظليين أمام سبع فرق من المشاة الالمان بينهم فرقة من فرق الهجوم وفرقتان اخريان بين القوى الاحتياطية . والواقع ان الحظ والمناورات البارعة وأخطاء التقدير والقرارات السريعة وغيرها قد لعبت دوراً خطيراً في المعسكرين .

ولكن الحظوظ السيئة والاخطار لم تحل مع ذلك دون ان يحتل الحلفاء مناطق الشاطىء . وتقول المصادر الحليفة ان خسائر اليوم الأول بلغت ١١٠٠٠ رجل بينهم ٢٥٠٠ من الأموات وهو رقم اقل مما كان يقدره الحلفاء .

استمرار الهجوم

كل شيء بعد الهجوم الأول اصبح مرتبطاً بوصول النجدات ، والملاحظ ان الغارات الجوية التي قام بها الحلفاء قد افسدت الطرق وسكك الحديد



طائرات حليفة تحطمت ولاقى طياروها حتفهم

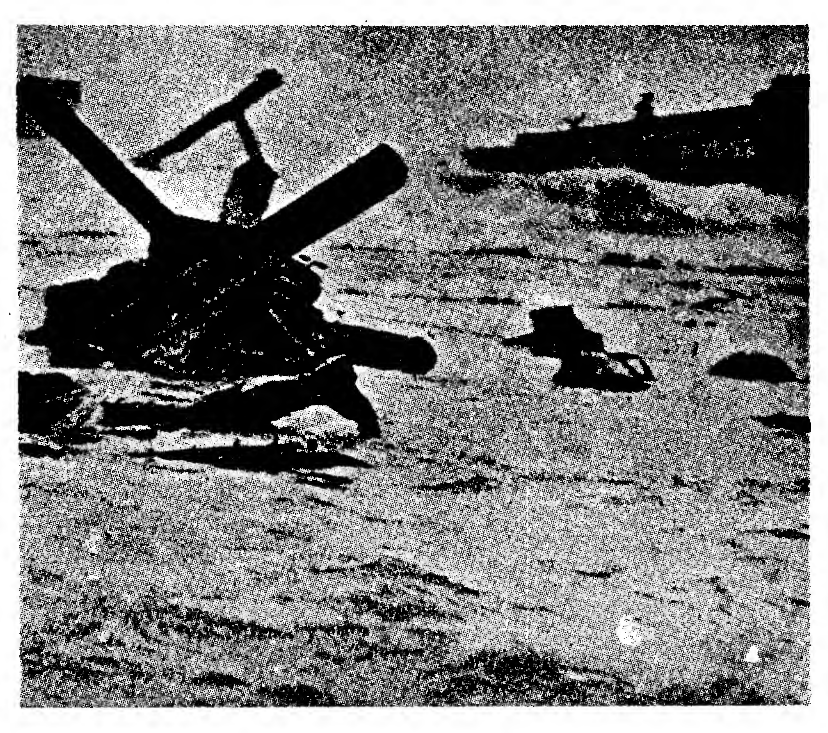
افساداً حال دون تمكن الالمان من استعمال طرق المواصلات هذه بالتعاون مع المقاومة الفرنسية .

أما الجنود الالمان الذين يتوجهون الى الجبهة فقد وصلوا اليها ممزقين متعبين ،ومع ذلك فقد كانوا ينقضون على الحلفاء جماعة وراء جماعة ولكن كل هذه الهجمات لم تفلح في رد الحلفاء الى البحر .

أما الحلفـــاء فقد كان في وسعهم بسبب تفوقهم في الجو ان يرسلوا

الامدادات والنجدات دون توقف. وخوفاً من ان يكون الالمان قد خربوا ارصفة الموانىء البحرية وهذا شيء طبيعي فقد بادروا الى بناء ميناءين صناعيتين كل منهما بحجم ميناء دوفر ثم جروهما عبر بحر المانش. الميناء الاولى كانت مخصصة للاميركيين والثانية للانكليز يستعملونها في أرومانش.

وهكذا استطاعت افواج من الرجال والعتاد ان تنزل إلى البر بواسطة هاتين الميناءين. وعندما نعلم ان الحلفاء قد انزلوا خلال خمسة ايام ١٦ فرقة عسكرية بكل معداتها نستطيع ان ندرك أهمية هذا العمل. أما بعد شهر كامل فقد وصل الى نورمانديا اكثر من مليون جندي وخمس مئة



الامواج العاتية تقلب السفن

الف طن من المؤن و ١٧٠٠٠٠ سيارة . وقد شاء سوء الحظ ان تهب خلال شهر حزيران عاصفة عنيفة لم يعرف لها شبيه لها منذ اربعين عاماً فأغرقت عدداً من السفن وحطمت الميناء الاميركية وانزلت اضراراً بالميناء الانكليزية . ولكن العمليـــات العسكرية بقيت مستمرة . وقد اصلحت ميناء أرومانش وبقيت تستقبل النجدات والمؤن في طريقها الى الجيوش الحليفة .

وقد اعرب ستالين عن اعجـــابه بهاتين الميناءين اللتين اعتبرهما من اعظم المنجزات الحربية الجريئة التي عرفت في التاريخ .

ولم تمض ستة ايام حتى اتحدت قطاعات الانزال على الشاطىء وتكون بهذا الاتحاد رقبة جسر طولهــا ١٢٠ كيلومتراً وعمقها في بعض جهاتها ثلاثون كيلومتر . وفي تلك الاثناء استطاع فوج اميركي ان يمر عبر شبه جزيرة كوتنتان ثم بلغ في ١٧ حزيران الشاطىء الغربي في بارنافيل بحيث ان هذه الاخيرة قد عزلت بصورة نهائية .

ثم توجه فوجان آخران نحو الشمال وهدفهما مدينة شربورغ ، وقــد استطاعا بين ٢٦ و ٢٧ من حزيران نفسه ان يأسرا ٣٥ الفاً من جنود العدو . ومع ذلك فان هذين الفوجين قد عجزا عن منع الالمان من تدمير المؤسسات المرفأية .

ولم يكد يتم تدعيم رقبة الجسر هذه حتى حاول الحلفاء ان يتجاوزوها . وقد كانت خطة مونتغمري تقضي بأن يخوض الجيش الانكليزي معركته الحاسمة عند الجناح الايسر حول « كان » حيث توجـد اكبر تجمعات للجيش الالماني ، بينما ينطلق الاميركيون في حملتهم عند الجناح الايمن . ولكن الاوضاع الجغرافية لنورمانديا لم تشجع على القيام بمثل هذ الهجوم رغم تفوق الحلفاء في الطائرات والمدرعات وارغم الفريقان على خوض معركتها بالسلاح الابيض تقريباً او بالبنادق والرشاشات .

اسلحة الانتقام

كان هتلر قد وكل الى رانستد مهمة القاء الحلفاء في البحر في اليوم الأول من أيام الهجوم . وحدد له نصف الليل ميعاداً لتحقيق هذه الخطة. وعندما فشل رانستد أمر هتلر قواته المسلحة بالوقوف حيث هي فلا تتراجع خطوة واحدة . كما اعلن في الوقت نفسه ملكيته لاسلحة جديدة رهيبة سيربح بها الحرب وسيدفع الحلفاء بأسلحة الانتقام هذه ثمناً كبيراً للغارات الجوية التي قاموا بها فوق المدن الالمانية .

والواقع ان رجال الاستخبارات الحليفة ودورياتهم الاستطلاعية الجوية قد اسرفوا في نقل الانباء حول القنابل الطائرة . وقد وضعت هذه القنابل فوق قاعدة لها في جزيرة من جزر بحر البلطيق « بينحند » . وقد تعرضت هذه الجزيرة كما تعرضت قواعد اخرى لهذه القنابل الطائرة ؛ لغارات جوية عنيفة . ومع ذلك فقد استقبلت مدينة لندن بعد اسبوع واحد من بداية الغزو الحليف اول قنبلة طائرة .

هذه القنبلة اطلق عليها الالمان اسم « ف ١ » . أما اللندنيون فقد أطلقوا عليها اسم « القنبلة الشاخرة » .

والواقع ان هذه القنبلة كانت عبارة عن طائرة نفاثة لا قائد لها في مقدمتها مجموعة من المتفجرات وزنها الف كيلوغرام . كانت تطير على ارتفاع الف متر بسرعة ٦٠٠ كيلومتر في الساعة اقصى هدف لها على بعد ٤٠٠ كيلومتر . وهي تستطيع بلوغ اهداف واسعة كمدينة لندن . وأطلق الالمان مئة منها في كل يوم خلال اشهر الصيف الثلاثة . وصل منها الى العاصمة الانكليزية ٢٤٠٠ . وقتل بسببها ٨٤١٦ شخصاً وجرح ١٧٩٨١ واحدثت خسائر كبيرة ولكنها لم تستطع ان تحطم معنويات الشعب الانكليزي .

وفي بداية ايلول اطلق النازيون القنبلة « ف ٢ » . وقد كانت اسرع من الصوت تحمل في مقدمتها طناً واحداً من المتفجرات وترتفع الى علو ٧٥ كيلو متراً وتطير بسرعة ٦ آلاف كيلومتر . القنبلة الاولى يمكن ان ترى بالعين المجردة . ويمكن ان تعترضها الطائرات المطاردة او اي جهاز دفاعي آخر . اما القنبلة الثانية فلم يكن عند الحلفاء اي سلاح دفاعي يعترض سبيلها . والوسيلة الوحيدة للقضاء عليها هي في الاستيلاء على قواعدها . وقد استطاعت هذه القنابل ، التي بلغ عددها ١٣٠٠ والتي سقط منها في لندن ٥٠٠ ، ان تقتل ٢٧٢٤ شخصاً وتجرح ٦٤٦٧ شخصاً آخر . وهكذا بلغ عدد ضحايا القنبلتين ف ١ و ف ٢ « ٣٥ الفاً » . وعندما اطلق النازيون هذه القنابل نفسها فوق أنفرس وبروكسل ولياج بعد احتلال الحلفاء لها احدثوا عدداً كبيراً من القتلى والجرحى .

مؤامرة ٢٠ تموز

وفي المانيا رجال يملكون اسلحة انتقامية. ولكن هذه الاسلحة وجهت ضد هتلر . هؤلاء الرجال هم فئات من الوزراء القدماء والموظفين والاشتراكيين الديمقراطيين ، والمثقفين ، والشخصيات الدينية الخ ...كل الاجنحة السياسية كانت ممثلة في هؤلاء الرجال المعارضين ابتداء بالمحافظين منهم حتى الراديكاليين . لقد كانوا يعارضون هتلر لاسباب كثيرة ، منهم من كانت معارضته لاسباب اعتقادية ووطنية ومنهم لاسباب انتهازية او تافهة . ولكن الفئة الكبرى من هؤلاء المعارضين كانت تنتسب الى طبقه ضباط الجيش واركان حربه . لقد ادرك بعض هؤلاء الضباط منذ انتصار النازية بأن الجيش لن يكون اكثر من اداة في خدمة هتلر . وقد

ساروا وراءه في أيام النصر . ولكنهم لم يكادوا يشعرون باقتراب الكارثة حتى بدأوا يتآمرون عليه . وقد كانوا يظنون أن في وسعهم ايقاف هذه الحرب بعد القضاء على هتلر والزعماء النازيين الآخرين . ثم الدخول في مفاوضات صلح مع الحلفاء قبل ان يخسروا كل شيء .

من الذين كانوا يشرفون على المؤامرة اللواء لودفيك بلك رئيس اركان حرب قديم وكارل جوردلر محـافظ سابق لمدينة ليبزيغ . الرجل الذي اختير لقتل هتلر هو الزعيم الشاب كلوس فون شوفنبرغ ، احد احفاد ألمع العائلات الالمانية العسكرية ، وقد فقد في حرب افريقيا احـدى ذراعيه وثلاث أصابع من اليد الاخرى واصيب في احدى عينيه ؛ وكان من الاشخاص النادرين الذين يستطيعون الاقتراب من هتلر بحكم مهماتهم اليومية .

مرتان تراجع هذا الضابط عن قتل هتلر بسبب غياب غورنغ وهملر لأن المتآمرين كانوا يريدون التخلص من هؤلاء الثلاثة مرة واحدة .

وقام شوفنبرغ بمحاولته الثالثة خـلال مؤتمر عقد في مقر هتلر في ٢٠ تموز . فوضـع قنبلة عند قدمي هتلر تحت المنضدة وداخل حقيبة صغيرة . وقد شاهدها ضابط آخر فأبعدها عن هتلـر ثم وضعها عند قائمة من قوائم منضدة المؤتمر . هذه القائمة والمنضدة الثقيلة انقذتا هتلر من الموت . يضاف الى ذلك ان المؤتمر قد عقد في بناء خشبي بسبب حرارة الجو فخفف ضغط الانفجار .

وقد قتل على الاقل اربعة ضباط وجرح عشرون ، اما هتلر فقد اصيب بجراح خفيفة .

على انه لم يتماثل من عنف الصدمة بعد ذلك أبداً .

ومنذ ذلك الوقت اصبح هتلر يعتقد انه موفد العناية الآلهية لانقـاذ المانيا . وقد بلغ من اعجابه بنفسه واشفاقه عليهـا انه بات يعتقد بأن المانيا ليست جديرة به .

ولم يطل الأمر بهتلر فقد سحق المؤامرة والمتـآمرين . وقام بعملية تصفية واسعة بلغت درجة بعيدة من القسوة الدامية .

ويقدر العارفون بأن عدد الذين اعدموا بسبب هذه المؤامرة قد بلغ ٤٥٠٠ شخص . ويقرر « آلان دالس » ان الوفـاً من الرجال لوحقوا واعتقلوا وعذبوا لكي يبقى « ريخ الألف عام » ٢٩٠ يوماً آخر .

معركة فرنسا

قرر رانستد وروميل خلال مؤتمر عقده هتلر في مارجيفال بعد اسبوعين من بداية الغزو ان على الجيش السابع ان يتراجع الى نهر السين ، حيث يستطيع مع الجيش الخامس عشر ان يقاتل بصورة اكثر فعالية . ولكن هتلر منعهما من مغادرة متر واحد من نورمانديا . وعندما سقطت قنبلة طائرة من نوع « ف ١ » خطــأ بالقرب من المكان الذي انعقد فيه المؤتمر عاد هتلر الى برشتسغادن بدلاً من القيام بدورة تفتيشية في الجبهة كما كان مقرراً من قبل . ثم أعلن هتلر بعــد مؤتمر آخر ان سلاحاً جديداً سينزل الى الميدان فيقلب الوضع العسكري . ولكنه أصر على تنفيذ امره بعدم الانسحاب من نورمانديا . وعندما سأل الماريشال ولهلم كيتل زميله فون رانستد عما يجب ان يفعله ، اردف هــذا الاخير قائلاً : « ابحثوا عن السلام ايها البله ! وماذا عساكم تصنعون غير ذلك ! ؟» وفي اليوم التالي اعتقل رانستد وعين مكانه في الثالث من تموز الماريشال فون كلوج .

في ١٧ تموز أطلقت مطاردة حليفة نار رشاشاتها على سيارة روميل فأصيب بكسر في جمجمته . وهكذا خرج من مسرح القتال أقدم قائدين عسكريين المانيين في نورمانديا وحل محلهما فون كلوج . واتهم رومــل من قبل



انتهت معركة الشواطىء وبدأت معركة نورمانديا

احد زملائه بالاشتراك في مؤامرة ٢٠ تموز بعد ذلك . وعندما شفي من جراحه في تشرين الاول وضع « ثعلب الصحراء » امام احد امرين : ان يحول الى محكمة الشعب او ان ينتحر مسموماً . واختار الحل الثاني ليجنب افراد عائلته وأركان حربه انتقام هتلر . وأعلن هذا الاخير ان رومل قد توفي متأثراً بجراحه .



ايزنهاور يطمئن ديغول بقرب دخولهم فرنسا

وفي اثناء ذلك لم تقف الجيوش الاميركية مكتوفة الايدي . لقد اتجهت من شربورغ نحو الجنوب وحاولت ان تخرج من رقبة الجسر بصورة نهائية . وكان خط الدفاع الالماني مستنداً الى « كان » ليقاوم البريطانيين والى سان لو لايقاف الاميركيين . وقد دارت معارك عنيفة خلال شهر

تموز حول هذين المرتكزين . اما فيما وراء « كان » فقد امتدت مساحة من الارض صالحة لحرب الدبابات ، كما تقوم بعدها مدينة روان ومن وراء هذه الاخيرة تقوم مدينة باريس .

على ان اية ثغرة تحدث في هذه المنطقة قادرة على عزل الجيش السابع عن الجيش الخامس عشر . ولذلك عزز الالمان مواقعهم حول « كان » بعدد كبير من الدبابات . وحاولت القوات الاميركية ان تستولي على سان لو في صراع عنيف خسرت فيه خلال ١٢ يوماً ما لا يقل عن عشرة آلاف رجل . وبما ان تلك الارض كانت مغطاة بالاشجار والنباتات الكثيفة الشائكة فقد بدا لرقيب اميركي « كورتيس كولن » ان يتخيل اداة لاقتحام هذه النباتات وهي عبارة عن شفرتين كبيرتين موضوعتين عند مقدمة الدبابة على هيئة مقص . وقد استطاع الحلفاء ان يفتحوا بها طريقهم وانتهت بذلك متاعب الحرب في تلك البقعة .

ومن سخرية القدر ان هذه الشفرات قد اخذت من حديد الزوايا التي نصبها رومل فوق شواطىء نورمانديا لتكون بمثابة الحواجز المانعة للعدو . واستولى الاميركيون على سان لو وهم يسيرون وراء هذه الدبابات الحاملة للشفرات . وتم الاستيلاء في ٢٥ تموز . بينما استولى البريطانيون على « كان » في التاسع عشر من الشهر نفسه بعد معارك طاحنة قاسية .

وقد استعملت قاذفات القنابل الثقيلة لأول مرة لتفجير الحواجز في كان وسان لو بالتعاون مع الجيوش البرية . لقد اجتاحت هذه القاذفات المدينتين بقنابلها المدمرة وتراكمت بسبب ذلك اكوام الخرائب التي حالت بدورها دون تحرك الدبابات والسيارات المدرعة الالمانية حتى ان كثيراً منها قد سقط في الخطوط الحليفة واحدثت فيها خسائر هامة . وبين الضحايا اللواء « لسلي ماك نير » قائد القوات البرية الاميركية الذي كان يراقب المعركة في موقع متقدم .

وقد استطاعت قوات الجيش الثالث الذي يقوده الجنرال باتون ، تساندها الطائرات المطاردة ، وافواج الدبابات ، والسيارات المسلحة ، والمدافع المتحركة ، ان تخترق افرانش في نهاية تموز وان تتوجه نحو بريتانيا وسهول فرنسا الوسطى . وتابعت تقدمها الى الجنوب بعد ذلك باسبوع واحد فاستولت على « رين » ثم « نانت » قاطعة منطقة بريتانيا الى قسمين . وهنالك افواج اخرى من قوات الجيش الثالث بلغت اطراف شبه الجزيرة بعد ذلك بخمسة ايام بفضل المساندة التي قدمتها المقاومة الفرنسية ؛ وهكذا حصر الالمان في موانىء بريتانيا الثلاث : لوريان ، سان نازير ، وبرست .

والواقع ان هذه الموانىء لم تعد صالحة لايواء الغواصات ولكن الحلفاء كانوا يرغبون في استعمالها كموانىء لاستقبال المؤن . وبدلاً من ان يحتلها الجنرال برادلي فقد اكتفى بمحاصرتها بقوات تغطية خفيفة ثم وجه باتون نحو الشرق .

واستدار الجيش الثالث واتجه نحو الشرق . فتجاوز لافال ثم مشى نحو مانس حيث استولى على هذا المركز الهام للمواصلات الحديدية . أما الجيش الاميركي الاول بقيادة كورتني هودجز فقد سار نحو « فير » و « مورتان » بينما اطلق الجيش البريطاني الثاني بقيادة مايلز ومبسي والجيش الكندي الاول بقيادة د. كريرر نحو « فاليز » باتجاه جنوب شرقي كان . واصبح الالمان بسبب ذلك أمام خطر الحصار . وبدلاً من ان ينسحب كلوج نحو نهر السين فقد قام بهجوم معاكس بأمر صادر من هتلر فأطلق ست فرق مدرعة في السابع من آب عبر ممر أفرانش الضيق ولو استطاع ان يفتح طريقاً له حتى البحر لنجا جناحه الايسر وهو المهدد بالخطر ولأصبح جيش باتون الثالث مقسوماً الى عدة اقسام . وبعد أربعة ايام استطاع الجيش الاول ، تسانده مدفعية كثيفة وقاذفات مطاردة مكلفة بضرب مواصلات العدو ان يرد الصفوف الاولى لمدرعات كلوج

بينما كانت هذه المدرعات قد بلغت اهدافها تقريباً . وقد اسهمت القاذفات المطاردة « نيفون وثندر بولت » في ضرب المدرعات الالمانيـــة اسهاماً واسع النطاق .

وبينما كان كلوج يقـــوم بهجومه المعاكس كان باتون يستولي بجيشه



اول خطاب عام يلقيه ديغول في فرنسا

الثالث على مانس . وانقض بعد ذلك على ارجانتـــان ، عبر الانسون ليخترق الجناح الايسر لجيش الماريشال كلوج . اما البريطانيون والكنديون فقد استطاعوا ان يلجئوا الجيش السابع الى ارض غير نافذة وفي نتوء مثلث رأسه في مورتان وقاعدته خط فاليزر ارجانتان . وكانت هذه المنطقة هي الطريق الوحيدة التي يستطيع كلوج ان ينسحب بها الى الوراء . وقد حاول هذا الاخير يائساً ان ينجو بقواته قبل ان يتم حصار الحلفاء له ، ولكن الحلفاء استطاعوا ان يتموا حصارهم بين ١٦ و٢١ آب . ومع ذلك فقد استطاع ثلث الجيش السابع ان يتخلص من الحصار ولكن اكثر المدافع والدبابات والسيارات تركت حيث كانت . وتحول التراجع



الالمان يستسلمون للقوات الحليفة



اوتيل ماجستيك في باريس كان المقر العام لهؤلاء الضباط الالمان
وبات الآن سجنهم

الى هزيمة فلاذت وحدات المانية بالفرار في الجبهة الاخرى من نهر السين بعد ان شاعت الفوضى في صفوفها .

لقد كانت معارك نورماندیا وفرنسا كوارث حقيقية بالنسبة للالمان . لقد فقدوا منذ بداية الغزو ٤٥٠ الف رجل منهم ٢٤٠ الف قتيل وجريح و٢١٠ آلاف اسير .

وبينما كان الألمان على شفير الهـاوية في جيب فاليز تابعت قوات الجيش الاميركي الثالث تقدمها نحو اورليانز وشارتر ثم بلغت نهر السين حول باريس ، ونانت في الشمال الغربي وmولان في الجنوب الشرقي . والواقع ان الحلفاء لم يكونوا يقصدون مهاجمة باريس .



المدافع المضادة للطائرات الاميركية تتخذ مراكزها في ساحات باريس

لقد كانت خطتهم تقضي باستئصال القوات الالمانية في المناطق الريفية . ولكن القوات الفرنسية الداخلية في باريس رأت غير ذلك . فخاضت

معركتها ضد الالمان في ١٩ آب رغم ان كلوج قد اعلن باريس مدينة مفتوحة . ورد الالمان وسارع الجنرال ايزنهاور الى ارسال الفرقة المدرعة



ساحة الكونكورد في باريس يوم تحريرها

الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال لوكلير والفرقة الاميركية الرابعة لمساعدة قوات المقاومة . وفي ٢٥ آب تحررت باريس . واستقبل الباريسيون جنود الحلفاء بعد اربع سنوات من الاحتلال النازي ، بالفرح والدموع والازهار

والالعاب النارية والشامبانيا . ووصل ديغول في اليوم التالي حيث أعلن فيها الحكومة الموقتة .

غزو جنوب فرنسا

حاول تشرشل بعد ان اصبح انتصار الحلفاء في نورماندیا قضية مسلمة ؛ ان يقنع كلاً من الرئيس روزفلت والجنرال مارشال بالغاء خطط انزال الجنود في جنوب فرنسا ، وهي الخطط التي تعارف العسكريون على اطلاق اسم أنفيل عليها .

إن تشرشل حين طلب هذا الالغاء ، انما كان يفكر في نهاية الحرب ؛ والذي بدأ يشغله آنذاك هو الجانب السياسي من المعركة . لقد بدأ يفكر في مستقبل اوروبا السياسي . وبالتالي كان يتمنى ان ينطلق الحلفاء عبر بحر الادرياتيك حتى شبه جزيرة إيستري ثم النفاذ بعد ذلك الى كل من النمسا وهنغاريا ومن بعد الى الجنوب الشرقي في يوغوسلافيا .

لقد كان يتحدث باستمرار عما يسميه الطغيان السوفياتي ؛ ويقول : اذا كانت بريطانيا قد دخلت الحرب للقضاء على الطغيان النازي في اوروبا الوسطى فما ذلك من اجل ان يأتي مكانه طغيان سوفياتي .

أما روزفلت فقد كان يميل إلى تمتين علاقته بستالين الذي عارض نزول الحلفاء في جنوب شرقي اوروبا خلال مؤتمر طهران . يضاف إلى ذلك ان عام ١٩٤٤ كان عام الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة . ولو ان الحلفاء واجهوا صعوبات في معركة نورماندیا لكان ذلك في نظر روزفلت نكسة سياسية في انتخابات تشرين الثاني الذي كان يقترب آنذاك. أما ايزنهاور فقد كان ، من جانبه ، يشكو من ان فرقاً اميركية كانت محجوزة في الولايات المتحدة بسبب عدم وجود المرافىء القادرة على



جنود فرنسا الحرة

استقبال الجنود في فرنسا .

وانتصرت وجهة النظر الاميركية فجرت عمليات انزال ابتداء من ١٥ آب لقوات الجيش السابع الذي يقوده الجنرال الكسندر باتش . وقد تم النزول فوق رقبة جسر طولهـا ٢٣ كيلومتراً في جنوب غربي كان . خمسون الفاً من جنود المقاومة الفرنسية بقيادة الجنرال كوينغ جاؤوا للنجدة، مما ساعد على تسهيل العمليات العسكرية . فكانت المقاومة التي ابدتها الفرق العشر الالمانية التي يقودها الجنرال بلاسكوويتس ، مقاومة ضئيلة أمام الفرق الاميركية الثلاث والفرق الفرنسية السبع التي كان يقودها الجنرال

دولاتر دوتاسيني . واستطاع الجيش السابع ان يصعد وادي الرون بقليل من الخسائر . وسقطت مارسيليا وطولون بعد اسبوعين . وفي ٣ أيلول



بدأت وفود الاسرى الألمان تساق الى انكلترا

دخلت قوات الحلفــاء إلى ليون ، وفي ٥ منه دخلت الى بيزانسون ، وفي ٧ إلى ديجون ، وفي ١١ إلى سومبرنون ، بين ديجون وبلفورت حيث تمت الاتصالات مع الجناح الايمن لجيش باتون الثالث .

ولكن بلاسكوويتس استطاع ان يتجنب الحصار ، لكن الاميركيين والفرنسيين معاً أسروا ٨٠ الف جندي وضابط الماني وحرروا الجنوب الفرنسي كله باستثناء موانىء خليج غاسكوني .

في الطريق الى المانيا

لم تكن باريس غير مرحلة بالنسبة للحلفاء . ففي اواسط ايلول انقض باتش ولوكلير على ثغرة مولهاوس – بلفورت . أما الجيش الثالث «باتون» فقد وصل الى الموزل في اتجاه حوض السار على جبهة عريضة ثم اجتازه بين متز ونانسي ؛ أما الجيش الاول لهودجز فقد انتشر في منطقة الاردين ، محرراً لوكسمبورغ ، ثم اخترق خط سيغفريد في قطاعين اثنين ، مهدداً المدن الالمـــانية في اكس – لا – شابال وتريف . وكانت الثغرة التي احدثها البريطانيون في الجناح الالماني الايسر على قدر اهمية الثغره التي احدثها الجنرال باتون الاميركي في الجناح الايمن عند ارفانش .

لقد استطاعت الدبابات الانكليزية ان تنطلق في هجومها بحيث انهـــا استطاعت ان تجتاز مسافة ٣٨٠ كيلومتراً خلال ستة ايام . لقد اجتازت السين ثم استولت على روان في ٣٠ آب ، وفي اليوم التالي سقطت اميان ، ثم دياب في اليوم الذي يليه وقد ثأر فيه الكنديون للفشل الذي اصابهم في آب من عام ١٩٤٢ ، وسقطت بروكسل في ٣ أيلول وانفرس في ٤ منه . وكانت سرعة التقدم الحليف وتدخل المقاومة البلجيكية بصورة ناجحة قد منعا الالمان من تخريب المؤسسات المرفأية .



الطائرة الحليفة تمطر المدن الالمانية بالقنابل

ولم تمر ثلاثة اشهر تقريباً بعد بداية الغزو حتى كان الحلفاء يحتلون جبهة لا جيوب فيها ، ابتداء من اوستاند حتى الحـــدود السويسرية ، ويشرفون على مرفأ اوروبا الثاني- بكل مؤسساته التي لم تصب بسوء . على ان الالمان بقوا يشرفون على المنطقة التي تصل انفرس بالبحر على امتداد مصب نهر الايسكو .

وبعد نزول الهزيمة أحل هتلـــر الماريشال ولتر مودل محل كلوج .

وقد انتحر الماريشال المعزول بالسم بعد ان كتب الى هتلر رسالة يطلب اليه فيها التوقف عن متابعة حربه اليائسة في الغرب . ولكن مودل لم يستمر اكثر من ثلاثة اسابيع رغم ان هتلر قد اذن له بالانسحاب الى خط سيغفريد . وجاء رانستد الذي استعاد اعتباره للمرة الثالثة . وقد حاول ان يجمع شتات الجيش الالماني في قوة منسجمة وان يقيم جبهة جديدة تمتد عبر الحدود الهولندية ، وعلى امتداد الحدود الالمـانية بين



الجثث باتت تهدد بانتشار الاوبئة

اكس – لا شابال وبين تريف ، ثم على امتداد الموزل عبر الفوج . وراح رانستد يضم فرقاً من الحرس الوطني وجنود الطيران والبحرية الى القوات البرية . كما بادر في الوقت نفسه الى تدعيم خط سيغفريد الذي اصيب بضربات عنيفة جداً .

كانت المانيا على شفير الهـــاوية . لقد فقدت بين حزيران وأيلول مليوني جندي بين قتلى وجرحى وأسرى . في الجبهة الغربية وحدها فقدوا نصف مليون من الجنود . كما فقد الحلفـــاء نصف هذا العدد تقريباً بين قتيل وجريح وأسير اي ٢٣٥ الفاً ، يضاف الى ذلك ان مئتي الف جندي الماني قد جمدوا في موانىء مطلة على بحر المانش او المحيط الاطلنطي.

وقد ارغم الالمان على ترك كميات كبيرة من تجهيزاتهم العسكرية ، في فرنسا وفي الجبهة الروسية . وقد اصيبت مصانعهم التي تنتج البترول الصناعي عندهم اصابات شديدة منعتهم من ان يستعملوا كل طائراتهم ودباباتهم مرة واحدة في اية معركة من المعارك .

وما دام ان الالمان قادرون على الصمود في المرافىء المحاصرة فقد كان على الحلفاء ان يستمروا في التموين بواسطة المرفأ الصناعي « قلبري » حتى شواطىء ارومانش او عبر مرفأ شربورغ . كما ان الغارات الجوية الحليفة قد احدثت من التخريبات في المواصلات الحديدية الفرنسية ما ارغم الانكليز والاميركيين على استعمال سيارات الشحن لنقل المؤن والذخـــائر بين الشواطىء والخطوط الحربية الاولى . وبما ان في اوروبا مليوني جندي حليف ، وبما أن كل فرقة من الفرق الست والثلاثين بحاجة الى مؤونة يومية تتراوح بين ٦٠٠ و ٧٠٠ طن فقد وجب على القوات الحليفة ان تنقل يومياً عبر الجبهة ما زنته عشرون الف طن . المعضلة الاساسية هي معضلة الوقود التي تحتاج المدرعات اليه . وقد مد انبوب تحت البحر بين بريطانيا وفرنسا لجر الوقود ثم تنقله سيارات خاصة حتى الجبهة في طرق ذات اتجاه واحد وبسرعة هائـــلة وهي طرق كانت تفتح وراء القوات

المتقدمة . على ان القوات الحليفة قد اضطرت للتوقف عند الحدود الالمانية بسبب صعوبات التموين التي طالت خطوطها .

في ذلك الوقت طالب مونتغمري بوضع الاربعين فرقة حليفة تحت قيادته الوحيدة ليتسنى له القيام بحملة واسعة على المانيــا قبل ان يدخل فصل الشتاء بحيث يخترق خط سيغفريد ويبلغ ما وراء الرين الاسفل ، وهو سهل المانيا الشمالية . وفي ضوء هذا المخطط تتوقف عمليــات التموين في كل القطاعات الاخرى حتى تتحقق اهداف هذه الحملة . وظهر حل آخر بمنح باتون قيادة الاربعين فرقة وامكانيات التموين كلها بحيث يجتاح السار ويقسم المانيا إلى قسمين . وكان مونتغمري يفضل الغارة على الشمال لأن في وسع الدبابات هناك ان تناور بسهولة فائقــة اولاً بسبب طبيعة الارض ولان البحر يحمي جناحها الايسر ، بالاضافة الى قدرتها عــلى احتلال قواعد القنابل الطائرة ف ١ ، و ف ٢ ، وهي ما تزال في حوزة الالمان . ويقدر مونتعمري اخيراً بأن الرور وبرلين اهم جداً من الناحيتين السياسية والاقتصادية وأعظم خطراً من المنطقة التي تقع في متناول الجنرال باتون .

الخطة كانت جريئة ولكن ايزنهاور لم يكن واثقاً من قدرته عــلى التموين المستمر من ناحية كما لم يكن يشارك مونتغمري في رأيه بقرب انهيار الجيش الالماني . يضاف الى ذلك ان الجنرالين برادلي وباتون كانا يمارسان ضغطاً شديداً على ايزنهاور بسبب رغبتهما في متابعة الهجوم في الجناح الايمن . وقد كان على جيش هودجز ان يصبح تحت قيــادة مونتغمري لو تمت الموافقة على خطة هذا الاخير ؛ ولكن انتقال القيادة اليه يتنافى مع الاتفــاق الذي تم مسبقاً والذي يقرر ان قيادة الجيوش الاميركية يجب ان تبقى اميركية الى النهاية .

وأمام هذه الحالة بادر ايزنهاور الى قطع التفاحة قطعتين . فقرر ان يكون الهجوم على جبهة واسعة ؛ وفيه نسبة من الخطر أقل ، وأن يكون

التموين مناصفة بين مونتغمري وباتون . ووافق على ان يقوم مونتغمري بارسال مظليين وراء الرين الاسفل في ارنهام وهي عملية لا تخلو من الخطر.

وفي ١٧ ايلول تمت هذه العملية التي كانت الغاية منها اجتياز خط سيغفريد في جانبه الشمالي وقسم هولندا الى قسمين مما عزل قواعد القنابل « ف ٢ » وجيشاً ألمانياً مؤلفاً من ٥٣ الف جندي غربي البـــلاد .



على الشاطىء الايمن لنهر الرين ، جنود المظلات يهبطون بسلام

وهبط الجنود المظليون للفرقة البريطانية الاولى ثم جنود الفرقتين الاميركيتين ٨٢ ، ١٠١ من الشمال الى الجنوب ؛ وكانت مهمتهم احتلال الجسور الاستراتيجية في ارنهام عند الرين الاسفل ، وفي نيماغ عند الوول وفي غراف عند الموز ثم فتح ممر طويل بين الحدود الالمانية ونيماغ . وفي الوقت نفسه انطلقت ثلاث فرق من الجيش البريطاني الثاني من ضفة قنال «موز – ايسكو» الشمالية نحو الشمال ليتم اتصالها بالقوى المظلية الهابطة في المواقع المذكورة اعلاه . ارنهام توجد على بعد ١٠٠ كيلومتر وكان على هذه الفرق ان تجتاز المسافة في ثلاثة ايام .

منذ البداية كان سوء الحظ يرافق العملية . فبدلاً من ان يتم انزال المظليين مرة واحدة لمواجهة الالمان بقوات كبيرة امتد الانزال ثلاثة أيام بسبب ندرة الطائرات نسبياً . ثم تدخلت الاحوال الجوية السيئة فحالت دون وصول النجدات والمؤن في الوقت المعين . واكتشف الالمان بفعل المصادفة خطة الحلفاء في طائرة شراعية اسقطوها لهم فعرفوا قوة الحلفاء واغراضهم ؛ مما سمح لهم بالقيام بهجوم معاكس في الوقت المناسب والمكان المناسب . وفي الوقت نفسه كانت مكاتب استعلامات الحلفاء تجهل أن جيش المدرعات الالماني الثاني « اس. اس » يتجمع في قطاع ارنهام. وقد قذف بهذا الجيش المدرب الى المعركة . وزاد في الطين بلة ان الفرقة البريطانية الاولى للمظليين قد نزل جنودها بعيداً عن ارنهام ولم يستطيعوا بلوغها بعد ذلك ابداً .

ورغم ان المواقع الاخرى قد احتلتها القوى المظلية الاميركية والفرق البريطانية تساعدها المقاومة الهولندية فان الممر الذي فتح لم تستطع الصمود أمام الهجمات الالمانية الجانبية ، يضاف الى ذلك ان القوى البرية لم تستطع اجتياز المسافة الى ارنهام بالسرعة المطلوبة . وهكذا حاصر الالمان قوى المظليين في منطقة طولها ١٤ كيلومتراً وعرضها ٨ كيلومترات ثم جزؤوها اجزاء متعددة . اما الجهود التي بذلها الحلفاء لانقاذ المحاصرين من

مظلييهم بالمؤن والنجدات فقد فشلت في تحقيق اغراضها ايضاً ..أما فيما يتعلق بالقوات البريطانية البرية فلم تحتل بسبب المقـاومة النازية الضفة الجنوبية لنهر الرين من الجهة الاخرى لمدينة ارنهام. لقد كان بينها وبين المدينة بعض الكيلومترات وحسب. وبعد قتال دام عنيف استمر ٩ ليال و٩ نهارات امر مونتغمري فرقته الأولى بالانسحاب. واجتار جنود الفرقة مياه النهر وعادوا الى خطوط الحلفاء ولم يبق من العشرة آلاف جندي غير ٢٤٠٠ فقط.

وهنا قرر الحلفاء اعداد المرافىء التي يملكونها لاستقبال المؤن والذخيرة بعد ان فشلوا في الاستيلاء على خط سيغفريد بهجوم جانبي. في ايلول استولى الجيش الكندي على ثلاث موانىء عند بحر المانش: الهافر، بولوني، وكاليه. بينما استولى الجيش التاسع الاميركي بقيادة وليـام سمبسون على ميناء برست في ٢٠ ايلول وأسر ٣٧ الف جندي الماني بعد هجمات استمرت ستة اسابيع. ولكن الهدف الاساسي كان في احتلال انفرس التي يحول قربها من الجبهة دون ان يستعمل الحلفـاء ميناءها البحري. وكانت معركة قاسية تلك التي خاضها الحلفاء لاخراج الالمان من برسكنس وبيفيلند وجزيرة وولشترين.

وبفضل المساندة التي قدمتها مدافع الحلفاء البحرية وطائرات القوات الجوية الانكليزية استطاع الكنديون والفدائيون الانكليز ان يحرروا مصب نهر الايسكو. وانتهت هذه العمليات في ٩ تشرين الثاني. ودفع الكنديون ثمنها غالياً. فقد تركوا في ميدان القتال ٢٧٦٣٣ جندياً مقابل ١٢٥٠٠ أسير الماني. وقد انزلت احمال أول قافلة بحرية حليفة في مرفأ انفرس في ٢٨ تشرين الثاني نفسه، بعد ان رفعت الالغام البحرية على امتداد مئة متر من مصب النهر.

هكذا استطاع الحلفاء ان يجمعوا كميات هائلة من الاحتياطي بعد ان اصبحت كل هذه المرافىء تحت تصرفهم فأصلحوا الجسور والطرق البرية



جنود من الجيش الاميركي

والحديدية الفرنسية . ثم استفادوا من جيش اضافي هو الجيش الاميركي التاسع بعد سقوط برست ، فامتدت الجبة التي يحتلونها من الحدود السويسرية الى شاطىء البحر : وتوازت على الترتيب ؛ الجيش الكندي الاول ، الجيش البريطاني الثاني ، الجيوش ٩ ، ١ ، ٣ و٧ الاميركية واخيراً الجيش الفرنسي الاول . كل هذه الجيوش خلا الجيش الكندي كانت تهاجم هدفين اثنين رئيسيين بالنسبة للحلفاء: احواض الرور والسار. الشتاء ، والمطر والوحل كلها حالت دون استمرار التقدم بسرعة . وتزايد صمود الالمان بعد ان اصبحوا يدافعون عن ترابهم الوطني . على ان الحلفاء بقوا يتقدمون شيئاً فشيئاً . فاخترق جيش هودجز الاميركي الاول خط سيغفريد بعد معركة دامية استمرت ثلاثة اسابيع واحتل أول مدينة المانية كبيرة : اكس لا ـ شابال . ثم خاض اعنف معركة واجهها الحلفاء

حتى ذلك الوقت في غابة هورتجن ، عند روّوار آخر عقبة قبل نهر الرين.

وفي منطقة شمالية كان الجيشان : الثاني البريطاني ، والتاسع الاميركي يتقدمان ايضاً باتجاه روّوار نفسها. وبعد الاستيــلاء على متز في تشرين الثاني توجه باتون بجيشه الثالث نحو حدود السار وأقام ثلاث رقاب جسور في الجهة الاخرى من نهر السار . وفي اواسط كانون الاول احتل جيش باتش السابع الاميركي ستراسبورغ وبلغ نهر الرين في الوقت نفسه الذي بلغه فيه الجيش الاول الفرنسي ، ولم يترك للالمان غير نتوء صغير في ضفة النهر الغربية ، جيب كولمار .

معركة الاردين

وبينما كان الحلفـــاء يدعمون مواقعهم العسكرية ، فيعيدون تنظيم جيوشهم كان الالمان يستعيدون انفاسهم ، ذلك لأن المقاومة العنيفة التي تميزت بها الحاميات الالمانية المعزولة في المرافىء قد منحت الجيش الالماني فرصة العمل على تدعيم مواقعه الدفاعية . وبالاضافة الى ذلك كان هتلر قد بدأ منذ شهر ايلول يضع خطة واسعة للقيام بهجوم معاكس ويجمع لهذا الغرض قوات عسكرية هائلة عند ابواب الاردين . ثــلاثة جيوش منظمة ومزودة بتجهيزات عسكرية جديدة جمعت تحت قيــادة الجنرال فون رانستد . كان هناك ٢٥٠ الف رجل اي كثر من ثلاثين فرقة ١١ منها فرقة مدرعة ومعها الفا دبابة وثلاثة الآف طائرة وعدد كبير من وحدات المدفعية .

كانت مهمة هذه الجيوش تكرار العمل الكبير الذي قــام به فون رانستد ضد الفرنسيين عام ١٩٤٠ ، لقد كان على هذه الجيوش ان تجتاز منطقة الاردين ، ثم تمر بالموز ، ثم تصعد بعد ذلك نحو الشمال

لاستعادة انفرس . فاذا وصلت هذه الجيوش الى البحر فان قوات الحلفاء تتجزأ وتكون منها اربعة جيوش محصورة في هولندا وبلجيكا ومحرومة من اية وسيلة للتراجع او للهرب . اما الجبهة الفرنسية فتواجه نهايتها . وقد كان على المظليين ان يستبقوا المدرعات والمشاة فيهبطوا وراء خطوط الحلفاء ويقوموا باعمال تخريبية ويلبسوا ازياء الجنود الحليفة ويتكلموا الانكليزية ثم يقودوا سيارات امير كيـــة وبذلك يضمنون الاستيلاء على المواقع الرئيسية من مثل جسور الموز ويشيعون الفوضى في مؤخرة الامير كيين . والواقع ان الهجوم على الرور والسار قد دفع الحلفاء الى اخلاء القطاع المركزي لجبهتهم اي الى اخـــلاء الاردين . والملاحظ ان الجيش الثامن بقيادة تروي ميدلتون كان يحتل وحده جبهة تمتد ١٤٠ كلم . اربع فرق اثنتان منها لم تسترح بعد من معارك غابة هادجن الدامية وواحدة مؤلفة من متطوعين جدد يواجهون الميدان لأول مرة ، اما الرابعة وهي فرقـــة مدرعة فقد كانت تتولى حماية الجبهة كلها . وفي ١٦ كانون الأول ، أطلق رانستد في وقت مبكر والضباب يملأ الافـــق الثلاثة الجيوش على جبهة طولها ٧٥ كلم بين مونجوا واشترنخ . المفاجأة كانت كاملة . لقد استطاع الجيش الالماني ان يحطم الخطوط الامير كية وان يتجه نحو الموز . ولكن الاوضاع لم تكن كما كانت عام ١٩٤٠ . والجيش الالماني لم يعد هو الجيش الذي يقابله جيش فرنسي منهار في معنوياتـه . صحيـح ان وحدات امير كية قد تركت اماكنها وتراجعت ولكن وحدات أخرى تشبثت بمواقعها وراحت تدافع عن الارض متراً بعد متر .

وبما ان الجو لم يكن يساعد الطيران الحليف على التدخـــل فقد كانت نتيجة المعركة متعلقة بصورة خاصة بالاشراف على المفارق الكبيرة للطرق . اما الارض التي كانت مليئة بالتعرجات والغابات فقد حدت من تحرك القوى المدرعة . يضاف الى ذلك ان شبكة الطرق نفسها لم تكن كافية لمثل هذه المناورة الهجومية . المفارق الرئيسية كانت سانت – فيت



احدى القرى الالمانية وقد هدمتها قنابل القلاع الطائرة

وباستونيا . هذه المدينة الاخيرة تقوم عند تلاقي سبع طرق كبيرة .

في سانت – فيت قاومت الفرقة الاميركية السابعة مقاومة يائسة استمرت ستة ايام . وبذلك اضعفت الانطلاقة النازية نحو الموز . وسقطت سانت فيت في ٢١ كانون الاول . وبينما كانت بقايا فرقة المشاة ٢٨ والفرقتين المدرعتين التاسعة والعاشرة تواجه حملة الالمان في باستونيا ، استدعى ايزنهاور فرقة المظليين ١٠١ التي كانت تستريح في ريمس للدفاع عن المدينة . وفي عشرين كانون الاول كان نحو من ١٨ الف اميركي يدافعون عن باستونيا التي تحاصرها ثلاث فرق المانية اي ٤٥ الف رجل تقريباً .

وقد بذل الالمان كل جهد ممكن لتحطيم ملتقى الطرق هذا . وفي ٢٢ كانون الاول عرضوا على المحاصرين في باستونيا شروط استسلام مشرف ولكن الجنرال ماك اوليف رفض العرض بصورة جازمة .

واندفع الالمان في ثغرات على امتداد مئة كلم عبر الخطوط الاميركية ووصلوا الى نقطة تبعد ٥ كلم عن الموز شرقي دينان . وهناك اوقف انطلاقهم . وكان الرد الاميركي سريعاً وعنيفاً وذكياً في الوقت نفسه . اما المظليون والمخربون الالمان فقد لوحقوا وتساقطوا بين قتيل واسير . وأما جناح الجيب الذي يمتد على ٥٥ كلم فقد قاوم وصمد وبقيت جسور الموز بين ايدي الحلفاء . واستطاع باتون بمناورة رائعة ان ينقل نقطة ارتكاز الجبهة التي يقف فيها جيشه الثالث من الشرق الى الشمال ضد النتوء الالماني . أما قائدا الجيش الاول هودجز والتاسع سمبسون فقد توجها نحو الجنوب أي ضد الجناح الايمن للنازي بحيث استطاعا ان يقصا النتوء قصاً . وفي ٢٣ كانون الاول كان الطقس جيداً . فانطلقت الطائرات الحليفة تضرب جبهة الالمان وصفوفهم الخلفية بالقنابل وبرصاص الرشاشات دون توقف . وفي اليوم التالي لعيد الميلاد كانت مدرعات باتون قـد احدثت ثغرة لها في الخطوط الالمانية التي تحاصر باستونيا . وعندما شعر فون رانستد باقتراب الخطر من جناحيه تراجع بانتظام نحو الشرق .

وفي نهاية كانون الثاني كانت المعركة قد انتهت في جيب الاردين واستعادت الخطوط الحليفة مواقعها التي كانت تحتلها قبل الهجوم الالماني.

خسر النازيون ٩٠ الف بينهم ١٣ الف قتيل. اما الخسارة الاميركية فقد بلغت حوالي ٧٧ الف رجل منهم ٨٦٠٠ قتيل.

هكذا يكون هتلر قد استنزف كل ما تملكه المانيا من قوات احتياطية. فلم يبق عنده شيء يتجنب به الخطر الذي كانت تتحدد معالمه اكثر فأكثر في الجبهتين الشرقية والغربية.

الانتصار في اوروبا

انتصار الجيش الاحمر

كان الجيش الاحمر قد قام بسلسلة من الهجمات بعد اربعة ايام فقط من بداية عمليات انزال الجنود في نورماندیا . هذه الهجمات لم تحرر الارض السوفياتية من الغزاة الالمان وحسب ولكنها ايضاً قد اخرجت من المعركة قبل نهاية العام ثلاثاً من الدول التي كانت تدور في الفلك الالماني . ورغم ان الالمان قد جندوا ضد الجيش الاحمر القسم الاكبر من قواتهم — ۲۰۰ فرقة اي اكثر من مليون ونصف مليون رجل — كان الجيش الاحمر المؤلف من ۳۰۰ فرقة مجموع رجالها ٤ ملايين ونصف رجل يتميز بتجهيزات عسكرية بنسبة ٣ الى ١ من التجهيزات الالمانية . اما تفوقه في الدبابات والمدافع والطائرات فقد كان بنسبة ٥ الى ١ .

الهجوم الروسي الاول كان ضد الفنلنديين ، اي في ۱۰ حزيران . وتمت مفاوضات دبلوماسية لجهة تحقيق صلح منفرد مع فنلندا منذ شباط ١٩٤٤ ، ولكن شيئاً لم ينتج عن هذه المفاوضات .

واستطاعت جيوش الجنرال غومورروف ان تحطم خط مانرهيم واحتاجت

الى ١٢ يوماً للاستيلاء على فيبوري . وفي ايلول طلب الماريشال مانرهيم الصلح بعد ان خلف الرئيس رستوريتي . وتم التوقيع على الصلح في ١٦ ايلول . وقد منح هذا الصلح الروس كل ما كانوا يطلبونه من فنلندا عام ١٩٤٠ بالاضافة الى قطاع بتسامو ثم شبه جزيرة بوكالا على صورة الاعارة وتعويضاً قدره ٣٠٠ مليون دولار .

وبما ان الالمان لا يتراجعون الا بالقوة فقد نفذوا حين تراجعهم من فنلندا سياسة الارض المحروقة . وبما ان الفنلنديين لم يوافقوا على هذه الخطة فقد انفجرت الحرب بين الفريقين . اما الروس فلم يتوصلوا الى تطهير شمال فنلندا من الفرق الالمانية العشر التي كانت هناك الا في شهر تشرين الاول . فقد دفعوا القوات الالمانية الى ما وراء الحدود النروجية ثم حرروا بهذه المناسبة المرفأ النرويجي كيركينس .

كان الروس من اقصى الجبهة الى اقصاها ، من البلطيق الى البحر الاسود ينقلون هجماتهم دون توقف . وعندما تفتر العمليات الحربية في جزء من الجبهة تنطلق هجمات قوية في جزء آخر . اما الالمـــان الذين يسعون الى تحقيق التوازن بينهم وبين الروس فانهم لم يجدوا فرصة كافية لتنظيم خطوطهم .

في جبهة البلطيق انقض الجيش الاحمر من جانبي بحيرة بييوس وجرر استونيا . ثم توجه نحو ليتونيا وليتوانيا ، وحاصر الالمان في ميمل وفي كورلاند ، ثم انتقل الى نيمن وتابع طريقه نحو حدود بروسيا الشرقية . وأما في روسيا البيضاء فقد سحقت الجيوش السوفياتية خط (فاترلاند) وانقضت بعد ذلك على فيتبسك وموجيلاف وبوبرويسلك ثم حاصرت منسك واستولت عليها . ومنسك هي القاعدة الرئيسية في الجبهة الوسطى . أما في بولونيا فقد استولى الجيش الروسي على بياليستوك وبريست ليتوفسك ولفوف ، ثم اخرج الالمان من الفيستول والكاربات بحراب البنادق . وفي قطاع لفوف ، اجتاز السوفيات الفيستول وأقاموا رأس جسر طوله ٧٥



المجاعة تكتسح اوروبا

كلم وعرضه ٣٤ كلم فوق ضفة النهر الغربية . وبالقدر الذي كانت تظهر فيه وتتأكد معالم الانتصار على المانيا ، كانت اغراض الروس تبتعد بصورة مطردة عن اغراض الغربيين . وبدا بوضوح أن السوفيات كانوا يستهدفون السيطرة على اوروبا الشرقية والوسطى .

وقد تجسمت الخلافات بطريقة عنيفة في بولونيا. فبينما كانت جيوش الجنرال قسطنين روكوسوفسكي تقترب من فرصوفيا في الاول من آب كان الجيش البولوني السري الذي يقوده الجنرال تادوز بوركوموروسكي الموالي للحكومة البولونية في لندن والمعادي للشيوعية وللروس ؛ كان هذا الجيش يرفع علم الثورة على النازيين في العاصمة البولونية . وقد وجه راديو موسكو نداء الى المقاومين البولونيين ليشاركوا في تحرير بلدهم بعمل مباشر في شوارع فرصوفيا وبيوتها للتعجيل في تحقيق التحرر النهائي وللحفاظ على حياة اخوانهم . وكان البولونيون يأملون في الحصول على استقلالهم من الروس فيما اذا شاركوا في عمليات تحررهم .

وعلى ذلك فقد توقفت صفوف الجيش الاحمر في الجهة الاخرى من الفيستول تجاه فرصوفيا . وقد اعلن الروس ان توقفهم هذا قد كان بسبب معضلات التموين والنقل وتحت ضغط الهجمات المعاكسة التي كانت تشنها الفرق الالمانية . لقد بقي الجيش الأحمر شهرين كاملين عند مدخل فرصوفيا بينما كان النازيون يقاتلون اربعين الف رجل هم نواة الجيش البولوني الداخلي من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت مما أحدث ١٥ الف قتيل بولوني . أما المقاومون الآخرون فقد نقلوا جماعات جماعات الى معسكرات الاعتقال .

وقد رافقت حرب الشوارع هذه احداث معينة يهمنا ان نشير اليها .
أولاً : رفض الروس تقديم اية معونة للبولونيين الذين كانوا يخوضون حرباً انتحارية ضد الالمان . وقد اطلقوا على الجيش الداخلي البولوني اسم (عصابة المغامرين) .

ثانياً : اعتبر الروس امتناعهم عن تقديم المعونة للجيش الداخلي عملاً مشروعاً بدعوى ان هذا الجيش لم ينسق ثورته مع القيادة السوفياتية العليا وان هذه الثورة قد لعبت دورها لمصلحة الالمان بسبب ذلك .

ثالثاً : رفض الروس السماح للطائرات الحليفة التي كانت تطير من قواعدها الايطالية على بعد ١١٠٠ كلم لانزال المؤن الى البولونيين بالنزول في مطاراتهم للتزود بالوقود بدعوى ان المؤن كانت تسقط بين ايدي الالمان .

وبينما كانت الجيوش الروسية تستعيد انفاسها بين البلطيق وجبال الكاربات وهو القطاع الذي جمع فيه هتلر اكثر مدرعاته بدأ هجوم روسي آخر في الجبهة الجنوبية بين الكاربات والبحر الاسود .

وفي ٢٠ آب قفز جيشان روسيان بقيادة الجنرالين روديون مالينوفسكي وفيدور طولبوخين الى ما وراء نهر دنيبر وحطما جبهة العدو كلها . لقد استوليا على جاسي وكيشينيف في يومين اثنين ثم حاصرا الجيش الالماني السادس وسحقاه وانطلقا بعد ذلك يغزوان مولدافيا وبيسارابيا . وفي اليوم الثالث ، ٢٣ آب اقال ملك رومانيا ميشال الماريشال انطونيسكو وعين مكانه الجنرال ساناتيكو وأعلن وقف اطلاق النار بينما انتدب بعض الرجال للسفر الى انقره من اجل مفاوضة الحلفاء على عقد الصلح . وفي اليوم التالي اغارت الطائرات الالمانية على مدينة بوخارست بصورة وحشية بقصد الانتقام ، وفي اليوم الذي يليه اعلنت رومانيا الحرب على المانيا وعلى المجر . وقد ساعدت الفرق الرومانية ، الجيش الاحمر على تحطيم المقاومة الالمانية في البلاد ، كما ساعدت الروس على أسر عدد كبير من جنود العدو واحتلال الحقول البترونية في بلووستي ، وموانيء البحر الاسود وشبكة الطرق الحديدية الرومانية التي لم تصب بأذى . وبسبب ذلك حلت معضلات التموين لدى الروس . وقد تقرر بين شروط معاهدة الصلح الموقعة في موسكو في ١٢ ايلول ان يتنازل الرومانيون لروسيا عن المنطقة

التي كان السوفيات قد استولوا عليها عام ١٩٤٠ ، كما تعهدوا باعادة املاك الحلفاء ودفع ٣٠٠ مليون دولار كتعويضات حرب خلال ستة اعوام وتسليم بحريتهم التجارية . مقابل ذلك اعتبر الرومانيون محاربين الى جانب الروس ووعدوا بعد هزيمة المجر بتسلم قسم من ترانسلفانيا .

اما بلغاريا التي كانت منذ شهر تموز تقترح الصلح على الحلفاء ؛ فقد اعلنت خروجها من الحرب في ٢٦ آب ثم رفضت القتال الى جانب الحلفاء بدعوى انها بلد محايد . في هذه الاثناء كانت الجيوش البلغارية الموجودة في اليونان ويوغوسلافيا تتابع مساندتها للألمان . وفي ٥ ايلول أعلن الروس الحرب على بلغاريا . وبعد ٤ ايام استسلمت هذه الاخيرة واحتلت جيوش طولبوخين اراضيها . وقد اعربت الحكومة البلغارية الجديدة عن نيتها في دخول الحرب مع المانيا ولكن الهدنة الموقعة في ٢٨ تشرين الاول طلبت من بلغاريا اعادة الاراضي المسلوبة الى يوغسلافية والى اليونان .

وصعد السوفيات وادي الدانوب بعد ان اصبحت رومانيا وبلغارية خارج المعركة وارغم الالمان على اخلاء اليونان من قواتهم العسكرية . وقد نجح الالمان في الانسحاب شيئاً ما رغم الهجمات العنيفة التي انقض بها المقاومون اليونان واليوغسلاف عليهم والتي قام بها البلغاريون حلفاؤهم السابقون . كما ان الالمان ارغموا على ترك حامياتهم في جزيرتي كريت ورودوس بسبب عجزهم عن نقل رجالهم الى الارض الالمانية .

وفي ٤ تشرين الاول نزل البريطانيون في بترا . حيث وجدوا مقاومة ضعيفة . واستولوا على البلاد خلال خمسة اسابيع . الا انهم ورثوا وضعاً سياسياً بالغ التعقيد ففي عام ١٩٤٣ اعلنت الحرب الاهلية بين حركتي المقاومة الرئيستين : جبهة التحرر الوطني ذات الميول الشيوعية وقواتها العسكرية من جهة والجيش الوطني الديمقراطي والمعادي للشيوعية من جهة اخرى . وقد لوحظ ان الفريقين قد اقتتلا احدهما ضد الآخر اكثر من

اقتتالها ضد الغزاة النازيين . وكلاهما لم يكونا يؤيدان الحكومة الملكية اليونانية في المنفى والتي يؤيدها البريطانيون ويرفضان عودة الملك جورج الثاني . وفي نيسان من عام ١٨٤٤ وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش السوفياتية تنقض على بلاد البلقان ويستعد فيه الالمان لإخلاء اليونان من قواتهم العسكرية انفجرت ثورة في البحرية والجيش اليونانيين الموجودين في مصر ضد حكومة المنفى . ولكن هذه الثورة لم تلبث ان خنقت من قبل الجيوش البريطانية . وقد تم تأليف حكومة اتحاد وطني تمثل مختلف التيارات برئاسة باباندريو الاشتراكي الديمقراطي . ومع ذلك فان حرباً اهلية قد اعلنت في ٣ كانون الاول من قبل جبهة التحرر الوطني ضد هذه الحكومة . فأمر تشرشل الجيش البريطاني المقيم في اليونان بالتدخل وبسحق الثورة مما اثار عاصفة من الاحتجاجات في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة ووسع شقة الخلاف بين الحلفاء .

وقد حاول تشرشل ان يدافع عن وجهة نظره فأعلن في مجلس العموم ان الديمقراطية لا تقوم على العنف او الارهاب بل على العقل والحرية واحترام حقوق الآخرين . ان الديمقراطية ليست مومساً يلتقطها في الشارع رجل مسلح بالرشاش . وفي عشية عيد الميلاد من عام ١٩٤٤ ، وفي الوقت الذي كانت تحتدم فيـــه معركة الاردين طار تشرشل الى اثينا . وهناك توصل الى اقامة نظام وصاية اعتبر في نظر المراقبين عملية تسوية بين مختلف الفرقاء الا انه جعل هذه الوصاية لرجل من خصوم الشيوعية هو الاسقف دامسكينوس . واصبح الجنرال بلاستيراس رئيساً للوزراء ، كما قبل الملك جورج الثاني بعدم العودة الى اليونان الا اذا وجهت اليه دعوة صادرة عن الارادة الوطنية الحرة . وهكذا اعاد تشرشل الى اليونان سلاماً محفوفـاً بالصعوبات .

في هذا الموضوع امتنع ستالين عن اتخاذ اي موقف معين . ولكن حياده آنذاك قد دفع ثمنه غاليـــاً . في تشرين الاول عام ١٩٤٤ وبينما

كان تشرشل في موسكو وضع هذا الاخير الخطوط العامة لمعاهدة تنص على اقتسام النفوذ في بلاد البلقان . هذه المعاهدة كانت تضمن لروسيا في رومانيا نسبة من النفوذ تبلغ ٩٠ في المئة يقابل ذلك نفوذ انكليزي اميركي في اليونان له مثل هذه النسبة . أما في المجر ويوغوسلافيا فقد ضمن كل من الطرفين ٥٠٪ بينما احتفظت روسيا في بلغاريا بنسبة ٧٥٪ . وقد أفاد ستالين من هذه المعـــاهدة ليحتفظ لنفسه بحرية كاملة للعمل في رومانيا وبلغاريا . وقد لوحظ أن تشرشل كان يعتبر هذه المعاهدة سارية المفعول حتى انتهاء العمليات العسكرية على ان يعاد النظر فيها بعد مؤتمر الصلح . كما لوحظ ايضاً بأن هذه المعاهدة كانت تكريساً للأمر الواقع باعتبار ان الجيوش السوفياتية كانت تشرف على القطـــاع كله . ومعنى ذلك ان تشرشل حاول ان ينقذ بهذه المعاهدة ما يمكن انقاذه .

قلنا في فقرات سابقة ان جواً من البرود والتوتر قد نشأ بين بريطانيا والولايات المتحدة . ونقول الآن ان ستالين الذي اكتشف هذا الوضع بادر الى وضع يده على جنوب شرق اوروبا فانطلقت ثلاثة جيوش نحو بودابست . وفي تشرين الاول توجهت جيوش الجـــنرال بتروف نحو سلوفاكيا الشرقية عبر الكاربات باتجاه غاليسيا البولونية . وقد تأخر وصول هذه الجيوش فلم تستطع حماية السلوفاكيين من انتقام النازيين الذين جندلوا من هؤلاء الاخيرين وفي مناطقهم الجبلية ٢٠ الفاً من الرجال والنساء .

القوات المتقدمة لجيوش بتروف تغلغلت عبر المجر وفي نيتها الانقضاض على جناح الالمان شمال بودابست فترغمهم على الانسحاب من الدانوب . ونشطت هذه القوات السوفياتية في مسكولك لتتصل بالجناح الايمن لجيش مالينوفسكي واستولى الفريقان على المدينة في الثالث من كانون الاول . وانطلق مالينوفسكي من بوخارست عبر وادي الدانوب واجتاز نهر تيزا الى زغد قبل ان يجد الالمان الوقت الكافي لتجميع قواتهم من البلقان ثم تابع طريقه نحو ضواحي بودابست في الاسبوع الثاني من تشرين الثاني .

ولما واجه مقاومة المانيـــة مجرية عنيفة فضل الإنتظار حتى تصل جيوش طولبوخين .

اما طولبوخين فقـــد انقض نحو الغرب ؛ منطلقاً من بلغاريا الى يوغسلافيا حيث التقى بانصار تيتو لتحرير بلغراد في ٢٠ تشرين الاول . ثم غير اتجـــاهه واجتاز نهر الدانوب نحو الشمال الغربي ليتصل بالجناح الايسر لجيش مالينوفسكي وليشارك في حصار بودابست الذي بدأ في نهاية كانون الاول .

في آذار ارسل المجريون الى تركيا وفداً لمفاوضة الحلفاء على الصلح وفي وسط تشرين الاول كان الاميرال الوصي ميكلوس هورتي قد طلب الهدنة . ولكن النازيين اعترضوا على هذا الطلب واقاموا حكومة جديدة من الفاشيست المجريين رئيسها فيرنك سكالازي . ومقابل ذلك شكل السوفيات حكومة اخرى لم تلبث ان اعلنت الحرب على المانيا .

الروس لم يكونوا يطمعون في اكثر من ان يتولى تيتو مهمة الجبهة اليوغسلافية . وتيتو ، او جوزيب بروز ، كان زعيماً للحزب الشيوعي اليوغسلافي منذ عام ١٩٣٧ . وقد سبق له ان عاش طويلاً في الاتحاد السوفياتي وطور هناك ثقافته السياسية .

وبعد الغزو النازي ليوغسلافيا في عام ١٩٤١ استطاع الكولونيل دراجا ميخايلوفيش ان يجمع حوله مجموعة من الصربيين لمتابعة حرب الانصار ضد العدو . وميخايلوفيش هو احصائي قديم في مثل هذه الحرب في الجيش الملكي اليوناني . وقد اطلق على هؤلاء الانصار اسم (شتنيكس).

وبما ان يوغسلافيا كانت ميداناً لتناقضات عنيفة بين اقلياتها الوطنية من سلوفانيين وكرواتيين وصربيين بالاضافة الى خلافات سياسية عميقة بين جمهوريين وملكيين وشيوعيين وفاشيست فان حربـــاً اهلية ثلاثية الاتجاهات جعلت بأس الناس بينهم شديداً فكانت العداوة عنيفة بين الاوستاشي اي الفاشست ثم اتباع ميخايلوفيتش واخيراً انصار تيتو الشيوعيين .

والواقع ان محاولات تيتو لفرض الشيوعية على البلاد وقسوته في القضاء على خصومه السياسيين وتصرفاته العنيفة قد جعلت الحرب عنيفة ضارية بين انصاره وانصار ميخايلوفيتش. وعندما شعر ميخايلوفيتش بعجزه عن مواجهة الضربات التي كانت تأتيه من كل جانب ولا سيما من الالمان انفسهم فقد سعى الى تحقيق تسوية مع المحور .

امام هذا الموقف الذي اثار الشكوك وبعد استحالة الاتفاق بين الشتنيكس والانصار الشيوعيين منح تشرشل تأييده لتيتو وتنكر لميخايلوفيتش. وبالاضافة الى ذلك ضغط على الملك بيار ان يقيل زعيم الشتنيكس من وظيفته كوزير ملكي للحرب على امل ان يتفاهم تيتو مع الحلفاء فيمتنع عن فرض النظام الشيوعي على يوغسلافيا .

يالطا

انعقدت خلال الحرب مؤتمرات كثيرة جمعت بين الانكليز والاميركيين. ولكن حذر هؤلاء من ستالين جعل هذا الاخير قليل الاتصال بهم . فلم يشهد غير مؤتمر واحد عقد خارج روسيا وهو مؤتمر طهران .

وكانت الغاية من هذه المؤتمرات هي الاتفاق على خطوط العمليات العسكرية من ناحية وتحديد المبادىء الكبيرة التي كان الحلفاء يقاتلون من أجلها ثم تسليط النور على اطماحهم ونواياهم .

وعندما اصبحت هزيمة المانيا شيئاً حتمياً شعر الثلاثة الكبار بضرورة اتخاذ قرارات حاسمة حول المعضلات الكبيرة التي ينتظر ان تطرح بين أيديهم . وقد بذل تشرشل جهده خلال خريف ١٩٤٤ لعقد مؤتمر من اجل هذه الغاية . ولكن روزفلت وستالين اتفقا على تأجيل هذا المؤتمر

اما الاول فبسبب اقتراب فترة الانتخابات الرئاسية وأما الثاني فلأنه كان راغباً في رؤية جيوشه تحتل مرتفعاً أقوى في اوروبا الشرقية والوسطى .

وباقتراب نهاية هتلر لم يعد شبح هذا الاخير كافياً لتدعيم اتحاد هذه القوى الكبيرة الثلاث . والواقع ان مؤتمر يالطا الذي عقد بعد ذلك قد قصد منه تسوية الخلافات القائمة بين الفرقـاء الثلاثة . ولكن روزفلت فضل ان يلعب دور الوسيط بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي بدلاً من ان تقف الى جانب الانكليز وهذا في الحقيقة هو الذي فجر مأساة يالطا .

كانت الخلافات الإنكليزية الاميركية تتبـع من وجهتي نظر : اما الانكليز فقد كانوا يعتبرون الحرب أداة سياسية تستعمل لاغراض سياسية وهذا شيء يتفق مع واقعيتهم في ميدان السياسة الاوروبية . وأما الاميركيون فقد كانوا بسبب من سذاجتهم وجهلهم يقدرون أن الانتصار على الجيش الالماني هو الهدف الاول الذي يجب ان يبلغوه . امـا الخلافات السياسية فهي مهمة السياسيين لما بعد الحرب . هذا هو مصدر الخلاف الاول . أما مصدر الخلاف الثاني فيعود الى حد ما الى مصدر الخلاف الاول . فالاميركيون بصورة عامة والرئيس روزفلت بصورة خاصة رغم مقاومتهم للنظام الشيوعي لم يكونوا يعرفون شيئاً كثيراً عن اساليب السوفيات واهدافهم السياسية .

هكذا تناقض الانكليز والاميركيون . الانكليز حذرون لا يثقون بأحد واما الاميركيون فيجدون في الخلق الانكليزي ما لا يساعدهم على تسوية الخلافات مع ستالين والتفاهم معه .

الاميركيون كانوا يعتبرون ان الاطماع الامبريالية البريطانية تشكل الخطر الاكبر على سلام عادل دائم . ذلك لان بريطانيا كانت تسعى باستمرار الى تدعيم مصالحها وامنها القومي في اوروبا الغربية والبحر الابيض المتوسط والشرق الاقصى . وقد نبه تشرشل الرئيس روزفلت ولفت نظره الى مزالق السياسة الاميركية حينما قال له يوماً : « سيدي الرئيس اعتقد

انك تحاول القضاء على الامبراطورية البريطانية » .

وطبيعي ان البريطانيين الرسميين بصورة خاصة كانوا متفقين مع تشرشل بعد حرب استمرت ٥ سنوات على تصريح له : « نحن نريد ان نحتفظ بما هو لنا . فأنا لم اصبح وزير الملك الاول من اجل أن ارئس عملية تصفية الامبراطورية البريطانية » .

ومما زاد في شكوك الاميركيين انتشار نبأ المعاهدة التي تم بها الاتفاق على اقتسام النفوذ في بلاد البلقان في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٤ بين تشرشل وستالين .

يضاف الى ما سبق ان ديغول قد اسهم في توسيع شقة الخلاف بين الحلفاء الغربيين لأنه كان هو ايضاً راغباً في أن تعامل فرنسا على انها قوة كبيرة وان تحترم مصالحها في امبراطوريتها وراء البحار .

ومن وراء هذا كله يبدو الحلفاء الغربيون عاجزين عن تكوين سياسة سلم واضح منسجم .

والخلاصة ان السياسة الحليفة الغربية كانت تريد ان تتجنب الاصلاحات الاشتراكية العميقة التي تطمح اليها الشعوب الاوروبيــــة وقد ظهر ذلك جلياً في افريقيا الشمالية وايطاليا وفرنسا وبلجيكا واليونان . لقد كانت هذه السياسة تستهدف إقامة حكومات مستقرة بصورتها التقليدية بحيث ان برامجها لا تخرج عن اطارات البناء الاجتماعي القديم .

اما الاتحاد السوفياتي فقــــد كان على عكس ذلك . انه كان يعرف ما يريد ومــــا ينتظره من الحرب . وكان ستالين يتصرف باستمرار في ضوء البناء السياسي لاوروبا المستقبل . وبما ان الجيش الاحمر كان يشرف في شباط من ١٩٤٥ على كل عواصم اوروبا الوسطى والشرقية باستثناء براغ وآثينا فإن ستالين كان يريد من مؤتمر يالطا اعترافاً خالصاً بحقه في هذه العواصم وتأكيداً للسلطة السوفياتية في تلك المنطقة .

المعضلات الرئيسية التي نوقشت في يالطا كانت تتناول المانيا ، الحرب

ضد اليابان ، اعادة تنظيم اوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية ، ومناقشة منظمة الامم المتحدة وكيفية اقامتها بعد الحرب وهي المنظمة التي كان يرى فيها روزفلت ضمانة لسلم عادل ودائم .

لم يجد الروس أية صعوبة في الاتفاق على المعضلات الاقل اهمية ، من مثل التصريح حول اوروبا المتحررة والتأكيد على المثل العليا التي طالما نوه بها الحلفاء ، واعادة السلم الى العالم ومساعدة الشعوب المصابة بالخسائر الفادحة واخيراً باقامة حكومات مؤقتة ذات صفة تمثيلية لكل التيارات الشعبية ثم الاستعداد لإجراء انتخابات حرة في اسرع وقت ممكن تخرج منها حكومات متجاوبة مع ارادة الشعب .

ولكن الفرق يبقى كبيراً جداً بين اعلان المبادىء وتنفيذها .

فالمعضلات المتعلقة بالمانيا كانت معضلات عميقة وشائكة .

هل يجب تمزيق الريخ ؟

ما هي بنود الهدنة ؟

ماذا يصنع بمجرمي الحرب ؟

ماهي التعويضات التي يجب ان تدفعها المانيا ؟

كيف يتم تحديد مناطق الاحتلال ؟

ما هو الدور الذي ستقوم به فرنسا في عملية الاحتلال ؟

لقد تم اتفاق نهائي على ضرورة ان يستسلم الريخ دون قيد او شرط وعلى رفض كل مفاوضة مع مجرمي الحرب النازيّين كما تم الاتفاق على ابقاء المانيا موحدة . اما مناطق الاحتلال فقد حددت لكل طرف من الاطراف على ان يشترك الجميع في احتلال برلين . ولكن الغربيين اهملوا

تحديد حقوق كل منهم وواجباته بالنسبة لموضوع المرور نحو برلين . يضــاف الى ذلك ان الاميركيين لم يغضبوا حين رفض ستالين اشتراك فرنسا في احتلال منطقة من المانيا بخلاف بريطانيا التي كانت ترى غير هذا الرأي .

وبما ان تشرشل كان يعــلم مسبقاً بأن الاميركيين قد قرروا سحب جيوشهم من اوروبا بعد مرور سنتين على احتلالهم لها فانه كان يريد الاعتماد على فرنسا القوية لتساعده في احتلال المانيــا واقامة توازن في القوى بين اوروبا الغربية والاتحاد السوفياتي . واخيراً وافق ستالين على منح فرنسا حق الاحتلال شرط ان تؤخذ منطقتها من كل من المنطقتين البريطانية والاميركية .

يضاف الى ذلك ان ستالين كان راغباً في تمزيق ٨٠٪ من الصناعة الالمانية الثقيلة وفي المطالبة بعشرين مليار دولار كتعويضات يعود نصفها إلى الاتحاد السوفياتي . أما تشرشل الذي كان يتخوف بالطبع من نشوء ريخ قوي فقد كان شديد الاهتمام بالحيلولة دون ارتكاب الاخطاء التي سبق للحلفاء ان ارتكبوها بعد الحرب العالمية الاولى . لذلك فقد قاوم المطالب الروسية لجهة التعويضات بدعوى ان دفع هذه التعويضات من قبل المانيا سيحدث فيها مجاعة وانهياراً اقتصادياً . وستكون نتيجة ذلك أن الحلفاء الغربيين سيرغمون على إطعام الشعب الالماني وبنــاء بلده كما فعلوا بعد عام ١٩١٨ . وبعد مناقشات طويلة وافق الحلفاء على اعتبار رقم ٢٠ بليون دولار رقماً صالحاً للمناقشة . وطبيعي ان السوفيات قد بذلوا كل جهد ممكن بعد ذلك لجعل هذا الرقم رقماً نهائياً . وبينما كان تشرشل يفكر في إعادة القوة النسبية الى المانيــا على امل ان تقف الى جانب فرنسا وبريطانيا ضد الاتحاد السوفياتي كان روزفلت في مؤتمر يالطا راغباً في معرفة الوقت الذي سيعلن فيه ستالين الحرب على اليابان ومدى استعداد الاتحاد السوفياتي لاشراك قواته المسلحة في هذه الحرب. وطبيعي

ان يفكر الرئيس الامريكي في هذا الموضوع بعد ظهور المقاومة اليابانية المستبسلة وظهور الطائرات الانتحارية في معارك الباسيفيك . وقد قدر رؤساء اركان الحرب الاميركيون الخسائر التي ستتكبدها الولايات المتحدة بسبب هذه المقاومة اليابانية بمليون جندي أميركي كما كانوا يقدرون استمرار الحرب مع اليابان بعد الانتصار على أوروبا بثمانية عشرة شهراً . أما القنبلة الذرية فقد كانت آنذاك في مراحل صنعها الاخيرة تقريباً كما لم تكن قد جربت بعد ، ولذلك لم يكن في وسع الاميركيين اعتبارها عاملاً حاسماً في موضوع الحرب . فمن اجل اختصار هذه الحرب وانقاذ الارواح الاميركية كان روزفلت مصمماً على اشراك ستالين فيها مقابل امتيازات معينة يقدمها الى بلاده . وهو لم يغير رأيه هذا رغم ان الجنرال ماك آرثر والاميرال نيميتز قد قالا له في تموز ١٩٤٤ إن في الوسع القضاء على اليابان بهجوم جوي بحري وبحصار دون ان يعقبه غزو بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة . وقد شاركهما في هذا الرأي القائد الجوي الاميركي الجنرال هنري ارنولد الذي كانت قلاعه الطائرة (ب ٢٩) تغير على الارض اليابانية خلال مؤتمر يالطا من قواعدها في جزائر الماريان .

وقد وافق روزفلت على مطالب الروس كلها مقابل اشتراكهم في الحرب ضد اليابان خلال الاجتماعات الثنائية التي عقدها مع ستالين . أما جنوب سخالين وجزر كوريل فان ملكيتها تنتقل من اليابان الى الاتحاد السوفياتي ، وأما «دَايْرِنْ» فانها ستدول ؛ واما منغوليا الخارجية فتتمتع باستقلال ذاتي دائم ، وهو يعني بالحرف الواحد الاعتراف بانتماء هذا البلد الى الفلك السوفياتي .

والامتياز الاهم الذي تعهد روزفلت بالوفاء به هو الحفاظ على مصالح الاتحاد السوفياتي الهائلة في منشوريا ، وذلك بالموافقة على تأجيره القاعدة البحرية في مرفأ آرثر ومنحه حق الاشراف مع الصين على طرقها الحديدية في المنطقة الشرقية وفي جنوب ماندشو . هذه الامتيازات لا تعتبر

خرقاً للسيادة الصينية وحسب بل هي تنكر عملي لمبادىء روزفلت والولايات المتحدة فيما يتعلق بسلامة التراب الصيني والاوروبي الشرقي وبالاستقلال السياسي لبلدان هاتين المنطقتين من العالم .

هكذا اصبح التوسع السوفياتي في اوروبا الشرقية بداية لانشقاق بين الحلفاء السابقين . وكان أول ما طالب به ستالين هو العودة بالحدود البولونية الى خط كورزن ، الذي سبق لمجلس الحلفاء الاعلى ان حدده في ١٩١٩ ، متأثراً بالرغبة في اجراء تقسيم عنصري عادل بين بولونيا والاتحاد السوفياتي . كما طالب ستالين الحلفاء الغربيين بالاعتراف بلجنة لوبلين للتحرر الوطني الخاضعة للشيوعيين ، باعتبارها حكومة بولونية مؤقتة .

وبما ان الحكومة البريطانية قد دخلت الحرب لمساندة بولونيا والحفاظ على اوضاعها السابقة فقد اصرت على الاعتراف بحكومة المنفى البولونية؛ وراحت تعمل من اجل صنع بولونيا جديدة حرة كما قال المسؤلون فيها. يضاف الى ذلك ان ١٥٠ الف جندي بولوني كانوا منخرطين في مجموعة الجيوش البريطانية وان عدداً من الناخبين الاميركيين من اصل بولوني يتراوح بين ٥ و ٦ مليون يجب ان يحسب حسابهم .

وقد حاول تشرشل خلال سنة كاملة ان يوفق بين وجهات النظر لكل من البولونيين في لندن والبولونيين في الاتحاد السوفياتي ولكنه قد فشل.

وبما ان تشرشل كان يتوقع عجز البولونيين في لندن عن القيام بأي دور عملي في بلادهم بسبب الجيش الاحمر الذي يساند لجنة لوبلين فقد دعا رئيس حكومة المنفى ستانيسلاف مكولاجيك لمشاركته في مناقشات المؤتمر الذي عقده بعد ذلك مع ستالين في موسكو خلال تشرين الاول ١٩٤٤ . وقبل الرجل ووافق اخيراً على اعتبار خط كورزن حدوداً

فاصلة بين بلاده وبلاد الاتحاد السوفياتي مشترطاً على ستالين ان يدع لبولونيا مناطق الكربات البترولية . ولكنه لم يلبث ان استقال لأنه لم يستطع ان يكسب انصاراً لوجهة نظره بين اعضاء حكومته .

أما في يالطا فقد اتفق الثلاثة الكبار على اعتبار خط كورزن حدوداً فاصلة بين البلدين كما رفض ستالين اعتبار المناطق البترولية ولفوف في الكاربات جزءاً من الاراضي البولونية . فقرروا عند ذلك منح بولونيا قطاعاً من التراب الالماني على صورة تعويض يشمل كل بروسيا الشرقية جنوبي كونيغسبرغ وغربيها ، ومينائي دانتريغ وستاتن ، وكل الجزء الالماني الواقع غربي بولونيا حتى الاودر والنيسس . ورغم ان ستالين كان موافقاً على نمو بولونيا وامتدادها حتى النيس الغربية فان تشرشل وروزفلت اعتبرا النيس الشرقية حدوداً نهائية لها . ومع ذلك فقد تأجل الاتفاق النهائي على تعيين هذه الحدود بصورة حازمة .

والواقع ان المعضلة الكبرى بالنسبة لبولونيا كانت كامنة في اختيار نوعية الحكم والحكام . فبينما كان ستالين يصر على اعتبار لجنة لوبلين حكومة مؤقتة بعد اضافة عدد من اعضاء حكومة بولونيا في لندن ، وبينما كان تشرشل يصر على منح بولونيا حقها المطلق في حكم نفسها وفي الاشراف على مقدراتها بادر روزفلت بعد فترة رفض الى اقتراح حكومة ممثلة لكل الاحزاب البولونية السياسية . وقد انتصرت اخيراً وجهة النظر السوفياتية بسبب اصرار الروس ووضوح تفكيرهم . وتم اعتراف الحلفاء بلجنة لوبلين على انها الحكومة المؤقتة . الفرق الوحيد بين صيغة ستالين والصيغة الجديدة التي تم بها الاعتراف ان لفظة «توسيع» اللجنة قد الغيت لتوضع مكانها لفظة « اعادة انشاء » . ان الفرق لم يكن يعني شيئاً كثيراً في نظر الغربيين ولكنه في نظر السوفيات تفويض بانشاء حكومة متجاوبة مع الاغراض والمخططات الروسية .

واتفق الجميع على وجوب اجراء انتخابات حرة في اقرب وقت

ممكن وقبل السوفيات بأن تكون الانتخـــابات تحت رقابة الاميركيين والانكليز .

والواقع ان الجميع قد غادروا مؤتمر يالطا وهم يشعرون بأن تفاهم الكبار كان مرضياً جداً رغم المسائل الكثيرة التي بقيت معلقة بينهم ورغم الخلافات التي نجمت بين بعضهم والبعض الآخر .

الهجوم النهائي ضد الريخ

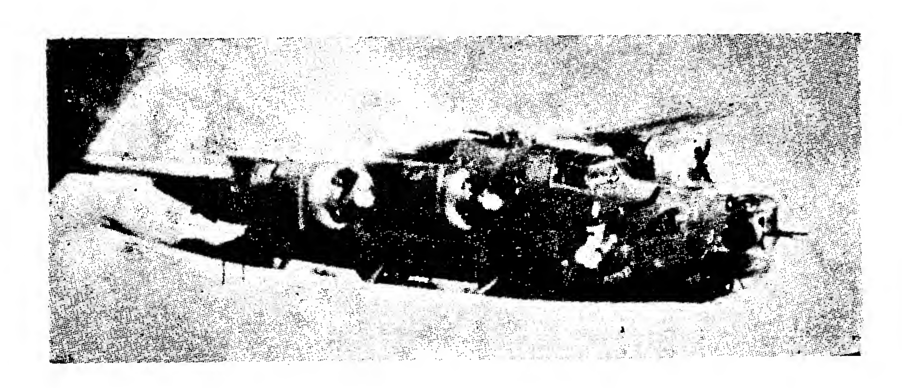
كانت خطة الهجوم النهائي ضد الريخ تشتمل على ثــلاثة وجوه : التحطيم الجماعي للجيوش الالمانية التي كان يجمعها هتلر عند نهر الرين ؛ اجتياز نهر الرين مع الاحاطة بمنطقة الرور ؛ احتلال قلب المانيا والاتصال بالجيش الاحمر . لم يكن الالمان يملكون اكثر من ٨٢ فرقة عسكريــة يقابلون بها ٨٥ فرقة من جيش الجنرال ايزنهاور ، يضاف الى ذلك ان الفرق الالمانية قد انهارت معنوياتها بعد هزيمــة الاردين . وقد تشبثت القوات الالمانية بنهر الرين واستندت اليه . ولكن وضعها قد ساء جداً عندما قرر هتلر في شهر شبــاط من عام ١٩٤٥ ان يقيل فون رانستد ويعين مكانه المارشال البير كسلرينغ . أما خط فاترلاند فــلم تبق منه غير الخرائب . وكانت طائرات الحلفاء تضرب في الوقت نفسه المصانع العسكرية في اصرار ودأب وقسوة كما كانت تضرب طرق المواصلات ووسائل النقل وبصورة خاصة معامل الوقود الصناعي هذه المعامل التي لم تعد تنتج ما كانت تنتجه من قبل بسبب فقدان مادة الفحم . والواقع ان المانيا كانت آنذاك قد فقدت كل مصادر البترول الطبيعي بحيث ان قواها المسلحة لم تعد تحصل الا على ربع ما تحتاج اليه من البنزين و١٥٪



طائرات مسر شميت ٢٦٢ الالمانية وقد عطبتها الغارات **الامير**كية

من المازوت وقد تم صنعها عام ١٩٤٤ .

والملاحظ ان وجهات النظر المختلفة حول الاستراتيجية السياسية العامة



طائرة حليفة تشتعل النيران في مؤخرتها وقد ابى الطيار الا يعود بها الى قاعدتها

كانت تجزؤ الحلفاء . فالانكليز مثلاً كانوا يريدون الانقضاض على شمال المانيا وعلى امتداد جبهة ضيقة . ووراء اصرار مونتغمري على خوض المعارك في جبهة ضيقة عبر منطقة الرين وفوق سهول وستفاليا كان يختبىء خوف الانكليز من ان يتقدم الروس الذين بلغوا نهر الاودر الى موانىء بحر الشمال ، بينما يكون الحلفاء منشغلين بتطهير رينانيا في جبهة عريضة واسعة .

اما الاميركيون فقد كانوا يرون غير هذا الرأي . لقد كانوا يعتقدون ان العدو قد اصبح من الضعف بعد معركة الأردين وبعد هزائمه في الجبهة الشرقية بحيث ان اية حملة تتم عـلى جبهة واسعة جديرة بالقضاء على مقاومته . ومن ناحية اخرى ، وبما ان الالمان كانوا يضعون القسم الاكبر من قواتهم غربي نهر الرين وبما ان احتياطيهم قد نفذ تقريباً ، فإنهم في الحقيقة لم يعودوا يملكون شيئاً يقاومون به تقدم الحلفـاء في بلادهم بعد ان يكون هؤلاء الاخيرون قد طهروا رينانيـا . وكان الاميركيون على حق في هذه المرة .

والواقع ان ايزنهاور قد وافق على منح مونتغمري قيـادة العمليات

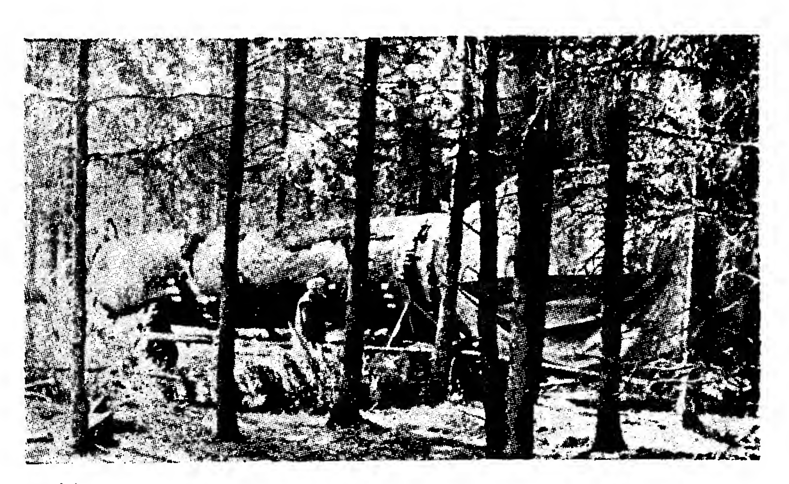


نموذج للجنود الفتيان الذين زج بهم هتلر في اواخر ايام الحرب

العسكرية الرئيسية على نهر الرين ولذلك وضع تحت قيادته ٣٧ فرقة بما فيها فرق الجيش الاميركي التاسع . أما المجموعة الثانية عشرة لجيوش الجنرال برادلي التي تضم ٢٥ فرقة فقد تلقت امراً باختراق المناطق الوسطى بينما تكون المجموعة السادسة لجيوش الجنرال جاكوف ديفرز منهمكة بتغطية برادلي ومونتغمري حتى ينجحا في اجتياز نهر الرين .

كانت تصفية رينانيا هي الشيء الأول الذي يجب ان يقوم به الحلفاء . وقد تولى كل من الجيش الاميركي السابع والجيش الفرنسي الأول مهمة الاعداد لعملية التطهير هذه في جيب كولمار ، وبتطهير الضفة الغربيـــة للنهر بين الحدود السويسرية واستراسبورغ .

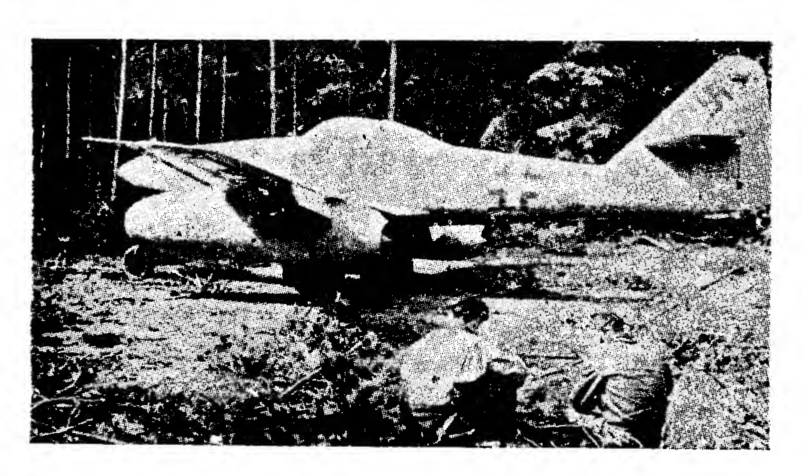
أما في الشمال فان الجيش الكندي الاول والجيش البريطاني الثاني قد اخرجا العدو نهائياً بين الموز والرين ثم انطلقا في حملة مشتركة عـــلى رينانيا . ولكن الالمان نسفوا سدود الرور لتغطية السهول المجاورة بالمياه. وقد تعثرت المدرعات الحليفة في سيرها هناك ووجدت صعوبات فائقة في اجتياز المنطقة . كما ان حملة الجيش التاسع على الجنـــاح الالماني الايمن قد تعثرت هي بدورها بسبب هذه المياه بحيث ان النازيين استطاعوا ان ينقلوا جهودهم كلها وقواهم الى الجبهة البريطانية الكندية . وهنا وجد البريطانيون والكنديون أنفسهم ،وهم ١١ فرقة منها فرقة المظليين المشهورة تحت نار المانية كثيفة . وكانت المعارك التي جرت في غابات ويتشولد وهوتشولد بين اعنف المعارك التي عرفتها تلك الحرب واشدها هولاً .



هذا الصاروخ ف ـــ ٢ استولى عليه الانكليز في شمالي المانيا بحالة جيدة

وفي تلك الاثناء كانت جيوش مونتغمري تدفع الالمان من الجهة الاخرى من الرين بفضل عمليات عسكرية نصف مائية . وبعد اسبوعين ، في ٢٣ شباط ، وعندما هبط منسوب المياه اطلق سمبسون جيشه التاسع في المعركة وتم تطهير الضفة الغربية لنهر الرين في وسط آذار بين نيماغ ودوسلدورف.

وكان جيش هودجز الاول عند جناح سمبسون الايمن قد احتل كولونيا المدينة الالمانية الرابعة بعد ان استولى على سدود الرين وكان ذلك في ٧ آذار . وفي اليوم نفسه استولت فرقته التاسعة على جسر لودندورف في رماجن . فأمر هتلر عند ذلك بأن لا تهدم جسور الرين الا في الدقيقة الاخيرة ليكون في الامكان ايصال المؤن بصورة طبيعية

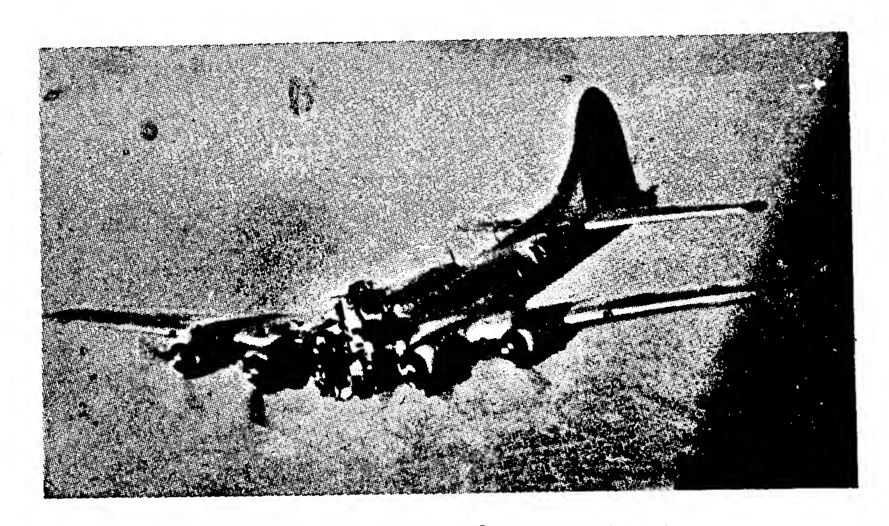


كان الالمان اول من صنع الطائرات النفاثة ، وهذه الطائرة استولى عليها الحلفاء في ٢ نيسان ١٩٤٥

وانسحاب الجيوش الالمانية بسهولة . ومهما يكن الامر فان النازيين لم ينجحوا في نسف جسر مارجل فثار هتلر وأمر باعدام الضباط الأربعة الذين اعتبرهم مسؤولين عن ارتكاب هذه الخطيئة . واطلق الجنرال

هودجز في الجبهـــة الاخرى من الرين خمس فرق من الجيش الأول فاستولت على المرتفعات التي تشرف على النهر وقطعت اوتستراد فرانكفورت كولونيا . وهكذا تكون هذه الفرق قد احتلت رأس جسر طوله ٤٥ كلم وعرضه ١٤ كلم ، حينما انهار جسر لودندورف عند نهر الرين .

وفي يمين هودجز كان باتون بجيشه الثالث يتصل بالجيش الأول في اندرناخ عبر تريف بين رماجن وكوبلانس . كل رينانيا في شمال الموزيل



احدى القلاع الطائرة تهوى وتتحطم قرب بودابست

اصبحت الآن تحت اشراف الحلفاء . ولم يبق منها غير المثلث سار – بالاتينـــا ، في الجنوب . واجتاز باتون الموزيل بينما كان باتش بجيشه السابع ينطلق عبر خط سغفريد . وقد تولى كلاهما تطهير المثلث بحيث ان الحلفاء احتلوا الرين كله في ٢٧ أذار . وبينما كان ايزنهاور يجمد الجيش الأول في رأس الجسر فوق منطقة رماجن بانتظار هجوم مونتغمري

في الشمال في ليل ٢٢ آذار اجتاز باتون الرين بفرقة كاملة عند اوبنهيم بين مامز ومانهيم . وفي ٢٣ آذار وجـــه مونتغمري ضربة كبيرة الى وسيل . وقد تم ذلك بهجوم أعد بدقة وسبقته غارات جوية كثيفة وقذائف مدفعية وعمليات هبوط المظليين وراء الخطوط الالمانية . واجتاز مونتغمري الرين بأربع فرق وسحق مواقع الالمان الدفاعية . وهنا تابع الجيشان الأول والثالث الاميركان هجومهما عبر رأسي الجسر في رماجن وابنهيم وتقدما الى الامام . واحاط الجيش التاسع بطرف الرور الشمالي بينما فعل الجيش الأول مثل ذلك في الطرف الجنوبي وتلاقى الجيشان في لبستاد وتم حصار الرور . وقد استطاع الالمـــان رغم الخسائر الثقيلة التي نزلت بهم ان ينسحبوا بالقسم الاكبر من جيوشهم من الرين . أما في الرور فقـــد وجدوا أنفسهم محاطين من كل جانب . وفي ١٨ نيسان تم في جيب الرور استسلام ٣٢٥ الف جندي . وقد انتحر قائد هؤلاء الجنود المارشال



جنود المان يستسلمون بالرغم من اوامر هتلر



اختار الجندي الالماني هذا المخبأ المثالي ، ولكن هل يحميه من الاسر

موديل وهو النازي المتعصب حتى الموت . وبعد احتلال السار وسيليزيا ثم الرور خسرت المانيا آخر مناطقها الصناعية الكبيرة . يضاف الى ذلك ان قواتها المقاتلة قد قضي عليها تقريباً . وهكذا يكون الحلفاء قد تغلبوا على كل عقبة في طريقهم الى برلين .

ارسل مونتغمري الكنديين الى الشمال باتجاه هولندا بينما كان الجيش البريطاني الثـاني يتجه نحو البلطيق . اما برادلي من جهته فقد اطلق سمبسون هودجز وباتون عبر المانيا الوسطى باتجاه الالب . وأما ديفز فقد جعل جيش باتش الاميركي السابع يجتـاز الرين في ٢٦ اذار وجعل الجيش الفرنسي الاول يجتازه في ٣١ كما دفـع الاميركيين نحو مونيخ وسالزبورغ ، والفرنسيين نحو شتوتغارت وسويسرا .

الرعب الاكبر

واستمر تقدم الحلفاء فاكتشفوا من الفواجع والمفــاجآت ما لم يكن يتصوره احد من الناس . المفاجأة الكبرى ليست تلك الثروة الخيالية من السبائك الذهبية والنقود الاجنبية المختلفة التي قدر ثمنها بما لا يقل عن ٢٥٠ مليار دولار والتي دفنت في منجم من الملــح على عمق ٤٠٠ متر



معسكر الموت في داشو ، حيث احرق ١٥ مليون شخص

ولكن المفاجأة الفاجعة كانت في معسكرات الاعتقال التي افتن المراسلون الحربيون والمصورون في اعطاء صورة عنها هي أقــل كثيراً من الأمر الواقع .

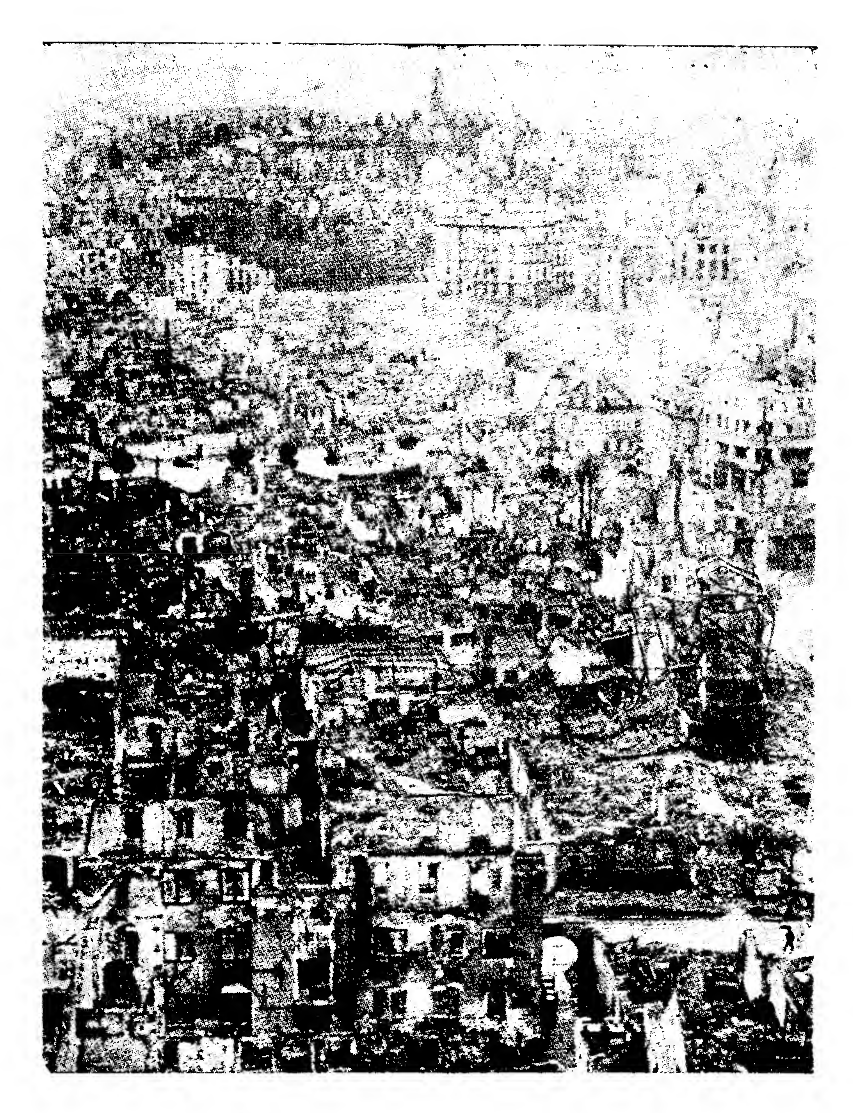
من هذه المعسكرات الرهيبة معسكر « برجن ربلسن » . ستون الفاً من الرجال والنساء والاطفال كان الموت يغزوهم من كل جانب . والمصيبة ان هذا الموت لم يكن يأتيهم مرة واحدة بل يقترب منهم ببطء شديد ؛ تسبقه عمليات اذلال رهيبة للكرامة الانسانية .

الجوع ، والحرمان من الماء ، والاهانة ، وهي كلها تترك آثارها في معالم الوجوه ، في العيون الغائرة ، والاطراف الهزيلة ، واليأس القاتل الرهيب ، والنظرات الزائغة . واخيراً في الافران التي تلتهم اجساد الضحايا بالمئات والالوف .

وقد وجد الحلفاء في تقرير وضع عن اعمال حاكم المعسكر خلال الشهر الاخير الذي سبق وصولهم الى المعسكر ، اشارة الى ان عــدد الضحايا الذين التهمتهم افران المعسكر الوحشي بلغ ١٧ الف بين رجل وامرأة وطفل . واذا كانت الوف من جثث الاموات والمحتضرين كانت تملأ ساحات هذا المعسكر عند وصول الحلفاء فلأن ندرة الوقــود قد حالت دون احراق البقية الباقية .

والواقع انه ليس في وسع الانسان ان يتصور السقوط الفاجع الذي سجلته المانيا النازية ، والجرائم العجيبة التي قامت بها ما لم يشهد هــو شخصياً معــالم هذه الجرائم وميادينها في المعسكرات المنتشرة في طول البلاد وعرضها .

شيء واحد يستطيع ان يعطي تفسيراً تقريبياً لهذه المأساة البشرية ؛ الجنون . الجنون الذي يفقد معه صاحبه كل قيمة اخلاقية وكل حس بشري فيتحول به الى اداة رهيبة للتخريب القذر القاسي الذي لا يمكن ان يصفه قلم او تنقله عدسة مصورة .



درمشتات وقد قذفتها قنابل الطائرات الحليفة

وعنـــدما ينظر الانسان الى الالمان بعد الهزيمة او قبلها لا يمكنه ان يتصور بأن هؤلاء الناس يمكن ان يكونوا صانعي هذه الفواجع الفريدة .

الجيش الاحمر في المانيا

في كانون الثاني انطلق الروس في هجوم على الجبهة الوسطى . وقد بدأ الهجوم على التحديد في الثاني عشر من هذا الشهر حين انطلق كونيف من رأس الجسر بين سادوميارز وبارانوف على نهر الفيستول ، وتبعه جوكوف بعد ذلك بيومين قريباً من فرصوفيا . وقد حطما معاً خط الدفاع الالماني عند الفيستول ثم سارا عبر السهول البولونية الى المانيا حيثما لم يجدا امامهما اية عقبة طبيعية .

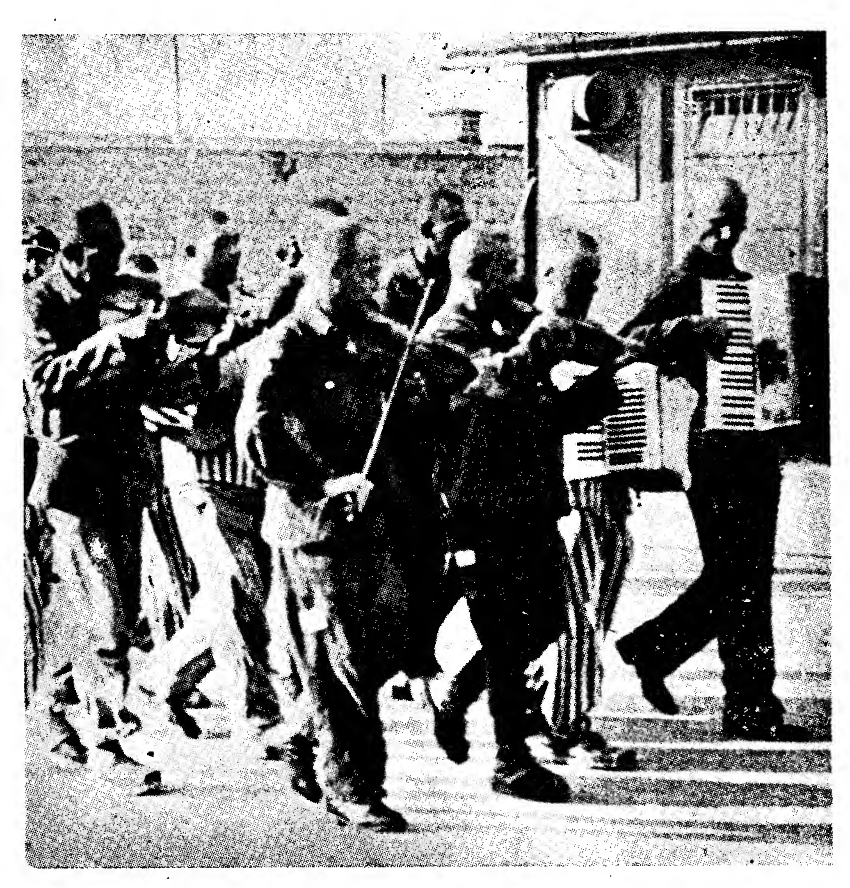
أما جوكوف فحاصر فرصوفيا ، واخذها من الوراء في ١٧ كانون



الجيش الاحمر في طريقه نحو المانيا

الثاني ، ثم تابع طريقه نحو الاودر . وفي ١٩ منه استولى كونيف على كركونيا التي غادرها الالمان قبيل ذلك وانطلق بعدها نحو سيليزيا . وفي اواسط شباط كان جوكوف قد بلغ الاودر عند فرانكفورت وكيوسترن على

٧٠ كلم تقريباً من برلين ؛ أما كونياف فقد بلغ نيس على بُعد ٩٠ كلم وراء بريسلو وعلى بعد ١٥٠ كلم من براغ . لقد كان هذا الانتصار انتصاراً رائعاً للجيش الأحمر وكارثة لألمانيا . وبذلك يكون الروس قد اجتازوا خلال ثلاثة اسابيع مسافة ٤٢٠ كلم ، واحتلوا القسم الاكبر من بولونيا واستولوا على مناجم الفحم والمصانع في سيليزيا التي هي الحوض



فرقة موسيقية من الاسرى الالمان

الصناعي الاخير الالماني والذي لم يستطع الطيران الحليف ان يحدث فيه تخريبات كبيرة .

وفي اذار ، حاول جوكوف ان يبيد المواقع القوية والجيوب التي تركها محاصرة وراءه . كما انه استطاع بمعونة روكوسوفسكي ان يحرر جناحه الايمن من الاخطار التي كان متعرضاً لها . ثم وجه نحو الشمال



جنود روس يرقصون ابتهاجاً بالنصر

افواجاً فتحت طريقاً لها باتجــاه مصب الاودر ، واستولت على ستاتن وسحقت الحـــاميات الالمانية في الجيوب المختلفة . وعندما استولت على جيدينيا ودانتزيغ في نهـــاية مارس لم يبق غير ثلاثة جيوب نازية عند شاطىء البلطيق شرقي الاودر : كورلاند ، كونيغسبرغ ، كولبير في



القلاع الطائرة الاميركية تغير على ميناء بريمن

بوميرانيا . وفي ٩ نيسان وبعد معارك عنيفة جرت في الشوارع سقطت كونيغسبرغ في ايدي قوات فاسيلفسكي . وبتطهير كولبير كان الروس قد استولوا على خط مستمر يبتدىء من الشمال الى الجنوب على امتداد الاودر ونيس مما أتاح لجوكوف وكونيف فرصة التصرف بجيشين جديدين لسحق خط الاودر .

اما في جبهـــة الدانوب فقد سقطت بودابست المحاصرة بين ايدي مالينوفسكي وطولبوخين في ١٣ شباط رغم الهجمات الالمانية المعاكسة وبعد سبعة اسابيع جرت فيها معارك شوارع متوحشة من بيت الى بيت . ثم وجه المارشالان الروسيان جيشهما نحو فيينا ، التي وجدت نفسها في قبضة كماشة قوية . ووصل طولبوخين الى فيينا من الجهة الجنوبية الشرقية منطلقاً



المصفحات الاميركية تخترق شوارع نورمبرغ المهدمة



آخرن تستسلم للقوات الحليفة ، حتى الاطفال حملوا العلم الابيض

من ضفتي بحيرة بالاتون ؛ بينما قاربها مالينوفسكي من الشمال الغربي عبر المجر وسلوفاكيا . وفي ٣ نيسان استولى احدهما على برانسلافا واحتل ثانيهما ولير نوستاد . بعد ذلك بأربعة أيام وجدت قواتهما نفسها عند ضواحي فيينا ثم سقطت المدينة في ١٣ نيسان بعد معارك دامية في الشوارع .

وبينما كان الحلفاء يسيرون على الجبهتين من نصر الى نصر كانت وجهات نظرهم المختلفة والمعلقة في مؤتمر يالطا تزداد حدة وشدة . فمن ناحية كان تشرشل وروزفلت قد وعدا ستالين بضمان امن السوفيات من قبل حكومات صديقة في البلاد المجاورة لروسيا . ومن ناحية اخرى كانا من انصار الانتخابات الحرة التي لا يمكن ان تخرج منها حكومات صديقة للسوفيات . لم يكن من المنتظر في اوروبا الشرقية آنذاك ان تحصل أية حكومة شيوعية على اية مساندة شعبية عفوية . فاذا



اختفى الصليب المعقوف ورفعت الاعلام البيضاء



الجنود الاميركيون مروا من هنا ولم يعترضهم اي الماني

لم توجه الانتخابات توجيهاً متفقـــاً مع تعهدات تشرشل وروزفلت فان نتائجها لن تكون لمصلحة ستالين .

وهنـــا اثار ستالين موضوع اقتسام النفوذ الذي وافق عليه تشرشل واتفاقات يالطا لكي يحصل على اعتراف انكليزي اميركي بالسلطة السوفياتية في المنطقة . ولم يعترض الزعيمان الغربيان على امتصاص السوفيات للبلدان البلطيقية كما وافقا على ان تكون المبادرة للشيوعيين في كل من يوغسلافيا والبانيا .

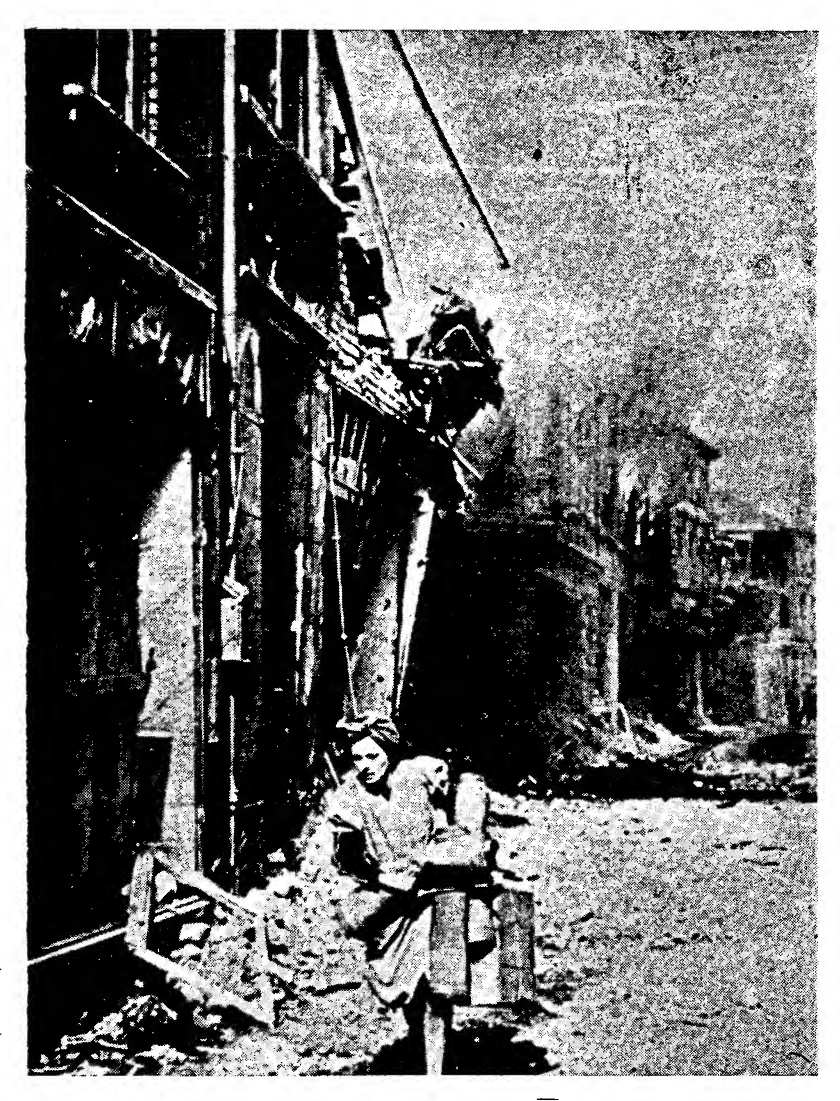
وحيثما كان الجيش الاحمـــر كان ستالين يستعين بالاقليات الشيوعية المسلحة ويمارس ضغوطه السياسية ليضمن لبلده حكومات صديقـــة في اوروبا الشرقية . وفي الربيـع وصلت المفاوضات بين الشرق والغرب الى طريق غير نافذ . ولم يبـــال ستالين باحتجاج تشرشل وروزفلت فأقام نظماً خاضعة للنفوذ الشيوعي في رومانيا وبلغاريا وبولونيا ، وحكومات

غير شيوعية في النمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ولكن الروس قد باركوها أما فنلندا فقد استطاعت وحدها نسبياً ان تحافظ على سيادتها الوطنية .
وهكذا استطاع الروس ان يعيدوا بناء امبراطورية المانيا الشرقيــة دون الاهتمام بموافقة الانكلوساكسون .

انتصار الحلفاء

تابع المارشال الكسندر ضربه للالمان بعد استيلائه على روما في حزيران من عام ١٩٤٤ وذلك ليحول دون ان ينقل هتلر جيشين من أحسن جيوشه في ايطاليا الى الجبهة الغربية او الشرقية . ورغم ان قوات الكسندر قد ضعفت بسبب انسحاب باتش بجيشه السابع الاميركي للقيام بعمليات النزول في جنوب فرنسا ،فقد استطاع الكسندر ان يتقدم ٤٠٠ كلم خلال شهرين ابتداءً من خط غوستاف حتى الخط الغوتي . وفي نهاية شهر آب بلغت جيوشه الضفة الجنوبية لنهر الارون . وكان كسلرينغ قد سحب قواته بمهارة الى الغوتي وهو خط يمتد ٢٧٠ كلم وينتشر عمقـــاً ٣٠ كلم وفيه مواقع دفاعية قوية قائمة بين الابونين والشاطىء الادرياتيكي ، من لوكا الى بيزارو . وفي ايلول انقضت الجيوش الحليفة على الخط الغوتي ، ولكن المطر والشتاء ، وطبيعة الارض الصعبة ، ومقاومة المانية عنيفة قد اوقفت الجيش الخامس الذي يقوده الجنرال مارك كلارك قرب بولونيا والجيش البريطاني الثامن فيما وراء ريميني .

وكانت انتصارات الجيش الاحمر وتصلب السوفيات من الناحية السياسية وتجاهلهم لاتفاقات يالطا قد احدثت خلافات عنيفة بين الانكليز والاميركين انفسهم . مرة اخرى كان على الغربيين ان يقرروا ما اذا كانت ادارة الحرب خاضعة لاعتبارات سياسية او لاغراض استراتيجية محض ؛ وبعبارة



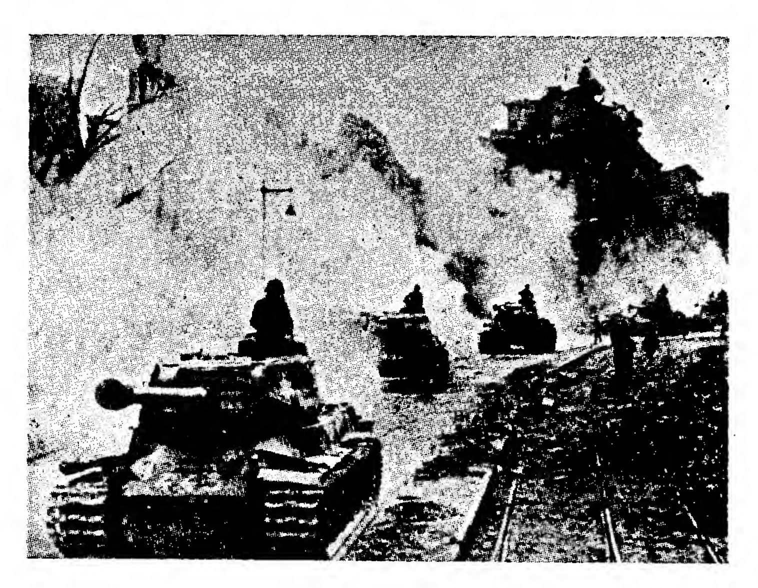
ضحايا الحرب انهم الآن من الالمان

اخرى هل يكون الهجوم في المانيا ضيقاً او عريضاً ؟ وكان تشرشل يتمنى في اعماق نفسه ان يشد على ايدي الروس في ابعد نقطة ممكنة من

الشرق بعـــد ان بدأ القلق يساوره من تنامي القوة السوفياتية في اوروبا الشرقية . وبالتالي كان يريد ان ينطلق ايزنهـــاور الى الامام ويحتل من الارض الالمانية اكبر قدر ممكن لتقوية الموقف الانكليزي الاميركي في مؤتمر السلام القادم . وقد كان يهدف من هذه الطريقة ليس فقط التعرف الى النيات السوفياتية التي كانت قد بدأت تثير شكوكه بل الى اصطناع



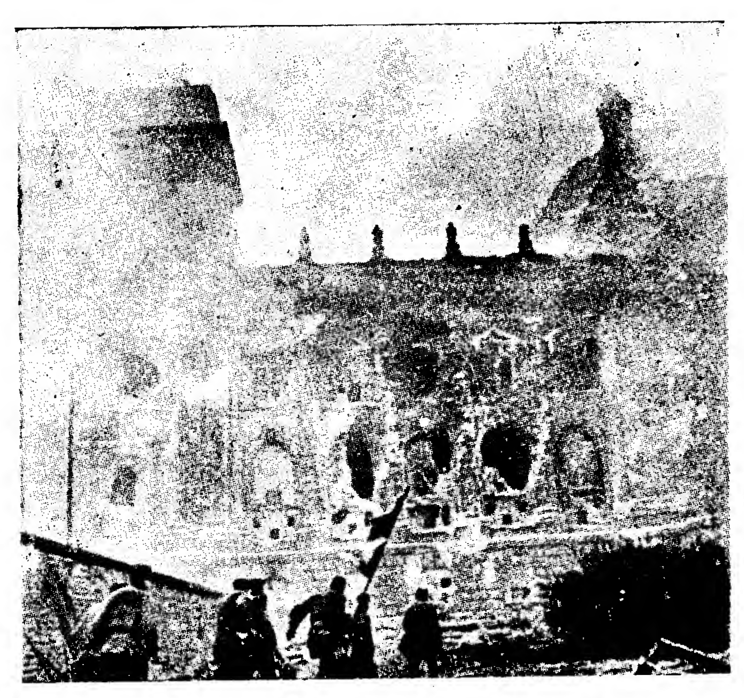
الجنرال تشويكوف بطل ستالينغراد كان جنوده
اول من دخل برلين



الدبابات الروسية تتجه نحو قصر المستشارية في برلين

موقف يسمح له بالضغط على الروس في الوقت المناسب . كان تشرشل يعتبر برلين من الناحيتين السياسية والرمزية هدفاً اساسياً . اما الروس فقد كانوا يتصرفون بالنسبة لبرلين خاصة كما لو انهم قد ربحوا الحرب وحدهم لذلك كان تشرشل يكتشف اهمية احتلال برلين قبل السوفيات . وكان يأمل من ناحية اخرى ان يستتبع سقوط برلين نهاية المقاومة العسكرية من جانب الالمان .

اما ايزنهاور فلم يكن يرى اية اهمية لبرلين من الناحية العسكرية ولم يكن في نيته ان يخسر ١٠٠ الف جندي مقابل لا شيء . يضاف الى ذلك ان جيوشه كانت على بعد ٣٠٠ كلم من برلين بينما كان جوكوف على اقل من ٦٠ كلم . وبما ان مناطق الاحتلال قد حددت في يالطا من قبل الزعماء السياسيين فهو لا يرى معنى لضرورة احتلال مناطق في



الريخشتاغ وقد اصابته القنابل

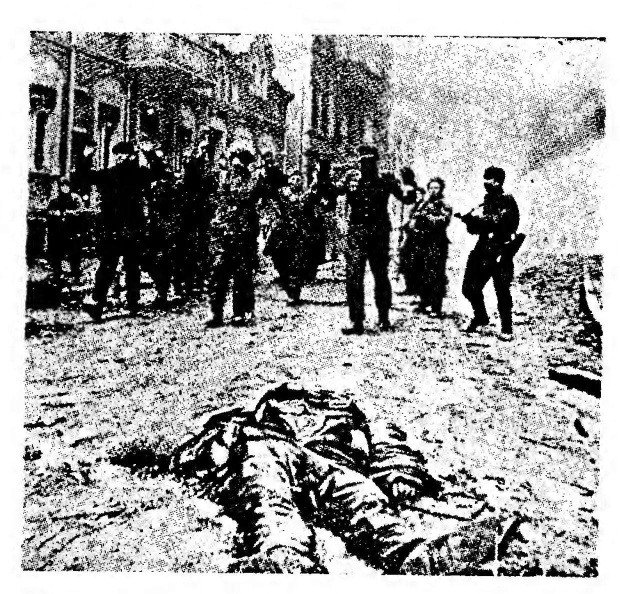
الشرق مما سيضطره يوماً للتنازل عنها للجانب الروسي .

وهناك ايضاً المعلومات التي نقلتها الى ايزنهاور دوائره الاستعلامية والتي تتحدث عن وجود خط نازي لخوض معركة هيستيرية من قبل الالمان في قلعة جبال الالب في بلغاريا . تلك المعركة التي تستهدف تطويل مدة الحرب للحصول على شروط سلام اكثر ملاءمة . وقد قرر ايزنهاور من أجل ان يقضي على هذا المخطط نقل هجومه الرئيسي الى قطاع بعيد عن برلين حيث يجد مقاومة اقل ويكون في وسعه تحرير جناحه الجنوبي والقضاء على التجمعات الالمانية في بافاريا .



منظر اخذ من الجو للآلاف من الاسرى الآلمان

وفي يالطا سمح لايزنهاور بتنسيق خططه العسكرية مباشرة مع الروس دون ان يمر بقيادة رؤساء اركان الحرب المختلطة . وفي هذه المرحلة الاخيرة من المعركة وجد ايزنهاور ضرورة اتخاذ قرارات بالسرعة الفائقة



في برلين ، الالمان يستسلمون قرب جثة احد رفاقهم

تجنباً لاي اصطدام بين الحلفاء الغربيين والروس بينما تقترب جيوش الطرفين بعضها من البعض الآخر . لقد كان على ايزنهاور اذاً ان يتصرف بحرية. فأبرق الى المارشال ستالين في ٢٨ آذار ينبئه باستعداده لهجوم كبير على درسولا وعلى برلين ويسأله اطلاعه على الخطط الروسية . وقــد وافق ستالين على تكتيك ايزنهاور ولكن تشرشل ورؤساء اركان حرب البريطانيين قد غضبوا واعلنوا ان ايزنهاور قد تجاوز سلطاته بالتفاهم معه والاتصال به بصورة مباشرة . وقد سجلوا معارضتهم لخطط ايزنهاور ؛ ان ما كانوا يريدونه هو التقدم نحو البلطيق في الشمال ونحو برلين في الوسط والى ما وراء الالب على طول الجبهة الى ابعد حد ممكن لا الى الجنوب كما اراد ايزنهاور . وحاول تشرشل اقناع روزفلت بالغاء هذا القرار ولكن روزفلت ورؤساء أركان الحرب الاميركيين ساندوا ايزنهاور حتى النهاية .



برلين المهدمة لقد ذاقت اخيراً طعم الخراب والشقاء

مرة اخرى ينفجر خلاف عميق بين الحلفاء بالنسبة للاغراض العسكرية والسياسية في اوروبا . وكما ان تشرشل قد فشل في تدعيم مشروعه سابقاً لغزو اوروبا من جنوبها الشرقي للحيلولة دون احتلال الروس للقسم الاكبر



هذا ما فعلته قنابل الطائرات الحليفة في برلين

من بلاد البلقان فقد فشل في هذه المرة ايضاً حين حاول ان يحد من امتداد النفوذ السوفياتي في اوروبا الوسطى .

وفاة روزفلت

ان اصرار الانكليز وعداوة السوفيات المتنامية كادا يقنعان روزفلت بتغيير رأيه ولكنه في عزلته في وورم سبرنكز في جورجيا قد اصيب بنزيف دماغي في ١٢ نيسان وقد امتد هذا النزيف عدة ساعات ، وفي اليوم التالي كان روزفلت في عداد الضحايا الاخيرة للحرب . واختفى روزفلت في الوقت الذي كانت الخلافات السياسية العميقة بين الحلفاء على اشدها وفي وقت كانت فيه صورة السلام صورة غامضة مبهمة . وجاء هاري ترومان ليأخذ مكان روزفلت فوجد ان الاحداث تجرفه ورأى ان السلامة هي في متابعة خطة روزفلت في الحرب :

موت الطاغية

كان انهيار الريخ يقترب . وكان هتلر يدرك حتميته ومع ذلك فقد



كايتل يوقع وثيقة استسلام المانيا



المنتصرون من اليسار الى اليمين : مونتغومري ، ايزنهاور ،
جوكوف ، دي لاتر

أصر على جر المانيا الى الهاوية . قال يوماً : « اذا خسرنا الحرب فإن على الامة ان تهلك . هذه ارادة القدر . لا فائدة من السعي الى اية عملية من عمليات الاحياء حتى اكثرها بدائية ... ان الافراد الذين سيبقون بعد نهاية الحرب سيكونون مخلوقات متخلفة منحطة ذلك لأن النخبة ستنتحر » .

وأمر هتلر بالإستعانة بسياسة الارض المحرقة . ولأول مرة اتفق القادة العسكريون والصناعيون الالمان على رفض هذا الامر .

في نيسان بدأ الريخ يتفتت من كل مكان .

اما الجيوش الانكليزية الاميركية فكانت قد بلغت خط الب ــ مولد ؛ وقد لبثت فيه اسبوعين بانتظار وصول الجيش الاحمر . في ذلك الوقت

كان جوكوف يخرج من رأس الجسر في كيـــوسترن وراء الاودر ، وكونياف يدور حول نيس ليمشي كلاهما الى برلين . وفي ٢٥ نيسان استطاع ان يحاصر المدينة . وقد حاول هتلر من مخبأ له قائم تحت بناء مستشارية الريـخ ان ينظم معركة دفاعية متعصبة غير مفيدة .



غوبلز يصافح جندياً عمره خمس عشرة سنة ويقلده الصليب الحديدي

واخيراً ، وبعد ان اقترب الروس ، وفي ٣٠ نيسان على التحديد تزوج هتلر عشيقته ايفا براون وقتلها بالسم ثم اطلق في فمه طلقاً نارياً . وفي المخبأ نفسه وضع غوبلز السم لامرأته واطفاله الستة قبل ان ينتحر هو شخصياً بهذا السم ثم احرقت اجساد الجميع بتوصية منهم .

وفي ٢ ايار وبعد ١٢ يوماً جرت فيها معارك وحشية سقطت عاصمة الريـخ بين ايدي جوكوف وكونياف .



تشرشل بين ممثل فرنسا الحرة الجنرال ديغول (الى يساره) وممثل بولونيا الحرة سيكورسكي (الى يمينه)

النهاية في المانيا

اما هودجز فانه بعد ان احتل ماغدبورغ وليبزيغ بجيشه الاول اتصل بالجيش الاول الاوكراني الذي يقوده كونياف في ٢٥ نيسان في مدينة تورغو عند الالب . اما جيش باتون الثالث فقد اجتاح الحدود التشيكية في ٥ ايار . وقد كان في وسع هذا الجيش ان يجتاز بوهيميا كلها ويسير نحو براغ دون الاصطدام بجنود كونياف الذين كانوا آنذاك على بعد ١١٠ كلم من العاصمة التشيكية . وقد اعلم ايزنهاور الجانب الروسي باستعداد باتون للتوغل نحو براغ ولكن القيادة السوفياتية العليا اعترضت

على ذلك وطالبت بوقوف باتون عند خط بودجوفس–بلسن–كارلسباد . ورغم ان تشرشل قد ألح على الاهمية السياسية لتحرير براغ وتشيكوسلوفاكيا الغربية من قبل الانكليز والاميركيين ، وبالرغم من ان المقاومة التشيكية قد طالبت بمساعدة الحلفاء الغربيين رأى ايزنهاور ان يحترم اتفاقه مع الروس واصر على جيوش باتون ان تقف حيث هي . وسحق الالمان الثورة التشيكية وترك امر تحرير براغ للجيش الاحمر .

اما في الشمال فان مونتغمري الذي وكل ايزنهاور اليه قيادة وحدات من الجيش التاسع ، اجتاز الالب واستولى على لوبلك وكيال وحاصر الالمان في الدانمرك . وسبق الانكليز زملاءهم الروس في سعيهم الى البلطيق بمدة ٢٤ ساعة ؛ وقد واجهوا افواج روكوزوفسكي العسكرية في وزمار بين لوبك وروستوك .

اما في الجنوب فإن الاميركيين لم يجدوا المقاومة العنيفة التي كانوا يتوقعون مواجهتها في قلعة جبال الالب ، وقد توقف الجيش السابع عند انسبروك في ٣ أيار ينتظر الروس الذين كانوا يصعدون من الجنوب الشرقي ، بينما كان



جندي اميركي وآخر روسي يتعانقان عند التقاء جيشهما في المانيا



هتلر الذي اسره البريطانيون يموت منتحراً بالسم



غورنغ عندما اسره الاميركيون



في هذا المكان انتحر هتلر

الجنرال باتش وجيشه السابع يسيران نحو ممـــر برينر للاتصال بالجيوش الحليفة المنتصرة في شمال ايطاليا .

هناك،وفي ٩ نيسان كان الجيش الاميركي الخامس والجيش البريطاني الثامن يقومان بآخر هجوم لهـــما فاجتازا خط (بو) والمواقع الدفاعية الالمانية . واحاط البريطانيون سريعاً بطرف بحر الادرياتيك ليلتقوا بأنصار تيتو قريباً من ترياستا . أما بالنسبة للاميركيين فقد تابعوا سيرهم نحـــو ممر برينر ليمنعوا الالمان من الانسحاب في الوقت نفسه الذي كانوا يندفعون



مجندة روسية تنظم السير في احد شوارع برلين

فيه نحو الغرب لملاقاة الجيوش الفرنسية الآتية من الريفيرا . وثار الانصار الايطاليون في ٢٥ نيسان واحتلوا المدن الايطالية الرئيسية ولا سيما ميلانو وتورينو وجنوى ثم البندقية . وفي ٢٨ نيسان وعند بحيرة كوم اوقفوا موسوليني وعشيقته كلارا بيتاتشي بينما كانا يحاولان اجتياز الحدود السويسرية فقضوا عليهما دون شفقة وحملوا جثتيهما الى ميلانو حيث شنقوهما من ارجلهما في



هتلر وايفا براون

حديقة عامه .

موقف الالمان كان موقفاً يائساً . وكانوا يعرفون ذلك حتى انهم حاولوا ان يفاوضوا الحلفاء الغربيين على حدة . وطبعاً فعلوا ذلك ليحولوا دون وقوع القسم الاكبر من جيوشهم بين ايدي الروس . ولكن الانكلوساكسون والواثقين من تفوقهم لم يقبلوا غير استسلام شامل . واخيراً استسلم زعيم الريخ الجديد الاميرال الكبير كارل دونتز وتم التوقيع على الاستسلام دون قيد أو شرط في ٧ أيار وفي مبنى القيادة العامـــة لايزنهاور في ريمس بحضور كل الحلفاء . على ان الاستسلام لم يصبح عملياً الا في اليوم التالي.



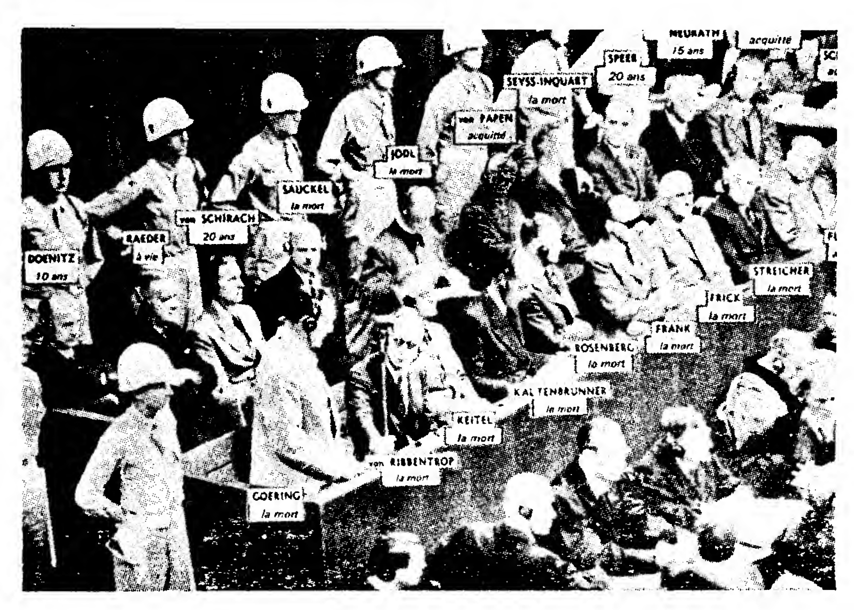
اعلام نازية في العرض العسكري في موسكو في عيد النصر

وقـــد عقدت جلسة استسلام اخرى في ٨ ايار بين خرائب برلين وهي الجلسة الوحيدة التي يعرفها الشعب الروسي .

وانتهت الحرب في اوروبا بعد خمس سنوات ونصف . وكانت حصيلتها

ملايين من الرجال الموتى وملايين من المشوهين او اللاجئين الذين لا بيت لهم ولا وطن في قـــارة دميت ونزفت دماؤها حتى قاربت الانهيار . واختفى ريخ الالف عام . وكان مصير القادة النازيين والقواد العسكريين الالمان الموت او السجن عند الحلفاء . هكذا كانت نهاية المأساة في قارة صنع بعض سكانها آ لة الموت باسم التفوق العنصري والرغبة في استغلال شعوب العالم . لقد كانت المانيا النازية رمزاً لروح الطغيان الاستعماري في اوروبا. وعندما لم يستطع بعض اوروبا المستعمرة ان يأكل شعوب القارات البعيدة راح يأكل الشعوب الاوروبية تماماً كالنار التي تأكل نفسها حين لا تجد ما تأكله .

والمؤسف ان اوروبا لم تستطع ان تتعلم الكثير من تجربة هذه الحرب الدامية المدمرة فاستمرت تدفع ثمن الكبرياء والعدوان الاستعماري في اكثر



مجرمو الحرب في نورمبرغ

قارات العالم ولا سيما افريقيا وآسيا فلا تغادر بلداً من بلدان هاتين القارتين الا على رؤوس الرماح وبطلقات الرصاص والمدافع .

وقد بدا اصرار اوروبا على التشبث بعقليتها الرجعية التي وجدت في النازية رمزها وعنوانها في الجريمة التي ما تزال ترتكب منذ ١٧ عامـاً ونيفاً فوق الارض الفلسطينية . فـإذا كانت النازية تهدف الى استعباد الشعوب فإن الصهيونية التي يساندها الحلفاء الغربيون انفسهم تهدف الى أباده ١٠٠ مليون عربي .

هذه هي الحلقة المفرغة التي تدور فيها اوروبا . وقد دفعت الثمن غالياً بسببها ولعلها ستدفع حياتها كلها يوماً ما إن هي لم تخرج من دوامة اسطورة التعصب العنصري والتمييز الديني .

الانتصار في الباسيفيك

كانت جزائر مارشال في حزيران من عام ١٩٤٤ قد اصبحت بين ايدي الاميركيين منذ مدة طويلة ، وكانت معركة غينيا الجديدة تقترب من نهايتها ، بينما « تروك » ستصبح محايدة عن قريب . هذا كله والاميركيون ينطلقون في هجوم مضاعف لاحداث ثغرة في الحلقة الثانية من جزائر اليابان الدفاعية ؛ وبينما تقفز قوات ماك آرثر « قفزة الحروف » من جزائر غينيا الى موروتا ، تهاجم قوات نيميتز جزائر الماريان وبولوس . ثم تنطلقان بعد ذلك نحو الفيليبين .

والواقع ان الماريان المؤلفة من ١٧ جزيرة على بعد الفي كيلومتر جنوبي طوكيو ، تبدو في الطرف الجنوبي منها اربع ذات موقع استراتيجي هام . انها : غوام ، تينيان ، روتا ، سايبان . وكانت اليابان قد استولت على الجزر التي كانت تملكها المانيا خلال الحرب العالمية الاولى ثم اعطت عملية الإستيلاء هذه صفة شرعية بالحصول على انتدابها عليها من قبل عصبة الامم . اما غوام وهي ملكية اميركية

منذ عام ١٨٩٩ فقد انتزعها اليابانيون بعد بيرل هابر .

وقد كان في وسع نيمتز ان يهاجم جزائر بالوس والفيليبين الى الغرب وجزائر بونان وريوكيو الى الشمال واخيراً الجزائر اليابانية بالذات بعد ان تصبح جزائر الماريان تحت تصرفه ــ منطلقاً من القواعد البحرية والجوية التي تقوم فيها . والاستيلاء على جزائر الماريان لا يقطع طريق التموين على جزيرة تروك فقط ولكنه يضع تحت تصرف الاميركين مطارات تسمح لطائراتهم بضرب طوكيو من الجو .

وقد قام اليابانيون بهجوم واسع في الصين طردوا فيه القوة الجوية الاميركية الرابعة عشرة من قواعدها الامامية . وتكون الماريان بذلك منطلقاً لاقلاع الطائرة (ب ــ ٢٩) .

على ان الماريان اذا كانت قادرة على منح مثل هذه الامتيازات لمن يحتلها فقد كانت تطرح العراقيل الكثيرة امام من يحاول احتلالها . الصعوبات التي كانت تتراكم تبتدىء من شواطئها الصخرية ومن ارضها الممتدة المليئة بالتضاريس والفجوات والملائمة جداً لعمليات الدفاع التي كان يقوم بها ، بالاضافة الى الحـــامية اليابانية العسكرية ، ٣٠٠٠ من سكانها الوطنيين (شامورو) وعدد كبير من اكثر المدنين اليابانين ولاء للوطن الياباني . وقد وكل نيمتز مهمة خاصة للقوة البحرية (٥٨) التي كان يقودها الاميرال سبروانس ، المشتملة عـــلى : ٥٣٥ سفينة ، ٢٠٠٠ طائرة ، ٣٠٠,٠٠٠ جندي وبحارة ورماة بحريين ، هذه المهمة هي انتزاع جزائر سايبان ، تينيان ، غوام من اليابانيين . وقد أعد سبروانس للحملة على سايبان ، فرقة البحارة الثانيـــة وهم من قدماء المقاتلين في غوادالقنال وتاوارا ، والفرقة البحرية الرابعة من قدماء المقاتلين في جزائر مارشال ، تساندهما فرقة مشاة الجيش السابعة والعشرون وهم من قدماء المقاتلين في ماكين وانويتوك : بحيث ان مجموع القوات يبلغ ٧٧٦٠٠ رجل . وفي ١٥ حزيران اي بعد ٩ ايام من بداية معركة نورماندیا نزلت هـــذه

القوات في سايبان حيث استقبلها حاجز من قنابل المدفعية الرهيبة .

وقد لوحظ ان اليابانيين لم يكونوا قد استكملوا مواقعهم الدفاعية في سايبان لأنهم قد اعطوا الأولوية لجزائر بالوس لأن ماك آرثر قد سبق له ان نزل بقواته في بياك في ٢٦ ايار . ولذلك فقد كانوا يقدرون توجيه الحملة الأميركية الأولى على بالوس .

ومع ذلك فقد كان في سايبان ٣٢٠٠٠ رجل يقودهم الجنرال جيرو سايتو الذي قاد الحملة بتصميم وبراعة مدهشين . لقد استقبل اليابانيون الجنود والرماة البحريين الأميركيين بموجات متوحشة عنيفة من طلقات المدافع والهاون والرشاشات وهم مختبئون في اعشاشهم المسلحة ومتاريسهم العميقة التي تزرع أرض الجزيرة فدفع الأميركيون ثمناً كبيراً لكل خطوة سجلوها في الجزيرة . وقد حدثت خلافات في طريقة الاستعداد والخطط التكتيكية وقيادة البحرية سببت مضاعفات وتعقيدات تزايدت بعد ذلك حينما اقدم قائد البحرية (هاولن — ماد) سميث على إقالة قائد الجيش البري رالف سميث لأنه اعتبر هذا الأخير بطيئاً في تقدمه . وأن بطئه قد عرض جناح الفرق البحرية للخطر .

لقد احتاج الأميركيون لاجتياز الجزيرة من اقصاها الى اقصاها ولاحتلال ثلثها الأدنى الى اسبوعين من المعارك القاسية المتوحشة وطبعاً لاحتلال مطاريها الكبيرين والمرتفعات الاستراتيجية لقمة تابوتشو . ثم احتاجوا الى اسبوعين اضافيين لحصر بقايا الحامية اليابانية في نتوء صغير عند طرف سايبان الشمالية . وفي ٤ تموز وبعد ان فقد اليابانيون ، غارابان ، عاصمة الجزيرة — قاموا بهجومين انتحاريين لم ينتج عنها غير مذبحة دامية . وفي ٨ تموز ، وبعد ٢٥ يوماً من مذبحة الهجومين الانتحاريين وفشلها توقفت كل مقاومة يابانية منظمة في الجزيرة . أما عمليات التطهير النهائية فقد استمرت بعد ذلك عاماً كاملاً . اكثر من ٣٠٠٠ اميركي قتلوا في المعركه . واعتبر ١٣٥٠٠ جرحى أو مفقودين . اما الخسائر اليابانية فقد

ارتفعت الى ٢٥٤٠٠ قتيل ، ١٧٠٠ أسير عسكري ، ١٠٢٥٠ أسير مدني . والواقع ان هؤلاء المدنيين قد لعبوا دوراً رهيباً في المعركة ، وبعد الهزيمة اقدم كثيرون منهم على الانتحار . وقد حاول روبرت شيرون ان يعطي صورة عن المشاهد الانتحارية قال :

مدنيون يابانيون انصرفوا لأنواع غريبة من الطقوس قبل ان يغادروا الحياة . ففي وقت معين شاهد البحارة والدهشة تستولي عليهم ثلاث نساء جالسات فوق الصخور وهن يرجلن شعورهن الطويلة السوداء تماماً على طريقة ليونيداس والاسبارطيين قبل ان يغادروا الدنيا . واخيراً جمعت النساء ايديهن الى صدورهن وتوجهن الى البحر بخطوات بطيئة .

ولكن اروع هذه الطقوس تلك التي قام بها مئة من اليابانيين الذين انحنوا امام البحارة الأميركيين ممن كانوا ينظرون اليهم من نتوء صخري مرتفع . ثم نزعوا ثيابهم واستحموا في ماء البحر . وبعد ان ابتردوا بالمياه ، لبسوا ثيابهم مرة اخرى ورفعوا علماً يابانياً كبيراً فوق صخرة ملساء . ثم وزع زعيمهم عليهم قنابل يدوية فراح كل منهم بدوره يفجر القنبلة التي تمزقه تمزيقاً .

ويضيف روبرت قائلاً :

ما ازال اذكر امرأة كانت تلبس بنطلوناً من الكاكي وقميصاً ابيض اللون ، بينما كان شعرها يطفو فوق الماء . وكلما وقع نظري على قميص يشبه قميصها سرت القشعريرة في جسدي . وكانت هناك امرأة اخرى انتحرت باغراق نفسها بينما كانت تضع وليدهـــا الجديد . كان رأس الوليد قد ظهر وهي تموت ولكنه لم يلد ابداً . وهناك طفل صغير بين الرابعة او الخامسة قد غرق ايضاً وهو يتعلق برقبة جندي ياباني ؛ وكان الجسدان يتأرجحان بصورة جنونية مع تموج الأمواج . الحقيقة انني رأيت مئات منهم في الماء .

وهناك جنود يابانيون لجأوا هاربين الى صخور قائمة على بضع مئات

الأمتار من البحر . وقد توجه هانسلي باحثاً عنهم مع سرية من السيارات البرمائية ، فشهر احد اليابانيين سيفه وقد بدا أنه من الضباط . وركعْ امامه ستة يابانيين كانوا معه فوق صخور المرجان. فراح الضابط يقطع رأساً وراء رأس . اربعة رؤوس كانت قد تدحرجت فوق الصخور قبل ان تصل سرية السيارات . وهنا حمل الضابط عليها بسيفه ، ٧ حاملات طائرات ثقيلة ٨ حاملات طائرات خفيفة فأطلق جنود هانسلي نار رشاشاتهم عليه وعلى الرجلين .

اما قائد الحملة الجنرال سايتو والأميرال ناغومو رجل بيرل هاربر فقد انتحرا في الأيام الأخيرة للمعركة .

بحر الفيلبين

الحقيقة ان غزو جزائر ماريان .قد كان تهديداً مباشراً للقيادة اليابانية العليا . فبينما كانت معركة سايبان على أشدها عهد الأميرال سويامو تويودا القائد الجديد للأسطول الياباني المختلط ، الى الأميرال جيزابورو اوزاوا قائد الأسطول الأول المتحرك مواجهة هذا التهديد الجديد . وكان أسطول أوزاوا مؤلفاً من ٥ حاملات طائرات ثقيلة و٤ حاملات طائرات خفيفة و٥ دوارع ، ١١ سفينة ثقيلة ، ٢ خفيفتان ، ٢٨ طراداً ولكنه اصطدم بخصم اشد منه ، انه القوة البحرية الضاربة (٥٨) والتي كانت تعد : ٧ دوارع ، ٨ سفن ثقيلة ، ١٣ خفيفة و٦٩ طراداً . ولم يكن سبروانس يتفوق على اليابانيين في كل نوع من انواع السفن تقريباً بل كان يتفوق عليه ايضاً بقوة جوية مضاعفة ، ٩٥٦ طائرة مقابل ٤٧٣ . كان اوزاوا يأمل في اعادة التوازن الجوي بالاستعانة بالطائرات اليابانية الموجودة في بالوس وغوام وتينيان ، وياك وتروك ، ولكن النجدات الجوية حولت في الدقيقة الأخيرة ضد ماك آرثر في بياك . ومع ذلك فقد كان تويودا

متردداً بزج سفنه كلها في معركة حاسمة . فقد كانت قواته ضخمة جداً لكي تفشل . ولكنها لم تكن من الضخامة بحيث تكفي للقيام بمهمتها بنجاح تام .

اكبر المعارك التي خاضتها حاملات الطائرات في الحرب كلها جرت خلال ٣ أيام بين ١٨ و٢٠ حزيران ١٩٤٤ ، وفي هذه المعركة بالذات لم تطلق السفن المواكبة طلقة . لقد استطاع الأميرال مارك ميتشير ، قائد سرب حاملات الطائرات السريعة ان ينزل بالطيران الياباني البحري ضربة قاصمة . وانتهت معركة جوية استمرت يومين بهزيمة ساحقة لليابانيين . وهنا وجه ميتشر طائراته ضد اسطول اوزاوا ، وبالتعاون مع غواصات الأميرال تشارلز لوكسوود الذي اغرق حاملتي طائرات يابانيتين اغرق هو ايضاً حاملة طائرات ثقيلة واخرى خفيفة واحدث تخريبات في حاملتين اخريين وعدد من السفن الحربية . كانت الخسائر الأميركية ١٣٠ طائرة و٧٦ طياراً ؛ ٣ سفن حربية اصيبت بأضرار خفيفة .

وقد وجهت القيادة العليا لومها الى سبروانس الذي اتاح لبقية اسطول أوزاوا فرصة الهرب بسبب حذره الشديد ولكن مهمته الأولى كانت في الحقيقة تغطية نزول القوات في سايبان . وبنجاح هذه المهمة اصبح غزو جزائر الماريان ممكناً .

غوام وتينيان

أما غزو غوام فلم يتقرر الا بعد تراجع الجيش الياباني ، والا بعد ان اصبح الانتصار مضموناً في سايبان . وبعد ١٧ يوماً من الغارات البحرية والجوية هبطت فوق شواطىء غوام القوات الأميركية التالية : الفرقة البحرية الثالثة ، فرقة المشاة ٧٧ ، فوج البحرية الأول ، وكلها تحت قيادة

الجنرال روي جيجر . ولكن هـــذه القوات لم تكد تبلغ اليابسة حتى اصطدمت بقوات يابانية تبلغ تقريباً اكثر من ١٨٥٠٠ جندي ياباني كلهم تحت قيادة الجنرال شوتاكاشيا ، فوق ارض شبيهة بأرض سايبان وبمواقعها الدفاعية . وقد واجهت فيها ايضاً حملات انتحارية . وقد تحدث المراسل الحربي الفان جوزيفي عن الهجوم المعاكس الذي جرى في غوام ليلة ٢٥ تموز قال :

عند الساعة الثالثة صباحاً سمع احد الرماة البحريين ، مارتينيز حفيف عشب امامه كما لو ان شيئاً كان يتحرك .

فأصاخ بأذنه وسمع صوت صدى معدني . فشعر بالانزعاج . وحملق في الضباب ولكنه لم ير شيئاً . وتلاحقت الأحداث . وانطلقت اعداد من القنابل اليدوية ترسل صفيراً في الجو ثم انفجرت وراءه .

وفي الوقت نفسه انطلق صاروخ برتقالي اللون من الخطوط اليابانية . وتردد في الليل صوت غريب ثم زحف سيل من الأشباح الصارخة أمام عينيه . وشاهد حراب البنادق على نور الصواريخ التي كانت تتفجر بصورة مفاجئة . وكانت هذه الأشباح تتقدم في هجوم صاعق عنيف متجهة نحو جحور الرماة البحريين وسط القنابل اليدوية المتفجرة مرددة عبارة : بانزاي ، بصوت رهيب أشبه بأصوات الحيوانات المتوحشة .

وقد بدأت حملة العدو من أقصى الصف الى أقصاه . والطلقات النارية الحمراء تخترق ظلمة الليل . اما الصواريخ والمشاعل البرتقالية والقنابـــل المنيرة البيضاء التي كان يطلقها اليابانيون فقد كانت تكشف عن مواقـع الأميركيين وتشع النور في كل مكان من الليل وكأنها العاب نارية . وقد اوقفت الحملة من اليمين الى اليسار . وكلما برز صف جديد من الجند الياباني انبرت مدافع الأميركيين الرشاشة تحصدهم حصداً . ثم تركزت حملة العدو شيئاً فشيئاً على فجـــوة معينة اجتمع فيها عدد من الدبابات الأميركية . وكانت مدافع الدبابات عيار « ٧٥ » تطلق قنابلها على حموع

اليابانيين الحاشدة التي لا تبــالي بالموت . وقد حمل اليابانيون اول الأمر على هياكل الدبابات الفولاذية في جماعات متراصة اشبه ما تكون بجماعات النمل ، وهم يطلقون رصاص بنادقهم على هذه الهياكل فترتد عنها ثم يتسلقونها بأنفسهم على امل ان يقتلوا جنودها في داخل فوهة كل منها . كانوا يصرخون ، ويضربون بعنف بالغ ، على صورة السكارى ، ابراج هذه الدبابات ومع ذلك فلم يحدثوا اي ضرر فيها . واخيراً غادروا هذه الدبابات وركضوا في صف طويل نحو الشاطىء دون ان يجد احد تفسيراً لهذا التصرف ...

وفي ضوء الصواريخ شاهد اليابانيون جندياً اميركياً ينزع حربة من صدر احد زملائه . وفجأة برزت جماعة منهم وانطلقت نحو الرجلين ثم توقف ثلاثة منهم امام رشاش وحاولوا توجيـــه فوهته نحو الجنديين الأميركيين . وفي عجلتهم الهستيرية وقبل ان يتموا ادارة الفوهة وضع احدهم اصبعه على الزناد فانطلقت رصاصات منه فأصابت مجموعة من اليابانيين كانت تسير فوق هضبــة مجاورة . وعندما لم يستطيعوا ادارة الفوهة حاولوا ان يحملوه على قاعدته فأطلق احد الرماة عدة طلقات من رشاشه ارغمتهم على التوقف . اثنان منهم سقطا فوق الجنديين الأميركيين اما الثالث فقــد فجر قنبلة يدوية في جسده . وبعد ثوان قليلة برزت مجموعة اخرى منهم وعادت الى المدفع الرشاش وكررت المحاولة . وكادت تنجح لولا ان يابانياً في حالة سكر شديد كان يمشي متعباً فتعثر بمشيته وانفجر . وشع نور شديد وتمزق الياباني ارباً ارباً . لقد كان قنبلة آدمية ، وبوقوعه انفجر اللغم الأرضي الذي كان يحمله في وسطه .

وفي الساعة السادسة تقريباً وكان قد انقضى على هجوم اليابانيين ثلاث ساعات متوالية اقدمت موجة اخيرة منهم على احتلال قمة الهضبة . هذه الموجة كانت من اشد الموجات سكراً ووحشية . افرادهـــا يتقدمون في صفوف متراصة صارخين متعثرين يلوحون بسيوفهم او حرابهم بل وعصيهم

ايضاً . بعضهم كان جريحاً قد ضمدت جراحه . وصرخ الرماة البحارة الأميركيون بدورهم واطلقوا رصاص مدافعهم الرشاشة وبنادقهم السريعة الطلقات . وانتهى الأمر بعد فترة وجيزة . وعندما نعلم ان رصاص الأميركيين قد اباد الموجة الهاجمة حتّى آخر جندي نستطيع ان ندرك معنى هذه الموجة الرهيبة من الجند .

وتم الاستيلاء على هذه الجزيرة ، وطولها خمسون كيلومتراً ، بعد عشرين يوماً في قتال مستمر اي في ٢٠ آب . الخسائر فيها كانت اقل من الخسائر في سايبان ولكنها بقيت هامة في كل حال . القتلى ١٩٠٠ والجرحى ٧٠٠٠ من الأميركيين . اما من الجهة اليابانية فتقول مصادر الحلفاء بأن عدد القتلى قد بلغ ١٠٩٦١ جندياً و٨٦ اسيراً. واستمرت عمليات التطهير بعد ذلك عاماً كاملاً . وتقول ارقام الحلفاء ان الخسائر اليابانية قد بلغت في اواسط تشرين الثاني ١٩٤٤ مقدار ١٧٣٢٠ قتيل و٤٦٠ اسير حرب .

وبانتهاء معركة سايبان اجتازت عناصر مسلحة من الفرقتين البحريتين الثانية والرابعة المضيق الذي كان يفصل سايبان عن تيتيان بأربعة كيلومترات . هذه الحملة اعتبرت في نظر الخبراء اكمل حملة من الناحية التكتيكية ، خطة وتنفيذاً في حرب الباسيفيك كلها . وبفضل تفوق الأميركيين في الجو والبحر وبسبب قدرتهم على اصابة الأهداف في جزيرة تينيان من المدافع المقامة في سايبان فقد احتلوا تينيان خلال تسعة ايام بينما استمرت عمليات التطهير ثلاثة اشهر .

وعندما خسر اليابانيون سايبان وانهزموا في بحر الفيليبين سقطت حكومة الجنرال توجو في ١٨ تموز . وحلت محلها حكومة الجنرال كونياكي كويزو . وقد سببت سايبان تدافع الحوادث ، ذلك لأن فئة نافذة من اليابانيين قد بدأت تفكر في الصلح منذ معركة مدواي . وفي

كل حال ، كانت الانتصارات العسكرية تدعم مركز توجو والعسكريين اليابانيين .

على ان سقوط توجو لم يجهز على نفوذ العسكريين ، ولكن بينما كان اركان الحرب يضعون الخطط لحملات اشد عنفاً وضراوة ، كانت جماعة « الجوشن » رؤساء الوزارات السابقون ، مستشارو الامبراطور ، والمركيز كويشي كيدو ، وزير العدل ، قد بدأوا يعملون في الكواليس لتسوية سلمية تحافظ على النظام الملكي . اما حكومة كويزو المنقسمة على نفسها فقد كانت تتابع اهدافاً مناقضة : من ناحية ؛ التشدد في القتال ، ومن ناحية أخرى البحث عن فرصة دبلوماسية لوضع حد نهائي للحرب .

جزائر البالوس ومولوتا

سجل نيميتز وماك آرثر انتصارين آخرين باتجاه الفيليبين . ففي ١٥ ايلول ١٩٤٤ ، نزلت قوات مـــاك آرثر في موروتا بعد ان تجاوزت جزيرة الماهيرا المحصنة تحصيناً شديداً . وموروتا جزيرة واقعة في الشمال الغربي لغينيا الجديدة .

وفي اليوم نفسه الذي جرى فيه النزول في موروتا ، هاجمت القوات الاميركية التي يقودها الاميرال وليام بول هلسي جزيرة « بليلبو » في البالوس . هلسي كان يقود الاسطول الثالث تحت قيادة نيميتز . هـــذا الاسطول الكبير كان يحمي « الاسطول الثالث » حين كان بقيادة هلسي « والاسطول الخامس » حين اصبح تحت قيادة سبروانس . لقد كان سرب حاملات الطائرات في القيادتين واحداً في كل حال . وكان يدعى الاسطول الخامس باسم « القوة ٥٨ » وفي الاسطول الثالث باسم « القوة ٣٨ » . اما قائد السرب الدائم فهو الاميرال ميتشر . اما سبب وجود

قيادتين مستقلتين للأسطول نفسه فعائد الى ان واحدة منهما كانت تضع الخطط بينما كانت الثانية تنفذها .

ورأى هلسي ان يتجنب الاميركيون جزائر البالوس بعد ان رؤي التراجع الوقتي عن احتلال ياب وتروك . لكن نيمتز رفض هذا الاقتراح ؛ فغزو البالوس يكمل الحصار حول جزائر كارولين ويقدم قواعد عسكرية ملائمة اقرب الى الفيليبين .

وانقضت فرقة البحارة الاولى من قدماء المقاتلين في غوادالقنال ورأس غلوسستر على بليليو ، بينما كانت فرقة المشاة « ٨١ » تستولي على انغور واوليتي .

ويقول المؤرخ الرسمي للقوات الاميركية ، صاموئيل ايليوت موريسون ، ان المعارك الرهيبة التي جرت في بليليو جعلت الخبراء يقدرون ان هلسي على حق حين اقترح تجنب جزائر البالوس . لقد اضطر الاميركيون حينما واجهوا ١٣٦٠٠ جندي ياباني في المعركة ان يجمدوا ٤٢٠٠٠ رجل من جنودهم قتل منهم ١٨٥٠ وجرح ٨٥٠٠ .

العودة الى الفيليبين

الآن وقد زالت كل الحواجز امام ماك آرثر عبر جنوب الباسيفيك واما نيميتز فقد عبر الباسيفيك الاوسط فقد تقرر الانطلاق نحو جزائر الفيليبين ، التي هي مفتاح المواقع الدفاعية للخط الياباني الداخلي . فتحرير الفيليبين اذاً لم يكن لاغراض سياسية وحسب ، بل كان سقوطها وسيلة لعزل اليابان عن كل مصادر البترول والمواد الأولية الموجودة في جنوب شرقي اسيا وفي الهند النيرلندية .

كانت ردود الفعل اليابانية الضعيفة امـــام الغارات الجوية للاسطول الثالث خلال شهري آب وايلول ١٩٤٤ قـــد اقنعت هلسي بأن احتلال الفيليبين ممكن جداً مع تجنب جزائر منداناو دون التعرض لأي خطر ، وتقرر غزو « ليت » في ٢٠ تشرين اول . ومعنى ذلك ان الاميركيين سينزلون في قلب الارخبيل الفيليبيني وسيحدثون ثغرة في صميم ٢٥ الف جندي ياباني وزعيمهم الماريشال تاروشي فوق لوسون ومنداناو .

وراحت الطائرات الاميركية تغير عـــلى القواعد اليابانية لجزيرة ماركوس في منداناو وجزائر كوريل في بورنيو ، مع تركيز الجهود على اوكيناوا وفورموزا حيث تستطيع الطائرات والجيوش ان تبلغ « ليت » من خلالها . كل ذلك على صورة تمهيد لعملية الغزو المنتظرة . هذا التمهيد استمر ستة اسابيع ، فحطمت طائرات هلسي الفي طائرة يابانية واغرقت او اصابت بالاضرار حوالي ٤٥٠ سفينة ، هذا عدا المصانع والمطارات والمؤسسات الاخرى التي ابيدت ابادة تامة .

وقد تمت عملية الابادة او بلغت اقصى عنفها خلال المعركة الجوية التي جرت فوق فورموزا بين ١٢ و ١٥ تشرين اول .

وفي يوم الصفر نزلت القوات الاميركية العسكرية الى ارض الشاطىء الشرقي لجزيرة ليت من اسطول يبلغ عدد سفنه ٧٠٠ . وكان الجيش السادس للجنرال وولتر كروجر ، قوة الغزو بقيادة ماك آرثر ؛ يساندها الاسطول السابع بقيادة الاميرال توماس كنكاد . وقـــد كان على سفنه القديمة من دوارع وحاملات طائرات ان تغطي بمدافعها وطائراتها تلك العملية البرمائية . اما هلسي باسطوله الثالث ، وبما يحتويه من حاملات طائرات سريعة يقودها ميتشر ، ودوارع قوية حديثة ، فقد كان عليه ان يدافع عن عملية الانزال امام اية حملة فجائية قد تأتي من جهة البحر .

والواقع ان عملية الانزال لم تواجه اية معضلة بسبب ضعف المقاومة . ونزل اكثر من ١٠٠,٠٠٠ جندي الى البر خلال يومين ،ووجه ماك آرثر

الى الفيليبينيين نداء قال فيه : « ايها الشعب الفيليبيني ، هـا انا اعود اليك . ان قواتنا تقف اليوم فوق البر الفيليبيني بعون الله القدير ورعايته ... انضموا الي ولتنبعث في نفوسكم الروح الصلبة لمعركتي باتان وكوريجيدور ...»

اليابانيون كانوا ينتظرون منذ زمن طويل ان تحيط بهم كماشة الباسيفيك. وقد كانوا متأهبين لمواجهة كل احتمال بمخططهم « شو » الذي وضعوه لهذه الغاية . لقد كان عليهم ان يربحوا المعركة او تكون نهاية اليابان . ومنذ علموا بالنزول بادر الاميرال تويودا الى تنفيذ المخطط « شو » .

وقد قذف تويودا الى المعركة بكل ما بقي له من القوات تقريباً رغم ان السفن البحرية اليابانية لم تكن قـد استعادت انفاسها وان طياري حاملات الطائرات قد فرقوا فوق فورموزا .

لقد وضع مخطط « شو » بصورة دقيقة جداً للاستفادة الى اقصى حد ممكن من اسطول اضعفته المعارك ، وفي ضوء توبوغرافية الفيليبين ، والروح الانفعالية عند الاميركيين . وقد اشتركت في المعركة ثلاثة أسراب يابانية . القوة الشمالية بقيادة الاميرال جيزابوروازاوا ، التي تشتمل على حاملة طائرات كبيرة ، دارعتين ، حاملتي طائرات ، ٦ طرادات ، ٣ سفن خفيفة ، ٥ سفن ثقيلة ؛ توجهت كلها نحو شمال لوسون . لقد كان على هذه الاسراب ان تستدرج هلسي بأسطوله الثالث فتبعده عن رأس الجسر في ليت . القوة الوسطى يقودها الاميرال تاكايو كوريتا وهي تحتوي على : دارعتين كبيرتين حمولة ٦٨ الف طن ؛ « ياماتو » و « موازاشي » مزودة بمدافع عيار ٤٦٠ ، ٥ دوارع اخرى ، ١١ سفينة ثقيلة ، ٢ خفيفتان و ١٩ طراد ، وقد توجهت من سنغافورة نحو بحر الصين الجنوبي ، عبر مضيق سان برنار دينو ، الـذي يفصل لوسون عن سمار . القوة الجنوبية ، موزعة الى سربين متميزين ، احدهما كان يقوده الاميرال شوجي نيشيمورا وفيه دارعتان وسفينة واربع طرادات ، وثانيهما كان يقوده الاميرال كيوهيدشيما ويحتوي على ٣ سفن و ٤ طرادات.

وقد امرت هذه القوة باجتياز بحر سولو والدخول الى مضيق سوريجاوو بين مندانـــاو وليت . فبينما يطارد هلسي اوزاوا بعيداً الى الشمال تنقض القوتان الاخريان على رأس الجسر المحروم من الحماية البحرية في ليت ثم تسحقه . لقد كانت خطة ممتازة وكانت على وشك النجاح ....

وبين ٢٣ و ٢٧ تشرين اول ١٩٤٤ جرت اضخم معركة بحرية في التاريخ . لقد شاهدت غواصتان امير كيتان يــوم الثالث والعشرين من تشرين اول العمارات البحرية للقوة اليابانية الوسطى التي يقودها كوريتا واندرتا هلسي . وابتدأت المعركة فـــأغرق الاميركيون سفينتين جوالتين وأنزلوا اضراراً بجوالة ثالثة . وردت الطائرات اليابانية بالغارة على حاملة الطائرات الخفيفة (برنستون) التي اصيبت بأضرار فادحـــة حتى ان الاميركيين اضطروا لاغراقها في البحر . وعلى طول اليوم التالي ، ٢٤ تشرين اول ، انطلقت طائرات هلسي تضرب بقنابلها سفن كوريتا في بحر سيبوي ، فأغرقت الدارعة العملاقة (موزاشي) واحدثت اضراراً في عدد كبير من السفن الاخرى . وعندما شاهد هلسي اسطول كوريتا يتحول الى اتجاه آخر تأكد له انه قد حطمه وان هذه الحركة هي حركة تراجع . وفي هذه الاثناء اعلنت طائرات الاستطلاع الاميركية لهلسي عن وجود حاملات الطائرات التي يقودها اوزاوا . واستخفته الرغبة المتحمسة في سحق الاسطول الياباني فنسي حماية رأس الجسر . وهـــو وان كان يتصرف بعدد كاف من الدوارع وحاملات الطائرات للانقضاض مرة واحدة على كوريتا واوزاوا الا انه لم يتخذ اية حيطة فيترك وحدة من الوحدات لغرض تغطية مضيق سان برناردينو ثم مطاردة اوزاوا بعد ذلك .

اما كنكاد قائد الاسطول السابع فقد وجـــه مساعده الاميرال جس اولدندورف لملاحقة القوة اليابانية الجنوبية التي كان ينتظر وصولهـــا في الليلة نفسها الى مضيق سوريغاو دون ان يعلم بأن مضيق سان برناردينو قد اصبح مفتوحاً وبالتالي ان جناحه الشمالي قد اصبح مكشوفاً للعدو .

اما اولدندورف فقد كان سربه مؤلفاً من ٦ دوارع قديمة ، منها ٥ نجت من كارثـــة بيرل هاربر ، ٨ سفن جوالة ، ٢٦ طراد ، ٣٩ سفينة سريعة من قاذفات الطوربيد . وفي ساعة متأخرة من الليل وضع اولدندورف سفن نيشيمورا في كمين ، خلال معركة رائعة في التخطيط والتنفيذ . وانتهت المعركة بالطبع بهزيمة نيشيمورا ثم لم ينج من سفنه غـــير طراد واحد . وعندما وصلت مجموعة شيما الى سوريغاو بعد ذلك بقليل ضربت سفينته الجوالة الوحيدة واغرقت وقرر شيما الانسحاب من المعركة .

وفي هذه الليلة بالذات عاد كوريتا قائـــد القوة الوسطى ، وبمناورة فائقة المهارة دخل الى مضيق سان برناردينو الذي لم يكن يراقبه احد . وفي صباح اليوم التالي ، وفي وقت مبكر جداً انقض كوريتا على رأس جسر ليت ، ولكنه على بعد ٣ ساعات من الجزيرة وبينما كـــان يجتاز سامار وجد امامه اسطولاً صغيراً لحاملات الطائرات الاميركية المرافقة لقافلة الغزو ومن حوله ستار من الطرادات وقفت كلها حاجزاً امامـــه وأنزلت اضراراً بسفينة ثالثة له . أما حاملات الطائرات الصغيرة وطراداتها فقد قاتلت كما تقول رواية الحلفاء بشجاعة واستماتة ثم ارغمت على التراجع نحو رأس الجسر . ثلاث ساعات مضت على كنكاد وهو يطلق الرسالة تلو الرسالة الى هلسي يسأله فيها العودة بسرعة لقطع الطريق على كوريتا او للاغارة بطائراته على الاسطول الياباني قبـــل ان يبلغ رأس الجسر . وفجأة ، ودون ان يعرف سر المناورة عاد كوريتا وانسحب باتجاه سان برناردينو ولما يبق بينه وبين رأس الجسر غير ساعتين . إن احداً لم يستطع ان يفسر سر هذا الانسحاب اللهم إلا في حالة واحدة ، ان يكون كوريتا قد التقط رسالة لاسلكية تعلن اغراق سفن نيشيورا باستثناء واحدة منها وحسب . الثابت في كل حال أنـــه قد عاد بعد ان اصبح النصر في متناول يده .

وبينما كان كل هذا يجري هناك ، كان اسطول هلسي يبيد سرب

أوزاوا . لقد اغرقت طائرات ميتشر اربع حامــلات طائرات ، سفينة جوالة واحدة ، وطرادين ، وانزلت اضراراً خطيرة بالدراعتين حاملتي الطائرات وبسفينتين جوالتين خفيفتين وبأربع طرادات . وتحــول هلسي نحو الجنوب متأثراً ببرقية نيمتز التي تسأله : اين القوة الضاربة ٣٤ ؟ ثم لم يترك وراءه غير بعض الطرادات والسفن الجوالة مما لم يكن كافياً للقضاء على البقية الباقية من اسطول اوزاوا . وبينما كان هلسي يعود ، كان كوريتا قــد دخل مضيق سان برناردينو ، ولكن طائرات هلسي توصلت الى انزال اضرار بالسفن المتخلفة .

ان هزيمة خليج ليت قــد اصابت قلب البحرية اليابانية . حصيلة المعركة : ٢٦ سفينة غرقت — ٣ دوارع ، ٤ حامــلات طائرات ، ١٠ سفن جوالة و ٩ طرادات — مقابل ٦ سفن اميركية — ١ حاملة طائرات خفيفة ، سفينتا مواكبة و ٣ طرادات . لقد كان مــا جرى انتصاراً كبيراً للاميركيين .

وفي نهاية ١٩٤٤ تم الاستيلاء على ليت ولكن المعارك استمرت ايضاً ٦ أشهر في جزر الفيليبين بسبب سوء الجو وصعوبات الارض والمقاومة اليابانية العنيدة . ولم تتحرر بقية الفيليبين الا في تموز ١٩٤٥ بعد سلسلة من المعارك الهائلة من برمائية وجوية او بقوات هابطة من الجو . وكانت الهزيمة في الفيليبين كارثة يابانية اخرى . نصف البحرية اليابانية ضاعت ٩٠٠٠ طائرة تحطمت ، ٤٠٠,٠٠٠ جندي بين قتيل ومفقود وجريح . كما ان الاميركيين دفعوا ثمناً كبيراً . لقد ذكروا ان خسائرهم قد بلغت ٦٠,٠٠٠ رجل يضاف اليهم الكثير من الانصار الفيليبينيين . وقد زعم الاميركيون ان الجرائم التي ارتكبها اليابانيون في جزائر الفيليبين تستعصي عــلى الوصف وان القسوة التي ظهرت في معاملتهم للأنصار المسلحين والمدنيين العزل كانت قسوة رهيبة .

الجبهة المتروكة

كانت بورما مسرحاً من اصعب مسارح الحرب . إن ارضها سلسلة من الغابات الرهيبة والجبال والانهر المتوحشة التي تصدر الملاريا والديزانتاريا والتيفوس بالاضافة الى تعذر القتال فيها خلال فصل الامطار أي بين أيار وتشرين الأول . كانت بورما قائمة عند طرف طريق تموينية طويلة تبتدىء من بريطانيا والولايات المتحدة . المواصلات كانت مزعجة غير كافية حتى تلك التي تنطلق من القواعد الهندية . والواقع ان الحلفاء قد اعتبروا بورما ميداناً ثانوياً للحرب، حينما وضعوا خطتهم العامة ضد المحور ولذلك فقد احتفظوا فيها بعدد قليل من الرجال والعتاد مما لم تكن لهم به حاجة . يضاف الى ذلك ان المنازعات الشخصية والعسكرية والسياسية كانت تمزق صفوف الحلفاء حتى ان المراقب ليظن في الغالب ان كلاً من الصين وبريطانيا والولايات المتحدة تخوض حرباً مستقلة لأغراض مستقلة ايضاً .

اما الاميركيون فقد كان اعظم ما يهمهم هو اعادة فتح طريق بورما التي قطعها اليابانيون عام ١٩٤٢ بحيث يستطيعون تزويد الصين بالمساعدات والاحتفاظ بها في الحرب . اما البريطانيون الذين لم يكونوا يهتمون بالنشاط العسكري الصيني فقد كانوا منشغلين بتدعيم قواعدهم في ماليزيا وسنغافورة وابعاد الخطر الياباني عن البلاد الهندية . واما تشان كاي تشك الذي كانت تشغله هموم الاحتفاظ بسلطته وسلطة انصاره ، والاستعداد لتسوية حسابات ما بعد الحرب مع ماوتسي تونغ الشيوعي ، فلم يكن يهتم الا بالعتاد الذي يمكن للحلفاء ان يقدموه الى حكومته وجيوشه. يضاف الى ذلك ان شعبه وجيوشه قد بدأوا يملون من حرب مستمرة منذ عام ١٩٣٧ . الصينيون والاميركيون يخططون لمعركة في شمال بورما ؛ البريطانيون كانوا يميلون الى الهجوم على بورما الوسطى والجنوبية .

هكذا كانت الخلافات بين قيادات الحلفاء المشتركة تعقد الموقف

العسكري . واكثر ما كانت هذه المنازعات بين المارشال ويفيل والاميرال مونتباتن من التابعية البريطانية ثم بين مونتباتن والاميركي ستلول ، وبين ستلول ، شان كاي تشك ، والجنرال شينو الاميركي ايضاً . بعض هؤلاء القادة يولي المعارك البحرية اهتمامه الاكبر والبعض الآخر يفضل المعارك الجوية بينما يميل البعض الثالث الى العمليات البرية . وجهات نظرهم لم تكن تتلاقى ابداً . وقد رغب تشرشل تجنباً للمعارك فوق ارض صعبة وجو متعفن ان ينظم حملة برمائيــة على رانغون من الجهة الاخرى من خليج بنغال . ولكن قوارب نقل الجنود الصغيرة التابعة للحلفاء كانت مشغولة بعمليات اكثر اهمية في اوروبا والباسيفيك . ستلول كان يقدر ان هزيمة اليابانيين لا تتم إلا بمعركة برية كبيرة تشارك فيها الصين بجنودها . ولكن تشانك كان يرفض تقديم جيوشه لمثل هذه المعركــة . أما شينو قائد القوة الجوية الاميركية الرابعة عشرة فقد كان يؤكد بأن في وسعه التغلب على اليابانيين بأسرابه الجوية الصغيرة التي كانت تعد ١٠٠ مطاردة و٥٠ قاذفة . اما في واشنطن فان روزفلت ورؤساء اركــان الحرب لم يكونوا يطلبون من طياري شينو وقوات ستلول البرية غير معارك جانبية لتجميد جيوش وسفن وصناعات يابانية بينما كان نيمتز وماك آرثر يعدان غزو اليابان في جزائر الباسيفيك .

مع كل هذه المعضلات وبعد عام ونصف من جمود مستمر لم تذهب رتابته إلا في فترات متبــاعدة يقوم فيها الفدائي الاسطوري الجنرال أوردونغيت ورجاله من الشنديت وراء الخطوط اليابانية انطلق الحلفاء في حملة هجومية على بورما . لقد حــاول ستلول ان يحرر بورما الشمالية بفرقتين صينيتين مدربتين على الطريقة الاميركية ووحدة اميركية مدربة على طريقة الشنديت ثم فريق ماريل .

أما في الجبهة الوسطى فإن الجيش الانكليزي الهندي الرابع عشر بقيادة الجنرال وليم سلم كان عليــه ان ينطلق من آسام عبر نهر كوهيار

امغال باتجاه مندالاي لتحرير بورما الوسطى ثم النزول بعد ذلك على امتداد نهز إراوادي حتى رانغون لتطهير الجنوب من اليابانيين . وهناك معركة ثالثة اشرف عليها الجنرال أ. كريستسون إشتركت فيها فرق هندية وأخرى من جنوب افريقيا اجتازت شواطىء خليج بنغال ونزلت شبه جزيرة اراكان حتى اكياب .

وبعد ١٨ شهراً جرت فيها معارك قاسية كانت نسبة الوفيات فيها بين الرجال من الجوع والمرض او الجراح اكثر من نسبة الوفيات بسبب العمليات الحربية . وقد نجحت الجيوش الثلاثة . وسجل اليابانيون هزيمة هامة في سهل كوهيما – امغال في تموز ١٩٤٤، وانفتحت طريق بورما مرة اخرى عام ١٩٤٥ . ومع ذلك ورغم هذه الانتصارات فقد جعلها تأخرها غير ذات قيمة اساسية في تطوير الحرب . في ايار جرى هجوم مختلط بين جيوش سلم ومظليين وقوات برمائية انتهى بسقوط رانغون وبذلك تمت العودة نهائياً الى بورما .

الحرب هناك كانت في نهايتها كارثة لليابانيين . اما في الفيليبين فقد كانت هزيمتهم البرية الكبرى التي خسروا فيها ٣٠٠٫٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٫٠٠٠ قتيل . وأما الحلفاء فقد خسروا كثيراً من الرجال بين ضحايا السلاح الياباني والاوبئة المنتشرة .

وقد أيدت الاحداث افكاراً معينة لبعض قادة الحلفاء . فان تقديرات تشرشل حول امكانيات تشان كاي تشيك الضعيفة في القتال قد ثبتت صحتها رغم الطيران الاميركي القوي الذي زود الصين بالمساعدات عبر الشمال الشرقي للهند وبالطيران فوق جبال هملايا التي يرتفع بعض قممها ٨٠٠٠ متر ، ورغم المعجزة التي قامت بها فرق الهندسة الاميركية وجماعات العمال الصينيين والتي توصلت الى بناء طريق ليدو الجديد للاتصال بطريق بورما القديمة . ان هجوماً يابانياً في جنوب الصين خلال ربيع ١٩٤٤ قد انتهى بالاستيلاء على مطارات شينو . وعلى ذلك فان رأي ستلول كان

رأياً سليماً حينما كان يقـــول دائماً : منذ الفترة التي تبدأ فيها طائرات شينو بازعاج اليابانيين حقاً فان هؤلاء سيستولون على قواعده الجوية . اما انتصارات نيمتز وماك آرثر فقد اثبتت خطأ ستلول الذي كان يزعم بأنه لا سبيل الى الانتصار على اليابان إلا فوق البر الاسيوي وبجيوش صينية.

ايوجيما ، مقبرة الشيطان

بقيت طوكيو بعيدة عن متناول الطائرات الاميركية بعد الغارة عليها بواسطة طائرات دوليتل في ١٨ نيسان ١٩٤٢ اكثر من سنتين تقريباً . ولكن طائرات « ب ٢٩ » قد بدأت عهد الغـــارات من جديد في تموز ١٩٤٤ فقذفت قنابلها فوق مصانع الحديد في ياواتا عند منطقة كيوشو في الشمال . والواقع ان المصانع الثقيلة في هونشو والجزائر اليابانية بالذات لم تصبح في متناول القلاع الاميركية الطائرة إلا بعد ان احتل الاميركيون جزائر الماريان في تشرين اول ١٩٤٤ . وجزائر الماريان تقـــع على بعد ٢٠٠٠ كلم من طوكيو بحيث ان الطائرات تجتاز في غـــدوها ورواحها ٤٥٠٠ كلم تقريباً أي ١٦ ساعة طيران او اكثر في بعض الاوقات . هذا النوع من الطيران ذو فعالية نسبية بالاضافة الى الخسائر المرتفعة التي يصاب بها بسبب بعد المسافة والعجز عن تغطيته بالطائرات المطـــاردة . يضاف الى ذلك ان وزن القنابل يكون اقل مما اذا كانت قواعد الانطلاق قريبة من الاهداف . انها لم تكن تتجاوز ثلاثة اطنان مع العلم ان في وسع هذا النوع من الطائرات ان يحمل عشرة اطنان من القنـــابل في الغارات العادية القريبة .

يضاف الى ذلك ان اليابانيين قد جعلوا من ايوجيما في جزائر بونان في وسط الطريق بين سايبان وطوكيو قاعدة للطائرات المطاردة ومحطات الرادار يعترضون بالاولى طريق قاذفات القنابل وينذرون بالثانية قواعدهم في طوكيو . كما ان ايوجيما كانت قاعدة لقاذفات القنابل اليابانية التي تغير على قواعد القلاع الطائرة في الماريان . فاذا استولى الاميركيون على ايوجيما اصبح في وسع القلاع الطائرة ان تتجنب مطاردات اليابانيين كما اصبح في وسع المطاردات الاميركية « فوستانغ ب — ٥١ » ان تواكب هذه القلاع في غاراتها على المدن اليابانية . كما تتحول ايوجيما الى محطة تجميع وتصليح وترميم وتموين في الطريق الى اليابان . وبنـــاء على ذلك فقد تلقى الاسطول البحري والرماة البحريون امراً باحتلال ايوجيما .

وبينما كان ماك آرثر في الفيليبين ومونتباتن وسْلِيمْ وسلطان في بورمـــا يسددون ضربات موجعة للجيوش البرية اليابانية ؛ كانت الحملة على ايوجيما تتهيأ بغارات جوية وبحرية لمدة سبعة اشهر . وقد قذفت ايوجيما يومياً خلال ٧٤ يوماً حتى ١٩ شباط ١٩٤٥ اي يوم الصفر الذي تعين لانزال الجيوش الاميركية الى الشاطىء . وفي هذه الاثناء كانت غارات عنيفة ، لغرض العزل ، تصب قنابلها فوق فورموزا ، اوكيناوا ، والتراب الياباني نفسه . وقبل الموعد بثـــلاثة ايام كان الاسطول الخامس الذي يقوده سبروانس يضرب العشرين كيلومتراً مربعاً التي هي مساحة الجزيرة بكل ما يمكن من الاسلحة .

وطبيعي ان اليابانيين كانوا يعرفون قيمة ايوجيما . ولذلك فقد احتفظوا فيها بجيش مدرب عدته ٢٣ الف رجل بقيادة الجنرال كوريباياشي ، وراء قلاع فائقة التحصين . لقـــد كانت ارض الجزيرة مغطاة بأكوام من اعشاش الرشاشات ومخابىء المدافع وانفاق في باطن الارض تصمد لأشد القنابل واقواها بحيث أنها لا تتأثر الا حين تصيبها اصابة مباشرة .

كانت خطة كوريباياشي التكتيكية تحقيق نوع من القتال المشترك على

الشاطىء وفي الاعماق بحيث ان المواقع اليابانية المحصنة كانت تمتد فوق مكانين استراتيجيين : الأول في الطرف الجنوبي حول قمة سوريباشي ، التي هي بقية بركان منطفىء ارتفاعه ٢٠٠ متر ، يقف فوقه المراقبون اليابانيون فلا تخفى عليهم خافية في الشواطىء ، وتنطلق منه قنابل المدافع التي تسيطر سيطرة تامة على الشاطئين الوحيدين الصالحين لهبوط الجنـــد المغير ؛ الثاني في اوسع جزء من الجزيرة حول قرية موتوياما في شمال ايوجيما . مدافع من كل العيارات تحميها حقول واسعة من الالغام اقيمت هناك بحيث تصبح الجزيرة كلها تقريباً واقعة تحت نار كثيفة مركزة .

وتأتي بعد الشواطىء المغطاة هناك بالرمـــاد البركاني مرتفعات شديدة الوعورة تنتهي الى الهضبة الوسطى في ايوجيما ، حيث كان يوجد مطاران يابانيان صالحان للعمل بينما تستمر الاعمال في مطار ثالث . وقد كان على الرماة الاميركيين ان يواجهوا بالاضافة الى قمة سوريباشي سلسلة وعرة من المهاوي والكهوف المحصنة .

وقد اعد الاميركيون للاستيلاء عـــلى هذه الجزيرة الفائقة التحصين اسطولاً من ٨٠٠ سفينة و ١٥٠٠ طائرة وثـــلاث فرق تساندها قوات البحرية وقد بلغ مجموعها ٦٠ الف رجل .

وفي صباح ١٩ شباط ١٩٤٥ توجهت الفرقتان البحريتان الرابعة والخامسة نحو الشاطىء في الجنوب الشرقي لايوجيما حيث واجهتا ناراً كثيفة لاتنقطع . وبعد اكثر من ٢٤ ساعة مضت على عمليات الانزال استطاعت الفرقة الخامسة ان تعزل قمة سوريباشي وان تقسم ايوجيما الى قسمين باتجاهها نحو الشاطىء الغربي . أما الفرقة الرابعة فقد انطلقت نحو الداخل فاستولت على مطار قرية موتومايا رقم واحد . وبعد قتال استمر ثلاثة ايام اصبح ثلث الجزيرة في حوزة الاميركيين . كما اصبح في وسع الفرقتين التوجه شمالاً . وفي ٢٣ شباط وصلت دورية اميركية الى قمة سوريباشي ورفعت فوقها العلم الاميركي .

وفي اليوم التالي ، ٢٤ شباط ، انزل رجال الفرقة الثالثة التي احتفظ بها كقوة احتياطية فانطلقت في خط مستقيم نحو الفرقتين الرابعة والخامسة. وتلاحق الزحف نحو الشمال دون ان تجد القوات البحرية والجوية فرصة صالحة لتقديم مساعدات كبيرة . التقدم كان بطيئاً جداً . فقد كان على الاميركيين لاخراج اليـابانيين من كل موقع محصن ان يستعملوا كل سلاح : الدبابات ، البازوكا ، قاذفات اللهب ، قنابل تفجير ، قنابل يدوية ، رشيشات ، بنادقـاً وحراباً . كان التقدم متراً وراء متر من ملجأ إلى ملجأ . والشيء الرهيب حقاً انه قد كان في وسع اليابانيين ان يعودوا خلف القوات الاميركية عبر انفاق تحت الارض ويطلقوا النار عليها من ملاجىء كان المظنون انها قد طهرت منهم .

لم يستسلم جندي ياباني كما لم يحاول جندي ان يهرب من الجزيرة . لقد قاتل اليابانيون بقوة وقسوة حتى ١٦ آذار ، حينما ارغموا على التراجع الى القسم الشمالي الغربـي لايوجيما ثم ابيدوا في منطقة كيتانو . والواقع ان العمليات لم تتوقف إلا في ٢٦ آذار وان التطهير لم ينته إلا بعد ذلك بشهرين اثنين . لقد كانت معركة ايوجيما اكثر انهاكاً من معارك تاراوا وبليليو . ٢٢٣٠٠ جندي قتلوا فيها او حشروا في المغاور . ولم يؤسر غير عدد قليل جداً . اما الرماة البحريون فقد فُقد ثلثهم بين قتيل وجريح. الاميركيون يقولون انهم خسروا ٢٠ الف جريح و٦ آلاف قتيل .

يضاف الى ذلك ان الطيارين الانتحاريين قد انزلوا اضراراً فادحـــة بحاملة الطائرات ساراتوغا ، واغرقوا حاملة الطائرات المواكبة «بسمارك سي» واحدثوا اضراراً خفيفة في عدد كبير من السفن الحربية . كما قتل أو جرح حول ٢٨٠٠ بحار .

لقد اعلن قائد البعثة البحرية « هولن ماد » ان معركة ايوجيما كانت اقسى معركة اشتركت فيها القوات البحرية الاميركية عبر ١٦٨ عامـــاً من تاريخها .

اوكيناوا

لم يكن الهدوء قد عاد الى ايوجيما ، ولم يكن ماك آرثر قد اخرج اليابانيين نهائياً من الفيليبين حين قامت القوات الاميركية بغزو جديد على بعد ١١٠٠ كـلم غربي ايوجيما في جزيرة اوكيناوا . وهي الجزيرة الاساسية في ارخبيل ريوكيو وطولهـا ١٠٠ كلم . لقد كانت اوكيناوا ذات مركز استراتيجي هام . فباقامة القواعد العسكرية هناك تستطيع القوات الاميركية ان تغير على كيوشو وفورموزا والصين ... كلها على بعد ٥٠٠ كلم تقريباً . كما يكون في وسعها ان تهاجم في الشواطىء اليابانية وبحر الصين الشرقي القوافل المحملة بالمواد الاولية المجلوبة من الصين ومن الجنوب الشرقي الاسيوي . كما ان اوكيناوا تصلح لان تكون منطلقـاً لغزو اليابان نفسها .

وقبل بداية الغزو الحاسم لاوكيناوا باسبوع واحد تم احتلال كيرا ماريتو من قبل الفرقة – ٧٧ – بقيادة الجنرال اندروبروس . وهي على بعد ٢٣ كـلم غربي اوكيناوا . هذه الجزيرة الصغيرة كان ينتظر ان تكون قاعدة امامية للتموين وللطائرات البحرية ولرسو السفن . ثم تم احتلال « كيس شيما » وهي جزيرة صغيرة اخرى عشية الانقضاض على اوكيناوا واقيمت فيها مدفعية ثقيلة تطلق قنابلها على جنوب اوكيناوا حيث تقوم على بعد ١٢ كلم .

عشرة ايام من الغارات الجوية والبحرية هيأت لعمليـات في شهر آذار ، وذلك بعد ان احـدث الاسطول الخامس اصابات شديدة في كيوشو وهونشو ، وفي الوقت الذي كانت فيه القلاع الطائرة « ب ٢٩ » تضرب التراب الياباني منطلقة من جزر الماريان .

هذه الغارة العظيمة اعدت لهـا قوات الجيش الاميركي العاشر الذي

يقوده الجنرال سيمون بوليفار بوكنر مع اسطول بحري مؤلف من ١٤٥٠ سفينة واسطول جوي ، ١٥٠٠ طائرة للتغطية ، يساندها سرب بريطاني بحري يشتمل على ٢ دوارع ، ٤ حاملات طائرات ثقيلة للقتـــال ، ٥ سفن جوالة واكثر من ٢٤٠ طائرة . أما الجيش العاشر فقد كان يتألف من : القوة البرمائية الثالثة التابعة للبحرية ، بقيادة الجنرال روي جيجر ، القوة الرابعة والعشرين للجيش بقيـــادة الجنرال هودج ... ومجموع كل هذه القوات يبلغ ٤٥٠ الف رجل .

وفي تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح اول نيسان ١٩٤٥ نزل جنود الفرقتين البحريتين الاولى والسادسة ثم جنود فرقتي المشاة ٧ و ٩٦ في شواطىء هاغوشي في الجنوب الغربـي لجزيرة اوكينـــاوا . وكانت المفاجأة كبيرة وغريبة حين لم يواجهوا غير مقاومة يسيرة . واحتل الرماة البحريون مطار « يونتان » ثم توجهوا نحو الشمال بينما كان الجيش يحتل مطار « كادينا » ثم يتوجه نحو الجنوب . وتم الاستيلاء عـــلى المهمات والاجهزة اليابانية في حالة سلامة تامة تقريباً .

ولئن تم النزول بمثل هذه السهولة فلأن الجنرال ميتسورو اوشيجيما قائد جزيرة اوكيناوا قد قرر الانسحاب بقواته التي تبلـــغ ١٠٠ رجل الى خطوط محصنة في الجزء الجنوبـي من الجزيرة .

هذه الاستراتيجية اليابانية لم تكن الاولى في تاريخ الحرب ولكنها لم تستعمل على نطاق واسع . لقد وضعت فقط من اجل الدفاع عن المناطق ذات العلاقة الخاصة بأمن اليابان المباشر وسلامتها الوطنية . ولذلك فقد بدىء بها في الفيليبين عند ليت ولنغاين وكذلك في ايوجيما . وبما ان الخسائر في السفن والطائرات والطيارين كانت في تزايد مستمر فقد رؤي اللجوء الى التكتيكات الانتحارية التي نفذت في معارك معينة اشرنا اليها في فصول سابقة ثم طبقت بعد ذلك بأسلوب اكثر ايجابية في العمليات البحرية والجوية.

وبما ان اليابانيين قد نجحوا بهذا التكتيك في اغراق ١٦ سفينة وانزال

الأضرار بـ ٨٧ سفينة اخرى في الفيليبين ، وبما انهم قد شلوا حاملة الطائرات « ساراتوغا » واغرقوا الحاملة المواكبة « بسمارك سي » في بحر ايوجيما ؛ فقد أملوا في تطبيق هذا المخطط بطريقة اكثر تناسقاً في المعركة . لقد وكلت مهمة القضاء على الأسطول الأميركي او اغراق سفنه امام اوكيناوا الى مراكب وطائرات انتحارية بقصد حرمان القوى النازلة في الجزيرة من المؤونة والمساندة الجوية والبحرية . وكان اوشيجيما يأمل إبادة الجيش العاشر بعد التوصل الى عزله بهذه الطريقة .

ولكن الأميركيين قد وفقوا باحتلال كيراماريتو الى الاستيلاء على ٤٠٠ مركب انتحاري كانت ترسو في تلك القاعدة . فحرم اليابانيون من هذا السلاح الفتاك الرهيب . اما اخطر الأسراب الانتحارية فقد كانت قواعدها في كيوشو وفورموزا . والوصول الى هذه القواعد كان من الصعوبة بمكان بعيد . هذه الأسراب كانت تشكل مـا يسمى بقوات الهجوم الخاصة والتي يطلق عليها اليابانيون اسم « كاميكاز » اي « الريح الالهية » اشارة الى العاصفة التاريخية التي مزقت اسطول كوبلاي خان عام ١٢٨١ في الوقت الذي كان يحاول فيه هـذا الامبراطور المغولي النزول في ارض اليابان . وقد نظمت هـذه القوة الانتحارية الحديثة باشراف الأميرال تاكيجيرو اوينشي على امل ان ترد هـذه « الريح الالهية » مرة اخرى الأساطيل العدوة التي كانت تهدد ارض اليابان بالخطر .

هذه الطائرات الانتحارية اما ان تكون مطاردات قديمة محشوة بالمتفجرات او قنابل طائرة يقودها طيارون وتندفع بقوة الصاروخ بسرعة الف كيلومتر في الساعة يبلغ وزن المتفجرات فيها طناً واحداً . والقنابل هذه كانت تحملها قاذفات قنابل ضخمة حتى اذا اقتربت من الهدف اطلقتها وتركت للطيار مهمة قيادتها . وكانت حاملات الطائرات هي الهدف المختار لهذه الطائرات . اما طريقة الهجوم فتتم في موجات كثيفـة متتابعة او طائرة

او في مجموعات صغيرة تواكبها وتحميها حتّى تصبح فوق اهدافها مطاردة عادية .

وفي ٦ نيسان اطلق اليابونيون ٦٩٩ طائرة منها ٣٥٥ انتحارية للهجوم على الأسطول الأميركي في اوكيناوا . وبذلك كانت المرحلة الأولى لمعركة يابانية يستهدف اصحابها الموت عن سابق اصرار وتصميم احدثت في الأسطول الأميركي خسائر فادحة رهيبة .

طيار انتحاري

وفيما يلي حكاية يرويها واحد من هؤلاء الطيارين عن احد زملائه ؛

الراية اليابانية كانت تعصب جبهة كل واحد من الزملاء ، اما الشمس المشرقة فتقع تماماً فوق عينيه . انطلاق الطيارين يتم باحتفالات رائعة عظيمة . انخاب ، خطب وطنية حماسية ... لا شيء يهمله القادة من اجل إثارة روح الفداء في نفوسهم .

كانت الكلمات هي نفسها اسمعها في الغالب وهي تتردد على الأفواه . وعندما يهم الطيار بمغادرة القاعدة كان صوت الزعيم يتردد في الفضاء دقائق معينة . ثم تنتهي الخطبة بالعبارة التالية : « والآن ايها الرفاق الشجعان ... ابتسموا وانتم تذهبون ... ان اجدادكم قد حفظوا لكم الى جانبهم مكاناً مختاراً . ان ساموراي السماء ، وكل المحاربين الأموات هم هناك يستعدون لاستقبالكم . »

واخيراً نغني جميعاً نشيد المعركة :

ان لون الطيار هو لون زهرة الكرز

انظر الى ازهار الكرز وهي تتساقط فوق روابي يوشينو

فاذا كنا الأطفال الأعزاء لعنصر ياماتو

فلنمت ونحن نقاتل في السماء !

ثم تأتي الأنخاب الأخيرة . اكواب شراب « الساكي » . اننا نرفعها ثم نصرخ قائلين : يحيي الأمبراطور .

هذا الجو من الحماسة الحربية يساعد بالطبع على ازالة التجاعيد في وجوه الزملاء الانتحاريين . لقد كانوا يضحكون ويمزحون وهم يصعدون الى طائراتهم وهي طائرات قديمة او طائرات تدريب يعلوها الصدأ والعفن . ولكن هذا غير مهم فهي تذهب لكي لا تعود ...

والآن لم يعد في وسعي الا ان افكر في رجل واحد منهم ... لقد كان هناك مع ناكامورا ... وكان يسير في اتجاهي . كل شيء فيه يبدو غير حقيقي . الفكر في عزلة تامة بينما جسده يتحرك لتنفيذ ما طلب اليه تنفيذه . وكانت هناك ابتسامة غريبة ترتسم على هذا الوجه الشمعي .

« قلت في نفسي : قل له ... قل له انك سترافقه حتى النهاية ، وانك ستموت معه . ولكن لا ... انه لا يريد ذلك ... هيا ان دورك سيأتي قريباً يا كوواهارا ... »

شيء ثقيل كان يضغط على صدري ، ويسحق كل ما كنت اريد ان اقوله . تاتسوتو ... انا ... تصافحت ايدينا . ناكامورا كان يقف الى جانبنا ، محنياً رأسه .

وقال اخيراً ... اذكر اننا كنا نريد دائماً ان نطير معاً .

حملقت في عينيه ثم احنيت رأسي :

« سألحق بك قريباً » هذا ما قلته في همسة سريعة .

وهنا اعطاني شيئاً .

قال : « خذ هذا واحتفظ به ذكرى مني . انه ليس شيئاً هاماً . ولكن حاول ان تسلمه الى اهلي . »

ولويت برأسي . لقــد اعطاني تاتسونو اصبعه الصغير . ان الرجال الذين كتب عليهم الانتحار كانوا يتركون شيئاً وراءهم ... شيئاً منهم : خصلة من الشعر ، اظافر ، او اصبعاً ايضاً يقــدر له ان يحرق حتى يتحول رماداً ثم يستقر الرماد في وعاء صغير يقف الى جانب صور الأجداد في مكان من المنزل العائلي . ويأتي الكاهن مرة في كل عام ليصلي امام هذا الأثر .

كان طيارونا الانتحاريون ينطلقون ثلاثة ثلاثة . انهم سهام الموت تتوجه نحو السفن الأميركية .

اوكيناوا ! كانت تتمدد امامنا . الجزيرة التي طالما تنازعناها مع العدو وهي هدف هذه المهمة .

من بعيد شاهدت صفوفـاً من السفن الأميركية . وفي وسط هــذا الأسطول الهائل كان هدفنا العسكري : اربع حاملات طائرات تحرسها الدوارع واعداد كبيرة من الطرادات .

وانقض الطيــار الأول عبر شبكة النار . انه لن يصيب حاملات الطائرات ولكنه قد يصيب سفينة جوالة . فهل يبلغها ؟ كلا ... لقد اصيب زميلنا وتحولت طائرته الى فتات محترق .

طياران آخران اصابهما المصير نفسه فانفجرا في وسط الطريق . اما الرابع فسيكون أسعد حظاً . لقد اخترق ستار المدافع المضادة للطائرات ثم اتجه افقياً نحو طراد اصابه عند خط الغاطس . انفجار هائل ! ثم آخر ، ثم آخر ايضاً . هذا حسن جداً ... لقد انقسمت السفينة الى قسمين . ودخل الماء فيها ثم غرقت .

تاتسونو هو الآن وحده . لقد حقق طيراناً رائعاً وانطلق نحو هدفه . تاتسونو ! تاتسونو ! دفة الطائرة الخلفية تحترق . ولكنه تابع طيرانه . النيران تبلغ جسم الطائرة . الطائرة تكاد تصبح لهباً كلها . ولكنهم لم يستطيعوا ايقافها .

تاتسونو يتوجه نحو حاملة بترول . كانت قريبة ! انها تقترب اكثر فأكثر . ويتردد انفجار رهيب . اطنان من الوقود تحترق . عامود هائل من الدخان الأسود يشيع الظلمة في الفضاء . حاملة بترول تغرق . تموجات واسعة وبركة واسعة من البترول تبدو فوق المكان الذي جرت فيه هذه المأساة ...

هكذا مات خير صديق لي :

لم يعد هناك طيارون انتحاريون . لقد اغرقنا طراداً وحاملة بترول وانزلنا اضراراً بسفينة جوالة ثم علمت بعد ان دارعة قد اصيبت اصابة خطرة ...

كانت الأسراب الانتحارية سلاحاً يائساً ولكنه سلاح فعـــال . فبين النزول في خليج ليت ونهاية معركة اوكيناوا اغرق الطيارون الانتحاريون او تركوا اصابات شديدة في ٤٧٥ سفينة . ان الطـــرادات التي كانت تكلف بمراقبة وصول هؤلاء الطيارين قد تحملت القسم الأكبر من الضربات . واذا كان الطيارون الانتحاريون لم يغرقوا سفناً اكثر اهمية من حاملات الطائرات المواكبة ، فقد انزلوا اضراراً شديدة بـ ١٢ حاملة طائرات قتال ١٥ دارعة ، ١٦ حاملة طائرات خفيفة او مواكبة ، وفي اوكيناوا فقط سببت هجمات انتحارية فردية عددها ١٩٠٠ وعشرة هجمات كثيفة بالاضافة الى الغارات العادية ، غرق ٣٠ سفينة اميركية واصابة ٣٠٨ سفينة بالأضرار و٩٧٠٠ بحار قتيل . ان سبـع الخسائر العامة في رجال البحرية خلال الحرب العالمية الثانية كلها قد تم في معركة اوكيناوا .

في ٥ نيسان ، اليوم الذي انطلق فيه طيارو الانتحار ، ارسل قائد الأسطول الياباني المختلط سومو تويودا الأميرال ساشي ايتـــو من جون توكوياما على رأس سرب مؤلف من ١٠ سفن بينهـــا الدارعة العملاقة « ياماتو » والسفينة الجوالة الخفيفة « ياهاغي » و ٨ طرادات ، لتحقيق

نوع آخر من الهجمات الانتحارية . هذا السرب كان يحمل من الوقود اكثر مما يحتاج اليه للوصول الى شواطىء اوكيناوا ولكن الوقود لم يكن كافيـــاً للعودة الى اليابان . يضاف الى ذلك انه لم تكن لهذا السراب أية تغطية جوية . مهمة ايتو الوصول الى شاطىء هاغوشي عند فجر ٨ نيسان وسحق عمليات النزول . ولكن اسطوله قد انكشف ، في الوقت الذي كان يغادر فيه مضيق يانغو ، بين كيوشو وشيكوكو ، من قبل الغواصات الأميركية . وقد احيط الأميرال سبروانس علماً بذلك . فوجه اليه طائرات استطلاعية . وفي ٧ نيسان اطلق الأميرال ميتشر ٢٨٠ مطـــاردة وقاذفة منقضة وقاذفات طوربيد . وقد تم التلاقي عند جنوب غربي كيوشو فخسر السرب الياباني بعد ظهر ذلك اليوم الدارعـــة ياماتو والسفينة « يايـاغي » و ٤ طرادات .

وفي ذلك الوقت كان الأميركيون قد احتلوا اربعة اخماس اوكيناوا . الرماة البحريون سحقوا اليابانيين في شبه جزيرة موتوبو ، وفي ١٦ نيسان ، نزل رجال فرقة المشاة — ٧٧ — في شيما ، وهي جزيرة صغيرة غربي اوكيناوا بنى فيها اليابانيون ثلاث مطارات . وتم الاستيلاء عليها بعد معركة قاسية استمرت خمسة ايام .

اما في الجنوب فقد كان الأميركيون يواجهون الخط الدفاعي لاوشيجيما . وقد تلاحقت المواقع الدفاعية فيه في ثلاثة صفوف عبر عنق عرضه ٥ كلم ابتداء من ناها عند الشاطىء الغربي حتّى يانابارو عند الشاطىء الشرقي مروراً بشوري في الوسط . وقد استغل اليابانيون طبيعة الأرض الوعرة هناك فأخفوا فيها مجموعة هائلة من المواقع المحصنة . ومن هناك اطلق اليابانيون نيران مدفعية كثيفة دقيقة . وابتداء من ١٩ نيسان بدأ الجنود والرماة البحريون يندفعون في مجموعات من الحملات المختلطة « دبابات ومشاة » . وقد ردوا بخسائر هائلة سببتها لهم الهجمات اليابانية المعاكسة ، في الوقت الذي كانوا يتخبطون فيه في بحر من الوحول أحدثها اسبوع

من المطر الشديد .

واخيراً ، وبعد سلسلة طويلة من المعارك المميتة الرهيبة ، استطاع جنود بوكنر ورماته البحريون ان يخترقوا المواقع اليابانية بثمن كبير . سقطت ناها في ٢٧ أيار ، ثم تبعتها شوري بعد ايام قليلة وفي ٢٢ حزيران انتحر كل من اوشيجيما ورئيس اركان حربه ايزاماكو على طريقة الهاراكيري . وتوقفت كل مقــاومة ؛ ولكن الجنرال بوكنر لم يكن موجوداً ليشهد الانتصار النهائي . لقد قتل في اول حزيران . قتلته قنبلة يابانية بينما كان يتابع احدى هجمات الرماة البحريين من احد مراكز المراقبة .

لقد كانت معركة اوكيناوا واحدة من أطول معارك الباسيفيك واقساها فبعد ثلاثة اشهر من حرب ضروس دفع المعسكران خسائر : ١١٠،٠٠٠ جندي ياباني تقريباً قتلوا ولأول مرة يستسلم عدد كبير منهم نسبياً في اوكيناوا وقد بلغ ٧٤٠٠ أسير ، ولم يسبق للجيش الأميركي ان اسر مثل هــذا العدد خلال حرب الباسيفيك كلها . وقد كان في الامكان تجنيب اليابانيين جزءاً كبيراً من هذه الخسارة لو رضي اوشيجيما بالاستسلام الذي عرضه عليه الجنرال بوكنر حين اصبح وضع القوات اليابانية وضعاً يائساً . كما خسر اليابانيون فيما تقول الرواية الأميركية ، ٧٨٠٠ طائرة واكثر من ١٢ ألف طيار ، والقسم الأكبر من تجهيزاتهم الثقيلة وجزءاً غير قليل مما بقي لهم من اسطولهم الذي كان كبيراً . أما الأميركيون فقد فقــدوا : ٧٦٠ طائرة ، ٣٦ سفينة مغرقة و ٣٦٨ سفينة مصابة بأضرار . يضاف الى ذلك ٩٧٠٠ بحارة مغرقون و ٧٦١٣ قتيل ، ٣١٨٠٧ جريح و ٢٦ الف رجــل اخرجوا من المعركة لأسباب غير الحرب . وبصورة عامة دفع الأميركيون غالياً ثمن اوكيناوا . ولكنهم بعد الاستيلاء عليها قد وجدوا انفسهم عند عتبة اليابان ، وقد اعدوا العدة ليدوسوا بأقدامهم تراب الوطن الياباني المقدس .

نهاية الحرب

لقد استطاعت الحكومة اليابانية ان تقنع الشعب بدعايتها الماهرة وبالرقابة الدقيقـــة التي طبقتها بأن جيوشها واساطيلها في الطريق الى النصر رغم التخريبات الرهيبة التي احدثتها القلاع الأميركية الطائرة « ب ٢٩ » فوق الأرض اليابانية . اما النخبة اليابانيـــة القائدة فقد كانت بالطبع أعرف بما كان يجري ولكنها منقسمة على نفسها بالنسبة للقرارات التي يجب ان تتخذ . اما الفئة العسكرية « غامبوتسو » التي يقودها الجنرالات ، فقد كانت تطالب بالحرب حتى النهاية مرددة سلسلة من الشعارات من مثل « مئة مليون سيموتون في سبيل الشرف » او « الموت اولى من ان نلتمس امناً مهينـاً » ، وبما ان القسم الأكبر من جيوش هؤلاء الجنرالات ما يزال سليماً من كل اذى ، وبما انهم لم يشتركوا في اية معركة بعد ولم يتذوقوا مرارة الحرب فقد كانوا يأملون في تنظيم دفاع يائس عن البلاد بفضل مليون ونصف من الجنود المقيمين فيها وقرابة ١٠ آلاف طائرة بينها كثير من الطائرات الانتحارية بحيث يوقفون الغزو الذي يهددهم . او على الأقل يسببون الخسائر الهائلة للأميركيين فيرغمونهم على القبول بسلم كريم والموافقة على تسوية تحفظ عزة اليابان . وفي هذه الحالة كان

الجنرالات يفكرون لا في انفسهم وحسب بل في الحصول على احسن الشروط للأمة .

اما الكتل الصناعية « زاباتسو » فقد اتفقت مع الامبراطور ، بينما وقف زعماء الاسطول البحري الذين خسروا اكثر سفنهم الى جانب رؤساء الحكومات السابقين « جوشن » في محاولتهم العاقلة الحذرة لانهاء الحرب .

وبعد معركة سايبان استطاع مستشارو الامبراطور ووزير العدل المركيز كيدو ، ان يبعدوا توجو عن رئاسة الحكومة ، ولكن الوزارة الجديدة ، رغم وجود نائب رئيسها « جوشن » الاميرال ميتسومازا يونا ، لم تستطع ان تنصرف لغرض انهاء الحرب بصراحة ، بسبب وجود الجنرال كونياكي كوزيرو على رأسها وتأييد الجنرالات له . وقد حدث العكس فقد اصبحت الحرب بسببها اكثر ضراوة وشدة . وفي ٥ نيسان ١٩٤٥ اي بعد نزول الاميركيين في اوكيناوا بخمسة ايام سقطت حكومة كويزو ، وبعد ذلك بيومين اصبح الاميرال كانتارو سوزوكي رئيساً للوزراء وهو في التاسعة والسبعين من عمره ، يساند كل من كيدو ومستشاري الامبراطور . وقد كان في وسع سوزوكي الاعتماد على ثلاثة اصوات لثلاثة رجال من انصار السلام في مجلس الحرب الأعلى ، انها اصوات وزير الخارجية شيناغوري توغو ، ووزير البحرية ميتسومازا يونا ثم صوته ، ولكنه اصطدم بمعارضة شديدة من قبل وزير الحرب ورؤساء اركان الجيش والبحرية .

وفي اليوم الذي سقطت فيه حكومة كويزو تنكر الاتحاد السوفياتي لمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها مع اليابان عام ١٩٤١ . وهكذا سجل ستالين اول خطوة نحو الحرب ، عملاً بالتعهد الذي قدمه للحلفاء منذ زمن طويل والذي طُلب اليه تنفيذه في مؤتمر يالطا . ثم كانت ضربة اخرى شديدة مؤلمة نزلت باليابان بعد استسلام المانيا . وبقيت اليابان وحيدة

وادرك زعماؤها ان قوات الحلفاء ستتوجه كلها اليها عما قريب .

وفي اثناء ذلك كان عدد من الدبلوماسيين الاميركيين من بينهم وزير الحربية هنري ستمسون ووزير الخارجية بالوكالة « غرو » يضغطون على ترومان ليعلن ان الاستسلام غير المشروط لن يقضي على الامة اليابانية وعلى نظامها الملكي . وقد كانوا يظنون ان مثل هذا التدبير قد يعجل في انهاء الحرب دون اهراق المزيد من الدماء بسبب الغزو المنتظر . ولكنه تردد بسبب حداثة عهده بالرئاسة . وكانت هناك دوائر اميركية مختلفة بالاضافة الى الصين والاتحاد السوفياتي تقوم بضغط شديد من اجل اعتبار هيروهيتو مسؤولاً عن الحرب ومعاملته كمجرم من مجرمي الحرب ايضاً . ومن ناحية اخرى كان عدد كبير من القادة الأميركيين يظن بأن هذا التصريح هو علامة ضعف . ومرت الأيام دون ان يصدر هذا التصريح ابداً .

وقد حدث العكس . فان عمليات حربية قد جرت بعد ذلك لابادة القوة البحرية والجوية عند اليابان قبل ان يبدأ غزوها من قبل القوات الاميركية . لقد كان الاسطول الثالث بقيادة هلسي يجوب البحار على امتداد الشاطىء الياباني الشرقي دون ان يجد اية مقاومة ، فيضرب الموانىء والمصانع والمؤسسات المختلفة بمدافعه بينما تغرق طائرات ميتشر ما تلتقيه من السفن وتسحق المطارات وتسقط الطائرات . وفي سلسلة من الغارات المخربة على القواعد البحرية في كور ويوكوسوكا ، اغرقت طائرات ميتشر او انزلت الضرر بكل ما بقي من سفن الاسطول الياباني ولا سيما ٨ دوارع وحاملات طائرات . أما القلاع الطائرة فقد تابعت غاراتها على المدن اليابانية الكبيرة وحولتها الى خرائب . حدث هذا بينما كان الحلفاء يستعدون لاستعمال سلاح جديد ورهيب .

القنبلة الذرية

في شهر آب من عام ١٩٣٩ كتب العالم الفيزيائي البرت اينشتاين الى الرئيس روزفلت بأن تفتيت الذرة قادر على احداث قنبلة اكثر تخريباً من كل القنابل التي ظهرت حتى ذلك الوقت . وبسرية تامة ، وبالتعاون مع كندا وبريطانيا ، سمح روزفلت باجراء بحوث علمية واسعة في هذا الميدان .

وبما ان السرية في هذا الموضوع ضرورية جداً فقد اصدر امره دون العودة الى مجلس الشيوخ . وبعد خمس سنوات من القيام بعمل اشترك فيه ١٢٥ الف رجل في الولايات المتحدة وكلف ميزانية تبلغ ملياري دولار اصبحت القنبلة حقيقة واقعة .

وفي ١٧ تموز تلقى ترومان الرسالة التالية : « طفل ولد ولادة جيدة » بينما كان يشهد مؤتمر بوتسدام . وقد قصد بذلك ان التفجير التجريبي الأول لقنبلة ذرية في منطقة الأماغوردو قد نجح . والأماغوردو موجودة في صحراء المكسيك الجديدة . وقد وافق ترومان بتأييد من تشرشل على استعمال هذه القنبلة ضد اليابان للتعجيل في انهاء الحرب وتجنب الخسارة الهائلة التي سيسببها النزول في الارض اليابانية .

وفي ٢٦ تموز ١٩٤٥ وجـــه الرئيس ترومان « نداء الى الشعب الياباني » عرف فيما بعد بنداء بوتسدام ، وكان يطلب فيه من اليابان استسلاماً غير مشروط تحت طائلة عملية تخريبية سريعة وشاملة دون ان يشير الى القنبلة الذرية . والواقع ان هذا النداء كان اكثر من دعوة الى الاستسلام . خلاصته ان اليابان ستحرم من كل ملكياتها وان سيادتها لن تتجاوز حدود جزائرها الوطنية ، وان العسكريين اليابانيين سيحاكمون وسيعاقبون بينما « ستضمن حرية الكلام والدين والفكر وتحترم الحقوق

الأساسية للانسان . » وان اليابان ستشهد نهاية صناعتها وجيشها وستدفع تعويضات الحرب ثم تحتلها قوات الحلفاء . اما اذا قبلت اليابان بالاستسلام السريع فان جنودها سيسمح لهم بالعودة الى بلادهم ثم تقصر مدة احتلال الحلفاء لأراضيهــا . واضاف الحلفاء قائلين : « نحن لا ننوي استعباد الشعب الياباني ولا القضاء على الوطن الياباني » .

ورغم ان هذا النداء قد وجد التأييد في مجلس الحرب الأعلى الياباني وقبله الامبراطور من الناحية المبدئية ، إلا أن اليابانيين قد فضلوا الانتظار على امــل ان تجري وساطة سوفياتية . وأعلن سوزوكي رئيس الوزراء خلال مؤتمر صحفي عقده في ٢٩ تموز انه لا علم له بنداء بوتسدام ولم يصدر اي جواب رسمي . واخيراً تقرر القاء القنبلة الذرية .

وفي ٣ آب أمر ترومان باستعمال القنبلتين الذريتين الموجودتين . وعينت اربعة اهداف محتملة لها : هيروشيما ، كوكورا ، نيفاتا ، وناغازاكي . وحملت القنبلتان الى جزيرة تينيان حيث توجد مجموعة قلاع طائرة خاصة « ب ٢٩ » لحملها . وفي ٦ آب انطلق سرب من ثــلاث طائرات « ب ٢٩ » باتجاه هيروشيما . واحداهــا تحمل القنبلة الذرية يقودها الكولونيل بول تيبتس جيروم . اما الطائرتان الاخريان فقد كانتا للمواكبة والاستطلاع . وكانت آثار القنبلة التخريبية من الاتساع بحيث ان الكولونيل اكتفى بارسال البرقية التالية : « رأيت المدينة وهدمتها » .

وقد يكون من المناسب ان نتحدث قليلاً عن هذه القنبلة الذرية الاولى فنردد ما ورد على لسان أحد اليابانيين في حديثه مع مارسيل جونو ، ممثل الصليب الأحمر ، عن ماهية هذا الانفجار الرهيب قال :

وفجأة ظهر في السماء ضياء وردي باهت اللون شديد جداً ، يرافقه اهتزاز غير طبيعي ثم لحقت به مباشرة موجة من الحرارة الخانقة ورياح عاصفة كانت تجتاح كل ما تجده امامها .

وفي ثوان قليلة احترق الآلاف من الناس الــذين كانوا يسيرون في

الشوارع او يجلسون في الحدائق العامة القائمة في وسط المدينة . كثيرون قتلوا بالحرارة الهائلة التي انتشرت في كل مكان . وآخرون كانوا يبقون فوق الارض ، صارخين من الألم وقد انتشرت في اجسادهم حروق مميتة . كل ما كان قائماً فوق منطقة الانفجار – جدران ، منازل ، مصانع وابنية اخرى – قد ابيد ابادة تامة ؛ واندفع فتات هذه الاشياء نحو الفضاء في دوامة رهيبة . الحافلات الكهربائية انتزعت من خطوطها الحديدية وانقذفت كما لو انها فقدت وزنها وتماسكها . القطارات ارتفعت هي بدورها وكأنها مجموعة من لعب الأطفال . الخيول والكلاب والماشية أصابها ما أصاب البشر . كل ما كان من الأحياء قد فقد حياته في وضع مؤلم يعز على الوصف . واختفت الاشجار في اللهيب ، وفقدت شتلات الأرز خضرتها ، واحترق العشب الأخضر كما يحترق القش اليابس.

اما ما وراء منطقة الموت فقد انهارت المنازل واصبحت اكواماً من الألواح الخشبية والقرميد والأعمدة الحجرية . لقد انهار كل شيء كما تنهار بيوت الكرتون في دائرة قطرها ١٠ كلم . اما الذين كتبت لهم النجاة من الموت فقد وجدوا انفسهم محاطين بستار من اللهب . أما الأفراد القليلون الذين استطاعوا اللجوء الى مخبأ من المخابىء فقد ماتوا بعد عشرين او ثلاثين يوماً من الألم بتأثير اشعاعات « غاما » المميتة .

وفي المساء بدأت النيران تنخفض ثم ماتت . اذ لم يعد هناك شيء تأكله هذه النيران . لقد انتقلت هيروشيما الى العدم .

وبعد ذلك بيومين ، سعى فيها السفير الياباني الى اقناع السوفيات بالتدخل كوسطاء ، اعلن هؤلاء الأخيرون الحرب على اليابان . واطلق المارشال الكسندر فاسيلفسكي جيشه الأحمر على منشوريا في ثلاث مناطق مختلفة . ومهما يكن جيش الكوانتانغ ، وعدته ٧٠٠ الف رجل ، والذي كانت تحميه مواقع دفاعية محصنة ، فقد ضعفت قوته بعد ان بادر الى انجاد الجزائر التي تحتلها القوات اليابانية في الوطن الأم وفي المناطق

المحتلة . واندفع الجيش الأحمر نحو منشوريا والنصف الجنوبي من جزيرة سخالين .

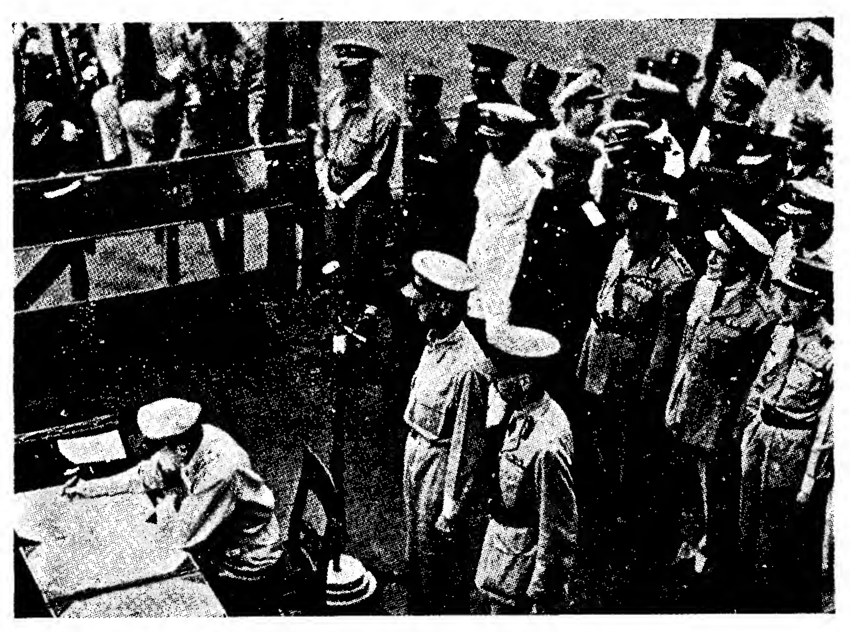
وبينما كان مجلس الحرب الأعلى يناقش بنود نداء بوتسدام القيت القنبلة الذرية الثانية فوق ناغازاكي في ٩ آب وفي تمام الساعة الحادية عشرة من الصباح . لكن النتائج التخريبية لهذه القنبلة لم تكن من الاتساع كما كانت عليه نتائج القنبلة الأولى بسبب النتوءات المرتفعة في ارض المدينة. وقد بلغت الخسارة مع ذلك ٧٣٨٨٤ قتيلاً و ٦٠ الف جريح .

وفي ١٤ آب قرر مجلس الحرب الأعلى الاستسلام وأعد الكلام الامبراطوري الذي يعلن هذا الاستسلام بالذات . وعندما علم العسكريون المتعصبون بهذا القرار ، حاولوا اللجوء الى العنف للحيلولة دون العمل به . وفي مساء ذلك اليوم اقدم بعض الضباط من وزارة الحربية ومن صفوف اركان الحرب على القيام بانقلاب عسكري . وقضي على الانقلاب من قبل الضباط الكثيرين الموالين للأمبراطور بسرعة بالغة . وفي اليوم التالي، ١٥ آب ، أذاع الامبراطور على شعبه ، بلغة البلاط اليابانية الخاصة التي لم يفهمها الكثيرون بأن الحرب قد انتهت دون ان يستعمل كلمة « استسلام » .

ومع ذلك فان المعارضين لهذا القرار لم يستسلموا للأمر الواقع فقد وقعت سلسلة من الاصطدامات والتظاهرات ، وجرت عمليات انتحارية مسرحية ، بين كبار ضباط الجيش والبحرية بصورة خاصة .

وقد حال تدخل الامبراطور دون تحول هذه الاضطرابات الى ثورة واسعة النطاق .

وفي تمام الساعة التاسعة واربع دقائق من اليوم الثاني من شهر ايلول تم التوقيع على وثيقة الاستسلام فوق الدارعة « ميسوري » الراسية في مياه طوكيو . حدث ذلك بعد ثلاث سنوات وثمانية اشهر واسبوع واحد من غارة الطائرات اليابانية على بيرل هاربر ، وبعد ست سنوات ويوم

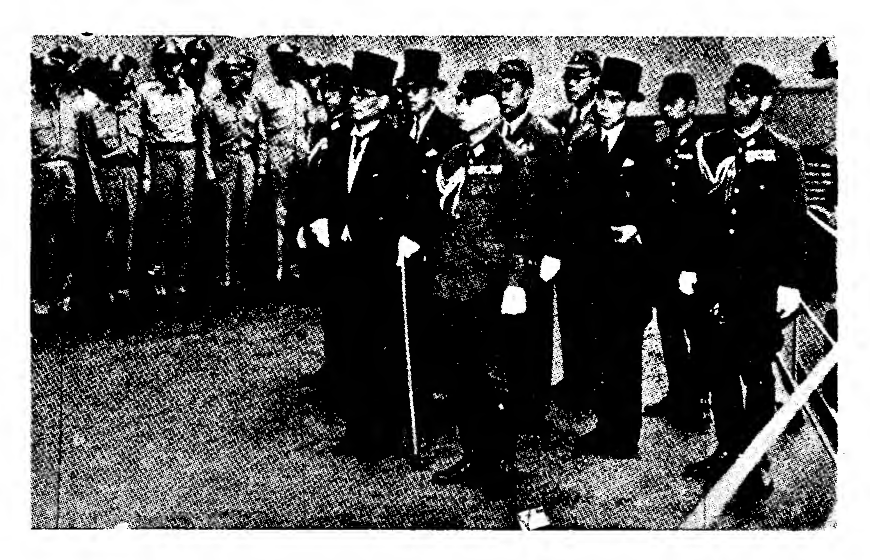


الجنرال ماك آرثر يوقع وثيقة استسلام اليابان

واحد من الهجوم الالماني الصاعق على بولونيا و ١٤ سنة من غزو منشوريا بقوات الكوانتانغ .

الجنرال ماك آرثر وقع الوثيقة باسم الحلفاء بينما اشترك في التوقيع عن الجانب الياباني كل من وزير الخارجية ماموروشيجامتسو ورئيس أركان الحرب يوشيجيرو اومازو ، على مرأى من القادة العسكريين الاميركيين ، والبريطانيين والفرنسيين والروس والصينيين مجتمعين . وقرعت اجراس الكنائس في العالم كله وانطلقت اصداء الصفارات في كل مكان . وانتشت الشعوب وسكنت سورة المدافع وانتهت الحرب .

لقد كان ثمن السلام مرتفعاً جداً حتى ان احداً لا يستطيع تقديره على التحديد .



الوفد الياباني فوق ظهر البارجة « ميسوري »
بعد توقيع وثيقة الاستسلام

وكيف يمكننا ان نتخيل هذا الثمن حين نعلم ان ١٧ مليوناً من الجنود و ١٨ مليوناً من المدنيين قد قتلوا خلال خمسة اعوام ونصف ؟

الخبراء يقولون : ان النفقات العسكرية وحدها قد بلغت ١١٠٠ مليار دولار . اما الخسائر التي سببتها الحرب فقد بلغت ٢١٠٠ مليار دولار . يضاف الى ذلك المدن المخربة ، والأراضي المحروقة ، والحقول المغمورة بالمياه ، والمصانع والمناجم التي توقف العمل فيها ثم قطعان الماشية التي تمزقت وتبددت ؟

ولم تكد الحرب تنتهي حتى بدأت المجاعات والأوبئة تهدد كلاً من اوروبا وآسيا . بالاضافة الى الملايين من المشردين والمهاجرين الذين لم يعودوا يعرفون لأنفسهم بيتاً ولا عملاً . وملايين آخرون من الجرحى والمشوهين كان عليهم ان يكافحوا طويلاً ليحيوا حياة عادية ولو في

الظاهر على الأقل . ثم ملايين من المقاتلين عادوا الى بلادهم سالمين ولكنهم شعروا انهم قد اصبحوا في عالم غريب عنهم لا تربطهم به اية رابطة .

لقد كان سلاماً بالغ الصعوبة .

كان سلاماً يحتاج الى عقول الملايين وسواعدهم وحسن نياتهم من أجل ان يسترد استقراره وأمنه الدائم وطمأنينته الى المستقبل .

والمؤلم ان البشرية لم تتعلم شيئاً من هذه الحرب الضروس . انها لم تقتنع بعدها بأهمية السلام، وبعبارة اخرى بقيت البشرية عرضة لسلسلة من الفواجع الرهيبة في كل ميدان من الأرض وعلى كل مستوى من المستويات.

لقد فرضت حدود جديدة لأكثر الشعوب . وظهرت تناقضات عنيفة بين معسكرات مختلفة . وانفجرت حروب محلية سببت الكوارث والآلام وصنعت سلسلة من المآسي .

كانت حرب كوريا التي ذهبت ضحيتها مئات الألوف وما يدرينا ان تكون هذه المئات من الألوف قد بلغت الملايين من المدنيين والعسكريين.

وكانت حرب الهند الصينية ثم فيتنام الجنوبية وسلسلة من الثورات القومية مثل ثورة الجزائر التي ذهب ضحيتها مليون من الرجال والنساء بين افراد الشعب الجزائري وحده بالاضافة الى عشرات الألوف من جنود الاستعمار الفرنسي .

ثم كانت حرب بور سعيد التي فضحت طغيان الاستعمار وكشفت عن مخططاته ... وبين هذه الحرب وتلك كانت الكارثة الفلسطينية التي شردت مليوناً من ابناء فلسطين وقتلت عشرات الآلاف من الأبرياء أو أصابتهم بجراح .

ومن وراء هذا كله تبدو لنا خسائر معنوية اخرى . الخسائر التي تبرز في الأعصاب المتعبة والقلق المضني والذعر المستمر من الحرب الباردة التي استمرت سنوات عديدة ووضعت العالم كله امام هاوية حرب نووية مدمرة .

ومما يزيد في تغذية روح التشاؤم عند الملايين من البشر ان تناقضات جديدة قد بدأت تظهر في داخل المعسكر الواحد من المعسكرات الدولية.

التناقضات في المعسكر الشيوعي تبدو اكثر حدة في كل يوم ... وهي أشد ما تكون في هذه الفترة بين الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي ... كما انها تكسب المزيد من الأرض في صميم المعسكر الرأسمالي نفسه .

وتخرج من التناقضات الرأسمالية الشيوعية كتلة دول عدم الانحياز التي تمثل اطماح الشعوب النامية ومخططاتها في تجنب الاستعمار الجديد بكل ما يحمله من الأخطار ومحاولات التدخل في شؤونها الداخلية ووسائله الاقتصادية والسياسية في الضغط عليها . وقد كانت الكارثة الفلسطينية وما نشأ عنها من فرض دولة اسرائيل الغاصبة ضد كل الاعتبارات الشرعية والقوانين الدولية والمقاييس الأخلاقية وما تزال حتى يومنا هذا آية وعلامة على فشل المحاولات التي تقوم بها قلة من القادة والزعماء لصنع عالم مستقر وسلم دائم ؛ عالم يعمل من اجل الرفاهية ويقرر نهائياً ان يستغني عن ميزانيات الحروب الوقائية وسياسات التسليح التي تستهلك القسم الأكبر من الطاقات الانشائية البناءة في الشرق والغرب .

ان العالم اليوم يعيش في ازمة الذعر من الحرب . وقد تبلغ هذه الأزمة درجة من الشدة يخيل لنا معها ان فواجع الحرب العالمية الثانية وأخطارها الرهيبة قد اصبحت شيئاً منسياً في ذاكرة هذا العالم بالذات .

على اننا رغم هذا كله نؤمن بالسلام ... ونثق بالقلة من القادة والمصلحين الذين ما يزالون يعملون ضد الحرب وينادون باستلال الاحقاد من النفوس ويعلنون رأيهم في ضرورة العودة الى الايمان بالله وبعنايته السماوية التي نرجو مخلصين ان تبلسم جراح القلوب وتتيح للمظلومين فرصة الحصول على حقوقهم ، وان توفق البشرية الخائفة الى تجميع قواها وتنمية ارادتها وتنظيم صفوفها سعياً الى الحرية والسلام والاستقرار من أجل رفاهية كل الشعوب وسعادتها في العالم كله ...

فهل عسانا نذكر جميعاً شعار السلام الذي يردده المسلمون في كل صلاة وعند كل لقاء ؟!

وهل عسانا نذكر شعار المحبة الذي تتميز به دعوة المسيحية ؟

وهل عسانا نذكر اخيراً ان السلام هـو هبة السماء للأرض وطريق الانسانية الى البقاء ؟؟

وهل سيتذكر العالم كلمات الرئيس الأميركي فرنكلين روزفلت التي رددها في ١٨ حزيران ١٩٤٢ ؟!

« ليست ارضنا غير نجمة صغيرة في الكون . ان في وسعنا ، اذا اردنا ذلك ، ان نجعل منها كوكباً لا تقتله الحرب ، ولا يضنيه الجوع والخوف ، والمنازعات بين العناصر والأديان والوان البشرة . لتكن لنا الجرأة الكافية بحيث نبدأ هذه المهمة منذ اليوم وليكون في مكنة اطفالنا وأحفادنا ان يعتزوا باسم الانسان . »

نرجو ان يتذكر القادة في واشنطن وموسكو وغيرهما من عواصم العالم الكبيرة مثل هذه الأقوال وان يعودوا قليلاً الى نفوسهم ليشهدوا فيها الدعوة الخالدة الى السلام والأخوة والمحبة ...

فهرست